
AYASOFYA KÜTÜPHANESİ
280

من تفسير المدارك

المجلد الاول من مدارك التنزيل للنسفي

استصحبه العبد ... ابراهيم عفي له

سابق اناطولی قاضیعسکری پاشازاده ابراهیم افندینك عملیدر

٢٨٠

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا
لمن طالع وتأمل اكرمه الله تعالى بالفضل والإحسان حرره
الفقير احمد شيخ زاده المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام، المقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام، المتصف بالالوهية قبل كل موجود، الباقي بنعت السرمدية بعد كل محدود، الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار، المتكبر الذي ازاحت سطوات كبريائه الافكار، القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان، المتعالي عن مضاهاة الاجسام ومشابهة الانام، القادر الذي لا يشار اليه بالتكييف، القاهر الذي لا يسأل عن التحميل والتكليف، العليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان، الحكيم الذي نزل القرآن شفاء للارواح والابدان، والصلاة والسلام على المستقل اروقة البلاغة والبراعة المحتل في بحبوحة الفصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى خليقته، الداعي الى الحق وطريقته، صلى الله عليه وعلى آله وشيعته، وعلى الآخذين بعهوده وشريعته، قال مولانا الشيخ الامام المعظم، والحبر الهمام المقدم، استاذ اهل الارض محيي السنة والفرض كشاف حقائق اسرار التنزيل، مفتاح اسرار دقائق التأويل ترجمان كلام الرحمن، صاحب علمي المعاني والبيان الجامع بين الاصول والفروع، المرجوع اليه في المعقول والمنقول والمسموع حافظ الملة والدين، شيخ الاسلام والمسلمين، وارث علوم الانبياء والمرسلين المكمل فحول المجتهدين، قدوة قروم المحققين، ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سألني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التأويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر واخذا سبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة واتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء

قدير

قدير وبالاجابة جدير **فاتحة الكتاب** مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القرآن للحديث ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لما روي ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القرآن قال ابن عباس اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وايها سبع بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله تعالى ولذا يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله ولنا حديث ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضرنا لان التسمية اية من القرآن انزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد ان لو لم نجعلها اية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدأون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء بالاسم وذ

قدير

يتقدمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول سورة
نزلت في قول وكان الامر بالقراءة اهم فكان تقديم الفعل اوقع ويجوز
ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير
متعد الى المفعولية وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده
واسم الله تعالى يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت
بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وفيه تعليم عباده كيف يتبركون
باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسرة لانها تلازم الحرفية
والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا اوائلها
على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا انطقوا بها مبتدئين زادوا همزة
تفاديا عن الابتداء بالساكن فاذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة
شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها فقال سِمٌ وسُمٌ وهو من الاسماء
المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي
وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى
واشارة بذكره وحذفت الالف في الخط هنا واثبتت في قوله اقرأ باسم ربك
لانه اجتمع فيها مع انها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا من حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء واظهر
السينات ودور الميم والله اصله الاله ونظيره الناس اصله الاناس
حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف والاله من اسماء الاجناس
يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء
اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد ولان صفاته تعالى
لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت غير جارية
على اسم موصوف بها وهذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل
والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق
ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم أله يأله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان
الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا
الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله الاهة اذا عبد فهو
مصدر بمعنى مألوه اي معبود كقولهم هذا خلق الله اي مخلوقه ويفخم
لامه اذا كان قبلها فتحة او ضمة ويرقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من
يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن
فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب
وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن
من المبالغة ما ليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن

زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن
الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا
الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره عام معنى لما بينا والرحيم بعكسه
لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس
الترقي من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف
به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده واصلها العاطفة واما قول
الشاعر في مسيلمة • وانت غيث الورى لازلت رحمانا • فباب من
تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة
اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرفه اذ ليس له فعلى
والاول الوجه **الحمد** الوصف بالجميل على التفضيل وهو رفع بالابتداء
واصله النصب وقد قرئ به باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة
بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم • شكرا وكفرا والعدول عن النصب
الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر **لله** واللام يتعلق
بمحذوف اي واجب او ثابت وقيل الحمد والمدح اخوان وهو الثناء
والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته
على شجاعته وحسبه واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب
واللسان والجوارح قال •• افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني
والضمير المحجبا • والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر
ومنه الحديث الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله راس الشكر
لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء
عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض
الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من اوصاف الكمال ككونه
قادرا مريدا عالما ابديا ازليا والشكر ثناء على ما هو منه من اوصاف
الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا
للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال
وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع **رب العالمين**
الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش
احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب ويجوز
ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا
على الله وحده وهو في الغير مع التقييد انه ربي احسن مثواي ارجع الى
ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو
اسم الله الاعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر
والاعراض او كل موجود سوى الله تعالى سمي به لانه علم على وجوده
وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء او ما في حكمها
من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم **الرحمن**

الرحيم ذكرهما دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها
لما اعادهما لخلو الاعادة عن الافادة **مالك** عاصم وعلي ملك غيرهما
وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن الملك
اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان امر الملك ينفذ على
المالك دون عكسه وقيل المالك اكثر ثوابا لانه اكثر حروفا وقرا ابو حنيفة
والحسن رضي الله عنهما ملك يوم **يوم الدين** اي يوم الجزاء ويقال كما تدين
تدان اي كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق
الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الامر كله في يوم الدين
والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه فكانت
الاضافة حقيقية فساغ ان يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التي اجريت
على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا اي مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها
ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به
دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه
اياك نعبد واياك نستعين ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف
حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر
اضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون
اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك
بالعبادة وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن
الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن
الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ۞ ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ۞ كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني ۞ وخبرته عن ابي الاسود

فالتفت في الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءني والعرب
يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل
في القلوب عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اذ
صغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما يتضح الا للحذاق المهرة
والعلماء النحارير وقليل ما هم ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق
بالحمد والثناء واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم
الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب
ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد
ونستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة
قبل الحاجة اقرب الى الاجابة او لنظم الاي لانه قدم الرحمن وان كان الابلغ

لا يقدم

لا يقدم وا طلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز ان يراد
الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب
من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا **اهدنا الصراط المستقيم** اي ثبتنا
على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى اعود اليك اي اثبت على ما
انت عليه او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى يتعدى الى
مفعول بنفسه فاما تعديه الى مفعول آخر فتارة جاء متعديا اليه بنفسه
كهذه الاية وتارة جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله
هداني ربي الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه
لانه يسترط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس
الطاء في الاطباق لان الصاد والضاد والطاء والظاء حروف الاطباق وقد
تشم الصاد صوت الزاي لان الزاي الى الطاء اقرب لانهما مجهورتان وهي
قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهو الاصل في الكلمة
والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام
ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير
العامل وفائدته التوكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط
المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ
وجه وآكده وهم المؤمنون او الانبياء عليهم السلام او قوم موسى قبل
ان يغيروا **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين انعمت عليهم
يعني ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة
للذين يعني انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين
وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع غير بين متضادين
وكانا معرفتين تعرفت بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون
والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولان الذين قريب من النكرة
لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة
للتخصيص الحاصل له بالاضافة فكل واحد منهما فيه ابهام من وجه
واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية
ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المذنبين
وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من
تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب
عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين
للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير امين صوت سمي به الفعل الذي
هو استجب كما ان رويد اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل وهو مبني

وفيه لغتان مدّ الفه وقصرها وهو الاصل والمدّ باشباع الهمزة قال ورحم الله عبدًا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدًا وقال عليه السلام لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل انه لم يثبت في المصاحف والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست او سبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالالف تدل على اوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبهها والدليل على انها اسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم والتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وقيل مبنية لانها كالاصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسماء السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما اقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله ولما سميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدي بالقران وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام الا لانه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلافة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن قرأ وخط وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكور في الفواتح نصف اسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على اصناف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة

نصفها

نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكور من هذه الاجناس مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبكيت لهم والزامهم الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير اوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القران فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم تجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت اعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكما ان ابنية كلامهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك في الفواتح هذا المسلك والم اية حيث وقعت وكذا المص اية والمر لم تعد اية وكذا الر لم تعد اية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتين وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية وص وق ون ثلاثتها لم تعد اية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه لمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء او النصب او الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة

ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام او ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له يقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا ووجه التاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ

وذلك مبتدأ ثانيا والجملة خبره والكتاب خبر المبتدأ الاول ومعناه
ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما
تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من
مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم جملة
وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك
مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل لا ريب
لا شك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة
قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا
يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا
فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له
وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب
من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير
لان المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع
البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب وانما لم
يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي
نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو اولي الظرف
لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما في قوله لا فيها غول
ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها
هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب
ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه فيه هدى باشباع
كل هاء كناية مكي وافقه حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت
به ومن عنده وفي داره وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب ان لا يقال
فيه قال سيبويه ما قاله مؤد الى الجمع بين ثلاثة احرف سواكن الياء
قبل الهاء والهاء اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء
خفية فالخفي قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل
كالبكاء وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
في قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى للمتقين
والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك
تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط
المستقيم ولانهم سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين
كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وكقول ابن عباس رضي الله
عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل
والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم
بقاؤهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء
فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين

الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا
فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التي هي اولى الزهراوين
وسنام القرآن بذكر اوليائه والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء فاذا بنيت من ذلك افتعل
قلبت الواو تاء وادغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط
الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة
من فعل او ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب
فيه لذلك او النصب على الحال من الهاء في فيه والذي هو ارسخ عرقا
في البلاغة ان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه
ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة
حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية
آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها
وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام
المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان
تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص
انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال في حجة تتبختر
اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين
فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان
رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز وفي الثانية ما في التعريف
من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد
كانه نفسه هداية وايراده منكرا ففيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه
والايجاز في ذكر المتقين كما مر الذين في موضع رفع او نصب على المدح
اي هم الذين يؤمنون او هو مبتدأ وخبره اولئك على هدى او جر على انه
صفة للمتقين وهي صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد
الفقيه المحقق لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقي من الايمان
الذي هو اساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما امهات العبادات
البدنية والمالية والعيار على غيرهما الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة
وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شانهما استتباع سائر العبادات
ولذا اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان

لها مع ما في ذلك من الانصاح عن فضل هاتين العبادتين او صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب فيكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات **يؤمنون** يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم امنه اي صدقه حقيقته امنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالبا لتضمنه معنى اقر واعترف **بالغيب** بما غاب عنهم مما انبأهم به النبي صلى الله عليه وسلم من امور البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغايب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشي غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح ان تقر باللسان وتصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الايمان **ويقيمون الصلاة** اي يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع وبالسجود والتسبيح لوجودها فيها او اريد باقامة الصلاة تعديل اركانها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشي النافق الذي يتوجه اليه الرغبات واذا اضيعت كانت كالشي الكاسد الذي لا يرغب فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم** اعطيناهم وما بمعنى الذي **ينفقون** يتصدقون ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه اهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي اختها او هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا وانفق الشي وانفده اخوان كنفق الشي ونفد وكلما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الاية على ان الاعمال ليست من الايمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الايمان والعطف يقتضي المغايرة **والذين يؤمنون** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا بكل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قال هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك او المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة في المزدحم ٭ والمعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **بما انزل اليك** يعني القران والمراد جميع القران لا القدر الذي

سبق

سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل **وما انزل من قبلك** يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين **وبالاخرة** هي تانيث الاخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام **هم يوقنون** الايقان اتقان العلم بانتفا الشك والشبهة عنه **اولئك على هدى** الجملة في موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ويجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتدا واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلا في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعلوا الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى **من ربهم** اي اوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اي هدى ونحوه لقد وقعت على لحم اي على لحم عظيم **واولئك هم المفلحون** اي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفايز بالبغية فكانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفا والعين نحو فلق وفلد وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل واولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهايم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى وهي من العطف بمعزل وهم فصل وفايدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره فيه تنبيه على انهم لما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحين فيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التايب اي هو الذي اخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر اوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره بذكر اضدادهم

وهم الغتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله **ان الذين كفروا** الكفر
ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزارع كافرا وكذا
الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لذكر الكتاب بيانا لا خبرا عن المؤمنين
وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في
المراد وهما في حد لا مجال للعطف فيه ولئن كان مبتدا على تقدير فهو
كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا اناس باعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون
كابي جهل وابي لهب واضرابهما **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم**
بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه
قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء اي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو
عليهم انذارك وعدمه او يكون سواء خبرا مقدما وءانذرتهم ام لم تنذرهم
في موضع الابتداء اي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما
جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه
جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد
انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى على هذا حرف
الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على
صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي
لا يؤمنون جملة موكدة للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض
او خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون
الارسال عاما وليثاب الرسول **ختم الله على قلوبهم** قال الزجاج
الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا
يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني
ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها
ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في
صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة
اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون
لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في
الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم
كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة لان للفعل ملابسات
شتى تلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له
فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها
الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه
وهذا فرع مسالة خلق الافعال **وعلى سمعهم** وحد السمع كما وحد البطن

في قوله

في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا لامن اللبس ولان السمع مصدر في اصله
يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع
على الكثير والقليل فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل
المضاف محذوف اي وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم **وعلى ابصارهم
غشاوة** بالرفع خبر ومبتدا والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان
البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان
خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء
فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية
لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوفقهم
على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار وجعل
وتكرير الجار في قوله على سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في
نفسه وغيره من المخلوقين ليرى اثار الحدث فيعلم ان لا بد له من صانع
جعل كان على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل
على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والاية حجة لنا على المعتزلة
في الاصلح فانه اخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم اصلح لهم
ولهم عذاب عظيم العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب
عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير
ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان
الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل
عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من التغطية
غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام
العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله **ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر** افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله
وواطات فيه قلوبهم السنتهم ثم ثنى بالكافرين الذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم وهم اخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا
نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد اربع ايات
من اول السورة في نعت المؤمنين وايتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة اية
في المنافقين نعى عليهم فيها بكفرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزاءهم
وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم
الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين
كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا
وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله

انسان وانا سي وانس وسموا لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزن فيه افعل وليس معك الا العين وهو من اسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الاخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدايم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان تدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانهم اوهموا في هذا المقال انهم احاطوا بجانبي الايمان اوله واخره وهذا لان حاصل المسايل الاعتقادية يرجع الى مسايل المبداء وهي العلم بالصانع وصفاته واسمايه ومسايل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وساير احوال الاخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله **وما هم بمؤمنين** وهو في ذكر شان الفاعل لا الفعل قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهو في ذكر شان الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على ابلغ وجه واكده وهو اخراج ذواتهم من ان تكون طايفة من المؤمنين ونحوه قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها واطلق الايمان في الثاني مع تقييده في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل ان يراد نفي اصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور اولا والاية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفي عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم ويؤيده قول اهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما موكدة للنفي لانه يستدل بها السامع على الجحد اذا غفل عن اول الكلام ومن موحد اللفظ ولذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه **يخادعون الله** اي رسول الله بحذف المضاف كقوله واسال القرية كذا قاله ابو علي وغيره اي يظهرون غير ما في نفوسهم والخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يبنى كثيرا للعير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وتقرير يخدعون وهو بيان ليقول او مستانف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء احكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنايم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب

والمراد

والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول امنا مخادعين او حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا نفقد والاول اوجه **والذين امنوا** اي يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر **وما يخادعون الا انفسهم** اي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الاخرة يرجع اليهم فكانهم خدعوا انفسهم وما يخادعون ابو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعند الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للنفس والقلب والروح النفس لان النفس بها وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم **وما يشعرون** ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها الات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض** اي شك اونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد في الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب **فزادهم الله مرضا** اي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق امثاله كما عرف في زيادة الايمان **ولهم عذاب اليم** فعيل بمعنى مفعول اي مؤلم **بما كانوا يكذبون** كوفي اي بكذبهم في قولهم امنا بالله وباليوم الاخر فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه يكذبون غيرهم اي بتكذيبهم النبي فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين **واذا قيل لهم** معطوف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس اذا قيل لهم **لا تفسدوا في الارض** لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالبونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم **قالوا انما نحن مصلحون** بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شايبة

قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء
على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون انهم مفسدون فحذف المفعول
للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس
ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا
مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم قد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة
المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف
وما في الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء نصحوهم
من وجهين احدهما بتقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد
وثانيهما بتبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام فكان من جوابهم
ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وانما
صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح
لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل
واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما
او مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن الرسول
ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه اي كما
امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية
او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهايم والكاف
في كما في موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان
الناس ومثله كما امن السفهاء والاستفهام في انؤمن للانكار واللام في
السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم
لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن
الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم الا انهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون انهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم
لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن
طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر
المعرفة اما الفساد في الارض فامر مبني على العادات فهو كالمحسوس
والسفهاء خبران وهم فصل او السفهاء خبر هم والجملة خبر ان واذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته
اذا استقبلته قريبا منه الاية الاولى في بيان مذهب المنافقين والترجمة
عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم
ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم واذا خلوا الى شياطينهم
خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه والى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء

والانتهاء ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين اصلية بدليل قولهم
تشيطن وعنه انها زايدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح
والخير او من شاط اذا بطل ومن اسمايه الباطل قالوا انا معكم انا مصاحبوكم
وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم
بالاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المؤمنين في ادعاء حدوث الايمان
منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه
اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه
على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني
المهاجرين والانصار واما خطابهم مع اخوانهم فقد كانوا عن رغبة فكان
متقبلا عنهم رايجا منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وقوله انما
نحن مستهزءون توكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله
انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف
به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او هو
استيناف كانهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم اذ كنتم معنا
فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا
يهزا مات على المكان الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزايهم فسمي
جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم
يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء على الله تعالى لا يجوز من
حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه
المختار واستيناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجزالة
والفخامة وفيه ان الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس
استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت
نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم
يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون ويمدهم
يمهلهم عن الزجاج في طغيانهم في غلوهم في كفرهم يعمهون حال اي يتحيرون
ويترددون وهذه الاية حجة على المعتزلة في مسالة الاصلح اولئك مبتدا
خبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوها به واختاروها عليه
وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانهم في قوم امنوا
ثم كفروا او في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد عليه السلام فلما جاءهم كفروا
به او جعلوا لتمكنهم منه كان الهدى قايم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على
جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشرى ولكن تركوا الهدى بالضلالة
عن اختيار وسمى ذلك شرى فصار دليلا لنا على ان من اخذ شيا من غيره

وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه واذا لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين
فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على راس المال والتجارة صناعة التاجر
وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد الربح الى التجارة من الاسناد المجازي
ومعناه فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى
مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله • ولما رايت النسر عز ابن داية •
• وعشش في وكريه جاش له صدري • لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم
بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة كما
تكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب
التجار سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوهما فراس مالهم الهدى
ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح
وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم
له راس ماله قد ربح وقيل الذين صفة اولئك وفما ربحت تجارتهم الى اخر
الاية في محل الرفع خبر اولئك **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة
صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال
في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق تاثير ظاهر ولقد
كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في اصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا
الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال
الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما
قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة الشان ثم اخذ في بيان
عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة
ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل
الجماعة بالواحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الفوج الذي استوقد
على ان ذوات المنافقين لم يشبهوا بذوات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه
الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد اوقد
ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من
نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط
الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية
متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على
المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وجواب فلما **ذهب الله بنورهم**
وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على
الظرف او نكرة موصوفة والتقدير فلما اضاءت شيئا ثابتا حوله وجمع الضمير

وتوحيده

وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير
ومعنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به
والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان ابلغ من
الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت لان ذكر النور
ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم راسا ولو قيل
ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا الا ترى
كيف ذكر عقيبه **وتركهم في ظلمات** والظلمة عرض ينافي النور وكيف
جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها
شبحان وهو قوله **لا يبصرون** وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد
واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب
ومنه وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين
والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل
المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد
لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط في ظلمات
الكفر ابدا ولكن المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية
بهم الى ظلمة العقاب السرمد وللاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا
بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي
باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها بذهاب
الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم **صم بكم عمي**
اي هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق
مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا
كانما ايفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث
للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذلك في الاسماء وما
في الاية تشبيه بليغ في الاصح لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم
المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل
الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة
الحال او فحوى الكلام **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه
او عن الضلالة بعد ان اشتروها لتنوع الرجوع الى الشيء وعنه او اراد انهم
متحيرون بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** شبه الله
سبحانه في شانهم بتمثيل اخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق
في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع
انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى
به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه

من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة
اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة
العطف عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم اخذتهم السما
بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه اشيا باشيا الا انه لم يصرح
بذكر المشبهات كما صرح في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء وقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من
جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر
شبهه به بيانه ان العرب تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض
لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه
كيفية حاصلة من مجموع اشيا قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
الاية فالمراد والغرض حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال
الحمار بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار
الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه
من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما انزلناه
من السما فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقا الخضر فهو تشبيه
كيفية بكيفية فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها
ببعض ومصيرة شيا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين
في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة
الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك
من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
والتمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وكذا اخروهم
يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف احد التمثيلين على
الاخر باو لانها في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا كقولك جالس الحسن
او ابن سيرين يريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا وقوله تعالى
ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور سيان في وجوب العصيان
فكذا ههنا معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين
القصتين وان القصتين سوا في استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل
فبايتهما مثلتها فانت مصيب ولو مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب
المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا لانه
نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسما هذه
المظلة عن الحسن انها موج مكفوف والفايدة في ذكر السما والصيب
لا يكون الا من السما انه جاء بالسما معرفة فافاد انه غمام اخذ بآفاق

السما

السما ونفى ان يكون من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق
من افاقها سماء ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنايه وفيه
دليل على ان السحاب من السما ينحدر ومنها ياخذ ماءه وقيل انه ياخذ من البحر
ويرتفع ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة لصيب
بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه
والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك اجرام السحاب او
ملك يسوق السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا
اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات
فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمتا سحمته وتطبيقه
مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع
القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد
والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به المطر لانهما ملتبسان
به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في الاصل يقال
رعدت السما رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت
هذه الاشيا لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف **يجعلون اصابعهم في اذانهم** الضمير لاصحاب الصيب
وان كان محذوفا كما في قوله او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط
لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على
ما يؤذن بالشدة والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
البرق فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر
الانامل ورؤوس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن اتساعا كقوله فاقطعوا
ايديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في
ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذي تسد به الاذن لان
السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران ولم يذكر
المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة **من الصواعق** متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم والصاعقة قصفة
رعد تنقض معها شعلة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت
اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو نصفها ثم
طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات بشدة
الصوت او باحراق **حذر الموت** مفعول له والموت فساد بنية الحيوان
او عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة **والله محيط بالكافرين**
يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به فهو مجاز وهذه الجملة
اعتراض لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم** الخطف الاخذ بسرعة

وكاد يستعمل للتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد كلما اضاء
لهم كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي كل
وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو مشوا فيه اي في ضوئه وهو استئناف
ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته
وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على اصحاب الصيب وما هم
فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق
خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين واضاء متعد اي كلما نور لهم ممشى
ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف او غير متعد اي كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو
واذا اظلم عليهم اظلم غير متعد وذكر مع اضاء كلما ومع اظلم اذا لانهم حراص
على وجود ما همهم معقود من امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها
ولا كذلك التوقف قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء جمد ولو شاء
الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق ومفعول شاء
محذوف لدلالة الجواب عليه اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب
بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا
في الشيء المستغرب نحو قوله

فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ● عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ان الله على
كل شيء قدير اي ان الله قادر على كل شيء لما عدد الله فرق المكلفين من
المومنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم وما اختصت به
كل فرقة مما يسعدها او يشقيها ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من
الالتفات المذكور فقال يا ايها الناس قال علقمة ما في القران يا ايها الناس
فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها الذين امنوا فهو خطاب لاهل المدينة
وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد واي والهمزة للقريب
ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من
بعد ونأى واذا نودي القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب
الذي يتلوه معني به جدا او قول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل
الوريد استقصار لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا
عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته واي وصلة الى نداء ما فيه
الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف
المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم
جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه
يا اي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه
استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة

وموصوفها لتاكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه اي من الاضافة وكثر
النداء في القران على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده امور عظام وخطوب جسام يجب عليهم ان يتيقظوا لها
ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد
الابلغ اعبدوا ربكم وحدوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القران
فهو توحيد الذي خلقكم صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الالهة
اربابا والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء
على تقدير واستواء وهذا بناء على ان المعدوم شيء عندهم لان الشيء ما صح ان يعلم
ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام ابو عمرو والذين
من قبلكم احتج عليهم بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين
بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام
لعلكم تتقون اي اعبدوا على رجاء ان تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل
للترجي والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه
به قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كي اي لكي تتقوا الذي جعل لكم الارض
اي صير ومحل الذي نصب على المدح او رفع باضمار هو فراشا بساطا تقعدون
عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان
الارض مسطحة او كروية اذ الافتراش ممكن على التقديرين والسماء بناء
سقفا كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني وانزل
من السماء ماء مطرا فاخرج به بالماء ثم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته
وايجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر
على انشاء الكل بلا سبب كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة حكما وعبرا للنظار
ليعيدوه الاستبصار ومن في من الثمرات للتبعيض او للبيان رزقا مفعول
له او حال ان كانت للتبعيض ومفعول به ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات
دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة
ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية لكم صفة جارية
على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل
رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا هو متعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا
تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا تجعل له ندا ولا
شريكا ويجوز ان يكون الذي رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول
الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء اي الذي خلقكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل
النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال
الا للمثل المخالف المناوي ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده
ونفي ما ينافيه وانتم تعلمون انها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق
او مفعول تعلمون متروك اي وانتم من اهل العلم وجعل الاصنام لله اندادا

غاية الجهل والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويبطل الاشراك لخلقهم احياء قادرين وخلق الارض التي هي مثواهم ومستقرهم
وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج
به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبني ادم فهذا كله دليل موصول الى التوحيد
مبطل للاشراك لان شيئا من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شيء منها عطف على ذلك
ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن
فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا ما نكرة موصوفة او بمعنى الذي على عبدنا
محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر
بالاستيلاء وقيل نزلنا دون انزلنا لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم
وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله
لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل
وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا
فحينا شيئا فشيئا لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر خطبه مرة
فلو انزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على تدريج
فاتوا بسورة اي فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلاث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها
لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية
على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما
ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى
فيها القارئ وهي ايضا في نفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها
وجلالة محلها في الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من
القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء واما الفائدة في تفصيل القرآن
وتقطيعه سورا فهي كثيرة ولذا انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن
كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوى تحته انواع
واشتمل على اصناف كان احسن من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ
اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط له وابعث على
الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن
اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده
ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة
وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل من مثله

متعلق

متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله يعني فاتوا بسورة
مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او لعبدنا
اي فاتوا ممن هو على حاله من كونه اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد
الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل اولى لقوله فاتوا بسورة مثله فاتوا
بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان الكلام مع رد
الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه
وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا
انتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال
وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم
قوله وادعوا شهداءكم جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة من دون
الله اي غير الله وهو متعلق بشهداءكم اي ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من
دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او من يشهد لكم
بانه مثل القرآن ان كنتم صادقين ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد صلى
الله عليه وسلم وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم صادقين
في دعواكم فاتوا بسورة من مثله واستعينوا بالهتكم على ذلك فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما ارشدهم الى الجهة التي
منها يتعرفون صدق النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم فاذا لم تعارضوه وبان
عجزكم ووجب تصديقه فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه
دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا
وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التامل كالمشكوك
فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على
حسب حسبانهم فجيء بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب وعبر عن
الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي
تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان
يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله
ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد
فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن
تاكيدا وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه
حرف موضوع لتاكيد نفي المستقبل وانما علم انه اخبار عن الغيب على ما هو به
حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشيء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه اكثر
من الذابين عنه وشرط في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله لانهم
اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول واذا صح
عندهم صدقه ثم لزموا العناد وابوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم
العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك
العناد وهو من باب الكناية وهو من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي

هو من حلية الفرات والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب وأما المصدر فمضموم
وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي يجب أن يكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن
يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى
نارا وقودها الناس والحجارة وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن
تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا ومعنى
قوله وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد
بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ خمودا وأنتن
رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسرا وإنما قرنت الناس
بالحجارة لأنهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادا
ونحوه قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي حطبها تقرنهم بها
محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم **أعدت للكافرين** هيئت لهم وفيه دليل على
أن النار مخلوقة خلافا لما يقول جهم سنة الله في كتابه أن تذكر الترغيب
مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما
ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم
بقوله **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** والمأمور بقوله وبشر الرسول
صلى الله عليه وسلم أو كل أحد وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة
شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا
كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني
إليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة عطف عقاب الكافرين
كقولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق والبشارة
الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون
الباقين ولو قال أخبرني مكان بشرني عتقوا لأنهم أخبروه ومنه البشرة
لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم
فمن العكس الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل
لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم
والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام
للجنس والآية حجة على من جعل الأعمال إيمانا لأنه عطف الأعمال الصالحة على
الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل
المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا
لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان ولا تحصل
لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء
غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة **أن لهم جنات** أي بأن
لهم وموضع أن وما عملت فيه النصب بيبشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو
كثير في التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على

معنى

معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت
دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت
وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة
اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مترتبة مراتب بحسب
أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان **تجري من تحتها الأنهار**
الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار
النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه
البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار في خلالها مطردة والجري الاطراد
والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة
العالية النهر ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار مجاز وإنما
عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف
الإضافة لقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة
في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة
الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر
نعوتها **كلما رزقوا** صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل أن لهم
جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات
الدنيا أم أجناس أخر لا تتشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات
الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله **منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي** أي كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها
أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء
الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من
ثمرة ونظيره أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه
فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد بالثمر
التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار **رزقنا**
أي رزقناه فحذف العائد **من قبل** أي من قبل هذا فلما قطع عن الإضافة بني
والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله **وأتوا به متشابها**
وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته
والضمير في به يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة لأن قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار
الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل
وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا شاهد ما سلف
له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به
أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل
على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وعلى أن ذلك التفاوت العظيم
هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه والمعنى

اذ ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن
يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتيناه
من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها
والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة
للتقرير كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا
وكان صوابا ومنه وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ولهم فيها ازواج
ازواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار مطهرة من مساوي الاخلاق
لا طمحات ولا مرجات او مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص
بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم يجمع الصفة كالموصوف
لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة ابلغ لانها تكون للتكثير
وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك الا الله عز وجل وهم فيها خالدون
الخلد البقاء الدائم الذي لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون
بفناء الجنة واهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والاخر وتحقيق وصف
الاولية بسبقه على الخلق اجمع فيجب تحقيق وصف الاخرية بالتأخر عن
سائر المخلوقات وذا انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة
ولانه تعالى باق واوصافه باقية ولو كانت الجنة باقية مع اهلها لوقع التشابه
بين الخالق والخلق وذا محال قلنا الاول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده
والاخر هو الذي لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والاخر هو الفرد
اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في
تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا ما قالوه واني يقع التشابه في البقاء
وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز
الوجود لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضحكت
اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل
بها لحقارتها واصل الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب
به ويذم ولا يجوز على القديم التغير والخوف والذم ولكن الترك لما كان من
لوازمه عبر عنه به ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة اما يستحيي
رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة
واطباق الجواب على السؤال وهذا فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي
بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملان هنا وضرب
المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ابهامية وهي التي
اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته عموما كقولك اعطني كتابا
ما تريد اي كتاب كان او صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم

كأنه قال لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين على ان ضرب
بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة
على فعول كالقطوع فغلبت فما فوقها فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى
الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة او فما زاد عليها في الحجم كانه
اراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما
اكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو
النهاية في الصغر لان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا فاما الذين امنوا فيعلمون انه
الحق الضمير للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال
حق الامر اذا ثبت ووجب من ربهم في موضع النصب على الحال والعامل
معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده صفة له
وليس كذلك وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة
رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا
نصب على التمييز او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية واما حرف
فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد
تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت اما
زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
وهذا التفسير يفيد كونه توكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين
مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون
احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين
اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان ان يكون ذا
اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فتكون كلمتين وان تكون ذا مركبة
مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فتكون كلمة واحدة فما على الاول
رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته اي اراد والعائد محذوف وعلى الثاني
منصوب المحل باراد والتقدير اي شيء اراد الله والارادة مصدر اردت
الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى
تقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة
على الحقيقة عند اهل السنة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف
بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه
فعله وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر به
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين

به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة واهل الهدى كثير في انفسهم وانما يوصفون
بالقلة بالقياس الى اهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة
وان قلوا في الصورة • ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قلوا
وان كثروا • والاضلال خلق فعل الضلال في العبد والهداية خلق
فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند اهل السنة وسياق الاية لبيان ان ما
استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان يكون المحقرات من
الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل
انما يصار اليه من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل
له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك الا ترى
ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد
صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حالة الالهة التي جعلها الكفار اندادا
لله لا حال احقر منها واقل وكذلك جعلت بيت العنكبوت مثلها في الضعف
والوهن وجعلت اقل من الذباب وضربت لها البعوضة والذي دونها مثلا
لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب
في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه وليبان ان المؤمنين الذين
عادتهم الانصاف والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا
انه الحق وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا
عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال
الفاسقين والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض فقالوا اجمع من ذرة واجرأ
من الذباب واسمع من قراد واضعف من فراشة وآكل من السوس واضعف
من بعوضة واعز من مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت ان يرضى
لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح **وما يضل به الا الفاسقين** هو مفعول
يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق
الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل
بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك
ما يبطله ان شاء الله تعالى **الذين ينقضون عهد الله** النقض الفسخ وفك
التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون
او منافقوهم او الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على
التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا
بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره او اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض
ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول
الذي اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك

وعهد

وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه **من بعد ميثاقه** اصله من الوثاقة
وهي احكام الشيء والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه
انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد او لله تعالى
اي من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل**
هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة
والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول
مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة او بمعنى الذي وان يوصل في
موضع جر بدل من الهاء اي بوصله او في موضع رفع اي هو ان يوصل **ويفسدون
في الارض** بقطع السبيل والتعويق عن الايمان **اولئك** مبتدأ **هم** فصل والخبر
الخاسرون اي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى
الايمان وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف
تطير بغير جناح والواو في **وكنتم امواتا** نطفا في اصلاب ابائكم للحال
وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل ويقال لعادم الحياة
اصلا ميت ايضا كقولك بلدة ميتة **فاحياكم** في الارحام **ثم يميتكم** عند
انقضاء اجالكم **ثم يحييكم** للبعث **ثم اليه ترجعون** تصيرون الى الجزاء
او ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف الاول
بالفاء والبواقي بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ واما
الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت
ان اريد النشور وان اريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه
والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر مع القصة
التي ذكرها لانها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر لانها تشتمل
على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر **هو الذي خلق لكم ما في الارض** اي
لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر واما الثاني
فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه
من التذكير بالاخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد
استدل الكرخي وابو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي
يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة في الاصل **جميعا** نصب على الحال من ما **ثم
استوى الى السماء** الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود
اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا
من غير ان يلوي على شيء ومنه قوله ثم استوى الى السماء اي اقبل وعمد الى خلق
السموات بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر

والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن
مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء
ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل
خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وثم هنا
لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض
بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر
وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها
وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وهو بكل شيء عليم
فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض
على حسب حاجات اهلها وهنا فهم وهو واخوانه مدني غير ورش وابو عمرو
على جعلوا الواو كانها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون في عضد
عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن واسكن في السماء
الملائكة فافسدت الجن في الارض فبعث طائفة من الملائكة فطردتهم الى
جزائر البحر ورؤس الجبال واقاموا مكانهم فامر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يذكر قصتهم فقال واذ قال ربك للملائكة اذ نصب باضمار اذكر والملائكة
جمع ملاك كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع اني جاعل اي
مصير من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة وهو من يخلف غيره
فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا
سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته ولم يقل خلائف او خلفاء لانه اريد
بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة
في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم فوحد لذلك او خليفة مني لان ادم
كان خليفة الله في ارضه فكذلك كل نبي قال الله تعالى يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض وانما اخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال
ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم او ليعلم
عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته
البالغة غنيا عن المشاورة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها تعجب من
ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل وانما
عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او قاسوا احد الثقلين
على الاخر ويسفك الدماء اي يصب والواو في ونحن نسبح للحال كما تقول
اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان بحمدك في موضع الحال اي نسبح
حامدين لك وملتبسين بحمدك كقوله وقد دخلوا بالكفر اي دخلوا
كافرين ونقدس لك ونطهر انفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد
الله من السوء من سبح في الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وابعد قال
اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم يعني

يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذي وهو مفعول اعلم والعائد
محذوف اي ما لا تعلمونه اني حجازي وابو عمرو وعلم ادم هو اسم اعجمي
واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم ادم من الادمة او من
اديم الارض كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس
من الابلاس الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه
معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام
كقوله واشتعل الراس شيبا ولا يصح ان يقدر وعلم ادم مسميات الاسماء
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم يتعلق بالاسماء
لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم ولم يقل انبئوني
هؤلاء وانبئهم بهم ومعنى تعليمه اسماء المسميات انه اراه الاجناس التي
خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا
اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة
ثم عرضهم على الملائكة اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات
العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل
التبكيت فقال انبئوني اخبروني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في زعمكم
اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان
ان فيمن يستخلف من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها
ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا قالوا سبحانك تنزيها لك ان يخفى
عليك شيء او عن الاعتراض عليك في تدبيرك وافادت الاية ان علم الاسماء
فوق التخلي بالعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره
سبحت الله تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس فيه علم الاسماء وما بمعنى
الذي والعلم بمعنى المعلوم اي لا معلوم لنا الا الذي علمتنا انك انت العليم
غير المعلم الحكيم فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان وانت مبتدأ وما
بعده خبره والجملة خبر ان او انت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان
قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم سمى كل شيء باسمه
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما عنكم
مما كان ومما يكون واعلم ما تبدون تظهرون وما كنتم تكتمون تسرون
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم اي اخضعوا له واقروا بالفضل له عن ابي
بن كعب وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا
على الذقن والجمهور على ان المامور به وضع الوجه على الارض وكان السجود
تحية لادم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله لما امتنع عنه ابليس وكان
سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان
حين اراد ان يسجد له لا ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى فسجدوا
الا ابليس الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه

ولهذا قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله كان من الجن صار من الجن
كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل
كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة
خلقوا من النور ولانه ابى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم
ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو
ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن ابى امتنع مما امر به
واستكبر تكبر عنه وكان من الكافرين وصار من الكافرين بابائه واستكباره
ورده الامر لا بترك العمل بالامر لانه بترك السجود لا يخرج من الايمان ولا
يكون كفرا عند اهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج او كان من الكافرين
في علم الله اي وكان في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لا انه كان كافرا ابدا في
علم الله وهي مسألة الموافاة وقلنا يا ادم اسكن امر من سكن الدار يسكنها
سكنى اذا اقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا انت تاكيد للمستكن
في اسكن ليصح عطف وزوجك الجنة هي جنة الخلد التي اعدت للمتقين
للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان
الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد
دخل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ثم خرج منها واهل الجنة يكلفون
التوحيد وكلا منها من ثمارها فحذف المضاف رغدا وصف للمصدر اي
اكلا رغدا واسعا حيث شئتما شيتما وبابه من غير همز ابو عمرو وحيث
للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما ولا تقربا هذه الشجرة اي الحنطة
ولذا قيل كيف لا يعصي الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها
اصل كل فتنة او التينة فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي
من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم او من الضارين انفسهم فازلهما الشيطان
عنها اي عن الشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر
الشيطان زلتهما عنها او فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما
فازالهما حمزة وزلة ادم بالخطا في التاويل اما بحمل النهي على التنزيه دون
التحريم او بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى اراد الجنس والاول
الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما
قاله مشايخ بخاري فانها اسم يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف
كزلة الماشي في الطين وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على افعالهم
كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه
فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة
في عنها وقد توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع من
دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا من دخولها على جهة الوسوسة
ابتلاء لادم وحوى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية

حتى

حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى وقلنا اهبطوا الهبوط النزول الى
الارض والخطاب لادم وحوى وابليس والحية والصحيح لادم وحوى والمراد هما
وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم ويدل
عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو والمراد ما عليه الناس
من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من
الواو في اهبطوا اي اهبطوا متعادين ولكم في الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين الى يوم القيامة او الى الموت قال
بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا فتلقى ادم من ربه كلمات
اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب ادم ورفع كلمات مكي على
انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهو قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا
كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن بن مسعود رضي الله عنه ان احب
الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن بن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم
تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك الم تسبق رحمتك
غضبك الم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم اخرجتني من الجنة
قال بشوم معصيتك قال فلو تبت اراجعي انت اليها قال نعم فتاب عليه
فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة ادم لان حوى كانت تبعا له وقد
طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك انه هو التواب الكثير القبول
للتوبة الرحيم على عباده قلنا اهبطوا منها جميعا حال اي مجتمعين وكرر
الامر بالهبوط للتاكيد او لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثاني
من السماء الى الارض او لما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى
اي رسول ابعثه اليكم او كتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا
باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي بالقبول والايمان به فلا خوف عليهم
في المستقبل ولا هم يحزنون على ما خلفوا والشرط الثاني مع جزائه جواب
الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك فلا خوف في كل
القران يعقوب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك مبتدا والخبر اصحاب
النار اي اهلها ومستحقوها والجملة في موضع الرفع خبر المبتدا الاول والذين
هم فيها خالدون يا بني اسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له
ومعناه في لسانهم صفوة الله او عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة وايل
هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم ذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها واراد بها ما
انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد

عليه السلام المبشر به في التوراة والانجيل **واوفوا** ادوا وافيا تاما يقال وفيت بالعهد فانا واف به واوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار اوفيت وعليه نزل التنزيل **بعهدي** بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي او من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز **اوف بعهدكم** بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة هما الذي اخذتم لاكفرن وقال اهل الاشارة اوفوا في دار محنتي على حفظ حرمتي اوف في دار نعمتي على اهل كرامتي بسروري ورؤيتي **واياي فارهبون** فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد واياي منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه اخذ مفعوله وهو اليا المحذوفة وكسرة النون دليل اليا كما لا يجوز نصب زيدا في زيدا فاضربه باضرب الذي هو ظاهر **وامنوا بما انزلت** يعني القران **مصدقا** حال موكدة من الهاء المحذوفة كانه قيل انزلته مصدقا **لما معكم** من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوات وامر محمد عليه السلام **ولا تكونوا اول كافر به** اي اول من كفر به او اول حزب او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يومن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود الى القران **ولا تشتروا** ولا تستبدلوا **باياتي** بتغييرها وتحريفها **ثمنا قليلا** قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم **واياي فاتقون** فخافوني فارهبوني فاتقوني باليا في الحالين وكذلك كل يا محذوفة في الخط يعقوب **ولا تلبسوا الحق بالباطل** لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت بالاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه **وتكتموا الحق** هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا بين لبس الحق والباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وهما امران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا **وانتم تعلمون** في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** اي صلاة المسلمين وزكاتهم **واركعوا مع الراكعين** منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم اي اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام وجاز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بالصلاة مع المصلين يعني في الجماعة اي صلوا مع المصلين لا

منفردين

منفردين **اتامرون الناس** الهمزة في للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم **بالبر** اي سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته وتناوله كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اوتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت اي تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم **واستعينوا** على حوائجكم الى الله **بالصبر والصلاة** اي بالجمع بينهما وان تصلوها صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الاداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفره فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصبر الصوم وقيل الصلاة الدعاء اي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه **وانها** الضمير للصلاة او للاستعانة **لكبيرة** لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر **الا على الخاشعين** لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم** اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون اي يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقوا ربهم اي معاينوه بلا كيف **وانهم اليه راجعون** لا يملك امرهم في الاخرة احد سواه **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** التكرير للتاكيد **واني فضلتكم** نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي **على العالمين** على الجم الغفير من الناس يقال رايت عالما من الناس والمراد الكثرة **واتقوا يوما** اي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف **لا تجزي نفس** مومنة **عن نفس** كافرة **شيئا** اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به او مصدر اي قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه **ولا يقبل منها شفاعة** ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس المومنة اي لا يقبل

منها شفاعة للكافر وقيل كانت اليهود تزعم ان اباهم الانبيا يشفعون لهم
فايسوا وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالاية
في نفي الشفاعة للعصاة مردود لان المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه
الصلاة والسلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي من كذب بها لم ينلها
ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي **ولا هم ينصرون**
يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر بمعنى العباد
او الاناسي **واذ نجيناكم من ال فرعون** اصل ال اهل ولذلك يصغر باهيل
فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر كالملوك واشباههم فلا يقال
ال الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس **يسومونكم** حال من ال فرعون اي يولونكم من سامه
خسفا اولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزايدته او مطالبته وسوء
مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق
وسوء الفعل يريد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده
وافظعه **يذبحون ابناءكم** بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف
ويستحيون نساءكم يتركون بناتكم احيا للخدمة وانما فعلوا ذلك لان
الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذروا
نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله **وفي ذلكم بلاء**
محنة ان اشير بذلكم الى صنع فرعون ونعمة ان اشير به الى الانجاء **من ربكم**
صفة لبلاء **عظيم** صفة ثانية **واذ فرقنا** فصلنا بين بعضه وبعض حتى
صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا اي فصّلنا يقال فرق بين الشيئين
وفرّق بين الاشيا لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط **بكم**
البحر كانوا يسلكونه ويتفرق الما عند سلوكهم فكانما فرق بهم او فرقناه
بسببكم او فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روي ان بني اسرائيل
قالوا لموسى عليه السلام اين اصحابنا نحن لا نرضى حتى نراهم فاوحي اليه
ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم **فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون** اليه
ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه وانما قال **واذ وعدنا موسى** لان الله
تعالى وعده الوحي ووعده هو المجي للميقات الى الطور وعدنا حيث كان
بصري لما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال **اربعين ليلة** لان الشهور غررها بالليالي
واربعين مفعول ثان لوعدنا لا ظرف لانه ليس معناه وعدناه في اربعين
ليلة **ثم اتخذتم العجل** الها فحذف المفعول الثاني اتخذتم وبابه
بالاظهار مكي وحفص **من بعده** من بعد ذهابه الى الطور **وانتم ظالمون**

بوضعكم

بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال اي عبدتموه ظالمين **ثم عفونا**
عنكم محونا ذنوبكم عنكم **من بعد ذلك** من بعد اتخاذكم العجل **لعلكم**
تشكرون لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم **واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان**
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة
ونظيره رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراة او التوراة
والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر او
النصر الذي فرق بينه وبين عدوه **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا **واذ قال موسى**
لقومه الذين عبدوا العجل **يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** اي
معبودا **فتوبوا الى باريكم** هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت وفيه
تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم ابرياء من
التفاوت الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة **فاقتلوا انفسكم**
قيل هو الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم
يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون الفا **ذلكم** التوبة والقتل **خير لكم**
عند باريكم من الاصرار على المعصية **فتاب عليكم انه هو التواب** المفضال
بقبول التوبة وان كثرت **الرحيم** بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى
للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا
على التوبة فاقتلوا انفسكم اذ الله جعل توبتهم قتل انفسهم والثالثة متعلقة
بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم **واذ قلتم يا موسى لن**
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا وانتصابها على المصدر كما انتصب القرفصا
بفعل الجلوس او على الحال من نرى اي ذوي جهرة **فاخذتكم الصاعقة**
اي الموت قيل هي نار من السماء فاحرقتهم روي ان السبعين الذين كانوا مع
موسى عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فارنا الله
جهرة فقال موسى سالته ذلك فابى علي فقالوا انك رايت الله فلن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت
المعتزلة بهذه الاية في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال
ما هو جائز الثبوت قلنا انما عذبوا بكفرهم لان قولهم انك رايت الله
فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان
بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبيا واجب
بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الايات عليهم ولانهم لم يسالوا
سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد **وانتم تنظرون** اليها حين نزلت
ثم بعثناكم احييناكم واصله الاثارة **من بعد موتكم لعلكم تشكرون**
نعمة البعث بعد الموت **وظللنا عليكم الغمام** وجعلنا الغمام تظللكم وذلك
في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم ويظلهم من الشمس وينزل
بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **وانزلنا عليكم**

المن الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
لكل انسان صاع والسلوى كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات
لذيذات او حلالات ما رزقناكم وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون انفسهم مفعول يظلمون
وهو خبر كان واذ قلنا لهم بعد ما خرجوا من التيه ادخلوا هذه القرية
اي بيت المقدس او اريحا والقرية المجمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا
بدخولها بعد التيه فكلوا منها من طعام القرية وثمارها حيث شئتم
رغدا واسعا وادخلوا الباب باب القرية او باب القبة التي كانوا يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا
الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده سجدا حال وهو جمع ساجد
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقولوا حطة
فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك
حطة والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات وقيل امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر
فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا اله الا الله
نغفر لكم خطاياكم جمع خطيئة وهو الذنب يغفر لكم مدني تغفر لكم شامي
وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل
لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى اخر
بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود يعني وضعوا مكان
حطة قولا غيرها اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه
الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وقيل قالوا مكان
حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء
منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض
الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في
تقبيح امرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم من السماء صفة لرجزا بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة
وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه موضع اذ
نصب كانه قيل واذكروا اذ استسقى اي استدعى ان يسقي قومه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب
بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري
حمله معه وكان مربعا وله اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين
لكل سبط عين وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او للجنس

اي

اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة فانفجرت
الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت اي سالت بكثرة او فان ضربت
فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام فصيح بليغ منه اثنتا
عشرة عينا على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان وعينا
تمييز قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها وقلنا
لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون من رزق الله اي
الكل مما رزقكم الله ولا تعثوا في الارض لا تفسدوا فيها والعيث اشد الفساد
مفسدين حال مؤكدة اي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا
متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد هو ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد
ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال
لا ياكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف او ارادوا
انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف وكانوا من اهل
الزراعات فارادوا ما الفوا من البقول والحبوب وغير ذلك فادع لنا ربك
سله وقل له اخرج لنا يخرج لنا يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من بقلها
هو ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول كالنعناع والكرفس
والكراث ونحوها مما ياكلها الناس وقثائها يعني الخيار وفومها هو
الحنطة او الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون
الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن
قلة المقدار بالذي هو خير ارفع واجل اهبطوا مصرا من الامصار اي
انحدروا اليه من التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ او مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما
التعريف والتانيث لارادة البلد او لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة
والتعريف فان لكم فيها ما سالتم اي فان الذي سالتم يكون في الامصار لا في
التيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الهوان والفقر يعني جعلت
الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه
والصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه
فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة وفقر اما على الحقيقة او لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حمزة وعلي وكذا
كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم ابو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم
غيرهم وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان
يقتل به لمساواته له اي صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائي حقوا ذلك اشارة الى
ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بالهمز نافع وكذا بابه اي ذلك بسبب كفرهم
وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا ويحيى والنبي من النبا

لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل او بمعنى مفعل او من نبا اي ارتفع
والنبوة المكان المرتفع بغير الحق عندهم ايضا فانهم لو انصفوا لم يذكروا
شيئا يستحقون به القتل عندهم وهو في محل النصب على الحال من الضمير
في يقتلون اي يقتلونهم مبطلين ذلك تكرار الاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم
بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار
بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل
الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير
مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا تهودوا يقال هاد يهود
او تهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى جمع نصران
كندمان وندامى يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في احمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح والصابئين الخارجين من
دين مشهور الى غيره من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين
اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤون الزبور من امن
بالله واليوم الاخر من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا وعمل صالحا فلهم اجرهم
ثوابهم عند ربهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومحل من امن
الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم
ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم
والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بقبول ما في التوراة
ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى
عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة
فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله
ورفعه فظلله فوقهم وقال موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا
وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم من الكتاب اي التوراة بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه
لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق
والوفاء به من بعد ذلك من بعد القبول فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتاخير العذاب عنكم او بتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين الهالكين في
العذاب ولقد علمتم عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد الذين اعتدوا منكم
في السبت هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا
فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا
بالصيد وذلك ان الله تعالى نهاهم ان يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فما
كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها

يوم السبت لامنها من الصيد وكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم
الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا ابتلوينا اياكم
قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه
لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم
ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين
وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه اي واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي في
قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كانه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ
قال موسى وكذلك هذا في الظروف التي تاتي الى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه
ان الله يامركم ان اي بان تذبحوا بقرة قال المفسرون اول القصة مؤخر
في التلاوة وهو قوله واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وذلك ان رجلا موسرا
اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون
بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله
قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او الهزء نفسه لفرط
الاستهزاء وهزوا بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وغيرهما
بالتثقيل والهمزة قال اعوذ بالله العياذ واللياذ من واد واحد ان اكون
من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض لهم
اي انتم جاهلون حيث تنسبوني الى الاستهزاء قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا على علم بانها لان ما وان كانت
سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ما موقع كيف وذلك انهم
تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك
البقرة العجيبة الشان وهي خبر ومبتدا قال انه يقول انها بقرة لا فارض
مسنة وسميت فارضا لانها قرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها وارتفع
فارض لانه صفة للبقرة وقوله ولا بكر فتية عطف عليه عوان نصف بين ذلك
بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضي شيئين فصاعدا لانه
اراد بين هذا المذكور وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة
قلت لرؤبة في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •
ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال
اردت كان ذاك فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به او امركم
بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها موضع ما رفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين
لنا اي شيء لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد
ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع وهو توكيد لصفراء
وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك

صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة
وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده
تسر الناظرين لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف
زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى
بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم
ان البقر تشابه علينا ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا
من امر القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها في الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم
تذلل للكراب واثارة الارض ولا تسقي الحرث ولا هي من النواضح التي
يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى
لان المعنى لا ذلول تثير الارض اي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على
ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة عن
العيوب واثار العمل لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة
فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة
وما بقي اشكال في امرها جئت وبابه بغير همز ابو عمرو فذبحوها فحصلوا
البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها
او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له
عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان
برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير
وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد
المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه خلافا
للمعتزلة واذ قتلتم نفسا بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم
فادارءتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرا بعضهم
بعضا اي يدفعه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع واصله تدارءتم ثم اريد التخفيف
فقلبوا التاء دالا ليصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الادغام
ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام ان يكون الاول ساكنا وزيدت همزة
الوصل لانه لم يمكن الابتداء بالساكن فادارتم بغير همز ابو عمرو والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما واعمل

مخرج

مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارءتم فقلنا والضمير في اضربوه يرجع الى
النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان او الى القتيل لما دل عليه ما كنتم
تكتمون ببعضها ببعض البقرة وهو لسانها او فخذها اليمنى او عجزها والمعنى
فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة كذلك يحيي الله الموتى عليه روي انهم
لما ضربوه قام باذن الله وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا
فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى
اما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واما ان
يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى يوم القيامة ويريكم اياته دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم
تعقلون تعملون على قضية عقولكم وهي ان من قدر على احياء نفس واحدة
قدر على احيائها جميعها لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه
ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد في الامور
والمسارعة الى امتثال اوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير
ذلك وقيل انما امروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها افضل
قرابينهم ولعبادتهم العجل فاراد الله تعالى ان يهون معبودهم عندهم
وكان ينبغي ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها
وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من
الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين
فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على
قتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر
بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب
المراد في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية
استينافا قصة براسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح في
قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة
بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى ان من اراد حياة قلبه بالمشاهدات
فليمت نفسه بانواع المجاهدات ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة
من بعد ما يوجب لين القلوب ورقتها وصفت القلوب بالقسوة مثل لنبوها
عن الاعتبار والاتعاظ من بعد ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما
تقدم من الايات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد
قسوة منها واشد معطوف على الكاف تقديره او مثل اشد قسوة فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او هي في انفسها اشد قسوة يعني

ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر هو اقسى منها وهو الحديد مثلاً
او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه
ابين وادل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد
كريم وعمرو اكرم **وان من الحجارة** بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة **لما يتفجر**
منه الانهار ما بمعنى الذي في موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق** اصله يتشقق وبه قرأ
الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت **فيخرج منه الماء** يعني ان من الحجارة
ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا
بالطول او بالعرض فينبع منها الماء ايضا وقلوبهم لا تندى **وان منها لما يهبط**
يتردى من اعلى الجبل **من خشية الله** قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله
وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هولاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به
وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس
شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم ان يكون بنية مخصوصة عند اهل السنة
وعلى هذا قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية يعني وقلوبهم لا تخشى
وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي وهو وعيد **افتطمعون** الخطاب
لرسول الله والمومنين **ان يومنوا لكم** ان يومنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا
لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة فيمن سلف
منهم **يسمعون كلام الله** اي التوراة **ثم يحرفونه** كما حرفوا صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واية الرجم **من بعد ما عقلوه** من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم **وهم يعلمون** انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هولاء وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا** اي المنافقون او اليهود **الذين آمنوا** يعني
المخلصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **قالوا** اي المنافقون **آمنا** بانكم
على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به **واذا خلا بعضهم** الذين لم ينافقوا
الى بعض الى الذين نافقوا **قالوا** عاتبين عليهم **اتحدثونهم** اتخبرون اصحاب
محمد عليه السلام **بما فتح الله عليكم** بما بين في التوراة من صفة محمد
عليه السلام **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك
تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد
وقيل على اضمار المضاف اي عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به
بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه
افلا تعقلون ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه **اولا يعلمون**
ان الله يعلم جميع **ما يسرون وما يعلنون** ومن ذلك اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان **ومنهم** ومن اليهود **اميون** لا يحسنون الكتب فيطالعوا
التوراة ويتحققوا ما فيها **لا يعلمون الكتاب** اي التوراة **الا اماني** الا ما
هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا اياما معدودة

او الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول
عثمان ما تمنيت منذ اسلمت او الا ما يقرؤون من قوله

تمنى كتاب الله اول ليلة ٭ تمني داود الزبور على رسل

اي لا يعلمون الا قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره اي لا يعلمون هولاء حقيقة المنزل وانما يقرؤون اشياء اخذوها من احبارهم
والاستثناء منقطع **وان هم** وما هم **الا يظنون** لا يدرون ما فيه فيجحدون
نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام
الذين قلدوهم **فويل** في الحديث ويل واد في جهنم **للذين يكتبون الكتاب**
المحرف **بايديهم** من تلقاء انفسهم من غير ان يكون منزلا وذكر الايدي للتاكيد
وهو من مجاز التاكيد **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا**
عوضا يسيرا **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** من الرشا
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة
العجل وعن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما
نعذب مكان كل الف سنة يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** اي عهد اليكم انه
لا يعذبكم الا هذا المقدار **فلن يخلف الله عهده** متعلق بمحذوف تقديره
ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده **ام تقولون على الله ما لا**
تعلمون ام اما ان تكون معادلة اي ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام تقولون
عليه ما تعلمون او منقطعة اي بل اتقولون على الله ما لا تعلمون **بلى** اثبات
لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون
من كسب سيئة شركا عن ابن مسعود ومجاهد وغيرهما رضي الله تعالى عنهم
واحاطت به خطيئته وسدت عليه مسالك النجاة بان مات على شركه فاما
اذا مات مومنا فاعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به
فلا يتناوله النص وبهذا التاويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل
استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطيئته مدني
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
الميثاق العهد المؤكد غاية التوكيد **لا تعبدون الا الله** اخبار في معنى النهي
كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر
والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره قراءة ابي
لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل
اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا يعبدوا فلما حذفت
ان رفع **وبالوالدين احسانا** اي واحسنوا اليهما عطف الامر وهو قوله وقولوا
عليه **وذي القربى** القرابة **واليتامى** جمع يتيم وهو الذي فقد اباه قبل الحلم
الى الحلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد البلوغ **والمساكين** جمع مسكين
وهو الذي اسكنته الحاجة **وقولوا للناس حسنا** قولا هو حسن في نفسه
لافراط حسنه حسنا حمزة وعلي **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم**

عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يفعل ذلك
بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل
غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم
بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها
او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد
اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدا وهؤلاء بمعنى الذين
تقتلون انفسكم صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر انتم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم غير مراقبين ميثاق الله تظاهرون عليهم بالتخفيف كوفي
اي تتعاونون بالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم
قيل هي الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء
وادغم بالاثم والعدوان بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى تفدوهم
اسارى تفدوهم ابو عمرو واسارى تفادوهم مكي وشامي اسرى تفدوهم حمزة
اسارى تفادوهم على فدى وفادى بمعنى واسارى حال وهو جمع اسير
وكذلك اسرى والضمير في وهو محرم عليكم للشان او هو ضمير مبهم يفسره
اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب بفداء الاسارى وتكفرون ببعض
بالقتال والاجلاء قال السدي اخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتل
وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسارى فاعرضوا عن كل ما امروا به
الا الفداء فما جزاء من يفعل ذلك هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض
منكم الا خزي فضيحة وهوان في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى
اشد العذاب وهو الذي لا روح فيه ولا فرج او الى اشد من عذاب الدنيا
وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي ونافع وابو بكر اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة اختاروها على الاخرة اختيار المشتري فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولقد اتينا
موسى الكتاب التوراة اتاه اياه جملة وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه
اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا
على اثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم
واتينا عيسى ابن مريم هي بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل
لان فعيلا لم يثبت في الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه بروح القدس اي
الطهارة وبالسكون حيث كان مكي اي بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود
ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب او بجبريل لانه ياتي بما فيه حياة

القلوب

القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله او بالانجيل كما قال في
القران روحا من امرنا او باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى تحب انفسكم استكبرتم تعظمتم عن
قبوله ففريقا كذبتم كعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد
وفريقا تقتلونه بعد لانكم حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني
اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد اتينا يا بني
اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن
الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من
شانهم وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي خلقة مغشاة باغطية
لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا يفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن بل لعنهم الله بكفرهم فرد الله ان تكون قلوبهم
مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق فالله طردهم
بكفرهم وزيغهم فقليلا ما يؤمنون فقليلا صفة مصدر محذوف اي فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى
العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اي قلوبنا اوعية
للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او اوعية للعلم فلو كان ما جئت
به حقا لقبلنا ولما جاءهم اي اليهود كتاب من عند الله اي القران مصدق
لما معهم من كتابهم لا يخالفه وكانوا من قبل يعني القران يستفتحون
على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا
بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لاعدائهم
من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا ما موصولة اي ما عرفوه وهو فاعل
جاء كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم ووضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم
واللام للعهد او للجنس ودخلوا فيه دخولا اوليا وجواب لما الاولى مضمر
وهو نحو كذبوا به او انكروه او كفروا جواب الاولى والثانية لان مقتضاهما
واحد وما في بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا
به انفسهم اي باعوا والمخصوص بالذم ان يكفروا بما انزل الله يعني القران
بغيا مفعول له اي حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل الله
لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء من عباده وهو محمد عليه السلام فباءوا بغضب على غضب
فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه او كفروا
بمحمد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك وللكافرين عذاب مهين مذل بئسما وبابه غير مهموز

ابو عمرو وينزل بالتخفيف مكي وبصري واذا قيل لهم لهولاء اليهود آمنوا بما
انزل الله يعني القرآن او هو مطلق يتناول كل كتاب قالوا نؤمن بما
انزل علينا اي التوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم
يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم غير مخالف له وفيه
رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها مصدقا حال
موكدة قل فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع
الماضي ويدل عليه قوله من قبل ان كنتم مؤمنين اي من قبل محمد صلى
الله عليه وسلم اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة
والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت
المقدس ولقد جاءكم موسى بالبينات بالآيات التسع وادغم الدال في الجيم
حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي ثم اتخذتم العجل الها من بعده من بعد خروج
موسى عليه السلام الى الطور وانتم ظالمون هو حال اي عبدتم العجل وانتم
واضعون العبادة غير موضعها او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة كرر ذكر
رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى واسمعوا ما امرتم به في
التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن
لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته
كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف
وهو الحب محذوف بكفرهم بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه قل بئسما
يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر
الى ايمانهم تهكم وكذلك اضافة الايمان اليهم ان كنتم مؤمنين تشكيك
في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم قل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة
عند الله ظرف ولكم خبر كان خالصة حال من الدار الآخرة اي سالمة لكم
ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا من دون الناس هو للجنس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فيما
تقولون لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات
الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت
ويحن اليه ولن يتمنوه ابدا هو نصب على الظرف اي لن يتمنوه ما عاشوا
بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتحريف
كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر
به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث والله
عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس مفعول وجدهم احرص
على حياة التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة
ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا

هو

هو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس ثم قد دخل الذين
اشركوا تحت الناس ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل
وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة او اريد واحرص من الذين
اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا
باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون
الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله يود احدهم لو يعمر
الف سنة بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل اراد بالذين اشركوا
المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ
اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصول والذين اشركوا على هذا
مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو بمزحزحه
من العذاب لاحدهم وقوله ان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن
يزحزحه من النار تعميره ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء قال جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هنا نائب
عن ان وان مع الفعل في تاويل المصدر وهو مفعول يود اي يود احدهم التعمير
الف سنة والله بصير بما يعملون اي بعمل هولاء الكفار فيجازيهم عليه
وبالتاء يعقوب قل من كان عدوا لجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز
مكي وبفتح الراء والجيم والهمزة مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم
بلا همز غيرهم ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله
لان الجبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من احبار
اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي
فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي
ذنب تقتلونه فانه نزله فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار اعني
اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على
نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه
اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك
وكان حق الكلام ان يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم
به وانما استقام ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل
احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب
بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح

المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت
غيظا فانه نزل الوحي على قلبك باذن الله بامره مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين رد على اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة
فقيل فانه ينزل بالهدى والبشرى ايضا من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال بصري وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني
وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعا غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس اخر اذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات فان الله
عدو للكافرين اي لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم
وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبيا ومن عاداهم عاداه الله ولقد انزلنا
اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون المتمردون من الكفرة
واللام للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك بها فنزلت
الواو في اوكلما للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات البينات
وكلما عاهدوا عهدا نبذه نقضه ورفضه وقال فريق منهم لان منهم من
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شي فلا
يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله
محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها او كتاب الله القران نبذوه بعد
ما لزمهم تلقيه بالقبول وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل
ما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي نبذ اليهود كتاب الله
واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان
اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع
ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن
سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر الجن والانس
والريح وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان
من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال
السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامي وحمزة وعلي
يعلمون الناس السحر في موضع الحال اي كفروا معلمين الناس السحر
قاصدين به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين الجمهور على ان ما
بمعنى الذي وهو نصب عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل

على الملكين او على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت
علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء
من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد ما لزم في
شرط الايمان ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر
كان مؤمنا قال الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله القول بان السحر
كفر على الاطلاق خطا بل يجب البحث عن حقيقته فان كان في ذلك
رد ما لزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذي هو كفر يقتل
عليه الذكور لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم
قطاع الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب
ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل
انزل اي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما
الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني ادم فكانا يحكمان في الارض
ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فراهما
انسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الاخرة وهما يعذبان
منكوسين في جب ببابل وسمي ببابل لتبلبل الالسن بها وما يعلمان من
احد وما يعلم الملكان احدا حتى يقولا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له
انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بتعلمه والعمل به على وجه
يكون كفرا فيتعلمون منهما الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر
اي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر الذين دل عليهما قوله كفروا يعلمون
الناس السحر او على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه
من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين بان يحدث الله
عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند اهل السنة كثرهم
الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه وما هم بضارين به بالسحر من احد
الا باذن الله بعلمه ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم في الاخرة
وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كعلم الفلسفة التي تجر الى الغواية
ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب
الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
باعوها وانما نفى العلم عنهم بقوله لو كانوا يعلمون مع اثباته لهم بقوله ولقد
علموا على سبيل التوكيد القسمي لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم
حين لم يعملوا به كانهم لا يعلمون ولو انهم امنوا برسول الله والقران
واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين
لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه
وقد علموا لكنه جعلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لاثيبوا من عند الله ما
هو خير ولو نزلت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة

عاقبة المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من
الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ
لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليهم
شيئا من العلم قالوا راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي
راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في
معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره واسمعوا واحسنوا سماع ما
يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان
واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا
سمعنا وعصينا وللكافرين ولليهود الذين سبوا رسول الله عذاب اليم
مؤلم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وبالتخفيف
مكي وابو عمرو من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس
تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة والله يختص
برحمته من يشاء يعني انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء
والله ذو الفضل العظيم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما
طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه
ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل ما ننسخ من آية
او ننسها تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان الحكم الشرعي
المطلق الذي في تقديرنا وهمنا استمراره بطريق التراخي وكان تبديلا
في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء
الذي يدعيه منكروه اعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم
في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت او تاكيد ثبت نصا او دلالة
وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا
للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ
التلاوة والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم
مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء
ان يذهب بحفظها عن القلوب او ننساها مكي وابو عمرو اي نؤخرها من
نسات اي اخرت نات بخير منها نات باية خير منها للعباد اي باية العمل
بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك اذ لا فضيلة لبعض الآيات على بعض
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها وهو اعلم
بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وما لكم من دون الله من ولي يلي امركم
ولا نصير ناصر يمنعكم من العذاب ام تريدون ام منقطعة وتقديره بل اتريدون
ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل روي ان قريشا قالوا يا محمد
اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا ان يقترحوا عليه الآيات
كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا الها ومن يتبدل الكفر بالايمان
ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء
السبيل قصده ووسطه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم اي يردوكم
من بعد ايمانكم كفارا حال من كم اي يردونكم عن دينكم كافرين نزلت
حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم
على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم حسدا مفعول له اي لاجل
الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير من عند انفسهم يتعلق بود اي
ودوا من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم الحق اي بعد علمهم بانكم على الحق
او بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا
فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة
حتى ياتي الله بامره بالقتال ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام
منهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة
صلاة او صدقة او غيرها تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عند الله ان الله
بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى لاهل الكتاب من اليهود والنصارى اي وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة
الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق
قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل
كل واحد منهما صاحبه الا ترى الى قوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهود جمع هائد كعائذ وعوذ
وعود ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه تلك امانيهم اشير الى
الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك
الاماني الباطلة امانيهم والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة
قل هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات
بمنزلة هاء في معنى احضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض ان كنتم صادقين في دعواكم بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص
نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن مصدق بالقرآن فله اجره جواب

من اسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء اي على شيء يصح ويعتد به والواو في وهم
يتلون الكتاب للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم
من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وامن به
ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر كذلك مثل
ذلك القول الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اي الجهلة
الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل
دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم
في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
اي بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه موضع من رفع على
الابتداء وهو استفهام واظلم خبر والمعنى اي احد اظلم وان يذكر ثاني
مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع
الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان اي من ان يذكر وان
تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد
الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في
بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس ان يصلوا فيه او منع المشركين رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل
مساجد الله وان كان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد
الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل
همزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر
والمراد بمن العموم كما اريد العموم بمساجد الله اولئك المانعون ما كان لهم
ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين حال
من الضمير في يدخلوها اي على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين
منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روي انه لا
يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مخافة ان يقتل وقال
قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا ونادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي للحربي
وذلة بضرب الجزية للذمي ولهم في الآخرة عذاب عظيم اي النار ولله
المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها
فاينما شرط تولوا مجزوم به اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية
وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث

ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب فثم وجه الله اي جهته التي امر بها
ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا
التولية فيها فان التولية فيها ممكنة في كل مكان ان الله واسع عليم اي
واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر
رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وقيل
عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم
فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما اذا استدبر وقيل فاينما
تولوا للدعاء والذكر وقالوا اتخذ الله ولدا يريد الذين قالوا المسيح
ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامي فاثبات الواو باعتبار انه قصة
معطوفة على ما قبلها وحذفه باعتبار انه استئناف قصة اخرى سبحانه
تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض اي هو خالقه
ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك كل له قانتون
منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل عوض عن
المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض او كل من جعلوه لله ولدا له
قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم
وجاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما
سخركن لنا بديع السموات والارض اي مخترعهما ومبدعهما لا على
مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ابدعت ولهذا
يقال لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه ياتي في دين الاسلام
بما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم واذا قضى امرا
اي حكم وقدر فانما يقول له كن فيكون هو من كان التامة اي احدث
فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى
ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود
من غير امتناع ولا توقف كما ان المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه
اباء واكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فانى يتصور التوالد والوجه
الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف اي فهو يكون او على
المعطوف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه امر وجواب
الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق بين ان
يقال اذا قضى امرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له
كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان امرا
فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن او المعدوم والمعدوم
لا يخاطب وقال الذين لا يعلمون من المشركين او من اهل الكتاب
ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هل لا يكلمنا الله كما يكلم

الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا لان يكون ما
اتاهم من ايات الله واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون ويوقنون انها ايات يجب الاعتراف
بها والاذعان لها والاكتفا بها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا
للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين بالعقاب ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم ولا نسالك عنهم ما لهم ان يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك
في دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا وبالحق اي وغير مسئول او منفيا
كقراءة نافع ولا تسأل على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك
لا تسال عنه وقيل نهى الله عز وجل نبيه عن السؤال عن احوال الكفرة
حين قال ليت شعري ما فعل ابواي ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فذكر
الله عز وجل كلامهم قل ان هدى الله الذي رضي لعباده هو الهدى اي
الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون الى اتباعه
ما هو هدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي
اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من العلم بانه
دين الله هو الاسلام او من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج
اللائحة ما لك من الله من عذاب الله من ولي ولا نصير ناصر الذين مبتدا
اتيناهم الكتاب صلته وهم مؤمنوا اهل الكتاب وهو التوراة والانجيل
او اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب القران يتلونه حال مقدرة
منهم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه او نصب على المصدر حق تلاوته
اي يقرؤونه حق قراءته في الترتيل واداء الحروف والتدبر والتفكر
او يعملون به ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي
عليه السلام اولئك مبتدا خبره يؤمنون به فالجملة خبر الذين ويجوز ان
يكون يتلونه خبره والجملة خبر اخر ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
اي انعمها عليكم واني فضلتكم على العالمين وتفضيلي اباكم على عالمي زمانكم
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل
الاربع وصف ليوما اي واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا ينفعها
فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرارها هاتين الايتين لتكرر المعاصي منهم
وختم قصة بني اسرائيل بما بدا به واذ اي واذكر اذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات اختبره باوامر ونواه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله

لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغائب
جميعا فلذا يجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله تعالى عبده مجاز
عن تمكينه من اختيار احد الامرين كانه يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه
به على حسب ذلك وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم
وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل
المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن
احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه
في قراءة ابي حنيفة رحمه الله فاعطاه ما طلب لم ينقص منه شيئا والكلمات
على هذا ما سال ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد امنا واجعلنا
مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة
المشهورة خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط
وحلق العانة والاستنجا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهما
من الشرائع عشر في براءة التائبون الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات الاية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل
هي مناسك الحج قال اني جاعلك للناس اماما هو اسم ما يؤتم به اي
ياتمون بك في دينهم قال ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي اماما يقتدى
به وذرية الرجل اولاده ذكورهم واناثهم فيه سواء فعلية من الذر
اي الخلق فابدلت الهمزة ياء قال لا ينال عهدي الظالمين بسكون
الياء حمزة وعلي وحفص اي لا يصيب الامامة اهل الظلم من ولدك
اي اهل الكفر اخبر ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من اولاد
المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن
ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت
المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة قالوا وكيف يجوز نصب
الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في
نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد
بالظلم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سال ان يكون ولده نبيا
كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا واذ جعلنا البيت اي الكعبة وهو
اسم غالب لها كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار
يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه وامنا وموضع امن فان الجاني ياوي اليه
فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجي الى الحرم واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وعنه
عليه السلام انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى
ومقام ابراهيم هو الحجر الذي فيه اثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم

واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من
مكان ابراهيم الذي وسم لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون
اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي مدني وحفص
اي بان طهرا اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس والخبايث
كلها للطايفين للدايرين حوله والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده
اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين وقيل للطايفين للنزاع اليه من البلاد
والعاكفين والمقيمين من اهل مكة والركع السجود المصلين جمعا راكع
وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي اجعل هذا البلد او هذا
المكان بلدا امنا ذا امن كعيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل
نايم فهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان وامنا صفة له وارزق
اهله من الثمرات لانه لم يكن لهم ثمرة ثم ابدل من امن منهم بالله واليوم
الاخر من اهله بدل البعض من الكل اي وارزق المومنين من اهله خاصة
قاس الرزق على الامامة فخص المومن به قال الله تعالى جوابا له ومن كفر
اي وارزق من كفر فامتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا الى حين اجله
فامتعه شامي ثم اضطره الجيه الى عذاب النار وبئس المصير المرجع اي
بئس المصير النار فالمخصوص بالذم محذوف واذ يرفع حكاية حال ماضية
ابراهيم القواعد هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي
صفة غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البنا عليها لانها اذا بني
عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد
التقاصر من البيت بيت الله وهو الكعبة واسمعيل هو عطف على ابراهيم
وكان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا
الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه
يرفعانها قايلين ربنا تقبل منا تقربنا اليك ببناء هذا البيت انك
انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها
بعد الابهام تفخيم لشان المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك
اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك ومن ذريتنا واجعل
من ذريتنا اي بعض ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وانما خصا بالدعاء ذريتهما
لانهم اولى بالشفقة قوا انفسكم واهليكم نارا وارنا مناسكنا منقول
من راي بمعنى ابصر او عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا
في الحج او عرفنا وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد
ولهذا قيل للعابد ناسك وارنا مكي قاسه على فخذ في فخذ وابو عمرو يشم
الكسرة وتب علينا ما فرط منا من التقصير او استتابا لذريتهما انك انت
التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم

فبعث

فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى عليه السلام ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا عليهم
ويبلغهم ما يوحى اليهم من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم
الكتاب القران والحكمة السنة وفهم القران ويزكيهم ويطهرهم من
الشرك وساير الارجاس انك انت العزيز الغالب الذي لا يغلب الحكيم
فيما اوليت ومن يرغب عن ملة ابراهيم استفهام بمعنى الجحد وانكار
ان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم
والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج الا من في محل الرفع على البدل
من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل
جاءك احد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
اي جهل نفسه اي لم يتفكر في نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدي كما
عدي او معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله واختار موسى
قومه سبعين وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح
والوجهان عن الزجاج وقال الفرا هو منصوب على التمييز وهو ضعيف
لكونه معرفة ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
بيان لخطا راي من رغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن احد
اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه او انتصب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب
عن ملة مثله له ربه اسلم اذعن واطع واخلص دينك لله قال اسلمت
لرب العالمين اي اخلصت او انقدت ووصى واوصى مدني وشامي بها
بالملة او بالكلمة وهي اسلمت لرب العالمين ابراهيم بنيه ويعقوب
هو معطوف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه
ايضا يا بني على اضمار القول ان الله اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين
الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن
الا وانتم مسلمون فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام
فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك
لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع
في صلاته ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين
يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمومنين
بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او متصلة
ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات
نبي الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهدا
اذ حضر يعقوب الموت اذ قال بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهدا
او ظرف لحضر لبنيه ما تعبدون ما استفهام في محل النصب بتعبدون

أي أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء أو هو سؤال عن صفة المعبود كما
تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب من بعدي من بعد موتي قالوا نعبد
إلهك وإله آبائك أعيد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون
إعادة الجار إبراهيم وإسمعيل وإسحق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل
من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب قال عليه السلام في العباس هذا
بقية آبائي إلها واحدا بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
أو نصب على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية موكدة
تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون
أمة قد خلت مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم أي بأن أحدا لا ينفعه
كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا
فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما كسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم ولا تسألون
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى
أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم
تهتدوا لأنه جواب الأمر قل بل ملة إبراهيم بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا
حال من المضاف إليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن
كل دين باطل إلى دين الحق وما كان من المشركين تعريض لأهل الكتاب
وغيرهم لأن كلا منهم يدعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب
للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل
آمنا بالله وما أنزل إلينا أي القرآن وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني
عشر ويعدى أنزل بإلى وبعلى فلذا ورد هنا بإلى وفي آل عمران بعلى
وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد
منهم أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد
في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون لله مخلصون
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب
أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة
لمصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم والها يعود إلى الله
عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الأخرى وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أي فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل قراءة أبي
بالذي آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أي فإن دخلوا
في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وإن تولوا عما تقولون

لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فإنما هم في
شقاق أي فما هم إلا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء
فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده
بقتل بعضهم وإجلاء بعض ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن
تأخر إلى حين وهو السميع لما ينطقون به العليم بما يضمرون من الحسد
والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله أي يسمع
ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب
لك وموصلك إلى مرادك صبغة الله دين الله وهو مصدر موكد منتصب
عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة
التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس
والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله
وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة
للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا
يصطنع الكرام ومن أحسن من الله صبغة تمييز أي لا صبغة أحسن
من صبغته يريد الدين أو التطهير ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله
وهذا العطف يدل على أن قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا بالله
أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صبغة الله بدل
من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك
النظم وإخراج الكلام عن التئامه وانتصابها على أنها مصدر موكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل أتحاجوننا في الله أي أتجادلوننا
في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد
لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك كلنا جميعا
في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده
ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا
فلنا كذلك ونحن له مخلصون أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان وأنتم
به مشركون والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره أم يقولون
بالتاء شامي وكوفي غير أبي بكر وأم على هذا معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني
أي الأمرين تأتون المحاجة في حكم الله تعالى أم ادعاء اليهودية والنصرانية
على الأنبياء أو منقطعة أي بل أتقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون
الهمزة إلا منقطعة إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
كانوا هودا أو نصارى ثم أمر نبيه عليه السلام مستفهما ردا عليهم بقوله
قل أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان
إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن أظلم ممن كتم شهادة

عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم
بالحنيفية والمعنى ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة
وهم عالمون بها او لو انا كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها
وفيه تعريض لكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم
وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني
لفلان اذا شهدت له في انها صفة لها **وما الله بغافل عما تعملون** من
تكذيب الرسل وكتمان الشهادة **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون** كرر للتاكيد ولان المراد بالاول
الانبياء عليهم السلام وبالثاني اسلاف اليهود والنصارى **سيقول السفهاء
من الناس** الخفاف الاحلام فاصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم
التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون لحرصهم على الطعن
والاستهزاء او المشركون لقولهم رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ
المفاجاة بالمكروه اشد واعداد الجواب قبل الحاجة اليه اقطع للخصم
فقيل الرمي يراش السهم **ما ولاهم** ما صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها**
يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة
لان المصلي يقابلها **قل لله المشرق والمغرب** اي بلاد المشرق والمغرب
كلها له **يهدي من يشاء** من اهلها **الى صراط مستقيم** طريق مستو اي يرشد من
يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امر بالتوجه اليها الاماكن كلها فيامر
بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى بيت المقدس لا اعتراض
عليه لانه المالك وحده **وكذلك جعلناكم** ومثل ذلك الجعل العجيب
جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة
الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب
امة وسطا خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل
والاوساط محمية اي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم او عدولا
لان الوسط عدل بين الاطراف ليس بعضها اقرب من بعض اي كما جعلت
قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم امة وسطا بين الغلو
والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية
ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بانه ولد الزنا
لتكونوا شهداء غير منصرف لمكان الف التانيث **على الناس** صلة شهداء
ويكون الرسول عليكم شهيدا عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم
القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم
قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم

فيسال

فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة
كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة
الاستعلاء كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس
في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا
يزكيكم ويعلم بعد التذكير واستدل الشيخ ابو منصور رحمه الله بالاية على ان
الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق
للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله واخرت صلة
الشهادة اولا وقدمت اخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على
الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها** اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي
كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة
بيت المقدس تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن
ينقلب على عقبيه** اي وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي
كنت عليها اولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد عن
الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم
اي لنعلم كائنا او موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل
بكل ما اراد وجوده انه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف
بانه عالم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه
موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له
موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم او لنميز التابع من الناكص
كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم
به يقع التمييز او ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته
لانهم خواصه او هو على ملاطفة الخطاب بمن لا يعلم كقولك لمن ينكر
ذوب الذهب فلنلقه في النار ليعلم ايذوب **وان كانت** اي التحويلة او الجعلة
او القبلة وان هي المخففة واللام في **لكبيرة** اي لثقيلة شاقة وهي خبر كان
فارقة **الا على الذين هدى الله** اي هداهم فحذف العائد اي الا على الثابتين
الصادقين في اتباع الرسول **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي صلاتكم الى
بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها من
اهل الايمان واداءها في الجماعة على اهل الايمان ولما توجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا
فنزلت ثم علل ذلك فقال **ان الله بالناس لرؤوف** مهموز مشبع حجازي
وشامي وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة **رحيم** لا يضيع
اجورهم والرافة اشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم **قد نرى**

تقلب وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان تحول الى الكعبة موافقة
لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من
قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت
بيت المقدس قبلة ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها
ووافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه
وشطر نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته
وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون
الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه السلام
قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة ،
وحيث ما كنتم من الارض واردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطره وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة
انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون بالياء مكي وابو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم
فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء، والثاني وعد للمؤمنين
بالثواب على القبول والاداء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اراد ذوي العناد
منهم بكل آية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف
سد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا
في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان فلليهود
قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهما في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض
يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع
الشمس ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم اي من بعد وضوح
البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام انك اذا
لمن الظالمين لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج
للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب
في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ولزم الوقف على الظالمين
اذ لو وصل لصار الذين اتيناهم الكتاب صفة للظالمين وهو مبتدا وخبره
يعرفونه اي محمدا صلى الله عليه وسلم او القرآن او تحويل القبلة والاول
اظهر لقوله كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن سلام انا اعلم به مني بابني
فقال له عمر ولم قال واني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل

والدته

والدته خانت فقبل عمر راسه وان فريقا منهم اي الذين لم يسلموا ليكتمون الحق
حسدا وعنادا وهم يعلمون لان الله تعالى بينه في كتابهم الحق مبتدا خبره
من ربك واللام للجنس اي الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت
انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب
فهو الباطل او للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او خبر مبتدا
اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال فلا تكونن من الممترين الشاكين
في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وقرا بها
والضمير في هو لكل وفي موليها للوجهة اي هو موليها وجهه فحذف احد
المفعولين اي هو الله او لله تعالى اي الله موليها اياه هو مولاها شامي
اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم
ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات فاستبقوا اليها غيركم من امر القبلة
وغيره اينما تكونوا انتم واعداؤكم يات بكم الله جميعا يوم القيامة فيفصل
بين المحق والمبطل او لكل امة منكم يا امة محمد وجهة جهة من الجهات
يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات
المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة
وكانكم تصلون حاذي المسجد الحرام ان الله على كل شيء قدير ومن حيث
خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام
اذا صليت وانه وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
وبالياء ابو عمرو ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وهذا التكرير للتاكيد امر القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد
ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها لئلا يكون للناس عليكم حجة اي قد
عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها
لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل
القبلة واطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة
الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود
الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم
الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم
السلام او معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه
الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم
وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع
الى دينهم ثم استانف منبها بقوله فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في
قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم
اي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى الكعبة

ولعلكم تهتدون ولكي تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف في كما ارسلنا فيكم
اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم
في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا توقف على تهتدون وعلى الاول لا
رسولا منكم من العرب يتلوا عليكم اياتنا يقرا عليكم القران ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب القران والحكمة السنة والفقه ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي فاذكروني بالمعذرة اذكركم بالمغفرة
او بالثنا والعطا او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص
والخلاص او بالمناجاة والنجاة واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
ولا تجحدوا نعماي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر فيه نيل كل فضيلة
والصلاة فانها تنهى عن كل رذيلة ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا
اموات اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون لا تعلمون
ذلك لان حياة الشهداء لا تعلم حسا عن الحسن رحمه الله ان الشهداء احيا
عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد
يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك
اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما انتم عليه من الطاعة
ام لا بشيء بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن
ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم ان رحمته معهم
في كل حال واعلمهم بوقوع البلوى قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها
من الخوف خوف العدو او الله والجوع اي القحط او صوم رمضان ونقص
من الاموال بموت المواشي او بالزكاة وهو عطف على شيء او على الخوف
اي وشيء من نقص الاموال والانفس بالقتل والموت او بالمرض والشيب
والثمرات ثمرات الحرث او موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد وبشر
الصابرين على هذه البلايا او المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع
تسليم واذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفي سراج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي فقال
نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة الذين نصب صفة للصابرين
ولا وقف عليه بل توقف على راجعون ومن ابتداء بالذين وجعل الخبر اولئك
يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده
بيان الصبر اذا اصابتهم مصيبة مكروه اسم فاعل من اصابته شدة اي
لحقته ولا وقف على مصيبة لان قالوا جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين

انا لله اقرار له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفوسنا بالهلاك اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب
حيث استرجعوا واذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه الصلاة الحنو
والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رافة
ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة بعد
العدلان ونعم العلاوة اي الصلاة والرحمة والاهتداء ان الصفا والمروة هما
علمان للجبلين من شعائر الله من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة
وهي العلامة فمن حج البيت قصد الكعبة او اعتمر زار الكعبة فالحج القصد
والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين وهما في المعاني
كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه فلا اثم عليه ان يطوف بهما اي
يتطوف فادغم التا في الطا واصل الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا
السعي بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان يروى
انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر
بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف
بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل
على انه ليس بركن كما قال مالك والشافعي وكذا قوله ومن تطوع خيرا اي
الطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى اي يتطوع فادغم التا
في الطا فان الله شاكر مجاز على القليل كثيرا عليم بالاشيا صغيرا او كبيرا
ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من
الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية
الى الاسلام بوصفه عليه السلام من بعد ما بيناه اوضحناه للناس في
الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين
فكتموه اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن
وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان
وترك الايمان واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم
وبينوا واظهروا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم وانا التواب
الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار يعني الذين ماتوا من هؤلاء
الكاتمين ولم يتوبوا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا والمراد بالناس المؤمنون والكافرون
اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت امة
لعنت اختها خالدين حال من هم في عليهم فيها في اللعنة او في النار الا انها
اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
من الانظار اي لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها

لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى في الاية على ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد على الاول ورفع الرحمن الرحيم اي المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه على انه خبر مبتدا او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما تعجب المشركون من اله واحد وطلبوا اية على ذلك نزل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر او تعاقبهما في الذهاب والمجي والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن في وما انزل الله من السماء لابتداء الغاية ومن في من ماء لبيان الجنس لان ما ينزل من السما مطر وغيره ثم عطف على انزل فاحيا به بالماء الارض بعد موتها يبسها ثم عطف على فاحيا وبث فرق فيها في الارض من كل دابة هي كل ما يدب وتصريف الرياح الريح حمزة وعلي اي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب والسحاب المسخر المذلل المنقاد لمشية الله فيمطر حيث شاء بين السماء والارض في الهوا لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشيا على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشيها في الحديث ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها ومن الناس اي ومع هذا البرهان النير من الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا من الاصنام يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المومنين الله والذين امنوا اشد حبا لله من المشركين لالهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره ويتقربون اليه بحال والمشركون يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون له ولو يرى ترى نافع وشامي على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اذ يرون يرون شامي العذاب ان القوة لله جميعا حال وان الله شديد العذاب شديد عذابه اي ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شي من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه او يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا اذ وضعها ليدل على الماضي وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه

كالماضي

كالماضي اذ تبرا بدل من اذ يرون وتبرا بادغام الذال في التا حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب الذين اتبعوا اي المتبوعون وهم الروسا من الذين اتبعوا من الاتباع وراوا العذاب الواو للحال اي تبراوا في حال رويتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا بهم الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب وقال الذين اتبعوا اي الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرا نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرا منهم كما تبراوا منا الان كذلك مثل ذلك الابرا العظيم يريهم الله اعمالهم اي عبادتهم الاصنام حسرات عليهم ندامات عليهم وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات عليهم مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار بل هم فيها دايمون ونزل فيمن حرموا على انفسهم الطعام الحار يرو نحوها يا ايها الناس كلوا امرا اباحة مما في الارض من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان طرقه التي يدعوكم اليها بسكون الطاء ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وابو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء وابان متعد ولازم ولا ننا فمن هذه الاية قوله تعالى والذين كفروا اولياوهم الطاغوت اي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم اعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظايم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد وان تقولوا في موضع الجر بالعطف على السوء اي وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات قيل هم المشركون وقيل طايفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القران قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله اولو كان اباوهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه اتتبعونهم ولو كان اباوهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال ومثل الذين كفروا المضاف محذوف اي ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق يصيح والمراد بما لا يسمع الا دعاء ونداء البهايم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعا الا جرس النغمة ودوي الصوت

من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء
الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر كما يفهم
العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن
والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع صم خبر مبتدأ مضمر اي هم صم
بكم خبر ثان عمي عن الحق خبر ثالث فهم لا يعقلون الموعظة ثم بين
ان ما حرمه المشركون حلال بقوله يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم من مستلذاته او من حلاله لانه واشكروا لله الذي رزقكموها
ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي
النعم ثم بين المحرم فقال انما حرم عليكم الميتة وهي كل ما فارقه الروح
من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفي ما عداه اي ما حرم عليكم
الا الميتة والدم يعني السائل كقوله في موضع آخر او دما مسفوحا وقد
حلت الميتتان والدمان بالحديث ولحم الخنزير يعني الخنزير بجميع اجزائه
وخص اللحم لانه المقصود بالاكل وما اهل به لغير الله اي ذبح للاصنام
فذكر عليه غير اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت اي رفع به الصوت
للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فمن اضطر اي بكسر
النون بصري وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين اعني النون والضاد وبضمها
غيرهم لضمة الطاء غير باغ اي فاكل غير باغ للذة وشهوة ولا عاد متعد
مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف
لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس في الحضر يبيح بلا سفر ولانه
بتعنته لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان ثم المضطر يباح له قدر
ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه من حصول الشبع لان
الاباحة للاضطرار فتتقدر بقدر ما تندفع به الضرورة فلا اثم عليه في
الاكل ان الله غفور للذنوب الكبائر فلا يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار
رحيم حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي صلى الله عليه
وسلم واخذهم على ذلك الرشا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا او
ذا ثمن اولئك ما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم تقول اكل فلان في بطنه
واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل
منه قال يا كلن كل ليلة اكافا اي ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه
ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسئوا
فيها ولا تكلمون ولا يزكيهم ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم او لا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم مؤلم تحرت النفي مع الفعل خبر اولئك واولئك مع الخبر
خبر ان والجمل الثلاث معطوفة على خبر ان فقد صار لان اربعة اخبار
من الجمل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة بكتمان

نعت محمد صلى الله عليه وسلم فما اصبرهم على النار اي شيء صبرهم على عمل
يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان
الذين اختلفوا اي اهل الكتاب في الكتاب هو للجنس اي في كتب الله فقالوا
في بعضها حق وفي بعضها باطل لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق او كفرهم
ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه
لفي شقاق بعيد عن الهدى ليس البر ان تولوا اي ليس البر توليتكم وجوهكم
قبل المشرق والمغرب والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى مشرق
بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان البر ليس ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر
بر من آمن بالله او فالبر من آمن والقولان على حذف المضاف والاول اجود
والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب
في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر
صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام بر من آمن وقام
بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه ان تولوا
حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن
لقرأت ولكن البر وغيري ولكن البار واليوم الآخر اي يوم البعث والملائكة
والكتاب اي جنس كتب الله او القرآن والنبيين وآتى المال على حبه اي
حب الله او حب المال او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس
باعطائه ذوي القربى اي القرابة وقدمهم لانهم احق قال عليه الصلاة
والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك صدقة وصلة
واليتامى والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى وانما اطلق لعدم الالباس
والمساكين المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم
السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفردا القطا وجعل
ابنا للسبيل لملازمته له او هو الضيف والسائلين المستطعمين وفي الرقاب
وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او في فك الاسارى واقام الصلاة
المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة قيل هو تاكيد للاول وقيل المراد بالاول
نوافل الصدقات والمبار والموفون عطف على من آمن بعهدهم اذا عاهدوا
الله او الناس والصابرين نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل
الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال في البأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت القتال اولئك الذين صدقوا
اي اهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين واولئك هم المتقون روي انه
كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام

فنزل يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص وهو عبارة عن المساواة
واصله من قص اثره واقتصه اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الاثار والاخبار
في القتلى جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى
الحر بالحر مبتدا وخبر اي الحر ماخوذ او مقتول بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى وقال الشافعي رضي الله عنه لا يقتل الحر بالعبد بهذا النص وعندنا
يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى ان النفس بالنفس كما بين الذكر
والانثى وبقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماؤهم وبان
التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به
وبان تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع اخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا
على وروده دليل اخر وقد ورد كما بينا فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان
اذا صفحت عنه واعرضت عن ان تعاقبه وهو يعدى بعن الى الجاني
والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيئات واذا اجتمعا عدي الى
الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم
عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفي له ترك له القتل
بالدية وقال الازهري العفو في اللغة الفضل ومنه يسالونك ماذا ينفقون
قل العفو ويقال عفوت لفلان بمالي اذا افضلت له واعطيته وعفوت له عما
لي اذا تركته ومعنى الاية عند الجمهور فمن عفي له من جهة اخيه شيء من
العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والاخ ولي
المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية
والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنا وترك المفعول الاخر استغناء
عنه وقيل اقيم له مقام عنه والضمير في له واخيه لمن وفي اليه للاخ او للمتبع
الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بان يطالبه
مطالبة جميلة وليؤد المطلوب اي القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا
يمطله ولا يبخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي عن بعض الدم
او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفي بترك
جعل شيئا مفعولا به وكذا من فسره باعطي يعني ان الولي اذا اعطي له شيء
من مال اخيه يعني القاتل بطريق الصلح فلياخذه بمعروف من غير تعنيف
وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدا محذوف اي
فالواجب اتباع ذلك الحكم المذكور من العفو واخذ الدية تخفيف من
ربكم ورحمة فانه كان في التوراة القتل لا غير وفي الانجيل العفو بغير بدل
لا غير وابيح لنا القصاص والعفو واخذ المال بطريق الصلح توسعة
وتيسيرا والاية تدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان
بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف
والرحمة فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير

القاتل

القاتل او القتل بعد اخذ الدية فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم
في الاخرة ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص
قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفي تعريف القصاص وتنكير
الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان
في القصاص حياة واي حياة او حياة من الحياة الحاصلة بالارتداع عن
القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر
الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع
القصاص سبب حياة نفسين يا اولي الالباب يا ذوي العقول لعلكم
تتقون القتل حذرا من القصاص كتب فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت
اي اذا دنا منه فظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا لما روي عن علي
رضي الله عنه ان مولاه اراد ان يوصي وله سبعماية ط اراد ان يوصي فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير المال وليس لك مال وفاعل
كتب الوصية للوالدين والاقربين وكانت الوصية للوارث في بدء الاسلام
فنسخت باية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لانها
نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديث عهد بالاسلام
يسلم الرجل ولا يسلم ابواه وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية
فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الايراد يكتب فرض بالمعروف
بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر
موكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين يتقون الشرك فمن بدله فمن
غير الايصاء عن وجهه اذا كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد
ما سمعه اي الايصاء فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم التبديل الا
على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان عن الحيف ان الله
سميع لقول الموصي عليم بجور المبدل فمن خاف علم وهذا شائع في كلامهم
يقولون اخاف ان لا ترسل السماء يريدون الظن الغالب الجاري مجرى
العلم من موص موص كوفي غير حفص جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية
او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان
والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل
تبديل لا يؤثم وقيل هذا في حال حياة الموصي اي فمن حضر وصيته فراه
على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي
بما قال اولا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب فرض عليكم
الصيام هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان كما كتب اي كتابة مثل ما
كتب فهو صفة مصدر محذوف على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من
لدن ادم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبارات

كل واحد صوم ايام اي انتم متعبدون بالصيام في ايام كما تعبد من كان قبلكم
لعلكم تتقون المعاصي بالصيام فالصائم اظلف لنفسه واردع لها من
موافقة السوء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم
وانتصاب **اياما** بالصيام اي كتب عليكم ان تصوموا اياما **معدودات**
موقتات بعدد معلوم او قلائل واصله ان المال القليل يقدر بالعدد
لا الكثير **فمن كان منكم مريضا** يخاف من الصوم زيادة المرض **او على سفر**
او راكب سفر **فعدة** فعليه عدة اي فافطر فعليه صيام عدد ايام فطره
والعدة بمعنى المعدود اي امر ان يصوم اياما معدودة مكانها **من ايام**
اخر سوى ايام مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف
واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى
والكبر والصغرى والصغر **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر لهم ان افطروا **فدية طعام مسكين** نصف صاع من بر او صاع
من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان
وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر لانه لما كان
مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه
لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك فعلى هذا لا يكون منسوخا
فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية **فهو خير له** فالتطوع او الخير خير له
يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي **وان تصوموا** ايها المطيقون **خير لكم**
من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وان تصوموا في السفر
والمرض خير لكم لانه اشق عليكم **ان كنتم تعلمون** شرط محذوف الجواب
شهر رمضان مبتدا خبره **الذي انزل فيه القران** اي ابتداء فيه
انزاله وكان ذلك في ليلة القدر او انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام او هو بدل من الصيام او خبر مبتدا محذوف اي هي شهر
والرمضان مصدر رمض اذا احترق لا لرمضا فاضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون سموه بذلك لارتماضهم
فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التي
وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت ما وجه
ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع ان التسمية
واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف
لامن الالباس القران حيث كان غير مهموز مكي وانتصب **هدى للناس**
وبينات من الهدى والفرقان على الحال اي انزل وهو هداية للناس
الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق
بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين

الهدى

الهدى والضلال **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما
غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا
الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فعدة مبتدا والخبر محذوف
اي فعليه عدة اي صوم عدة **يريد الله بكم اليسر** حيث اباح الفطر بالسفر
والمرض **ولا يريد بكم العسر** ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما
يجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا النص **ولتكملوا العدة** عدة
ما افطرتم بالقضا اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول
عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة **ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم**
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر
المرخص له بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا والخروج عن
عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله اي لتعظموه
حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل **واذا**
سالك عبادي عني فاني قريب علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا
اجيب دعوة الداع اذا دعان الداعي دعاني في الحالين سهل ويعقوب
وافقهما ابو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الحالين
ثم اجابة الدعا وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعا تخالف
قضا الحاجة فاجابة الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك
عبدي وهذا موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا
قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الاخرة وقد تكون الخيرة له
في غيره **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا
دعوني لحوائجهم **وليؤمنوا بي** واللام فيهما للامر **لعلهم يرشدون** ليكونوا
على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغي كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد
لم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه
واقع اهله بعد صلاة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت
جديرا بذلك فنزل **احل لكم ليلة الصيام الرفث** اي الجماع **الى نسائكم** عدي
بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح
ولم يقل الافضاء الى نسائكم استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على
صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله **هن لباس لكم وانتم لباس**
لهن وقيل لباس اي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استيناف كالبيان لسبب

الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم
عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان
من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم
مما ارتكبتم من المحظور وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة فالآن باشروهن
جامعوهن في ليالي الصوم وهو امر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق
بشرتيهما وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح
من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع
الله له النكاح من التناسل او وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله
لكم دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود من الخيط
الاسود هو ما يمتد من سواد الليل شبههما بخيطين ابيض واسود لامتدادهما
من الفجر بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفي به عن بيان الخيط
الاسود لان بيان احدهما بيان للآخر او من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
وقوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما ان قولك
رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي بن حاتم
قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فنظرت اليهما
فلم يتبين لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال انك لعريض القفا اي سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة
الرجل وقلة فطنته انما ذاك بياض النهار وسواد الليل ثم اتموا الصيام
الى الليل اي الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان
وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة
في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد معتكفون فيها بين ان الجماع يحل في ليالي رمضان
لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على ان الاعتكاف
لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد تلك الاحكام
التي ذكرت حدود الله احكامه المحدودة فلا تقربوها بالمخالفة والتغيير
كذلك يبين الله آياته شرائعه للناس لعلهم يتقون المحارم ولا تأكلوا
اموالكم بينكم اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم
يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها الى الحكام اي ولا تلقوا بها الى الحكام
فهو داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا الحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا
بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او
باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وقال عليه السلام
للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من
بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه

فلا

فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه
الرشوة يقال ادلى دلوه اي القاه في البئر للاستقاء وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ
احق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل
الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا
لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل يسئلونك عن الاهلة جمع هلال
سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته قل هي مواقيت للناس والحج
اي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم
وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم
للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم
حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا
في ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء
فنزل وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اي ليس البر بتحرجكم
من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هنا لان الاية ثمة تحتمل
الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه الاية لا تحتمل الا وجها
واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس ولكن البر بر من اتقى
ما حرم الله البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب
وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من
كسر الى ضم فكانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها
معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه
وانظروا في واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا
وهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا
تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله
من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم
ولكن البر بر من اتقى وتجنبه ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها
وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد
وجوب الاعتقاد بان جميع افعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج
شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام
بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واتقوا الله فيما امركم به
ونهاكم عنه لعلكم تفلحون لتفوزوا بالنعيم السرمد وقاتلوا في سبيل الله
المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم
يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا
المشركين كافة وقيل هي اول آية نزلت في القتال فكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال
دون من ليسوا من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والقتيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم
المقاتلة ولا تعتدوا في ابتداء القتال او بقتال من نهيتم عنه من النساء
والشيوخ ونحوهما او بالمثلة ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث
ثقفتموهم وجدتموهم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة واخرجوهم
من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل الله تعالى فتح مكة بهذه الاية
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي شركهم بالله اعظم من القتل الذي يحل بهم
منكم وقيل الفتنة عذاب الاخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان
فيعذب به اشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما اشد من الموت قال الذي
يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها
الموت ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اي ولا تبدأوا
بقتالهم في الحرم حتى يبدأوا وبعند المسجد الحرام يقع على المسجد كله فان قاتلوكم
فاقتلوهم في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لا في الحرم الا ان يبدأوا
بالقتال معنا فحينئذ نقاتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث
ثقفتموهم يبيح القتل في الاماكن كلها لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداية منهم كذا في شرح التاويلات
كذلك جزاء الكافرين مبتدا وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
حمزة وعلي فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما سلف من
طغيانهم رحيم بقبول توبتهم وايمانهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
شرك وكان تامة وهي بمعنى كي او الى ان ويكون الدين لله خالصا ليس
للشيطان فيه نصيب اي لا يعبد دونه شيء فان انتهوا فلا عدوان الا على
الظالمين فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين
ولم يبقوا ظالمين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين
ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون
عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في القعدة الشهر الحرام مبتدا خبره
بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة
يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك
له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا
واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم او
زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين

ممن

ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر
وانفقوا في سبيل الله تنفقوا في رضى الله وهو عام في الجهاد وغيره ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة اي انفسكم والباء زائدة اي ولا تلقوا انفسكم بايديكم
كما يقال فلان اهلك نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك
الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى
يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي
هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد واحسنوا الظن
بالله في الاخلاف ان الله يحب المحسنين الى المحاجين واتموا الحج والعمرة
لله واداؤهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله بلا توان ونقصان
وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه
اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رضي الله
عنه بالاية على لزوم العمرة لانه امر باتمامهما وقد يؤمر باتمام الواجب
والتطوع او اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل واحد
منهما سفرا او ان تنفق فيهما حلالا او ان لا تتجر معهما فان احصرتم يقال
احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز وحصر اذا حبسه عدو
عن المضي وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو او مرض او غيرهما لظاهر
النص وقد جاء في الحديث من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل
وعند الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان
الاحصار يتحقق في العمرة ايضا لانه ذكر عقيبهما فما استيسر من الهدي فما
تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب
والهدي جمع هدية يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون
بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة
او شاة وما رفع بالابتداء اي فعليكم ما استيسر او نصب اي فاهدوا
ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي مكانه الذي يجب
نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في ان دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم
على الشافعي رحمه الله اذ عنده يجوز في غير الحرم فمن كان منكم مريضا
فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة
ففدية فعليه اذا حلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك شاة وهو مصدر او جمع نسيكة
فاذا امنتم الاحصار اي فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع
استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه
بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب الى الحج وقيل اذا حل
من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر فمن لم
يجد الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج فعليه صيام ثلاثة ايام في وقت

الحج وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وسبعة اذا
رجعتم اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج تلك عشرة كاملة في وقوعها
بدلا عن الهدي او في الثواب او المراد رفع الابهام فلا يتوهم في الواو
انها بمعنى الاباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو
جالسهما او واحدا منهما كان ممتثلا ذلك اشارة الى التمتع اذ لا تمتع
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي رحمه الله الى
الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام هم اهل المواقيت ومن دونها الى مكة
واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتقه الحج اي وقت الحج كقولك البرد شهران اشهر
معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهي شوال وذو
القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيئا من
افعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رحمه الله وعندنا
ان انعقد لكنه مكروه وجمعت اي الاشهر لبعض الثالث او لان اسم
الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما فمن فرض
الزم على نفسه بالاحرام فيهن الحج في هذه الاشهر فلا رفث هو الجماع
او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش ولا فسوق هو المعاصي او السباب
لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسق او التنابز بالالقاب كقوله بئس
الاسم الفسوق ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين
وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع
الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القران والمراد
بالنفي وجوب انتفائها فانها حقيقة بان لا تكون وقرا ابو عمرو
ومكي الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه
قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان
يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
ومكان الجدال والاخلاق الجميلة بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله
واعلموا بانه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان اهل
اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فنزل فيهم وتزودوا اي وتزودوا واتقوا الاستطعام من الناس والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى اي الاتقاء عن الابرام والتثقيل او تزودوا للمعاد
باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها واتقون وخافوا عقابي وهو
مثل دعان يا اولي الالباب يا ذوي العقول يعني ان قضية اللب تقوى
الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ونزل في قوم زعموا ان لا حج
لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ليس عليكم جناح ان تبتغوا

في

في ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح
بالتجارة والكراء فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه
بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر من عرفات هي علم للموقف
سمي بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتانيث بل هي
مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم
عليه السلام فلما راها عرفها وقيل التقى فيها ادم وحوى وتعارفا وفيه
دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات او بصلاة المغرب والعشاء
عند المشعر الحرام هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة
والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة
وجمعا لان ادم عليه السلام اجتمع فيها مع حوى وازدلف اليها اي دنا منها
او لانه يجمع فيها بين الصلاتين او لان الناس يزدلفون الى الله تعالى اي
يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هداكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه
لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين
لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة
ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا امر لقريش بالافاضة من عرفات
الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان
حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة
من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الحمس ويكون الخطاب للمؤمنين
واستغفروا الله من مخالفتكم الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم او من
تقصيركم في اعمال الحج ان الله غفور رحيم بكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا
فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها بالحج ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
اي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا
فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون
محاسن ايامهم او اشد ذكرا اي اكثر وهو في موضع رفع عطف على
الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا
وذكرا تمييز فمن الناس من يقول فمن الذين يشهدون الحج من يسال
الله حظوظ الدنيا فيقول ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا
في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى وما له في الاخرة من خلاق نصيب
لان همه مقصور على الدنيا لكفره بالاخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه
فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب
خير الدارين فكونوا من المكثرين اي من الذين قيل فيهم ومنهم ومن الذين

يشهدون الحج من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة علما وعافية او علما وعبادة
وفي الآخرة حسنة عفوا ومغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضا الحق
او الايمان والامان او الاخلاص والخلاص او السنة والجنة او القناعة
والشفاعة او المراة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة والبعث
من القبر على بشارة وقنا عذاب النار احفظنا من عذاب جهنم او عذاب
النار امراة السوء اولئك اي الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا
من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة
او من اجل ما كسبوا وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة
بالكسب ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق نصيبا من جنس
ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد
فبادروا الى اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب
الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب
الحذر من نقمته وروي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في
مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات في ايام التشريق وذكر الله فيها
التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل
النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر
واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تأخر في يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى
يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام
الثلاثة فلا اثم عليه فلا يأثم بهذا التعجيل ومن تأخر حتى رمى في اليوم
الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد او الرفث او الفسوق اي هو مخير
في التعجيل والتأخر وان كان التأخر افضل فقد يقع التخيير من الفاضل
والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل
وقيل كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل
المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما واتقوا الله في جميع الامور
واعلموا انكم اليه تحشرون حين يبعثكم من القبور كان الاخنس ابن
شريق حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له
القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق فنزل فيه
ومن الناس من يعجبك يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب
الذي يعظم في النفس قوله في الحياة الدنيا في يتعلق بالقول اي يعجبك
ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به
الآخرة او بيعجبك اي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه
في الموقف من الحبسة واللكنة ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف
ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو ألد
الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة

بمعنى

بمعنى في لان افعل يضاف الى ما هو بعضه تقول زيد افضل القوم ولا يكون
الشخص بعض الحدث فتقديره ألد ذوي الخصومة او الخصام جمع خصم
كصعب وصعاب والتقدير وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك
وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها
كما فعل بثقيف فانه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم
واحرق زروعهم ويهلك الحرث والنسل اي الزروع والحيوان او واذا
كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث
والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد واذا قيل له للاخنس اتق الله في الافساد والاهلاك
اخذته العزة بالاثم حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى
عنه والزمته ارتكابه او الباء للسبب اي اخذته العزة من اجل الاثم الذي
في قلبه وهو الكفر فحسبه جهنم اي كافيه ولبئس المهاد الفراش جهنم
ونزلت في صهيب حين اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا
كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم واتى المدينة او فيمن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ابتغاء
لابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد حيث اثابهم على ذلك
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم وبفتح السين حجازي وعلي وهو
الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه او الاسلام والخطاب
لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم
كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا اي
جميعا او من السلم لانها تؤنث كانهم امروا بان يدخلوا في الطاعات
كلها او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان
يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان وساوسه انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم ملتم عن الدخول في السلم من بعد
ما جاءتكم البينات اي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم
الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يمنعه شيء من
عذابكم حكيم لا يعذب الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي لم يقرأ القرآن فانكره وقال ليس هذا كلام الله اذ الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه اغراء عليه هل ينظرون ما
ينتظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك
فجاءها بأسنا او المأتي به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه
بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام السحاب
وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا انزل منه العذاب كان الامر
افظع واهول والملائكة اي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم او المراد
حضورهم يوم القيامة وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وفرغ منه والى الله

ترجع الامور اي انه يملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامي وحمزة وعلي سل اصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول او لكل احد وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية او خبرية ومن يبدل نعمة الله هي اياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام من بعد ما جاءته من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكانها غائبة عنه فان الله شديد العقاب لمن استحقه زين للذين كفروا الحياة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله تعالى بخلق الشهوات فيهم وان جميع الكاينات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا عن الشرك وهم هولاء الفقراء فوقهم يوم القيامة لانهم في جنة عالية وهم في نارها وية والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون احق بها منكم كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام من ادم الى نوح عليه السلام او هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا فبعث الله النبيين ويدل على حذفه قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا او كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم مبشرين بالثواب للمؤمنين ومنذرين بالعقاب للكافرين وهما حالان وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم كتابه بالحق ببيان الحق ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات على صدقه بغيا بينهم مفعول له اي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا

فيه

فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بعلمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ام منقطعة لا متصلة لان شرطها ان تكون قبلها همزة الاستفهام كقولك اعندك زيد ام عمرو اي ايهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد وعمرو ان كان عنده عمرو وام المنقطعة تقع بعد الاستفهام وبعد الخبر ويكون بمعنى بل والهمزة والتقدير احسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم اي ولم ياتكم وفي لما معنى التوقع اي ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا مضوا اي حالهم التي هي مثل في الشدة من قبلكم من النبيين والمؤمنين مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم الباساء اي البؤس والضراء المرض والجوع وزلزلوا وحركوا بانواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة حتى يقول الرسول والذين امنوا معه الى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها نزل يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل فقد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع وما تفعلوا من خير فان الله به عليم فيجزي عليه كتب عليكم القتال فرض عليكم جهاد الكفار وهو كره لكم من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة لقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر

والله يعلم ما هو خير لكم **وانتم لا تعلمون** ذلك فبادروا الى ما يامركم به
وان شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقاتلوا المشركين وقد اهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف
يسالونك عن الشهر الحرام اي يسالونك الكفار او المسلمون عن القتال
في الشهر الحرام **قتال فيه** بدل الاشتمال من الشهر وقرى عن قتال
فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم **قل قتال فيه
كبير** اي اثم كبير فقتال مبتدا وكبير خبره وجاز الابتدا بالنكرة لانها
قد وصفت بفيه والاكثر على انها منسوخة بقوله واقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله** اي منع المشركين رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدا **وكفر
به** اي بالله عطف عليه **والمسجد الحرام** عطف على سبيل الله اي وصد
عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء انه معطوف على الهاء
في به اي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على
الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا يقول مررت به وزيد ولكن يقول
وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام
واخراج اهله اي اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون وهو
عطف عليه ايضا **منه** من المسجد وخبر الاسما الثلاثة **اكبر عند الله**
اي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبنا
على الظن **والفتنة** الاخراج او الشرك **اكبر من القتل** في الشهر الحرام او
تعذيب الكفار المسلمين اشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اي الى الكفر وهو اخبار
عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم
عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة
اي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله **ان استطاعوا** استبعاد لاستطاعتهم
كقولك لعدوك ان ظفرت بي فلا تبق علي وانت واثق بانه لا يظفر
بك **ومن يرتدد منكم عن دينه** ومن يرجع عن دينه الى دينهم **فيمت وهو
كافر** اي يمت على الردة **فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة**
لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الاخرة
من الثواب وحسن الماب **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت
عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل
عليه فهو بنا على هذا ولما قالت السرية ايكون لنا اجر المجاهدين
في سبيل الله نزل **ان الذين امنوا والذين هاجروا** تركوا مكة وعشايرهم

وجاهدوا في سبيل الله مع المشركين ولا وقف عليها لان **اولئك
يرجون رحمة الله** خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب
والله غفور رحيم نزل في الخمر اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها
وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل **يسالونك عن الخمر
والميسر** فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
جماعة فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله
عنه لو وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها
ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره
لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال
يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر
وسهولة بلا كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره وصفة الميسر
انه كان لهم عشرة اقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم
والتوام وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس
وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة اغفال لا نصيب
لها هو المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها
على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن
خرج له قدح من ذوات الانصبا اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح
ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ له شيا وغرم ثمن الجزور كله
وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد
والشطرنج وغيرهما والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل **قل فيهما اثم
كبير** بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلي
ومنافع للناس بالتجارة في الخمر والالتذاذ بشربها وفي الميسر بارتفاق
الفقراء ونيل المال بلا كد **واثمهما** وعقاب الاثم في تعاطيهما **اكبر من
نفعهما** لان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه
كثيرة **ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو** اي الفضل اي انفقوا ما فضل
عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في اول الاسلام فاذا كان الرجل
صاحب زرع امسك قوت سنة وتصدق بالفضل واذا كان صانعا امسك

قوت يومه ويتصدق بالفضل فنسخت باية الزكاة العفو ابو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدا وخبره ذا مع صلته اذ ذا بمعنى الذي وينفقون صلته اي ما الذي ينفقونه فجاء الجواب العفو اي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا اي في امر الدنيا والاخرة وفي يتعلق بتتفكرون اي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون ما هو اصلح لكم او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الايات في امور الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم وذكروا ذلك لرسول الله فنزل ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والله يعلم المفسد لاموالهم من المصلح لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم حكيم لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سال مرثد النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يتزوج عناق وكانت مشركة نزل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وانكح غيره زوجه ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها ولا تنكحوا المشركين ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف احد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ثم بين علة ذلك فقال اولئك وهو اشارة الى المشركات والمشركين يدعون الى النار الى الكفر الذي هو عمل اهل النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم باذنه بعلمه او بامره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسال ابو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل ويسالونك عن المحيض هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي منه من يقربه فاعتزلوا النساء في المحيض

فاجتنبوهن

فاجتنبوهن اي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلوهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند ابي حنيفة وابي يوسف يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عايشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن مجامعين او لا تقربوا مجامعتهن حتى يطهرن بالتشديد كوفي غير حفص اي يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن اي ينقطع دمهن والقراءتان كايتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا اولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحدهما لما عرف وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله فاذا تطهرن فاتوهن فجامعوهن فجمع بينهما من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين من ارتكاب ما نهوا عنه او العوادين الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا يياس ويحب المتطهرين بالماء او المتنزهين من ادبار النساء او من الجماع في الحيض او من الفواحش كان الرجل من اليهود اذا اتى اهله باركة قالوا اتى الولد احول فنزل نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وللولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فاتوهن من حيث امركم الله اي ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على ان المطلوب الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي نيط به هذا المطلوب فاتوا حرثكم انى شئتم جامعوهن متى شئتم وكيف شئتم باركة او مستلقية او مضطجعة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنات فعلى كل مسلم ان يتادب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه او هو طلب الولد او التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه صائرون اليه فاستعدوا للقائه وبشر المؤمنين بالثواب يا محمد وانما جاء يسالونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كانه وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك

ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة
وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه
ويصير حاجزا ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل
يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى
احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة
البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه
وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين لقوله عليه السلام من حلف
على يمين فرأى غيرها خيرا منها وقوله **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس**
عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح
بين الناس واللام تتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا
الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا **والله سميع** لايمانكم **عليم** بنياتكم **لا يؤاخذ**
الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف على شيء يظنه على ما
حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو
لا والله وبلى والله **ولكن يؤاخذكم** ولكن يعاقبكم **بما كسبت قلوبكم** بما اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما
يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي رحمه الله بهذا النص على وجوب
الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة
هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا قلنا المؤاخذة هنا
مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثمة مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل
البعض على البعض **والله غفور حليم** حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم
للذين يؤلون يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ومن في **من**
نسائهم يتعلق بالجار والمجرور اي للذين كما يقول لك مني نصرة ولك مني
معونة اي للمؤلين من نسائهم **تربص اربعة اشهر** اي استقر للمؤلين تربص
اربعة اشهر لا بيؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول
القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الاية ولك ان تقول عدي
بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين
فان فاءوا في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاءوا فيهن اي رجعوا الى الوطء عن
الاصرار بتركه **فان الله غفور رحيم** حيث شرع الكفارة **وان عزموا الطلاق** بترك
الفيء فتربصوا الى مضي المدة **فان الله سميع** لايلائه **عليم** بنيته وهو وعيد على
اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاءوا وان عزموا
بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله
للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما يقول انا نزيلكم هذا

الشهر

الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **والمطلقات**
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **يتربصن بانفسهن** خبر في معنى الامر واصله
وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار
بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة كانهن امتثلن الامر بالتربص وهو يخبر عنه
موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة
كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل
تاكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي ذكر
الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء طوامح الى
الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص
ثلاثة قروء جمع قرء او قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل
طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب
من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر
ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي
رحمه الله لانقضت العدة بقرئين وبعض الثالث فانتقص العدد عن
الثلاث لانه اذا طلقها في اخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا
طلقها في اخر الحيض فذلك غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم
خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة
مقرئ وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به اي يتربصن مضي ثلاثة قروء
او على الظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت اكثر
استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة
المهمل **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من الولد او من دم الحيض
او منهما وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها
ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي
حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال **ان كن يؤمن بالله**
واليوم الاخر لان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم **وبعولتهن**
البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع **احق بردهن** اي ازواجهن اولى
برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد
الطلاق **في ذلك** في مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان اراد الرجعة
وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا
في الرجعة **ان ارادوا** بالرجعة **اصلاحا** لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن **ولهن مثل الذي عليهن** ويجب لهن من الحق على الرجال
من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهن

عليهن من الامر والنهي بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات
الناس فلا يكلف احد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة
الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا في اللذة والاستمتاع
او بالانفاق وملك النكاح والله عزيز لا يعترض عليه في اموره حكيم لا يامر الا
بما هو صواب وحسن الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع
والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم
ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان
الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة في طهر واحد لان الله تعالى امر بالتفريق
لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر ولا يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى
لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجي قال
لا ازال اطلقك ثم اراجعك فنزلت الطلاق مرتان اي الطلاق الرجعي مرتان
لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف برجعة والمعنى فالواجب
عليكم امساك بمعروف او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة
وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت
بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد اعطاها حديقة فاختلعت
منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام ولا يحل لكم ايها الازواج او الحكام
لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهور الا ان يخافا
الا يقيما حدود الله الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما
يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان
خفتم ايها الولاة وجاز ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للحكام
الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها
فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما
اوتيت من المهر الا ان يخافا قرا حمزة على البنا للمفعول وابدال ان لا يقيما
من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة حدود
الله تلك حدود الله اي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق
والخلع وغير ذلك فلا تعتدوها فلا تجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون الضارون انفسهم فان طلقها مرة ثالثة
بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان
لتلك اي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا فلا تحل له من بعد من بعد
التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى
المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والامامية

شرطت

شرطت بحديث العسيلة كما عرف في اصول الفقه والفقه وفيه انه لما اقدم
على ثلاث لم يبق للندم مخلصا لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه
فان طلقها الزوج الثاني بعد الوطي فلا جناح عليهما على الزوج الاول وعليها
ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود
الله ان كان في ظنهما انهما يقيما حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان
لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله وتلك حدود الله يبينها وبالنون
المفضل لقوم يعلمون يفهمون ما يبين لهم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها فالاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها
يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة
واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا
مفعول له او حال اي مضارين وكان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى تقرب
انقضا عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول المدة عليها فهو الامساك
ضرارا لتعتدوا لتظلموهن او لتلجئوهن الى الافتدا ومن يفعل ذلك يعني
الامساك للضرار فقد ظلم نفسه بتعرضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات
الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد
اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازي واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به
بما انزل عليكم وهو حال واتقوا الله فيما امتحنكم به واعلموا ان الله بكل
شيء عليم من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاولى
الرجعة وذا يكون في العدة فلا تعضلوهن فلا تمنعوهن والعضل المنع
والتضييق ان ينكحن من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النسا والخطاب للازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضا العدة ظلما ولا يتركوهن يتزوجن من شئن
من الازواج سموا ازواجا باسم ما يؤول اليه او للاولياء في عضلهن ان
يرجعن الى ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن سموا ازواجا اعتبارا بما كان
نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس
اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم
العاضلين اذا تراضوا بينهم اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما
يحسن في الدين والمروة من الشرائط او بمهر المثل والكفو لان عند عدم احدهما
للاولياء ان يتعرضوا والخطاب في ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فالمواعظ انما تنجع فيهم

ذلكم اي ترك العضل والضرار ازكى لكم واطهر اي لكم من ادناس الاثام او ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر المؤكد لينتقض وعلى الامر على وجه الندب او على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار او اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع حولين ظرف كاملين تامين وهو توكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم ان هذا الحكم لمن اراد تمام الرضاع والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام ما دامت زوجة او معتدة وعلى المولود له الها يعود الى اللام الذي بمعنى الذي والتقدير وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا رزقهن وكسوتهن بالمعروف بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف احد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار لا تكلف نفس الا وسعها وجدها وقدر امكانها والتكليف الزام ما يؤثره في الكلفة والنصاب ووسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين لا تضار مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر اسكنت الاولى وادغمت في الثانية فالتقى ساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين والدة بولدها اي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا مولود له بولده اي ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده

لانه

لانه لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها وكذلك لانه الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه اي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب مثل ذلك اي مثل الذي كان على ابيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن ابي ليلى من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد فان ارادا يعني الابوين فصالا فطاما عن تراض منهما وتشاور بينهما فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقص وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذي ادب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدى الى مفعولين اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين يعني غير الام عند اباءها او عجزها فلا جناح عليكم اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه من الاجرة اتيتم مكي من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا اي مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا تخفى عليه اعمالكم فهو مجازيكم عليها والذين يتوفون منكم تقول توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما اي تستوفى ارواحهم ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن بانفسهن اي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن اي يعتددن او معناه يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لا بد من عائد الى المبتدا في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون الفعل اي يستوفون آجالهم اربعة اشهر وعشرا اي وعشرة ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والله بما تعملون خبير عالم بالبواطن ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الخطبة الاستنكاح والتعريض ان تقول لها انك لجميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان اتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم

ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الي عرض
يدل على الغرض او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون
عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا جماعا لانه مما يسر
اي لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان
تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا
مواعدة معروفة غير منكرة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم
عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه
فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ولا تعزموا عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة
النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام او ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى تنقضي عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت
بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب عليها اجله اي غايته واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه
واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم
يكن سمى لها مهرا ولا جامعها لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر
ان طلقتم النساء شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء
فلا جناح عليكم ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن وما شرطية اي ان لم تمسوهن
تماسوهن حمزة وعلي حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين او تفرضوا لهن
فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية
المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهر وان لم
يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح
تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الي قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف
ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة ومتعوهن معطوف على فعل محذوف
تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار على الموسع
الذي له سعة قدره مقداره الذي يطيقه قدره بفتحهما كوفي غير ابي بكر وهما
لغتان وعلى المقتر الضيق الحال قدره ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه
وتستحب لساير المطلقات متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا
عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على المسلمين او على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل
قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة
واجبة ثم بين حكم الذي سمى لها مهرا في الطلاق قبل المس فقال وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن ان مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر اي من قبل
مسكم اياهن وقد فرضتم في موضع الحال لهن فريضة مهرا فنصف ما فرضتم

الا ان يعفون يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كانه
قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر
والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو في الاول ضميرهم والنون
علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه
للعامل او يعفو عطف على محله الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج كذا فسره
علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابي حنيفة
والشافعي في الجديد رضي الله عنهم وهذا لان الطلاق في يده فكان بقاء العقد
بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقط هي الكل او يعطي هو الكل
تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق
الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه وان تعفوا مبتدا خبره اقرب للتقوى والخطاب
للازواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج اي عفو الزوج باعطاء كل المهر
خير له وعفو المراة باسقاط كله خير لها او للازواج ولا تنسوا الفضل بينكم
اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم على
تفضلكم حافظوا على الصلوات داوموا عليها بمواقيتها واركانها وشرائطها
والصلاة الوسطى بين الصلوات اي الفضلى من قولهم للاوسط الافضل وانما
افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند
ابي حنيفة رضي الله عنه وعليه الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام
انها الصلاة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حتى توارت بالحجاب وفي
مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتي الليل وصلاتي
النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة
الظهر لانها في وسط النهار وصلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل
او صلاة المغرب لانها بين صلاة الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة
وصلاتي جهر او صلاة العشاء لانها بين وترين او هي غير معينة كليلة القدر
ليحفظوا الكل وقوموا لله في الصلاة قانتين حال اي مطيعين خاشعين
او ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما او مطولين القيام
فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا حال اي فصلوا راجلين
وهو جمع راجل كقائم وقيام او ركبانا وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى
القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن
كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم بالنصب شامي وابو عمرو
وحمزة وحفص اي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع اي فعليهم وصية
متاعا نصب بالوصية لانها مصدر او تقديره متعوهن متاعا الى الحول صفة
لمتاعا غير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من
متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا

بان تمتع ازواجهم بعدهم وكان ذلك مشروعا في اول الاسلام ثم نسخ بقوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله وعشرا والناسخ مقدم عليه
تلاوة ومتاخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك
في السماء فان خرجن بعد الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من
التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر في الشرع والله عزيز
حكيم فيما حكم وللمطلقات متاع اي نفقة العدة بالمعروف حقا نصب على
المصدر على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون هو في موضع
الرفع لانه خبر لعل وان اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهو على سبيل
التذييل الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب
من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى
المثل في معنى التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم من قرية قبل واسط
وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم بدعاء حزقيل
عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا
حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف في موضع النصب
على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع الف لا ألف
حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي فاماتهم وانما جيء به
على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك
ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم يكن
منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا
انه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا
ثم احياهم او لما كان في معنى قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم كان عطفا عليه
معنى ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر اولئك
وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيى اولئك ليعتبروا
فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم النشور ولكن اكثر الناس لا يشكرون
ذلك والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال
في سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله فحرض على الجهاد بعد الاعلام لان
الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم او لمن
احياهم واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم
بما يضمرونه من استفهام في موضع رفع بالابتداء ذا خبره الذي نعت لذا او
بدل منه يقرض الله صلة الذي سمي ما ينفق في سبيل الله قرضا لان القرض
مال يقتضى ببدل مثله من بعد سمي به لان المقترض يقطعه من ماله فيدفعه اليه
والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك على انه
لا تضييع عنده وانه يجزيهم عليه لا محالة قرضا حسنا بطيبة النفس من المال الطيب
والمراد النفقة في الجهاد لانه لما امر بالقتال في سبيله ويحتاج فيه الى المال
حث على الصدقة ليتهيا اسباب الجهاد فيضاعفه له بالنصب عاصم على جواب

الاستفهام

الاستفهام وبالرفع ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا على يقرض او هو مستانف
اي فهو يضاعفه فيضعفه شامي فيضعفه اضعافا في موضع المصدر كثيرة
لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط يقتر الرزق
على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل عليكم الضيقة بالسعة
ويبصط حجازي وعاصم وعلي واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر
الى الملا الاشراف لانهم يملؤون القلوب جلالة والعيون مهابة من بني
اسرائيل من للتبعيض من بعد موسى من بعد موته ومن لابتداء الغاية اذ
قالوا حين قالوا لنبي لهم هو شمعون او يوشع او شمويل ابعث لنا ملكا
انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره نقاتل
بالنون والجزم على الجواب في سبيل الله صلة نقاتل قال النبي هل عسيتم
عسيتم حيث كان نافع ان كتب عليكم القتال شرط فاصل بين اسم عسى وخبره
وهو الا تقاتلوا والمعنى هل قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم
لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده واراد بالاستفهام
التقرير والتثبيت وان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه قالوا وما لنا
ان لا نقاتل في سبيل الله اي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت
كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال
اي اجيبوا الى ملتمسهم تولوا اعرضوا عنه الا قليلا منهم وهم كانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم
بترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت هو اسم
اعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة ملكا حال
قالوا انى يكون له الملك علينا اي كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم
واستبعاد له ونحن احق بالملك منه الواو للحال ولم يؤت سعة من المال
اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك
وانه فقير ولا بد للملك من المال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة
كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وكان من سبط
بن يامين وكان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله تعالى
حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم الطاء في اصطفاه بدل من التاء
لمكان الصاد الساكنة اي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم
المبسوط والجسامة فقال وزاده بسطة مفعول ثان في العلم والجسم
قالوا كان اعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته واطول من كل
انسان براسه ومنكبيه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد ان

يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرا غير منتفع به وان يكون جسيما لانه انفع
واعظم في النفوس واهيب في القلوب والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك
غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء ايتاه وليس ذلك بالوراثة والله واسع
اي واسع الفضل والعطا يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد
الفقر عليم بمن يصطفيه للملك ثمة طلبوا من نبيهم اية على اصطفاء الله
طالوت وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت اي صندوق
التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون فيه سكينة من ربكم سكون وطمانينة وبقية
من رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة
هارون عليهما السلام مما ترك آل موسى وآل هارون اي مما تركه موسى وهارون
والآل مقحم لتفخيم شانهما تحمله الملائكة يعني التابوت وكان رفعه الله
تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في
موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت
لبقية ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين اذ في رجوع التابوت اليكم علامة
ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين فلما فصل طالوت بالجنود
خرج بالجنود من بلده الى جهاد العدو وبالجنود في موضع الحال اي مختلطا
بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسالوا ان يجري الله لهم نهرا
قال ان الله مبتليكم مختبركم اي يعاملكم معاملة المختبر بنهر وهو نهر فلسطين
ليتميز المحقق في الجهاد من المعذر فمن شرب منه كرعا فليس مني فليس من
اتباعي واشياعي ومن لم يطعمه لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه فانه مني وبفتح
الياء مدني وابو عمرو واستثنى الا من اغترف من قوله فمن شرب منه والجملة
الثانية في حكم المتاخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية غرفة بيده
غرفة حجازي وابو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه فشربوا منه اي فكرعوا الا
قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه اي النهر هو طالوت
والذين آمنوا معه اي القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم اي لا قوة لنا بجالوت
هو جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل
من حديد وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله يوقنون بالشهادة
قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين
ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش كم من فئة قليلة كم خبرية
وموضعها رفع على الابتداء غلبت خبرها فئة كثيرة باذن الله بنصره والله
مع الصابرين بالنصر ولما برزوا لجالوت وجنوده خرجوا لقتالهم قالوا ربنا
افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا والقاء
الرعب في صدور عدونا وانصرنا على القوم الكافرين اعانة عليهم فهزموهم

اي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده باذن الله بقضائه وقتل داود جالوت
كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها
ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت
فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده واراد قتله ثم مات تائبا وآتاه
الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل
على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع
وكلام الطيور وغير ذلك ولولا دفع الله الناس هو مفعول به بعضهم بدل
من الناس دفاع مدني مصدر دفع او دافع ببعض لفسدت الارض اي ولولا
ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون
وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل او ولولا ان الله ينصر
المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب
البلاد وتعذيب ولكن الله ذو فضل على العالمين بازالة الفساد عنهم وهو
دليل على المعتزلة في مسالة الاصلح تلك مبتدأ خبره آيات الله يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره
على الجبابرة على يد صبي نتلوها حال من آيات والعامل فيه معنى الاشارة
او آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر عليك بالحق باليقين الذي لا يشك
فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها
من غير ان تعرف بقراءة في كتاب او سماع من اهله تلك الرسل اشارة الى جماعة
الرسل التي ذكر قصصها في هذه السورة من آدم الى داود التي ثبت علمها
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض بالخصائص وراء
الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون
في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله منهم من كلم الله اي كلمه الله
حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير
وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم مفعول اول درجات مفعول ثان
اي بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المفضل عليهم بارساله
الى الكافة وبانه اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى
الف او اكثر واكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا
الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذي لا يشتبه على احد والمتميز الذي لا
يلتبس وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من اولي العزم من الرسل وآتينا
عيسى ابن مريم البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وايدناه
بروح القدس قويناه بجبريل او بالانجيل ولو شاء الله ما اقتتل اي اختلف
لانه سببه الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الظاهرات ولكن اختلفوا بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال

فمنهم من آمن ومنهم من كفر بمشيتي يقول الله اجريت امور رسلي على هذا
اي لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع امته في حياته ولا بعد مماته بل اختلفوا
عليه فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد
اي لو شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيتي
وهذا يبطل قول المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون
شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اثبت الارادة لنفسه
كما هو مذهب اهل السنة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم في الجهاد
في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
اي من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق
لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاوكم به
ولا شفاعة اي للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفاعة او الا باذنه
والكافرون هم الظالمون انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم او الكافرون
بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي وبصري
الله لا اله الا هو لا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه في موضع الرفع
خبر المبتدا وهو الله الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه لا تاخذه سنة نعاس وهو ما يتقدم النوم
من الفتور ولا نوم عن المفضل السنة ثقل في الراس والنعاس في العين
والنوم في القلب وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال
ان يكون قيوما وقد اوحى الى موسى قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض
بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا له ما في السموات وما في الارض
ملكا وملكا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ليس لاحد ان يشفع لاحد
عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم
يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع
لهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير
لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء ولا يحيطون بشيء من علمه من
معلومه يقال في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك الا بما شاء
الا بما علم وسع كرسيه السموات والارض اي علمه ومنه الكراسة لتضمنها
العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم
وهو كقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما او ملكه تسمية بمكانه الذي هو
كرسي الملك او عرشه كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش في الحديث
ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على
الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله ولا يؤوده ولا يثقله
ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي في ملكه وسلطانه
العظيم في عزه وجلاله او العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم
المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما

ترتيب الجمل في اية الكرسي بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان
فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال
الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم
قدره وانما فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه ما روي
عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب
عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال سيد البشر ادم وسيد العرب
محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة
بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وقال ما قرئت هذه
الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة وقال من قرا اية الكرسي عند منامه بعث الله اليه ملكا يحرسه
حتى يصبح وقال من قرا الايتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح
وان قراهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي اية الكرسي واول حم المؤمن
الى اليه المصير لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى
ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار
وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد لا اكراه في الدين اي لا اجبار على
الدين الحق وهو الاسلام وقيل هو اخبار في معنى النهي وروي انه كان
لانصاري ابنان فتنصرا فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري
يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود
وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال قد تبين الرشد
من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان او الاصنام ويؤمن بالله فقد استمسك تمسك بالعروة
اي المعتصم والمتعلق بالعروة الوثقى تانيث الاوثق اي الاشد من
الحبل الوثيق المحكم المامون لا انفصام لها لا انقطاع للعروة وهذا
تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع
كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين
عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله سميع لاقراره عليم باعتقاده الله
ولي الذين امنوا اراد وان يومنوا اي ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم
من الظلمات من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها الى النور
الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان والذين كفروا مبتدا والجملة وهي
اولياؤهم الطاغوت خبره يخرجونهم من النور الى الظلمات وجمع لان

الطاغوت في معني الجمع يعني والذين صمموا على الكفر امرهم علي عكس ذلك
اذ الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الي نور اليقين والذين كفروا
اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم الي الظلمات
الشك والشبهة **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** ثم عجب نبيه
عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي
الربوبية بقوله **الم تر الي الذي حاج ابراهيم في ربه** في معارضة ربوبية ربه
والهاء في ربه ترجع الي ابراهيم او الي الذي حاج فهو ربهما **ان اتاه الله الملك**
لان اتاه الله يعني ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك وهو
دليل على المعتزلة في الاصلح او حاج وقت ان اتاه الله الملك **اذ قال**
نصب بحاج او بدل من ان اتاه اذا جعل بمعني الوقت **ابراهيم ربي** جرم
الذي يحيي ويميت كانه قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت
قال نمرود **انا احيي واميت** يريد اعفي عن القتل او اقتل فانقطع اللعين
بهذا عند الخاصة فزاد ابراهيم عليه السلام بما لا يتاتي فيه التلبيس
على الضعفة حيث **قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من
المغرب** وهذا ليس بانتقال من حجة الي حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولي
كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحيا بتخلية واحد وقتل اخر
كلمه من وجه لا يعاند وكانوا اهل تنجيم وحركة الكواكب من المشرق الي
المغرب معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك
الماء النمل على الرحا الي غير جهة حركة النمل فقال ان ربي يحرك الشمس
قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو اهون **فبهت الذي
كفر** تحير ودهش **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي لا يوفقهم وقالوا انما
لم يقل نمرود فليات ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالي صرفه عنه
وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره
ومعنى قوله انا احيي واميت ان الذي تنسب اليه الاحيا والاماتة انا
لا غيري والاية تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه
لانه قال الم تر الي الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين
فدل على ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم
عليه السلام لكون الانبيا عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام
ولانا امرنا بدعاة الكفرة الي الايمان بالله تعالي وتوحيده واذا
دعوناهم الي ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا
بعد المناظرة كذا في شرح التاويلات **او كالذي مر** معناه او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب او هو محمول
على المعنى دون اللفظ تقديره ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر
وقال صاحب الكشف فيه الكاف زايدة والذي عطف عليه قوله الي

الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك
ولكلمة الاستبعاد التي هي اني يحيي والاكثر انه عزير اراد ان يعاين
احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام واني يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريقة الاحيا واستعظام لقدرة المحيي **علي قرية** هي
بيت المقدس حين خربه بخت نصر او هي التي خرج منها الالوف **وهي
خاوية على عروشها** ساقطة مع سقوفها وسقطت السقوف ثم سقط
عليها الحيطان وكل مرتفع عرش **قال اني يحيي** اي كيف يحيي **هذه** اي
اهل هذه **الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه** اي احياه **قال**
له ملك **كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم** بنا على الظن وفيه دليل
جواز الاجتهاد روي انه قبل مات ضحي وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة
الشمس فقال قبل النظر الي الشمس يوما ثم التفت فراي بقية من الشمس
فقال او بعض يوم **قال بل لبثت مائة عام فانظر الي طعامك وشرابك**
روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب
كما جنيا والشراب على حاله **لم يتسنه** لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت
واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل
سانهت يقال سانهت فلانا اي عاملته سنة او واو لان الاصل سنوة
والفعل سانيت ومعناه لم يغيره السنون لم يتسن بحذف الها في الوصل
وباثباتها في الوقف حمزة وعلي **وانظر الي حمارك** كيف تفرقت عظامه
ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه او وانظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير
علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير **ولنجعلك اية للناس**
فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل الواو عطف على
معطوف اي لتعتبر ولنجعلك قيل اتي قومه راكب حماره وقال انا
عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يقراها عن ظهر قلبه ولم يقرا
التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل رجع الي منزله فراي
اولاده شيوخا وهو شاب **وانظر الي العظام** اي عظام الحمار او عظام الموتى
تعجب من احيائهم **كيف ننشزها** نحركها ونرفع بعضها الي بعض للتركيب
ننشرها بالراء حجازي وبصري يحييها **ثم نكسوها** اي العظام **لحما** جعل
اللحم كاللباس مجازا **فلما تبين له** فاعله مضمر تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شي قدير **قال اعلم ان الله علي كل شي قدير** فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كقولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل
عليه يعني امر احيا الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة وعلي اي قال الله
له اعلم او هو خاطب نفسه **واذ قال ابراهيم رب ارني** بصرني **كيف
تحيي الموتى** موضع كيف نصب بتحيي **قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي** انما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب

بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي
معناه بلى امنت ولكن ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم
الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة فعلم الاستدلال
يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام يتعلق بمحذوف تقديره
ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب **قال فخذ اربعة من الطير** طاووسا
وديكا وغرابا وحمامة **فصرهن اليك** وبكسر الصاد حمزة اي املهن
واضممهن اليك **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** ثم جزئهن وفرق اجزاءهن
على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل او سبعة جزؤا
بضمتين وهمزة ابو بكر **ثم ادعهن** قل لهن تعالين باذن الله **ياتينك
سعيا** مصدر في موضع الحال اي ساعيات مسرعات في طيرانهن
او في مشيهن على ارجلهن وانما امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ليتاملها
ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا
يتوهم انها غير تلك وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها
ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم
يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا
ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها **واعلم ان الله عزيز**
لا يمتنع عليه ما يريده **حكيم** بما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما ذكر
ما يدل على قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل الله واعلم ان من انفق
في سبيله فله في نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال **مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله** لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم **كمثل حبة**
او مثلهم كمثل باذر حبة **انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**
المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند
الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب
منها سبع شعب في كل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
كانها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما
فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ
على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل
موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء **والله يضاعف لمن يشاء** اي
يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين
او يزيد على سبع مائة لمن يشاء يضعف شامي ومكي **والله واسع** واسع
الفضل والجود **عليم** بنيات المنفقين **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا** هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم
صنيعة فانسوها **ولا اذى** هو ان يتطاول عليه بسبب ما اعطاه

ومعنى

ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما
خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول
فيه بقوله ثم استقاموا **لهم اجرهم عند ربهم** اي ثواب انفاقهم
ولا خوف عليهم من بخس الاجر **ولا هم يحزنون** من فوته او ولا خوف
من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم اجرهم وفيما بعد
فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يتضمن معنى الشرط وضمنه ثمة **قول
معروف** رد جميل **ومغفرة** وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على
المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل **خير من صدقة يتبعها
اذى** وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة **والله غني**
لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي **حليم** عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد
له ثم اكد ذلك بقوله **يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كالذي** الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل
ابطال الذي **ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر**
اي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي
ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة ورئاء
مفعول له **فمثله كمثل صفوان عليه تراب** مثله ونفقته التي لا ينتفع
بها البتة بحجر املس عليه تراب **فاصابه وابل** مطر عظيم القطر **فتركه
صلدا** اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه **لا يقدرون على شيء مما كسبوا**
لا يجدون ثواب شيء مما انفقوا والكاف في محل النصب على الحال اي
لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله
كالذي ينفق لانه اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق **والله
لا يهدي القوم الكافرين** ما داموا مختارين الكفر **ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم** اي وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم
ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء
الغاية وهو معطوف على المفعول له اي للابتغاء وللتثبيت والمعنى
ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله **كمثل جنة** بستان **بربوة** مكان مرتفع
وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرة بربوة غير عاصم وشامي **اصابها
وابل فاتت اكلها** ثمرها اكلها نافع ومكي وابو عمرو اكلها بضم الكاف
وفتح اللام وبسكون الكاف وبضم اللام ابو عمرو **فان لم يصبها وابل فطل**
مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب
بها رضا الله تعالى زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده **والله بما تعملون
بصير** يرى اعمالكم على الكثار والاقلال ويعلم نياتكم فيها من رياء واخلاص

ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل

الهمزة في ايود احدكم للانكار ان تكون له جنة بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له لصاحب البستان فيها في الجنة من كل الثمرات يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات واصابه الكبر الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر والواو في وله ذرية ضعفاء اولاد صغار للحال ايضا والجملة في موضع الحال من الهاء في اصابه فاصابها اعصار ريح يستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه في الاعصار نار فاحترقت الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة كذلك كهذا البيان الذي بين فيما تقدم يبين الله لكم الايات في التوحيد والدين لعلكم تتفكرون فتتنبهوا يايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في اموال التجارة ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال اي لا تيمموا الخبيث منفقين اي مقدرين النفقة ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد مستحق للحمد او محمود الشيطان يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الاخرة والله واسع يوسع على من يشاء عليم بافعالكم ونياتكم يوتي الحكمة من يشاء علم القران والسنة او العلم النافع الموصل الى رضاء الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يوت الحكمة ومن يوتِ يعقوب اي ومن يوته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم اي اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب وما يتعظ بمواعظ الله الا ذو العقول السليمة او العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم

من

من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او ينذرون في المعاصي او لا يفون بالنذور من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا مخصوصة والمخصوص بالمدح هي فنعما هي بكسر النون واسكان العين ابو عمرو ومدني غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر النون والعين غيرهم وان تخفوها وتوتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر في الفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاوه افضل والمتطوع اذا اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر بالنون وجزم الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستيناف والياء على معنى يكفر الله عنكم من سيئاتكم والنون على معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الابداء والاخفاء خبير عالم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء اوليس عليك التوفيق على الهدى او خلق الاهتداء وانما ذلك الى الله وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا توذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله اي رضاء الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله او هذا نفي ومعناه النهي اي ولا تنفقوا الا لابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص الجار في للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او هو خبر مبتدا محذوف اي هذه الصدقات للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعماية رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشاير فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى يحسبهم الجاهل بحالهم يحسبهم وبابه شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسالون الناس الحافا الحاحا قيل هو نفي السوال

والالحاح جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء
به والالحاح هو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه وفي الحديث ان الله يحب
الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف وقيل معناه
انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحوا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم
لا يضيع عنده الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية حالان
اي مسرين ومعلنين يعني يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم
على الخير وكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يعللوا
بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق
باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة
في العلانية او في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربا هو فضل مال خال عن العوض
في معاوضة مال بمال وكتبت الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة
والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من
قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع لانه يخبط في المعاملة
تجوزا على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء من المس
من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم
المصروع او بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم
القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف
وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون
ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم
فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بانهم بسبب انهم قالوا انما البيع مثل
الربا ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام في الربا لا في البيع لانه جيء به
على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه
اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع واحل الله البيع وحرم الربا انكار
لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان ودلالة على ان القياس
يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه
موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى فتبع
النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره
الى الله يحكم في شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به
ومن عاد الى استحلال الربا عن الزجاج او الى الربا مستحلا فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما حرم الله
عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه الاية
في تخليد الفساق يمحق الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه
ويربي الصدقات ينميها ويزيدها اي يزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة

ويبارك

ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب كل كفار
عظيم الكفر باستحلال الربا اثيم متماد في الاثم باكله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قيل المراد به الذين امنوا بتحريم الربا يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا اتركوا ما شرطوا على الناس
من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها
نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم به عند المحل
بالمال والربا ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان فان دليل كماله امتثال
المامور به فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها
من اذن بالشيء اذا علم به يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة
وابو بكر غير ابن غالب اي فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله
لان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يد لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم
من الارتباء فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة
عليها ولا تظلمون بالنقصان منها وان كان ذو عسرة فان وقع غريم
من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار فنظرة فالحكم او فالامر نظرة
اي انتظار الى ميسرة يسار ميسرة نافع وهما لغتان وان تصدقوا
بالتخفيف عاصم اي تتصدقوا برءوس اموالكم او ببعضها على من اعسر من
غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التاءين والتشديد
على الادغام خير لكم في القيامة وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه
السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم
تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ترجعون ابو عمرو فرجع لازم ومتعد
قيل هي اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين وثمانين
من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين
يوما او احدا وثمانين او سبعة ايام او ثلاث ساعات ثم توفى كل نفس
ما كسبت اي جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون بنقصان الحسنات وزيادة
السيئات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا
يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا الى اجل مسمى مدة
معلومة لا كالحصاد او الدياس او رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين
ولم يقل اذا تداينتم الى اجل مسمى ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ
لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن
ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما امر بكتابة الدين
لان ذلك اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم
بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد

به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم المضمون الى اجل معلوم
في كتابه وانزل فيه اطول اية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم
وليكتب بينكم بين المتداينين كاتب بالعدل هو متعلق بكاتب صفة
له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان
يكتب ولا ينقص وفيه دليل على ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط
حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب
وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه ولا ياب كاتب
ولا يمتنع واحد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه كتابة الوثائق
لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها
وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو
المشهود على ثباته في ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه
بلسانه والاملال والاملاء لغتان وليتق الله ربه وليتق الله الذي
عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه ولا يبخس منه
شيئا ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا في الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه
فان كان الذي عليه الحق سفيها اي مجنونا لان السفه خفة في العقل
او محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او لا يستطيع ان
يمل هو لعي او خرس او جهل باللغة فليملل وليه الذي يلي امره ويقوم به
بالعدل بالصدق واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان
على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان
رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة الرجال مع
النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء اي ممن
تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضي شاهد ان تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى لاجل ان تنسى احداهما الشهادة فتذكرها
الاخرى ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله
ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر بالنصب مكي وبصري من الذكر لا من الذكر
ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او للتحمل لئلا يتوى حقوقهم
وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالاول
للفرض والثاني للندب ولا تساموا ولا تملوا قال
• سئمت تكاليف الحياة ومن يعش • ثمانين حولا لا ابا لك يسام •
والضمير في ان تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق
من صغر او كبر وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال او يوزن
لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال في الذرعي ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا الى اجله الى وقته الذي اتفق
الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر

اي

اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط وهو العدل عند الله ظرف لاقسط
واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وبني افعلا التفضيل اي
اقسط واقوم من اقسط واقام على مذهب سيبويه وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع
الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك
والفاء في ادنى منقلبة من واو لانه من الدنو الا ان تكون تجارة حاضرة
عاصم اي الا ان تكون التجارة تجارة او الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة
غيره تجارة حاضرة على كان التامة اي الا ان تقع تجارة حاضرة او هي ناقصة
والاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وقوله بينكم ظرف لتديرونها
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها
يعني الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوها لانه
لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد
على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد من وقوع الاختلاف
او اريد به واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان
الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة
ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن
ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان
او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه
من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا وان تضاروا فانه
فان الضرار فسوق بكم اثم واتقوا الله في مخالفة اوامره ويعلمكم الله
شرائع دينه والله بكل شيء عليم لا يلحقه سهو ولا قصور وان كنتم ايها
المتداينون على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان فرهن مكي وابو عمرو
اي فالذي يستوثق به رهان جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن
في الاصل مصدر سمي به ثم كثر تكثير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب
والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ مال من كان على سفر بان يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لا ان السفر شرط لجواز الارتهان
وقوله مقبوضة يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب
والقبول دون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض
المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد الذي
اؤتمن امانته دينه واؤتمن افتعل من الامن وفيه حث المديون على ان يكون
عند ظن الدائن به وامنه منه وايتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ايتمنه عليه
فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان
منه وليتق الله ربه في انكار حقه ولا تكتموا الشهادة هذا خطاب للشهود
ومن يكتمها فانه اثم قلبه ارتفع قلبه باثم على الفاعلية كانه قيل فانه ياثم قلبه

او بالابتدا وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما اسند الى القلب والجملة هي
الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة ان يضمرها في القلب ولا يتكلم بها
فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل
بها ابلغ كما تقول هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي
ولان القلب رئيس الاعضا والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان
فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك
اشرف مكان منه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح الا ترى
ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب واذا
جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور
وكتمان الشهادة والله بما تعملون من كتمان الشهادة واظهارها عليم
لا يخفى عليه لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله يكافئكم ويجازكم ولا يدخل
الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك ليس مما في وسعه
الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة
الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليها ورجع عنه
واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع
عنه بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اي بالعزم على الزنا
لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا يعاقب لقوله
عليه السلام ان الله عفا عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به
والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المواخذة في العزم ثابتة
واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلواني رحمهما الله والدليل عليه
قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاية وعن عائشة رضي الله عنها
ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن
في الدنيا وفي اكثر التفاسير انه لما نزلت الاية جزعت الصحابة رضي الله عنهم
وقالوا انؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل قوله امن الرسول الى قوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك
بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الاية والمحققون على ان
النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء برفعهما
شامي وعاصم اي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط
وبالادغام ابو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف
مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف
ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب
الى اعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم والله على كل شيء من المغفرة
والتعذيب وغيرهما قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون

ان

ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل
راجعا الى الرسول والمؤمنون اي كلهم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
ووقف عليه وان كان مبتدا كان كل مبتدا ثانيا والتقدير كل منهم وامن
خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل
في امن على معنى كل واحد منهم امن وكتابه حمزة وعلي يعني القران او الجنس
لا نفرق اي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل بين احد من رسله احد في معنى
الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على اكثر من واحد
تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد وقالوا سمعنا اجبنا قولك
واطعنا امرك غفرانك اي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر
ربنا واليك المصير المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزا والاية تدل على بطلان
الاستثناء في الايمان وعلى بقاء الايمان لمرتكب الكبيرة لا يكلف الله نفسا
يحكي عنهم او مستانف الا وسعها الا طاقتها وقدرتها لان التكليف
لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التاويلات وقال صاحب
الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها
الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود فقد كان
في طاقة الانسان ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج
اكثر من حجة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير
ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب
لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا تركنا امرا من اوامرك سهوا او اخطانا ودل هذا
على جواز المؤاخذة في النسيان والخطا خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما
في الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى ربنا ولا تحمل علينا
اصرا عبئا يأصر حامله اي يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق
من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك
كما حملته على الذين من قبلنا كاليهود ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
من العقوبات النازلة بمن قبلنا واعف عنا امح سيئاتنا واغفر لنا
واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالاول للكبائر والثاني للصغائر وارحمنا
بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا او الاول من المسخ والثاني من الخسف
والثالث من الغرق انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي
امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبيده في الحديث
من قرا امن الرسول الى اخره في ليلة كفتاه وفيه من قراهما بعد العشاء
الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرات سورة البقرة
او قرات البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرات السورة
التي تذكر فيها البقرة والله اعلم سورة ال عمران مدنية وهي مائتا اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله حركت الميم لالتقاء الساكنين
اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر
الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون
ما قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حاميم ولا يصح ان يقال ان فتح
الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط
في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها
غير جائز واسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف
وفتح الميم والله مبتدا لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود
الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه الحي القيوم خبر مبتدا
اي هو الحي او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط
والقائم على كل نفس بما كسبت نزل اي هو نزل عليك الكتاب القران
بالحق حال اي نزله حقا ثابتا مصدقا لما بين يديه قبله وانزل التوراة والانجيل
هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة
وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وانزل التوراة
والانجيل لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة من قبل من قبل القران
هدى للناس لقوم موسى وعيسى او لجميع الناس وانزل الفرقان اي جنس
الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل او الزبور او كرر ذكر القران
بما هو نعت له تفخيما لشانه ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة
وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة لا يقدر
على مثلها منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي في العالم
فعبر عنه بالسماء والارض اي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من امن وهو
مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة
لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في تدبيره روي انه قدم وفد
نجران وهم ستون راكبا اميرهم العاقب وعمدتهم السيد واسقفهم
وحبرهم ابو حارثة خاصموا في ان عيسى ان لم يكن ولد الله فمن ابوه
فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه
قالوا بلى قال الم تعلموا ان الله حي لا يموت وعيسى يموت وان ربنا قيم
على العباد ويحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى في الرحم
كيف شاء فحملته امه ووضعته وارضعته وكان ياكل ويشرب ويحدث
وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة ال عمران
الى بضع وثمانين اية هو الذي انزل عليك الكتاب القران منه من الكتاب
ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن
ام الكتاب اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر وايات
اخر متشابهات مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش

استوى

استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز
الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء او المحكم
ما امر الله به في كل كتاب انزله نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الايات وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات والمتشابه ما وراءه او ما لا
يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل اوجها او ما يعلم تاويله وما لا يعلم تاويله
والناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القران
محكما لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل
فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده
الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق وهم اهل البدع فيتبعون ما
تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما
لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه
التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله اي لا يهتدي الى تاويله
الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم والذين رسخوا
اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستانف عند الجمهور
والوقف عندهم على قوله الا الله وفسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه
وهو مبتدا عندهم والخبر يقولون امنا به وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان
على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان
به واعتقاد حقية ما اراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف
على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة ابي ويقول الراسخون وعبد الله
ما فيه ان تاويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان الراسخين
في العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين
بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون امنا به اي بالمتشابه او بالكتاب كل
من متشابهه ومحكمه من عند ربنا من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه
وما يذكر وما يتعظ واصله يتذكر الا اولوا الالباب اصحاب العقول
وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل وقيل يقولون حال
من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب
بعد اذ هديتنا للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه وهب لنا من لدنك رحمة
من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت انك انت الوهاب كثير الهبة والاية
من مقول الراسخين ويحتمل الاستيناف اي قولوها وكذا التي بعدها
ربنا انك جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم
لا ريب فيه لا شك في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد الموعد والمعنى
ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله اي
لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب ان الذين

كفروا برسول الله لن تغني تنفع او تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
من عذابه شيئا من الاغنا واولئك هم وقود النار حطبها كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع
ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هولاء
الكفرة في تكذيب الحق كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم او منصوب
المحل بلن تغني اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك كداب حيث كان
بلا همز ابو عمرو كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم كانه
جواب سوال مقدر عن حالهم ويجوز ان يكون حالا اي قد كذبوا فاخذهم
الله بذنوبهم بسبب ذنوبهم تقال اخذته بكذا اذا جازيته عليه والله
شديد العقاب شديد عقابه والاضافة غير محضة قل للذين كفروا
هم مشركوا مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم من الجهنام وهي
بير عميقة وباليا فيهما حمزة وعلي وبئس المهاد المستقر جهنم قد كان لكم
اية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل
الله وهم المؤمنون واخرى وفئة اخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى
المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين الفين او مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع اي ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم ولا ينافي هذا ما قال في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما اجتمعوا كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين
مختلفتين ونظيره في المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم
اخرى ابلغ في القدرة واظهار الاية ومثليهم نصب على الحال لانه من
روية العين بدليل قوله رأي العين يعني روية ظاهرة مكشوفة لا لبس
فيها والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في اعين عدوهم
ان في ذلك في تكثير القليل لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصاير
زين للناس المزين هو الله تعالى عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل وعن الحسن الشيطان حب الشهوات الشهوة توقان النفس
الى الشي جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهات كانه
اراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكما مذموم
من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية من النسا والاما داخلة فيها
والبنين جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا اريد
به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع والقناطير جمع قنطار
وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام

وبمكة مائة رجل قد قنطروا المقنطرة المنضدة او المدفونة من الذهب
والفضة سمي ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق
والفض التفريق والخيل سميت بها لاختيالها في مشيها المسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام
هي الازواج الثمانية والحرث الزرع ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا
يتمتع بها في الدنيا والله عنده حسن المآب المرجع ثم زهدهم في الدنيا
فقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم من الذي تقدم للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ
وللذين اتقوا خبره تجري من تحتها الانهار صفة لجنات ويجوز ان يتعلق
اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو
جنات وتنصره قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من خير خالدين فيها
وازواج مطهرة ورضوان من الله اي رضا الله والله بصير بالعباد
عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا اعد
لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع او جر صفة للمتقين
او للعباد ربنا اننا امنا اجابة لدعوتك فاغفر لنا ذنوبنا انجاز الوعدك
وقنا عذاب النار بفضلك الصابرين على الطاعات والمصايب وهو
نصب على المدح والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية
بامضاء العزم والقانتين الداعين او المطيعين والمنفقين المتصدقين
والمستغفرين بالاسحار المصلين او طالبين المغفرة وخص الاسحار
لانه وقت اجابة الدعاء لانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن
الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نايم والواو المتوسطة بين
الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة مستقلة
بالمدح شهد الله اي حكم او قال انه اي بانه لا اله الا هو والملايكة
بما عاينوا من عظيم قدرته واولوا العلم اي الانبيا والعلما قايما بالقسط
مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما
يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل للتسوية فيما بينهم
وانتصابه على انه حال موكدة من اسم الله او من هو وانما جاز افراده
بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا
لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتمييزه
بالذكورة او على المدح وكرر لا اله الا هو للتاكيد العزيز الحكيم رفع على
الاستيناف اي هو العزيز وليس بوصف لهو لان المضمر لا يوصف يعني
انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن العدل ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستانفة ان الدين على البدل من قوله انه
لا اله الا هو اي شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام
من قرا الاية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون

له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع
الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيمة
ان لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى
واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت
اليهود عزير ابن الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه
بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة في الاسلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث امن به بعض وكفر بعض
وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله
ورسوله ومن يكفر بايات الله جحده ودلايله فان الله سريع الحساب
سريع المجازاة فان حاجوك فان جادلوك في ان دين الله الاسلام والمراد
بهم وفد بني نجران عند الجمهور فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي
وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان اعبده وادعو الها معه
يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته
كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين الحق واليقين
الذي لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء
في اسلمت اي اسلمت انا ومن اتبعني وحسن العطف للفاصل ويجوز ان
يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعني في الحالين سهل
ويعقوب وافق ابو عمرو في الوصل وجهي مدني وشامي وحفص والاعشى
والبرجمي وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين
والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم بهمزتين كوفي يعني
انه قد اتاكم من البينات ما يقتضي حصول الاسلام فهل اسلمتم
ام انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اي
اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد صابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا فانما
عليك البلاغ اي لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ
الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم على
اسلامهم وكفرهم ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
هم اهل الكتاب راضون بقتل ابائهم الانبياء بغير حق حال مؤكدة
لان قتل النبي لا يكون حقا ويقتلون الذين يامرون ويقاتلون حمزة
بالقسط بالعدل من الناس اي سوى الانبياء قال صلى الله عليه وسلم
قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة

فقام

فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في اخر النهار من ذلك اليوم فبشرهم
بعذاب اليم دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل
الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لان ان لا تغير
معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها
ليت ولعل لامتنع دخول الفاء اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ضاعت
في الدنيا والاخرة فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة
وما لهم من ناصرين جمع لوفق رؤوس الاي والا فالواحدة النكرة
في النفي تعم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود
وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض او للبيان يدعون
حال من الذين الى كتاب الله اي التوراة او القران ليحكم بينهم
جعل حاكما حين كان سببا للحكم او ليحكم النبي داود عليه السلام دخل
مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين
انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا
وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم
بعد علمهم بالرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم
لا يزال الاعراض ديدنهم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
اي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم من امر العقاب
وطمعهم من الخروج من النار بعد ايام قلائل وهي اربعون يوما وسبعة
ايام وذلك مبتدا وبانهم خبره وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
اي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا
يعذبنا بذنوبنا الا مدة يسيرة فكيف اذا جمعناهم ليوم فكيف يكون
حالهم في ذلك الوقت لا ريب فيه لا شك فيه ووفيت كل نفس ما
كسبت جزاء ما كسبت وهم يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى
كل الناس لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم قل اللهم
الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما
اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف
وبقطع همزته في يا الله وبالتفخيم مالك الملك تملك جنس الملك
فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان اي يا مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له
من الملك وتنزع الملك ممن تشاء اي تنزعه فالملك الاول عام والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل روي انه عليه الصلاة والسلام حين
فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من
ذلك وتعز من تشاء بالملك وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك الخير

والشر فاكتفى بذكر احد الضدين عن الاخر ولان الكلام وقع في الخير الذي
يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه
اولياءك على رغم من اعدائك انك على كل شيء قدير ولا يقدر على شيء احد
غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية او ملك القناعة
قال عليه السلام ملوك الجنة من امتي القانعون بالقوت يوما فيوما
او ملك قيام الليل وعن الشبلي الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز
بالمعرفة او بالاستغناء بالمكون او بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر
قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي
والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب
بقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل فالايلاج ادخال الشيء في
الشيء وهو مجاز هنا اي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص
من ساعات النهار وتزيد في الليل وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة
او الفرخ من البيضة او المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي النطفة من
الانسان او البيض من الدجاج او الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب
لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله ليدل على ان من قدر
على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب
من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه
العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك
ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني
جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي من الميت والميت
من الحي بالتشديد حيث كان مدني وكوفي غير ابي بكر لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او لصداقة قبل
الاسلام او غيره ذلك وقد كرر ذلك في القران والمحبة في الله والبغض
في الله باب عظيم في الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل
ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في
شيء لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه اي الا ان يكون للكافر عليك
سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة
وابطان المعاداة ويحذركم الله نفسه اي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد والى الله المصير اي مصيركم اليه والعذاب
معد لديه وهو وعيد اخر قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية
الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو ابلغ وعيد
ويعلم ما في السموات وما في الارض استئناف وليس بمعطوف على جواب

الشرط اي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم
وعلنكم والله على كل شيء قدير فيكون قادرا على عقوبتكم يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم
القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اي مسافة بعيدة او باذكر ويقع على
ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي
عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصلح ان يكون ما شرطية
لارتفاع تود نعم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير
وعن المبرد ان الرفع شاذ وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على
بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد ومن رأفته بهم ان حذرهم
نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا
لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب
اليم ونزل حين قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله محبة العبد لله ايثار طاعته على غيره لك
ومحبة الله للعبد ان يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم اقوام على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل
لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب
وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال
القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
في اقواله وافعاله واحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة ان يكون دائم
التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا
يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه ويغفر لكم
ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول قيل هي علامة المحبة
فان تولوا اعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان
تتولوا فان الله لا يحب الكافرين اي لا يحبهم ان الله اصطفى اختار ادم
ابا البشر ونوحا شيخ المرسلين وال ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما
وال عمران موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت
عمران بن ماثان وبين عمرانين الف وثمانماية سنة على العالمين على عالمي
زمانهم ذرية بدل من ال ابراهيم وال عمران بعضها من بعض مبتدا وخبر
في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الالين ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب
من اسحاق وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل
بيهوذا ابن يعقوب بن اسحاق وقد دخل في ال ابراهيم رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم يعلم
ما يصلح للاصطفاء او سميع عليم بقول امراة عمران ونيتها اذ قالت
منصوب به او باضمار اذكر امراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام
مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذ رب اني نذرت لك اوجبت
ما في بطني محررا وهو حال من ما وهي بمعنى الذي اي معتقا لخدمة بيت
المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم
او مخلصا للعبادة يقال طين حر اي خالص فتقبل مني مدني وابو عمرو
والتقبل اخذ الشيء على الرضا به انك انت السميع العليم فلما وضعتها
الضمير لما في بطنها وانما انث على تاويل الحبلة او النفس او النسمة قالت
رب اني وضعتها انثى انثى حال من الضمير في وضعتها اي وضعت الحبلة
او النسمة انثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان
فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن
والتحسر قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها اي والله
اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور ووضعت شامي وابو بكر
بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا في القول وعلى الاول
يوقف عند قوله انثى وقوله والله اعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد واني
سميتها مريم معطوف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
وانما ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت بذلك
التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق
فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان
بقوله واني مدني اعيذها بك اجيرها وذريتها اولادها من الشيطان الرجيم
الملعون في الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فتقبلها ربها قبل الله مريم
ورضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن قيل القبول اسم ما يقبل به
الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة
قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدت مريم لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار اولاد هارون وهم في بيت
المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني
اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي اختها فقالوا
لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين فمضوا الى نهر والقوا فيه
اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو
مصدر على تقدير حذف المضاف اي فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي

بقبول حسن وهو الاختصاص وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك احسن النبات ونباتا مصدر
على خلاف الصدر او التقدير فنبتت نباتا وكفلها قبلها او ضمن القيام بامرها
وكفلها كوفي اي كفلها الله زكريا يعني جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
زكريا بالقصر كوفي غير ابي بكر في كل القرآن وقرا ابو بكر بالمد والنصب
هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه في العبري دائم الذكر
والتسبيح كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد
اي غرفة يصعد لها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده وجد عندها رزقا كان رزقها
ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك
هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه قالت هو من
عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد
ان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة جل جلاله
بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل
هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت
فقد تستعار هنا وحيث وثم للزمان لما راى حال مريم في كرامتها على الله
ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد امها حنة في الكرامة على
الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى الفاكهة
في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لي
من لدنك ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع طيبة مباركة والتانيث
للفظ الذرية انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه جبريل عليه
السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان
يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلي وهو قائم يصلي في المحراب
وفيه دليل على ان المراد ان تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء
الحاجات قال ابن عطاء ما فتح الله على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر
واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب ان الله بكسر الالف شامي وحمزة على
اضمار القول او لان النداء قول الباقون بالفتح اي بان الله يبشرك يبشرك
وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان بيحيى هو غير
منصرف ان كان اعجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان
كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا حال منه بكلمة من الله اي
مصدقا بعيسى مؤمنا به وهو اول من امن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكونه
بكن بلا اب او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب الله وسيدا هو الذي
يسود قومه اي يفوقهم في الشرف كان يحيى فائقا على قومه لانه لم يرتكب

سيئة قط فيا لها من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون وحصورا هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات ونبيا من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبيا او كاينا من جملة الصالحين قال رب اني يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية اي اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنه ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر الا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة قال رب اجعل لي مدني وابو عمرو اية علامة اعرف بها الحبل لا تلقي النعمة بالشكر اذا جاءت قال ايتك الا تكلم الناس انك لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او راس او عين او حاجب واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما او هو استثنى منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس كلامه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقا قدرته على التكلم بذكر الله وكذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الايات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشتغل لسانه بغيره كانه لما طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السوال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى واذ عطف على اذ قالت امراة عمران او التقدير واذكر اذ قالت الملايكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال واصطفاك اخرا على نسا العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النسا يا مريم اقنتي لربك اديمي الطاعة او اطيلي قيام الصلاة واسجدي وقيل امرت بالصلاة بذكر القنوت في السجود ولكونهما من هيات الصلاة ثم قيل لها واركعي مع الراكعين ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة اي وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ذلك اشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم من انبا الغيب نوحيه اليك يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي يا محمد الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين او هي الاقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها اذ قالت الملايكة اي اذكر اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي بعيسى منه في موضع

جر صفة لكلمة اسمه مبتدا وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها المسيح خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا بري او لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا عيسى بدل من المسيح ابن مريم خبر مبتدا محذوف اي هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وجيها ذا جاه وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة والاخرة بعلو الدرجة والشفاعة ومن المقربين برفعه الى السما وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اي وثابتا من المقربين وكذا ويكلم الناس اي ومكلما الناس في المهد حال من الضمير في يكلم اي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي في مضجعه سمي بالمصدر وكهلا عطف عليه اي ويكلم الناس طفلا وكهلا يعني يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبيا من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبا فيها الانبيا ومن الصالحين حال ايضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يعني اذا قدر تكوين شي كونه من غير تاخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكوين الاشياء بتكوينه ويعلمه مدني وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدا الكتاب اي الكتابة فكان احسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله والحكمة بيان الحلال والحرام او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتوراة والانجيل ورسولا اي ويجعله رسولا او يكون في موضع الحال اي وجيها في الدنيا والاخرة ورسولا الى بني اسرايل اني اي باني قد جيتكم باية من ربكم بدلالة تدل على صدقي لكم فيما ادعيه من النبوة اني اخلق لكم نصب بدل من اني قد جيتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم اني نافع على الاستيناف من الطين كهيية الطير اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشي المماثل لهيية الطير فيكون طيرا فيصير طايرا كساير الطيور طايرا مدني باذن الله بامره قيل لم يخلق غير الخفاش وابري الاكمه الذي ولد اعمى والابرص واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية روي انه احيى سام ابن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وهو قوله وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وما فيهما بمعنى الذي او مصدرية ان في ذلك فيما سبق لاية لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة اي قد جيتكم باية وجيتكم مصدقا ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد على

قوله باية من ربكم اي قد جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم الله عليهم
في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل
لهم عيسى بعض ذلك وجئتكم باية من ربكم كرر للتوكيد فاتقوا الله في تكذيبي
وخلافي واطيعون في امري ان الله ربي وربكم اقرار بالعبودية ونفي للربوبية
عن نفسه بخلاف ما تزعم النصارى فاعبدوه دوني هذا صراط مستقيم يؤدي
صاحبه الى النعيم المقيم فلما احس عيسى منهم الكفر علم من اليهود كفرا علما لا
شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من انصاري مدني وهو جمع ناصر كاصحاب
او جمع نصير كاشراف الى الله متعلق بمحذوف حالا من اليا اي من انصاري
ذاهبا الى الله ملتجئا اليه قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته
نحن انصار الله اعوان دينه امنا بالله واشهد يا عيسى بانا مسلمون انما طلبوا
شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم
وعليهم وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول اي رسولك عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الذين يشهدون لانبيائهم
او مع الذين يشهدون لك بالوحدانية او مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء
على الناس ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر حين ارادوا
قتله وصلبه ومكر الله اي جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء والقى
شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الاعلى
معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح
التاويلات والله خير الماكرين اقوى المجازين واقدرهم على العقاب من
حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومميتك حتف
انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من
الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي من فلان اذا استوفيته او مميتك في وقتك بعد النزول من
السماء ورافعك الان اذ الواو لا يوجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل
عيسى خليفة على امتي يدق الصليب ويقتل الخنزير ويلبث اربعين سنة
ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة انا في اولها وعيسى في اخرها
والمهدي من اهل بيتي في وسطها او متوفي نفسك بالنوم ورافعك وانت نائم
حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء امن مقرب وجاعل الذين
اتبعوك اي المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فوق الذين كفروا بك
الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ثم الي مرجعكم
في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وتفسير الحكم ها تان الايتان فيوفيهم

حقص

حقص ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا نتلوه عليك
خبره من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والذكر الحكيم القران
يعني المحكم او لانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد نصارى نجران
هل رايت ولدا بلا اب ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي ان شان عيسى وحاله
الغريبة كشان ادم خلقه من تراب قدره جسدا من طين وهي جملة
مفسرة لحاله شبه عيسى بادم ولا موضع لها اي خلق ادم من تراب ولم يكن
ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير ام واب اغرب
واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون
اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه
وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل
اولى لان عيسى احيى اربعة نفر وحزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال
له كن اي انشاه بشرا فيكون اي فكان وهي حكاية حال ماضية وثم
لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه الحق من ربك خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق فلا تكن ايها السامع من الممترين الشاكين ويحتمل ان يكون
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة
الثبات لانه عليه السلام معصوم عن الامتراء فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى
الذي فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالعزم والراي كما تقول تعال نفكر
في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل
بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة
وبهله الله لعنه وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا ثم يستعمل
في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رايهم والله لقد عرفتم يا معشر
النصارى ان محمدا نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا
انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا
ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك
فصالحهم على الفي حلة كل سنة فقال عليه السلام والذي نفسي بيده
ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عفوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم

من الأبناء والنساء، وإن كانت المباهلة تختص به وبمن يكاذبه لأن ذلك آكد
في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض
أعزته وأفلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت المباهلة وخص الأبناء
والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الأنفس
لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى
الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك
فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في شأن عيسى ونبتهل ونجعل
معطوفات على ندع إن هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق
هو فصل بين اسم إن وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إن
وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على
الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن في
وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وإن الله لهو العزيز في الانتقام الحكيم
في تدبير الأحكام فإن تولوا أعرضوا ولم يقبلوا فإن الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون قل يا أهل الكتاب هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود
المدينة تعالوا إلى كلمة سواء أي مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن
والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها حتى لا نقول
عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع
أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله وعن
عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم
ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فإن تولوا عن التوحيد
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا
وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع
اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم
وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى
أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه
فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول
الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف
يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى
لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء
خبره حاججتم جملة مستأنفة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى
وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به

التوراة

التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين
إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته ها أنتم بالمد وغير الهمز حيث
كان مدني وأبو عمرو والله يعلم ما حاججتم فيه وأنتم لا تعلمون وأنتم
جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينهم فقال ما كان إبراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين لأنه أراد بالمشركين
اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح أو ما كان من المشركين كما لم يكن منهم
إن أولى الناس بإبراهيم إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا خص بالذكر لخصوصيته
بالفضل والمراد محمد عليه السلام والذين آمنوا من أمته والله ولي المؤمنين
ناصرهم ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا حذيفة
وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وباله
الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم وما
يشعرون بذلك يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتوراة والإنجيل
وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغيرها وأنتم تشهدون تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون
بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تعترفون نعته في الكتابين أو تكفرون
بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد وتكتمون الحق نعت
محمد عليه السلام وأنتم تعلمون أنه حق وقالت طائفة من أهل الكتاب
فيما بينهم آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا أي القرآن وجه النهار طرفا أي
أوله أي أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار واكفروا آخره
واكفروا به في آخره لعلهم يرجعون لعل المسلمين يقولون ما رجعوا هم
أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم ولا تؤمنوا
إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن
يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن
يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم
بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم
وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم
إلى الإسلام أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم
لأحد لأنه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم
يوم القيامة بالحق ويغالبونكم بالحجة ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى
الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام
عند قوله إلا لمن تبع دينكم أي ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم

وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان
رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله ان يؤتى لان
يؤتى مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد
والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير ءان بالمد والاستفهام يعني لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله او يحاجوكم على هذا معطوف
دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم **والله واسع** اي واسع الرحمة **عليم** بالمصلحة
يختص برحمته بالنبوة او بالاسلام **من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن**
اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك هو عبد الله بن سلام
استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه **ومنهم من**
ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من
قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة
الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم **الا ما دمت**
عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه ملازما
له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكي ونافع وشامي وعلي وحفص
واختلس ابو عمرو في رواية وغيرهم بسكون الهاء **ذلك** اشارة الى ترك
الاداء الذي دل عليه لا يؤده **بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل** اي تركهم
اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا
اثم وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما
فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل
بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم **ويقولون**
على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم **وهم يعلمون** انهم كاذبون
بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم
وقوله **من اوفى بعهده واتقى** جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت
بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع الى الله تعالى اي كل من وفى بعهد الله
واتقاه **فان الله يحب المتقين** اي يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعموم
المتقين ناب مناب الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل في ذلك الايمان
وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي اهل الكتاب ويجوز ان يرجع الضمير
الى من اوفى اي كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر
فان الله يحبه وقيل نزلت فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود
واخذ الرشوة على ذلك **ان الذين يشترون** يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوه

عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم **وايمانهم** وبما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو
ذلك وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله **اولئك لا خلاق**
لهم في الاخرة اي لا نصيب **ولا يكلمهم الله** بما يسرهم **ولا ينظر اليهم يوم**
القيامة نظر رحمة **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم **ولهم عذاب اليم** مؤلم **وان منهم**
من اهل الكتاب **لفريقا** هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن
اخطب وغيرهم **يلوون السنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته عن الصحيح
الى المحرف واللي الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كاية الرجم ونعت محمد
عليه السلام ونحو ذلك والضمير في **لتحسبوه** يرجع الى ما دل عليه يلوون
السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب
لتحسبوا ذلك الشبه **من الكتاب** اي التوراة **وما هو من الكتاب** وليس
هو من التوراة **ويقولون هو من عند الله** تاكيد لقوله هو من الكتاب
وزيادة تشنيع عليهم **وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم**
يعلمون انهم كاذبون **ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب** تكذيب لمن اعتقد
عبادة عيسى وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله **والحكم** والحكمة وهي السنة او فصل القضاء
والنبوة ثم يقول عطف على يؤتيه **للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن**
كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات
ابن عباس قال ابن الحنفية مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين
علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل المعلم **بما كنتم**
تعلمون الكتاب كوفي وشامي اي غيركم وغيرهم بالتخفيف **وبما كنتم تدرسون**
اي تقرأون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم
كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله
ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه
بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس
فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير **ولا يامركم** بالنصب
عطفا على ثم يقول ووجهه ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ويبعثه الى الدعاء الى
اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له
ويامركم **ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه
ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي وابو عمرو وعلى ابتداء الكلام
والهمزة في **ايامركم بالكفر** للانكار والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر

اولله وقوله بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم
الذين استأذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين هو على ظاهره
من اخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد ميثاق اولاد النبيين وهم
بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في لما آتيتكم من كتاب وحكمة لام
التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب
القسم وما يجوز ان تكون متضمنة معنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به
ثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد منه اليه محذوف والتقدير ثم
جاءكم به رسول مصدق لما معكم للكتاب الذي معكم لتؤمنن به
بالرسول ولتنصرنه اي الرسول وهو محمد عليه السلام لما آتيتكم حمزة
وما بمعنى الذي او مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم
لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل اي اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول
ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف [illegible] قال اي الله أأقررتم واخذتم على
ذلكم اصري اي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا
اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من
الشاهدين وانا على اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد
عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضكم على بعض
وقيل قال الله للملائكة اشهدوا فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد
ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبي الجائي فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة
جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون وقدم
المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو
معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وله اسلم من في السموات الملائكة
والارض الانس والجن طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها
بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون
والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا
وكرها على الحال اي طائعين ومكرهين واليه يرجعون فيجازون على
الاعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء في الثاني وفتح الجيم
غيرهما قل آمنا بالله وما انزل علينا امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخبر
عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا او امر بان
يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وعدي انزل هنا
بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحي ينزل من
فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر وقال
صاحب اللباب الخطاب في البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب

منتهية

منتهية الى الانبياء والى اممهم جميعا وههنا قال قل وهو خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم دون امته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه
وفيه نظر كقوله تعالى آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وما انزل على ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون كرر في البقرة وما اوتي ولم يكرر هنا لتقدم
ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم من ربهم من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم
في الايمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون موحدون مخلصون
انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام
الوجه لله او غير دين محمد دينا تمييز فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا
بمكة كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم والواو في وشهدوا ان الرسول حق
للحال وقد مضمرة اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق اي محمد احق او للعطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا وجاءهم البينات اي الشواهد
كالقرآن وسائر المعجزات والله لا يهدي القوم الظالمين اي ما داموا مختارين
الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذ ماتوا كفارا اولئك مبتدأ جزاؤهم مبتدأ ثان
وخبره ان عليهم لعنة الله وهما خبر اولئك او جزاؤهم بدل الاشتمال من اولئك
والملائكة والناس اجمعين خالدين حال من الهاء والميم في عليهم فيها في اللعنة
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح فان الله غفور لكفرهم رحيم
بهم ونزل في اليهود ان الذين كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت او نزل
في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد
ريب المنون لن تقبل توبتهم اي ايمانهم عند البأس لانهم لا يتوبون الا عند
الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا واولئك هم الضالون
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الفاء
في فلن يقبل يؤذن بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية
هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل
فيه على التسبيب ولو افتدى به اي فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض
ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك وقيل الواو
لتأكيد النفي اولئك لهم عذاب اليم مؤلم وما لهم من ناصرين معينين دافعين
للعذاب لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا او لن تنالوا بر الله
وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل

في هذه الآية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي
عن الكونين وقال ابو بكر الوراق لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل
انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر ابن عبد العزيز انه كان
يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لان السكر
احب الي فاردت ان انفق مما احب **وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم** اي هو
عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض كقراءة عبد الله حتى
تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين اي من اي شيء كان الانفاق طيب
تحبونه او خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم انك
تدعي انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحوم الابل والبانها فقال عليه السلام
كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة في ملة
ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم **كل الطعام** اي المطعومات التي
فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم **كان حلا لبني اسرائيل**
اي حلالا وهو مصدر نعت به يقال حل الشيء حلا ولذا استوى في وصفه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرائيل** اي يعقوب
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الابل
والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلا لبني
اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت
التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها لتحريم اسرائيل ذلك
على نفسه **قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** امر ان يحاجهم بكتابهم
ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه
دليل بين على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح
عليهما السلام **من بعد ذلك** من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة **فاولئك هم
الظالمون** المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات
قل صدق الله في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض لكذبهم اي ثبت ان الله صادق
فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم** وهي ملة الاسلام التي عليها
محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم
ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم
الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه **حنيفا** حال من ابراهيم اي مائلا
عن الاديان الباطلة **وما كان من المشركين** ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا
قبل قبلتكم نزل **ان اول بيت وضع للناس** والواضع هو الله عز وجل ومعنى
وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس
الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة وقيل
اول من بناه ابراهيم وقيل هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت

ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه السلام
في الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر **للذي ببكة** اي البيت
الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد
وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها
او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار الا قصمه الله **مباركا**
كثير الخير لما يحصل للحاج والمعتمر من الثواب وتكفير السيئات **وهدى للعالمين**
لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير في وضع **فيه آيات بينات**
علامات واضحات لا تلتبس على احد **مقام ابراهيم** عطف بيان لقوله آيات بينات
وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة
دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر
صلد او لاشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى
الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات
الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان **ومن دخله كان آمنا** عطف
بيان لآيات وان كان جملة ابتدائية او شرطية من حيث المعنى لانه يدل على
امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله والاثنان
في معنى الجمع ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر
الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله وكثير سواهما
نحو انحراف الاحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك
ونحوه في طي الذكر قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلاة فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها
ليست من الدنيا والثالث مطوي وكانه عليه السلام ترك ذكر الثالث
تنبيها على انه لم يكن من شانه ان يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين
وقيل في سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام
عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من
الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل
فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق
راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه
وامان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان
الرجل لو جنى كل جناية ثم التجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو
ظفرت بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل
بقود او ردة او زنى فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا
يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار لقوله عليه السلام
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يؤخذان باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم

مسيرة ما يتي عام ولله على الناس حج البيت اي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت
كوفي غير ابي بكر وحفص واسم وبالفتح مقدر وقيل هما لغتان في مصدر حج من في موضع
جر على انه بدل البعض من الكل استطاع اليه سبيلا فسرها النبي عليه السلام
بالزاد والراحلة والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما يأتي الى الشيء فهو سبيل اليه
ولما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت
به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا
نحجه فنزل ومن كفر اي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطا
ويجوز ان يكون من الكفران اي ومن لم يشكر ما انعمت عليه من صحة الجسم وسعة
الرزق ولم يحج فان الله غني عن العالمين مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي
هذه الاية انواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى اي انه حق واجب لله
في رقاب الناس ومنها الابدال تنبيه للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد
الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله
ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك
دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من
الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء
لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي
وقع عبارة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون
الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام
والحال انه شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون
الصد المنع عن سبيل الله من امن عن دين حق علم انه سبيل الله التي امركم
بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون من اراد الدخول فيه بجهدهم ومحل
تبغونها تطلبون لها نصب على الحال عوجا اعوجاجا وميلا عن القصد
والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها
ونحو ذلك وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل
وما الله بغافل عما تعملون من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين
عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس
اليهودي على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه تالفهم فامر شابا من اليهود ان يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون
وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من
الشيطان فالقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الاية وكيف

تكفرون

تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب اي من اين يتطرق اليكم الكفر
وانتم تتلى عليكم ايات الله والحال ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم
على لسان الرسول غضة طرية وفيكم رسوله وبين اظهركم رسول الله ينبهكم
ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او بكتابه او هو
حث لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى صراط
مستقيم ارشد الى الدين الحق او ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه
يحفظه عن الشبه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما
يحق منها وهو القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى او هو ان لا يأخذه في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق
تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن الا
وانتم مسلمون ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
واعتصموا بحبل الله تمسكوا بالقران لقوله عليه السلام القران حبل الله
المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به
رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم جميعا حال من ضمير المخاطبين
وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا تفرقا عن الحق ولا تفعلوا
ما يكون عنده التفرق ويزول معه الاجتماع اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فالف الله
بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا وكنتم
على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه
من الكفر فانقذكم منها بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين
ينقذون انفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانث لاضافته
الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو ولهذا يثنى شفوان كذلك مثل
ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته اي القران الذي فيه امر ونهي ووعد
ووعيد لعلكم تهتدون لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب
وما ينال به الثواب ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
بما استحسنه الشرع والعقل وينهون عن المنكر عما استقبحه الشرع والعقل او
المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما او المعروف الطاعات
والمنكر المعاصي والدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك وما
عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر
في اقامته فانه يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا
بينهما ثم قال فقاتلوا او للتبيين اي وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم

خيرامة اخرجت للناس تامرون بالمعروف واولئك هم المفلحون اي هم الاخصا بالفلاح الكامل قال عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الارض وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تكونوا كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق واولئك لهم عذاب عظيم ونصب يوم تبيض وجوه اي وجوه المؤمنين بالطرق وهو لهم او بفعل اوباذكروا وتسود وجوه اي وجوه الكافرين والبيا من من النور والسواد من الظلمة فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم بحذف الفا والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم بعد ايمانكم يوم الميثاق فيكون المراد جميع الكفار وهو قول ابي وهو الظاهر اذ هم المرتدون او المنافقون اي كفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا او اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استانف فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يشاء ان يظلم هو عباده فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساته ترجع شامي وحمزة وعلي كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة او كنتم في علم الله او في اللوح خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت للناس اللام تتعلق باخرجت تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم فبين بالاطعام والالباس درجة الكرم فيه بالمعروف بالايمان وطاعة الرسول وتنهون عن المنكر عن الكفر وكل محظور وتؤمنون بالله وتدومون على الايمان به ولان الواو لا يقتضي الترتيب ولو امن اهل الكتاب بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم اثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحوه لك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار

منهزمين

منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يوذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما استونف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا او لم يقاتلوا وتقدير الكلام اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخزلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار ضربت الزمت عليهم الذلة اي على اليهود اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله في محل النصب على الحال والبا متعلقة بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين بحبل من الله وحبل من الناس والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة رسوله اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا او خوف الفقر مع قيام اليسار ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك الكفر وكذا القتل كائن بسبب عصيانهم الله واعتدائهم لحدوده ليسوا سواء ليس اهل الكتاب مستوين من اهل الكتاب كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة اخرجت امة قائمة جماعة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله القران اناء الليل ساعاته واحدها اني كمعا واني كنحي وانى كنحي وهم يسجدون يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف بالايمان وساير ابواب البر وينهون عن المنكر عن الكفر ومنهيات الشرع ويسارعون في الخيرات يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصايص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في القيام به واولئك الموصوفون بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين او من جملة

الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
بالياء فيهما لو فق غير ابي بكر وابو عمرو يخير غيرهم بالتاء وعدي تكفرون الى مفعولين
وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه
معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه اي فلن تحرموا جزاءه والله عليم بالمتقين
بشارة للمتقين بجزيل الثواب ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اي من عذاب الله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن
الذكر بين الناس او ما يتقربون به الى الله مع كفرهم كمثل ريح كمثل مهلك
ريح وهو الحرث او مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر برد شديد
عن ابن عباس رضي الله عنه وهو مبتدا وخبر في موضع جر صفة لريح مثل
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر فاهلكته عقوبة على كفرهم
وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب ما
استحقوا به العقوبة او يكون الضمير للمنفقين اي وما ظلمهم الله بان لم تقبل
نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا
للمؤمنين عن مصافاة المنافقين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة
الرجل وليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما تقول فلان
شعاري وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابنا
جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم
مجاورة لكم لا يالونكم خبالا في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون
في فساد دينكم يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب
خبالا على التمييز او على حذف في اي في خبالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم فما
مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة اي تمنوا ان يضروكم في دينكم
ودنياكم اشد الضرر وابلغه وهو مستانف على وجه التعليل للنهي عن
اتخاذهم بطانة كقوله قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون
مع ضبطهم انفسهم ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وما
تخفي صدورهم من البغض لكم اكبر مما بدا قد بينا لكم الايات الدالة على
وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون
ما بين لكم ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة منافقي اهل الكتاب تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم
حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء او اولاء موصول صلته تحبونهم والواو في
وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم وقيل الكتاب للجنس واذا لقوكم قالوا امنا اظهروا كلمة التوحيد
واذا خلوا فارقوكم او خلا بعضهم ببعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ

يوصف

يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما
يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي
ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق
والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل في جملة المقول
اي اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم
بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من
اسراركم يخفى عليه او خارج عن المقول اي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب
من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه
في نفوسهم ان تمسسكم حسنة رخاء وخصب ونصر وغنيمة تسؤهم تحزنهم
اصابتها وان تصبكم سيئة اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة
فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة
يفرحوا بها باصابتها وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من
موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتناب
محارمه لا يضركم كيدهم شيئا مكرهم وكنتم في كنف الله وهذا تعليم من الله
تعالى وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء
اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك لا يضركم مكي وبصري
ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب
الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي ان يكون بفتح الراء لقراءة المفضل
عن عاصم الا ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا ان الله بما تعملون
بالتاء سهل اي من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله
وبالياء غيره اي انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت
من اهلك واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من اهلك بالمدينة والمراد غدوه
من حجرة عائشة رضي الله عنها الى احد تبوئ المؤمنين تنزلهم وهو حال
مقاعد للقتال مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين
والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم
وضمائركم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي فاستشاره
فقال اقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط الا اصاب منا وما دخلوا علينا
الا اصبنا منهم فقال عليه السلام اني رايت في منامي بقرا مذبحة حولي
فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة ورايت كاني
ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون
في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله
فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج
بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال

اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى عليم **طائفتان منكم** حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج الى احد في الف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم بالفتح ان صبروا فانخزل ابن ابي بثلث الناس وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان تفشلا** اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور **والله وليهما** محبهما او ناصرهما ومتولي امورهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم بما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة **ولقد نصركم الله ببدر** وهو اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به او ذكر بدرا لبعد احد للجمع بين الصبر والشكر **وانتم اذلة** لقلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء الف مقاتل والعدد عطف على العدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا **فاتقوا الله** في الثبات مع رسوله **لعلكم تشكرون** بتقواكم ما انعم به عليكم من النصر **اذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر اي نصركم الله وقت مقالتك هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم يوم احد **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين** منزلين شامي منزلين ابو حيوة اي النصر ومعنى الن يكفيكم انكار ان لن يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجيء بلن الذي لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر **بلى** ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال **ان تصبروا** على القتال **وتتقوا** خلاف الرسول عليه السلام **ويأتوكم** يعني المشركين **من فورهم هذا** هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخي الامر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى ان ياتوكم من ساعتهم هذه **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة** في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يعني ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم **مسومين** بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم وسهل اي معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة تعرف بها في الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها غيرهم بفتح الواو اي معلمين قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت

الملائكة كذلك قال قتادة نزلت الف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف **وما جعله الله** الضمير يرجع الى الامداد الذي دل عليه ان يمدكم **الا بشرى لكم** اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن قلوبكم به** كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم **وما النصر الا من عند الله** لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة **العزيز** الذي لا يغالب في احكامه **الحكيم** الذي يعطي النصرة اولياءه ويبتليهم بجهاد اعدائه واللام في **ليقطع طرفا من الذين كفروا** ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يمددكم ربكم **او يكبتهم** او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن يقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله **فينقلبوا خائبين** فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم **ليس لك من الامر شيء** اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها حال مقدمة **او يتوب عليهم** عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا **او يعذبهم** ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء او بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن **فانهم ظالمون** مستحقون للتعذيب **ولله ما في السموات وما في الارض** اي الامر له لا لك لان ما في السموات وما في الارض ملكه **يغفر لمن يشاء** للمؤمنين **ويعذب من يشاء** الكافرين **والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة** مضعفة مكي وشامي هذا نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضي حقي او تربي وازيد في الاجل **واتقوا الله** في اكله **لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين** كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكفار ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله **واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة امره الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال اهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى

وصعوبة اصابة رضى الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه **وسارعوا الى**
مغفرة من ربكم وجنة سارعوا مدني وشامي فمن اثبت الواو عطفها على
ما قبلها ومن حذفها استانفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة
الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس او التكبيرة الاولى
او الطاعة او الاخلاص او التوبة او الجمعة والجماعات **عرضها السموات**
والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء
والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس
من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض ومما روي ان الجنة في السماء السابعة او في السماء فمعناه انها في
جهتها لا انها فيها او في بعضها كما يقال في الدار بستان وان كان يزيد عليها
لان المراد انه بابه اليها **اعدت** في موضع جر صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة
معدة **للمتقين** ودلت الايتان على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي
من يتقي الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا
بالله ورسله او من يتقي المعاصي فان كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة
وان كان الاول فهي لهم ايضا في العاقبة ويتوقف عليه ان جعل **الذين ينفقون**
في السراء والضراء في حال اليسر والعسر مبتدا وعطف عليه والذين اذا
فعلوا فاحشة وجعل الخبر اولئك وان جعل وصفا للمتقين وللتائبين
فلا وقف فان قلت الاية تدل على ان الجنة معدة للمتقين وللتائبين
دون المصرين قلت جاز ان تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه
غيرهما كما يقال اعدت هذه المائدة للامير ثم قد ياكلها اتباعه الا ترى انه
قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين ثم يدخلها غير الكافر بالاتفاق
وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق على النفس وادل على الاخلاص ولانه
كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو
ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع الاحوال
لانها لا تخلو من حال مفرح ومسر **والكاظمين الغيظ** والممسكين الغيظ
عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملاها وشد فاها ومنه كظم الغيظ
وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا والغيظ توقد
حرارة القلب من الغضب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا **والعافين عن الناس**
اي اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين
كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه **والله يحب المحسنين** اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء
عن الثوري الاحسان ان تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة

والذين

والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة القبح ويجوز ان يكون والذين مبتدا
خبره اولئك **او ظلموا انفسهم** قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
او الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما **ذكروا الله** اي
بلسانهم او بقلوبهم ليبعثهم على التوبة **فاستغفروا لذنوبهم** فتابوا عنها
لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الاية **ومن يغفر الذنوب الا**
الله من مبتدا يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير
في يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين
المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب
مغفرته من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل
وكرمه اعظم **ولم يصروا على ما فعلوا** ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار
الاقامة قال عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار **وهم يعلمون** حال من
الضمير في ولم يصروا اي وهم يعلمون انهم اساؤوا او وهم يعلمون انه لا يغفر
ذنوبهم الا الله **اولئك** الموصوفون **جزاؤهم مغفرة من ربهم** بتوبته
وجنات برحمته **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين**
المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات نزلت في تمار قال لامراة تريد التمر في بيتي تمر اجود فادخلها بيته
وضمها الى نفسه وقبلها فندم او في انصاري استخلفه ثقفي وقد اخى بينهما النبي
عليه السلام في غيبة غزوة فاتى اهله لكفاية حاجة فراها فقبلها فندم
فساح في الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى **قد خلت** مضت **من قبلكم**
سنن يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائعه **فسيروا في الارض**
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا بها **هذا** اي القران او ما تقدم
ذكره **بيان للناس وهدى** اي ارشاد **وموعظة** ترغيب وترهيب **للمتقين**
عن الشرك **ولا تهنوا** ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم من الهزيمة **ولا تحزنوا**
على ما فاتكم من الغنيمة او على من قتل منكم او جرح وهو تسلية من الله لرسوله
وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم **وانتم الاعلون** وحالكم
انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد
او وانتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة
وان جندنا لهم الغالبون او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته
وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في
النار **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة
الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون
اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة **ان يمسسكم قرح**
بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف

والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها فقد مس القوم قرح مثله اي ان
نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم
يثبطهم عن معاودتكم الى القتال فانتم اولى ان لا تضعفوا وتلك مبتدأ
الايام صفته والخبر نداولها نصرفها بين الناس اي نصرف ما فيها من النعم
والنقم نعطي لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب فيوما لنا ويوما علينا
ويوما نساء ويوما نسر وليعلم الله الذين امنوا اي نداولها لضروب من التدبير
وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود
ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد
او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا
شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه
والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم
المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين امنوا التمحيص التطهير والتصفية
ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والتمحيص
وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم اي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة
نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه
خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى
الجمع نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن او جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت
الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها ولقد كنتم تمنون
الموت من قبل ان تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان
يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهداء
وهم الذين الحوا على رسول الله للخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة
بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد
رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم
بين ايديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما
تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم
عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من
غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء
ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى
بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته اقبل يريد
قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله بن قمئة وهو
يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ
قيل هو الشيطان الا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا

وجعل

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه
طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا
وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزل وما محمد الا رسول قد
خلت مضت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة
الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها
على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا
للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد او عن الانهزام
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما ضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين
الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا الاسلام فيما فعلوا وما كان
وما جاز لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه او باذنه لملك الموت
في قبض روحه والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله وفيه
تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لا ينفع وان احدا
لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك كتابا
مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم
ولا يتاخر ومن يرد بقتاله ثواب الدنيا اي الغنيمة وهو تعريض للذين
شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها من ثوابها ومن يرد ثواب الاخرة اي
اعلاء كلمة الله والدرجة الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد
وكاين اصله اي دخل عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي للتكثير
وكاين بوزن كاع حيث كان مكي من نبي قاتل قتل مكي وبصري ونافع
معه ربيون حال من الضمير في قتل اي قتل معه ربيون كثير والربيون
الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن بعضهم بفتحها فالفتح على القياس لانه
منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا فما
فتروا عند قتل نبيهم لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده
وما استكانوا وما خضعوا للعدو وهذا تعريض لما اصابهم من الوهن عند
الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكانتهم له حين
ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب
الصابرين على جهاد الكافرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا اي وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم
مع كونهم ربانيين هضما لها واسرافنا في امرنا تجاوزنا حد العبودية
وثبت اقدامنا في القتال وانصرنا على القوم الكافرين بالغلبة وقدم الدعاء

بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة
على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة فاتاهم
الله ثواب الدنيا النصرة والظفر والغنيمة وحسن ثواب الاخرة المغفرة
والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده
والله يحب المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم يرجعوكم الى الشرك فتنقلبوا
خاسرين قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم
في شيء حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان
واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال علي رضي الله عنه نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
بل الله مولاكم ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره وهو خير الناصرين سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب الرعب شامي وعلي وهما لغتان قيل قذف الله
في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة
والغلبة بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب
في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله باشراكها حجة
ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم
عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
اي ليس بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر ومأواهم ومرجعهم
النار وبئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الى المدينة قال ناس من اصحابه من اين
اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده اي حقق
اذ تحسونهم تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى رضي الله عنه حسه ابطل
حسه بالقتل باذنه بامره وعلمه حتى اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم في الامر اي
اختلفتم وعصيتم امر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما
اراكم ما تحبون من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا
فشلتم منعكم نصره وجاز ان تكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم
منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة
واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى
كانت الدولة للمسلمين او عليهم انهزموا والمشركون على اثارهم يقتلونهم
حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هنا
فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا نخالف
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة
في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الاخرة فكر المشركون

على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من
قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم اي كف معونته عنكم فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن
صبركم على المصايب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه
يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ولقد عفا عنكم حيث ندمتم على
ما فرط منكم من عصيان امر الرسول عليه السلام والله ذو فضل على المؤمنين
بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل
لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب اذ تصعدون
تبالغون في الذهاب في صعيد الارض والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد
فيه بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر ولا تلوون على احد ولا تلتفتون
وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم والرسول يدعوكم يقول الي
عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى هي المتاخرة يقال جئت في اخر الناس
واخراهم كما يقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم
بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم امره او غما
مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة
والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد
على فائت من المنافع ولا ما اصابكم ولا على مصيب من المضار والله خبير بما تعملون
عالم بعملكم فلا يخفى عليه شيء من اعمالكم هذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن
المعصية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا ثم انزل الله الامن على
المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي
طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا وكان السيف يسقط من يد احدنا
فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من امنة او هو
مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا والاصل
انزل عليكم نعاسا ذا امنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز ان يكون امنة
مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة
يغشى يعني النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلي اي الامنة طائفة منكم
هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما يهمهم
الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين يظنون
بالله غير الحق في حكم المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به وهو ان لا ينصر محمدا ظن الجاهلية بدل منه والمراد الظن المختص
بالملة الجاهلية او ظن اهل الجاهلية اي لا ظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك
الجاهلون بالله يقولون هل لنا من الامر من شيء هل لنا معاشر المسلمين من امر الله
نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو قل ان الامر اي النصر والغلبة كله

لله ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تاكيد للامر والله
خبران كله رفع بصري وهو مبتدأ والله خبره والجملة خبر ان يخفون في
انفسهم ما لا يبدون لك خوفا من السيف يقولون في انفسهم او بعضهم
لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
ههنا اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهمتهم صفة
لطائفة ويظنون خبر لطائفة او صفة اخرى او حال اي قد اهمتهم انفسهم ظانين
ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله
اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون او استئناف قل
لو كنتم في بيوتكم اي من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك
في اللوح المحفوظ لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم
الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم مصارعهم ليكون ما علم الله انه
يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك
انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على
الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وليبتلي الله ما في
صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدوركم من الاخلاص ويمحص
ما في قلوبكم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلا
والتمحيص والله عليم بذات الصدور بخفياتها ان الذين تولوا منكم انهزموا
يوم التقى الجمعان جمع محمد عليه السلام وجمع ابي سفيان للقتال يوم احد
انما استزلهم الشيطان دعاهم الى الزلة وحملهم عليها ببعض ما كسبوا بتركهم
المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة
الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتاديب وكان اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر
وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن ابي وقاص والباقون من الانصار ولقد عفا
الله عنهم تجاوز عنهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا كابن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم
في النسب او النفاق اذا ضربوا في الارض سافروا فيها للتجارة وغيرها
او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت او قتل لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام يتعلق بلا تكونوا
اي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه
ليكون حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب والله يحيي
ويميت رد لقولهم اذ القتال يقطع الاجال اي الامر بيده قد يحيي المسافر
والمقاتل ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير فيجازيكم على
اعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلي اي الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم

متم وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه السورة كانه اراد
الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بالضم في جميع القران فالضم من مات يموت
والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء حفص
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم
الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام
على الحرف المتصل به شان غني عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد
مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في
زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين
عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه
من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة
بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا لان الدنيا زاد المعاد فاذا
وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة
للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة
ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم ولو كنت فظا جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى احد
منهم حولك فاعف عنهم ما كان منهم يوم احد مما يختص بك واستغفر لهم
فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي في امر
الحرب ونحوه مما لم ينزل به عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم
ورفعا لاقدارهم او لتقتدي بك امتك فيها وفي الحديث ما تشاور قوم قط
الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر
مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت
فلانا اظهرت ما عندي وما عنده من الراي وشرت الدابة استخرجت
جريها وشرت العسل اخرجته من ماخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان
ان القياس حجة فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل
على الله في امضاء امرك على الارشد لا على المشورة ان الله يحب المتوكلين
عليه والتوكل الاعتماد على الله وتفويض الامر اليه وقال ذو النون خلع
الارباب وقطع الاسباب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم
فلا احد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرا من حوله وقوته واعتصم بربه
وقدرته وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من
بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يجوزك الا
بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب
التوكل عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل
والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك وما كان
لنبي ان يغل مكي وابو عمرو وعاصم اي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل

شيا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده
غالا والمعنى وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرا
على البنا للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه ما صح له ان يوجد غالا ولا
يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان قطيفة حمرا فقدت يوم بدر مما اصيب
من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها فنزلت الاية ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة اي يات بالشي
الذي غله بعينه حاملا على ظهره كما جاء في الحديث او يات بما احتمل من وباله
واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاها وافيا ولم يقل ثم توفى ما
كسبت ليتصل بقوله ومن يغلل بل جي بعام ليدخل تحته كل كاسب خيرا او
شرا فالمجزي فهو في جزاه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم
لا يظلمون اي جزاء كل على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله اي رضا الله قيل
هم المهاجرون والانصار كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون وماواه
جهنم وبئس المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين
او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم
ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من امن مع
رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم المنتفعون ببعثته عليه
الصلاة والسلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم
او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم
كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على
احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه وكان لهم
شرف بكونه منهم وفي قراءة رسول الله عليه السلام من انفسهم اي من
اشرفهم يتلوا عليهم اياته اي القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق
اسماعهم شي من الوحي ويزكيهم ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان
او ياخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من
قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال عمى وجهالة مبين ظاهر لا شبهة فيه
ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشان
والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة قلتم انى هذا من اين هذا قل هو من
عند انفسكم لاختياركم الخروج من المدينة او لترككم المركز لما نصب بقلتم
واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا
نصب لانه مفعول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة
على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف كانه
قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا ان الله على كل شي قدير يقدر على النصر

وعلى

وعلى منعه وما اصابكم بمعنى الذي وهو مبتدا يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع
المشركين باحد والخبر فباذن الله فكائن باذن الله او بعلمه وقضائه وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون
وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم للمنافقين وهو كلام مبتدا
تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون او ادفعوا
اي قاتلوا دفعا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا للاخرة وقيل
او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد
مما يروع العدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم ما يصح ان يسمى
قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم ليس بشي ولا يقال لمثله
قتال انما هو القاء النفس في التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارات تؤذن
بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان
وغيره والتقييد بالافواه للتاكيد ونفي المجاز والله اعلم بما يكتمون من
النفاق الذين قالوا اي ابن ابي واصحابه وهو في موضع رفع على هم الذين
قالوا او على الابدال من واو يكتمون او نصب باضمار اعني او على البدل
من الذين نافقوا او جر على البدل من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم
لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد وقعدوا اي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم
به من الانصراف عن رسول الله والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين بان الحذر ينفع من القدر
فخذوا حذركم من الموت او معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع
القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا وروي
انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل في قتلى احد ولا
تحسبن شامي وحمزة وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله
او لكل احد الذين قتلوا شامي في سبيل الله امواتا بل احياء بل هم احيا
عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحيا
ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احيا ووصف لحالهم التي هم عليها من
التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير في يرزقون بما اتاهم الله من فضله
وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم
من كونهم احيا مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال صلى الله
عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر
تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة

في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى
للتخصيص فايدة ويستبشرون بالذين باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا
بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا من
بعدهم وهم قد تقدموهم او لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا
خوف عليهم بدل من الذين والمعنى يستبشرون بما تبين لهم من حال
من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون امنين يوم القيامة
بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشا
بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل
الشهداء ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل يسرون بما
انعم الله عليهم وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة وان الله عطف على
النعمة والفضل وان الله علي بالكسر على الاستيناف وعلى الجملة اعتراض
لا يضيع اجر المومنين بل يوفر عليهم الذين استجابوا لله والرسول مبتدا
خبره للذين احسنوا او صفة للمومنين او نصب على المدح من بعد ما
اصابهم القرح الجرح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد
فبلغوا الروحا ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه
للخروج في طلب ابا سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت للذين
احسنوا منهم واتقوا من للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا
كلهم واتقوا لا بعضهم اجر عظيم في الاخرة الذين قال لهم الناس بدل
من الذين استجابوا ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل فقال عليه السلام ان شا
الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة فالقى الله الرعب في قلبه
فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان ارجع فالحق بالمدينة
فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم احد
فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا بها
ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى
المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى
اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتاكلوا السويق
فالناس الاول نعيم وهو جمع اريد به الواحد وكان له اتباع يثبطون مثل

تبشبطه

تثبيطه والثاني ابو سفيان واصحابه فاخشوهم فخافوهم فزادهم اي المقول
الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او القول او نعيم ايمانا بصيرة
وايقانا وقالوا حسبنا الله كافينا الله اي الذي يكفينا الله تعالى احسبه
الشيء اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك
فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه في معنى اسم الفاعل
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة
وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين
لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في
انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر متنعمين بريئين من سوء ه
واتبعوا رضوان الله بجراتهم وخروجهم الى وجه العدو وعلى اثر تثبيطه وهو
معطوف على انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما
فعلوا انما ذلكم الشيطان هو خبر ذلكم اي انما ذلكم المثبط هو الشيطان
وهو نعيم يخوف اولياءه اي المنافقين وهو جملة مستانفة بيان لتثبيطه
او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون
ان كنتم مومنين لان الايمان يقتضي ان يوثر العبد خوف الله على خوف غيره
وخافوني في الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو في الوصل
ولا يحزنك يحزنك في كل القران نافع الا في سورة الانبيا لا يحزنهم الفزع
الاكبر الذين يسارعون في الكفر يعني لا يحزنوك لخوف ان يضروك الا ترى
الى قوله انهم لن يضروا الله شيا اي اولياء الله يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين
كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اي
نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرب به
الانسان نفسه فالاية تدل على ارادة الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون
لهم ثواب في الاخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه به لن يضروا الله شيا هو نصب على
المصدر اي شيا من الضرر الاية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد
عن الاسلام والثانية في جميع الكفار او على العكس ولهم عذاب اليم ولا
يحسبن وثلاثة بعدها مع ضم البا في يحسبنهم بالياء مكي وابو عمرو وكلها
بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الياء في
الاوليان بالياء والاخريان بالتاء الذين كفروا فيمن قرا بالياء رفع اي
ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله انما نملي لهم خير لانفسهم
في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيرا
لانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة
ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف ومن قرا بالتاء نصب اي
ولا تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اي ولا

يحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين
والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما هذه حينها
ان تكتب مستقلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة وتعليل
للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والاية حجة لنا على المعتزلة في مسألتي الاصلح وارادة المعاصي
ولهم عذاب مهين واللام في ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين لتاكيد النفي حتى يميز الخبيث
من الطيب حتى يعزل المنافق من المخلص يميز حمزة وعلي والخطاب في انتم
للمصدقين من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين
منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم
بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم اي لكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب
وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا اطلاع الله فيخبر عن
كفرها وايمانها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي ولكن الله يرسل
الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق
وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله تعالى لا من جهة
نفسه والاية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان
لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسل
وان اثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص اخر وهو قوله وخاتم النبيين
فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص وان تؤمنوا وتتقوا النفاق فلكم
اجر عظيم في الاخرة ونزل في مانعي الزكاة ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم من قرا بالتاء قدر مضافا فاتحذ وقد
اي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من
قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله
الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم
وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان بل هو اي البخل شر لهم لان اموالهم
ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
تفسير لقوله بل هو شر لهم سيجعل مالهم الذي منعوه من الحق طوقا في
اعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا اقرع له نابان
فيطوق في عنقه فتنهشه وتدفعه الى النار ولله ميراث السموات والارض
وله ما فيهما مما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا
ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار
ما قبلها والله بما تعملون خبير وبالياء مكي وابو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات
وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذا اغنياء

وهو

وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب
سنكتب ما قالوا سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف وسنحفظه
اذ الكتابة من الخلق لحفظ ما فيه فسمي مجازا وما مصدرية او بمعنى الذي
وقتلهم الانبياء بغير حق معطوف على ما جعل قتلهم الانبيا قرينة له
ايذانا بانهما في العظم اخوان وان من قتل الانبيا لم يستبعد منه الاجترا
على مثل هذا القول ونقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق اي
عذاب النار كما اذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك
خزنة جهنم وانما اضيف الى الله تعالى لانه بامره كما في قوله سنكتب سيكتب
وقتلهم ويقول حمزة ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم بما قدمت ايديكم
اي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان
اكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل
التغليب ولانه يقال للامر بالشيء فاعله فذكر الايدي للتحقيق يعني
انه فعل بنفسه لا غيره بامره وان الله ليس بظلام للعبيد لا يظلم عباده
فلا يعاقبهم بغير جرم الذين قالوا في موضع جر على البدل من الذين قالوا
او نصب باضمار اعني او رفع باضمارهم ان الله عهد الينا امرنا في التوراة
واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن برسول حتى يأتينا بقربان تأكله
النار اي تقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك
وهذه دعوة باطلة وافترا على الله لان اكل النار القربان سبب الايمان
للرسول الاتي به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سوا قل قد
جاءكم رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات سوى القربان وبالذي قلتم
اي بالقربان يعني قد جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون فيها
بفعلهم فلم قتلتموهم اي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا
فلم لم تؤمنوا بالذي اتوا به ولم قتلتموهم ان كنتم صادقين في قولكم
انما نؤخر الايمان لهذا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك فانه
كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك جاؤوا
بالبينات بالمعجزات الظاهرات والزبر الكتب جمع زبور من الزبر وهو
الكتابة وبالزبر شامي والكتاب جنس المنير المضي قيل هما واحد
في الاصل وانما ذكرا لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة
والكتاب المنير هو الكتاب الهادي كل نفس مبتدا والخبر ذائقة الموت
وجاز الابتدا بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك
فمرجع الخلق الي فاجازيهم على التكذيب واجازيك على الصبر وذلك
قوله وانما توفون اجوركم يوم القيامة اي تعطون ثواب اعمالكم
على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزا فمن زحزح اي بعد
والزحزحة الابعاد عن النار وادخل الجنة فقد فاز ظفر بالخير وقيل
فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه

وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان
هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة
فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات
ولعب البنات لا حاصل لها لتبلون والله لتبلون اي لتختبرن في اموالكم
بالانفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات وانفسكم بالقتل والاسر
والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب هذه الآية دليل على
ان النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال اهل
الكلام والفلاسفة كذا في شرح التاويلات ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
كالطعن في الدين وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك
وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك فان الصبر
والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه
من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون
من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما
يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وابو عمرو وابو بكر
لانهم غيب والضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب
كتمانه فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم اي لم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد
وهو دليل على انه يجب على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان
لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
او لجر منفعة او دفع اذية او لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن
اهله الجم بلجام من نار واشتروا به ثمنا قليلا عوضا يسيرا فبئس ما يشترون
والخطاب في لا تحسبن لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
بما اتوا بما فعلوا وهي قراءة ابي واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل انه كان
وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وقراءة النخعي بما آتوا اي اعطوا ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بمنجاة منه ولهم
عذاب اليم مؤلم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن
شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه
بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من

تدليسهم

تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما
سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من
اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم
بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح
بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس بما ليس فيه ولله ملك السموات
والارض فهو يملك امرهم وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير والله على
كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر لاولي
الالباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض
المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض
حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها
وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل
على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه
السلام ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل من اذا عبد
الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له امه
لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة
الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذاك الذين في موضع
جر نعت لاولي او نصب باضمار اعني او رفع باضمارهم يذكرون الله
يصلون قياما قائمين عند القدرة وقعودا قاعدين وعلى جنوبهم اي
مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا احوال من ضمير الفاعل في يذكرون
وعلى جنوبهم حال ايضا او المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو
عن هذه الاحوال وفي الحديث من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع
هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن
ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي
عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم
والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الاحزان واستنارت
بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ذلك وهو في محل الحال
اي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته
لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك
وهذا اشارة الى الخلق على ان المراد به المخلوق او الى السموات والارض
لانها في معنى المخلوق كانه قيل وما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا
سبحانك تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب

النار الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته اهنته او اهلكته او فضحته واحتج اهل الوعيد بالاية
مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه في ان من يدخل النار لا يكون
مومنا ويخلد فيها قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تاديبه وان فوق ذلك لخزيا
وما للظالمين اللام اشارة الى من تدخل النار والمراد الكافر من انصار من
اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا يقول سمعت
رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما
يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت
كلام فلان والمنادي هو الرسول عليه السلام او القران ينادي للايمان
لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشان المنادي اذ لا منادي اعظم من مناد
ينادي للايمان ان امنوا بان امنوا اي وامنوا بربكم فامنا قال الشيخ ابو
منصور رحمه الله فيه دليل على بطلان الاستثنا في الايمان ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر او بار
كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
اي على تصديق رسلك او ما وعدتنا منزلا على رسلك او على السنة رسلك
وعلى متعلقه بوعدتنا والموعود هو الثواب او النصر على الاعدا وانما طلبوا
انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلبوا التوفيق فيما يحفظ
عليهم اسباب انجاز الميعاد او المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين
لمن هو او المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عداتك يؤيده قوله ولا تخزنا يوم القيمة
او هو اظهار للخضوع والضراعة انك لا تخلف الميعاد هو مصدر بمعنى الوعد
فاستجاب لهم ربهم اي اجاب يقال استجاب له واستجابه اني لا اضيع باني
لا اضيع عمل عامل منكم منكم صفة لعامل من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم
من بعض الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو ادم او بعضكم من بعض
في النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت لها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا الايات
فالذين هاجروا مبتدا وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه
قال والذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم
فارين الى الله بدينهم الى حيث يامنون عليه فالهجرة كائنة في اخر الزمان
كما كانت في اول الاسلام واخرجوا من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا
واوذوا في سبيلي بالشتم والضرب ونهب المال يريدون سبيل الدين وقاتلوا
وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا
على التقديم والتاخير حمزة وعلي وفيه دليل على ان الواو لا يوجب الترتيب والخبر
لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار هو جواب

قسم

قسم محذوف ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله
لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم والله عنده حسن
الثواب اي يختص به ولا يقدر عليه غيره روي ان طائفة من المومنين قالوا
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد والخطاب لكل احد او للنبي عليه السلام والمراد به
غيره ولان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم
جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا
تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله
في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا متاع قليل خبر
مبتدا محذوف اي تقلبهم في البلاد متاع قليل واراد قلته في جنب ما فاتهم
من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او اراد انه
قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد
وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم عن الشرك لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزول والنزل ما يقام للنازل
وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم او هو مصدر
موكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله صفة له وما عند الله من الكثير
الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد
يزيد وهو للاستدراك اي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت
في ابن سلام وغيره من مسلمي اهل الكتاب او في اربعين من اهل نجران
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
عليه السلام فاسلموا وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم
من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل
يومن لان من يومن في معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل
من لم يومن من احبارهم وكبرائهم وهو حال بعد حال اي غير مشترين
اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه
في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه وكل
شيء يا ايها الذين امنوا اصبروا على الدين وتكاليفه قال الجنيد الصبر
حبس النفس عن المكروه بنفي الجزع وصابروا اعداء الله في الجهاد
اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا
ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين
للغزو واتقوا الله لعلكم تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص
عن المكروه ولعل لترجي المآل لئلا يتكلوا على الامال عن تعزير الاعمال
وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم
تفلحون تظفرون بقربتي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤوا الزهراوين

البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيايتان
او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما والله الموفق للصواب

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية وسبع بقري وشامي

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وخلق
منها زوجها معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وخلق منها
زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب
وخلق منها زوجها حوى من ضلع من اضلاعها وبث منهما ونشر من آدم وحوى
رجالا كثيرا ونساء كثيرة اي وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور
والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها او على
خلقكم والخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حوى وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفانية للحصر فان قلت
الذي يقتضيه جزالة النظم اذ يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها
فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا
اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه
كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه
يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة
عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية
خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه
في التراب واتقوا الله الذي تساءلون به والاصل تتساءلون فادغمت
التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون
به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين
اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف
والارحام بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى اي واتقوا الارحام
ان تقطعوها او على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا
وبالجر حمزة على عطف الظاهر على المضمر وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه
متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة ان
الله كان عليكم رقيبا حافظا او عالما وآتوا اليتامى اموالهم يعني الذين
مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم
في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان
يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب
ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل
وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم
شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار والمعنى

وآتوا

وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذ بلغوا
بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ان
اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال
وهو مالكم او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم
الى متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال اي مضافة الى اموالكم والمعنى
لا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة
بما لا يحل وتسوية بينه وبين الحلال انه ان اكلها كان حوبا كبيرا ذنبا
عظيما وان خفتم ان لا تقسطوا اي لا تعدلوا اقسط اي عدل في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية
التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما يجيء في صفات من يعقل كانه قيل
الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء
ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون
من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور
يقع بينهن اذا كثرن فكانه قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من
ذلك وقيل وان خفتم ان لا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات
يقال طابت الثمرة اذا ادركت مثنى وثلاث ورباع نكرات وانما منعت
الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على
الحال من النساء او مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات وهذا
العدد ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة واربعا اربعا فان قلت الذي
اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاثة او اربع فما معنى التكرير
في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب
كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا
هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة
ولو افردت لم يكن له معنى وجيء بالواو ليدل على تجويز الجمع بين الفرق
ولو جيء باو لمكان يعطي الذهاب معنى التجويز فان خفتم الا تعدلوا بين هذه
الاعداد فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ذلك
اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان
لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم اذا
جار في حكمه ويحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا
تكثروا عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال اعال يعيل اذا كثر عياله
واجيب بان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم

يونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من اعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **واتوا النساء صدقاتهن** مهورهن **نحلة** من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء كانه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينحل كذا اي يدين به يعني واتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهن **فان طبن لكم** للازواج **عن شيء منه** اي من الصداق اذ هو في معنى الصدقات **نفسا** تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فان وهبن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة **فكلوه** الهاء تعود الى شيء **هنيئا** لا اثم فيه **مريئا** لا اذى فيه فسرهما النبي عليه السلام او هنيئا في الدنيا بلا مطالبة مريئا في العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة في الوقف وهمزهما الباقون وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم شيئا فليسال امراته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا **ولا تؤتوا السفهاء** المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء اموال السفهاء بقوله **اموالكم** لانهم يلونها ويمسكونها **التي جعل الله لكم قياما** اي قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم قياما بمعنى قياما نافع وشامي كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس

وارزقوهم

وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأكلها الانفاق **واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا** قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكلما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر **وابتلوا اليتامى** واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل في التجارة **حتى اذا بلغوا النكاح** اي الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد **فان انستم منهم** تبينتم **رشدا** هداية في التصرفات وصلاحا في المعاملات **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى اذا جلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة او يفيد التقليل اي طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** ولا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم واسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا **ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف** قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ان يتحرز من اكل مال اليتيم واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في اكله عن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب او هو راجع الى قوله فلياكل بالمعروف اي ولا يسرف فالله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون**

وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون هم المتوارثون من ذوي
القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل
والضمير في منه يعود الى ما ترك نصيبا نصب على الاختصاص بمعنى اعني
نصيبا مفروضا مقطوعا لا بد لهم ان يحوزوه روي ان اوس بن ثابت
ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان
اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن
بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكت فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله تعالى جعل لهن نصيبا مفروضا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى
ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم فاعطوهم
منه مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل
كان واجبا في الابتداء ثم نسخ باية الميراث وقولوا لهم قولا معروفا
عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم خذوا
بارك الله عليكم وتستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا
سديدا المراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في
حجورهم من اليتامى فليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم
ضعافا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف
الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة للذين اي وليخش الذين
صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك
عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب
لو خافوا والقول السديد من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون
اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين فهو مصدر في موضع الحال انما
ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا اي ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار
روي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن
فيه واذنيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وسيصلون
شامي وابو بكر اي سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم
الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم وهذا اجمال
تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم اي من اولادكم فحذف
الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدا بحظ الذكر
ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف
حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود

الاية فقيل كفى للذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى
يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد به حال الاجتماع اي
اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال
الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل عليه انه
اتبعه حكم الانفراد بقوله فان كن نساء اي فان كانت الاولاد نساء خلصا يعني
بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنساء
اي نساء زائدات على ثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لان الاية
لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت وان كانت واحدة فلها النصف
اي وان كانت المولودة منفردة واحدة مدني على كان التامة والنصب اوفق
لقوله فان كن نساء فان قلت فذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن
وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد
فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما نزلهما منزلة
الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اعطوهما حكم
الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف
بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلثان لبنت واحدة
كان الثلثان للبنتين ولانه قال في اخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك والبنتان امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا
لهما ما اوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو ابعد منهما
ولان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها
الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب
لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفي الاية
دلالة على ان المال كله للذكر اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثل
حظ الانثيين وجعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر
في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير في ولابويه للميت
والمراد الاب والام الا انه غلب المذكر لكل واحد منهما السدس بدل من
ابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان
ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين
عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لذهب
فائدة التاكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدا خبره لابويه
والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن السدس والربع والثمن والثلث
بالتخفيف مما ترك ان كان له ولد هو يقع على الذكر والانثى فان لم يكن له
ولد وورثه ابواه فلامه الثلث اي مما ترك والمعنى وورثه ابواه فحسب
لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب اقوى من الام في الارث بدليل ان له ضعف

خطها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها فانه
امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي
للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى
مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلي لمجاورة كسر اللام فان كان له
اي للميت اخوة فلامه السدس اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات
فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والعلات والاخياف
في حجب الام سواء من بعد وصية متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها
لا بما يليه وحده كانه قيل قسمت هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وما بعده
بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيى ووافق الاعشى في الاولى وحفص في
الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر
الصاد فيهن اي يوصي الميت او دين والاشكال ان الدين مقدم على الوصية
في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان او
لا تدل على الترتيب الا ترى انك اذا قلت جاء زيد او عمرو كان المعنى
جاءني احد الرجلين فكان التقدير في قوله من بعد وصية يوصي بها او دين
من بعد احد هذين الشيئين الوصية او الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر
فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتاخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا
الدين على الوصية بقوله صلى الله عليه وسلم الا ان الدين قبل الوصية
ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق
على الورثة وكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين
ليسارعوا الى اخراجها مع الدين اباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه والخبر
لا تدرون وقوله ايهم مبتدا خبره اقرب لكم والجملة في موضع نصب بتدرون
نفعا تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك
اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة والتفاوت
في السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا
منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة
اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب فريضة نصبت نصب المصدر
المؤكد اي فرض ذلك فرضا من الله ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما
في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم اي
زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد اي ابن او بنت فان كان لهن ولد منكم او
من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من
بعد وصية توصون بها او دين والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن جعل
ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين
وان كان رجل يعني الميت وهو اسم كان يورث من ورث اي يورث منه
وهو صفة لرجل كلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يورث

خبر كان

خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء او امراة عطف على رجل وله
اخ او اخت اي لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمراة فلم افرد الضمير
وذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما تذكيره فلانه يرجع الى
رجل لانه مذكر مبدوء به او يرجع الى احدهما وهو مذكر فلكل واحد منهما
السدس فان كانوا اكثر من ذلك من واحد فهم شركاء في الثلث لانهم يستحقون
بقرابة الام وهي لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى
من بعد وصية يوصى بها او دين انما كررت الوصية لاختلاف الموصين
فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة
غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي زيادة على
الثلث او لوارث وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة
وهذا وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها قلت يضمر
يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا كما كان
رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لانه لما قال يسبح له علم ان ثمة مسبحا
فاضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف اصحاب الفرائض وهم الذين لهم
سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن
وان سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس
وتسقط بالابن وببنتي الصلب الا ان يكون معها او اسفل منها غلام فيعصبها
والاخوات لاب وام وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات
لاب وهن كالاخوات لاب وام عند عدمهن ويصرن عصبة
بالبنت او بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد
عند ابي حنيفة رحمه الله وولد الام وللواحد السدس وللاكثر الثلث
وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد
والاب وله السدس مع الابن او ابن الابن وان سفل ومع البنت او بنت
الابن وان سفلت السدس والباقي والجد وهو ابو الاب وهو كالاب
عند عدمه الا في رد الام الى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد او
ولد الابن وان سفل او الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من اي
جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض احد الزوجين
في زوج وابوين او زوجة وابوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام
كانت او لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب
والزوج وله الربع مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف
والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع
والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض واولاهم الابن

ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وام ثم الاخ لاب
ثم ابن الاخ لاب وام ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم اعمام
الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي لهن النصف
والثلثان يصرن عصبة باخوتهن لا غيرهن وذو الارحام وهم الاقارب
ليسوا من العصبات ولا من اصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات
تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز
لهم ان يتجاوزوها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع
مرة وافرد اخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدني وشامي وله
عذاب مهين لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة والخوارج بالاية فانها
في الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها فاما المؤمن العاصي فهو
مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا
بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث
ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال واللاتي هي جمع التي
وموضعها رفع بالابتداء يأتين الفاحشة اي الزنا لزيادتها في القبح
على كثير من القبائح يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى
من نسائكم من للتبعيض والخبر فاستشهدوا عليهن فاطلبوا الشهادة
اربعة منكم من المؤمنين فان شهدوا بالزنا فامسكوهن في البيوت
فاحبسوهن حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم
الملائكة او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن
قيل او بمعنى الا ان سبيلا غير هذه عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر
جلد مائة وللثيب الرجم لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واللذان يريد الزاني والزانية وبتشديد
النون مكي يأتيانها منكم اي الفاحشة فآذوهما بالتوبيخ والتعيير وقولوا
لهما اما استحييتما اما خفتما فان تابا عن الفاحشة واصلحا وغيرا الحال
فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة ان الله كان توابا رحيما يقبل
توبة التائب ويرحمه قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم
الحبس ثم الجلد او الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة
والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير وان كانا غير محصنين
فحدهما الجلد لا غير وان كان احدهما محصنا والاخر غير محصن فعلى المحصن
منهما الرجم وعلى الاخر الجلد قال ابن بحر الاية الاولى في السحاقات
والثانية في اللواطين والتي في النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر

لابي حنيفة

لابي حنيفة رحمه الله في انه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال مجاهد
الاية الاولى في اللواطة انما التوبة هي من تاب عليه اذا قبل توبته اي انما
قبولها على الله وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد
للوعد اي انه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك للذين يعملون السوء
الذنب لان السوء عاقبته بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على
الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته ثم يتوبون من
قريب من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا
حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه
التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قبل ان ينظر الى ملك الموت وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب
كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا فاولئك
يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة
وكان الله عليما بعزمهم على التوبة حكيما حكم بكون الندم توبة وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الان اي ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى ان يزول حال
التكليف بحضور اسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء
غير مقبولة لانه حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب
ولا وعد به الا المختار ولا الذين في موضع جر بالعطف على للذين يعملون
السيئات اي ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون
وهم كفار قال سعيد بن جبير الاية الاولى في المؤمنين والوسطى
في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلا لامين
وهو مبتدأ خبره اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي هيأنا من العتيد
وهو الحاضر واصل عددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة
مورثه بان يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بغير مهر فنزلت يا ايها الذين
امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث
كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات كرها بالفتح من
الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول
والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكان
الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة
لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن وهو منصوب عطفا
على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان

تعضلوهن او مجزوم بالنهي على سبيل الاستيناف فيجوز الوقف حينئذ
على كرها والعضل الحبس والتضييق **لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن** من
المهر واللام متعلقة بتعضلوا **الا ان ياتين بفاحشة** من النشوز وايذاء
الزوج واهله بالبذاء اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد
عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها
ان يسألها الخلع **مبينة** وبفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من اعم عام
الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت
ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة
وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم **وعاشروهن بالمعروف** وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول **فان كرهتموهن** لقبحهن
او سوء خلقهن **فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه** في ذلك الشي او
في الكره **خيرا كثيرا** ثوابا جزيلا او ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن
فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح
في الدين وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب
الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهون خيرا ليس
فيما تحبونه وكان الرجل اذا راى امراة فاعجبته بهت التي تحته
ورماها بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها فقيل **وان اردتم**
استبدال زوج مكان زوج اي تطليق امراة وتزوج اخرى **واتيتم**
احداهن واعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب
لجماعة الرجال **قنطارا** مالا عظيما كما مر في آل عمران وقال عمر رضي الله
عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امراة انتبع قولك ام
قول الله واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر تزوجوا
على ما شئتم **فلا تاخذوا منه** من القنطار **شيا اتاخذونه بهتانا واثما**
مبينا اي بينا والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو
بري منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي
باهتين وآثمين ثم انكر اخذ المهر بعد الافضاء فقال **وكيف تاخذونه**
وقد افضى بعضكم الى بعض اي خلا بلا حايل ومنه الفضاء والاية حجة
لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث انكر الاخذ وعلل لذلك
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق على عباده
لاجلهن فهو كاخذهن او قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا
فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الا انهن
كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم **ولا تنكحوا ما نكح**

اباوكم

اباوكم من النساء وقيل المراد بالنكاح الوطء اي ولا تطأوا ما وطئ اباوكم
وفيه تحريم وطء موطوءة الاب بنكاح او بملك يمين او بزنى كما هو مذهبنا
وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان
منا قال **الا ما قد سلف** اي لكن ما قد سلف فانه لا تؤاخذون به والاستثناء
منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد في الحال فقال **انه كان فاحشة**
بالغة في القبح **ومقتا** وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم
يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه
يقال له المقتي **وساء سبيلا** وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر في اول
السورة نكاح ما طاب اي حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو
نساء الاباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من
السبب وبدا بالنسب فقال **حرمت عليكم امهاتكم** والمراد تحريم
نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار في شرح المنار والجدة من قبل الام
او الاب ملحقة بهن **وبناتكم** وبنات الابن وبنات البنت ملحقات
بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الاحاد على الاحاد فتحرم على كل
واحد امه وبنته **واخواتكم** لاب وام او لاب او لام **وعماتكم** من الاوجه
الثلاث **وخالاتكم** كذلك **وبنات الاخ** كذلك **وبنات الاخت** كذلك
ثم شرع في السبب فقال **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من**
الرضاعة الله تعالى نزل الرضاع منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما
للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته
عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته
واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من
هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه واصله قوله عليه السلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب **وامهات نسائكم** وهن محرمات بمجرد
العقد **وربائبكم** سمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما
كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسمي بذلك وان لم يربهما
اللاتي في حجوركم قال داود اذا لم تكن في حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على
غلبة الحال دون الشرط وفايدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن
او لكونهن بصدد احتضانكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن متعلق بربائبكم اي الربيبة من المراة المدخول
بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن
الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب اي ادخلتموهن الستر
والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء
اللاتي دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتاخرة وليس كذلك لان
الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل وهذا لان النساء الاولى
مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز ان تقول مررت بنسائك

وهربت من نسا زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتاً لهولاء النساء
وهولاء النساء كذا قاله الزجاج وغيره وهذا اولى مما قاله صاحب الكشاف
فيه فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فلا حرج عليكم في ان تتزوجوا
بناتهن اذا فارقتموهن او متن وحلائل ابنائكم جمع حليلة وهي الزوجة
لان كل واحد منهما يحل للآخر او يحل فراش الآخر من الحل او من الحلول
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينب حين فارقها زيد وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في
ازواج ادعيائهم وليس هذا النفي الحرمة من حليلة الابن من الرضاع
وان تجمعوا بين الاختين اي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على
المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين الا ما قد سلف ولكن ما مضى
مغفور بدليل قوله ان الله كان غفوراً رحيما وعن محمد بن الحسن رحمه
الله ان اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امراة الاب
ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف والمحصنات من النساء
اي ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائي
بفتح الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن
الا ما ملكت ايمانكم بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم
نكاح المنكوحات اي اللاتي لهن ازواج الا ما ملكتموهن بسبيهن
واخراجهن بدون ازواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي
فتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء كتاب الله عليكم مصدر موكد
اي كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف
واحل لكم على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم
ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات المذكورة واُحل كوفي
غير ابي بكر عطف على حرمت ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم
لان تبتغوا او بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء
والاجود ان لا يقدر باموالكم يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون
الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهراً وان القليل لا يصلح
مهراً اذ الحبة لا تعد مالاً عادة محصنين في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا فساد اعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين
النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني
فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه منهن فآتوهن اجورهن مهورهن
لان المهر ثواب على البضع فما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان
ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن فريضة حال
من الاجور اي مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض
او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به

من

من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره
او فيما تراضيا به من مقام او فراق ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما
فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما
استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على
رسوله ثم نسخت ومن لم يستطع منكم طولا فضلا يقال لفلان على طول
اي فضل وزيادة وهو مفعول يستطع ان ينكح مفعول الطول فانه
مصدر فيعمل عمل فعله او بدل من طولا المحصنات المومنات الحرائر
المسلمات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات اي فلينكح مملوكة
من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين
والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة
فلينكح امة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص للاستحباب
بدليل ان الايمان ليس بشرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال
ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسراً وفيه دليل لنا في مسالة الطول والله اعلم بايمانكم
فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على ان الايمان هو التصديق
دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا يختلف بعضكم من بعض
اي لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنوا ادم وهو تحذير عن التعيير
بالانساب والتفاخر بالاحساب فانكحوهن باذن اهلهن سادتهن وهو
حجة لنا في ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي
لا عقدهم وانه ليس للعبد او للامة ان يتزوج الا باذن المولى وآتوهن
اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار وملاك
مهورهن مواليهن فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي لانهن وما في
ايديهن من مال الموالي او التقدير فآتوا مواليهن فحذف المضاف
محصنات عفائف حال من المفعول في وآتوهن غير مسافحات
زوان علانية ولا متخذات اخدان زوان سراً والاخدان الاخلاء في السر
فاذا احصن بالتزوج احصن كوفي غير حفص فان اتين بفاحشة اي زنى
فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد يعني
خمسين جلدة وقوله نصف يدل على انه الجلد لان الرجم لا يتنصف وان
المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يتزوجن ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة
المآثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك وان تصبروا
في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لان فيه
ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع
الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين وفي الحديث الحرائر صلاح

البنت والاماء هلاك البنت والله غفور يستر المحظور رحيم بكشف المحذور
يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة
التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان
يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبيا والصالحين
والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويوفقكم للتوبة
عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم والله
يريد ان يتوب عليكم التكرير للتاكيد والتقرير والتقابل ويريد الفجرة
الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق
ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم
اليهود لا يستحلون الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن
الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقولون يريدون ان تكونوا زناة مثلهم
يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشريعة من نحو
السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان
تقع تجارة تجارة كوفي اي الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراض بالعقد او بالتعاطي والاستثنا منقطع معناه
ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر
لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والاية تدل على جواز البيع بالتعاطي
وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار
المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض غير تقييد بالتفرق عن
مكان العقد والتقييد به زيادة على النص ولا تقتلوا انفسكم من كان
من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه
كما يفعله بعض الجهلة او معنى القتل اكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك
نفسه او لا تتبعوا اهواها فتقتلوها او لا ترتكبوا ما يوجب القتل ان
الله كان بكم رحيما ولرحمته بكم نهاكم عما فيه صيانة اموالكم وبقاء
ابدانكم وقيل معناه انه امر بني اسرايل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم
وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك
التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اي القتل اي ومن يقدم على قتل
الانفس عدوانا وظلما لا خطا ولا اقتصاصا وهما مصدران في موضع الحال
او مفعول لهما فسوف نصليه نارا ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب
وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد في حق
المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله

الكباير كلها نهي عنه م

بمغفرته ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم عن ابن مسعود
رضي الله عنه من اول سورة النسا الى قوله ان تجتنبوا وعنه ايضا الكباير
ثلاث الاشراك بالله والياس من روح الله والامن من مكر الله وقيل
المراد به انواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر
وندخلكم مدخلا مدخلا مدني وكلاهما بمعنى المكان والمصدر كريما حسنا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النسا هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب
عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او
يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالاية على ان الصغاير
واجبة المغفرة باجتناب الكباير وعلى ان الكباير غير مغفورة باطل لان
الكباير والصغاير في مشيئة الله تعالى ان شا عذب عليهما وان شاء عفا
عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئة وقوله ان الحسنات
يذهبن السيئات ينطلق عليهما ولما كان اخذ مال الغير باطل وقتل النفس
بغير حق بتمني مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس
على بعض من الجاه والمال بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد
وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق او قبض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له ولا
يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك الشي له ويزول
عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهي
عنه ولما قال الرجال نرجوا ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النسا
كالميراث وقالت النسا يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على
حسب الميراث واسالوا الله من فضله فان خزاينه لا تنفد ولا تتمنوا ما
للناس من الفضل ان الله كان بكل شي عليما فالتفضيل عن علم بمواضع
الاستحقاق قال ابن عيينة لم يامر بالمسالة الا ليعطي وفي الحديث من لم
يسال الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير
عن عبده ويقول لا اعطي عبدي حتى يسالني وسلوا مكي وعلي ولكل المضاف
اليه محذوف تقديره ولكل احد او لكل مال جعلنا موالي وراثا يلونه
ويحرزونه مما ترك الوالدان والاقربون هو صفة مال محذوف اي
من مال تركه الوالدان او هو متعلق بمحذوف دل عليه الموالي تقديره
يرثون مما ترك والذين عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وهو مبتدا
ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو فاتوهم نصيبهم مع الفاء عقدت كوفي
اي عقدت عهودهم ايمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والوراثة

بما ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا اسلم
رجل او امراة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول لآخر واليتك
على ان تعقلني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد
ذلك ويرث الاعلى من الاسفل ان الله كان على كل شيء شهيدا اي هو عالم
الغيب والشهادة وهو ابلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل
الله بعضهم على بعض الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني انما كانوا
مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم
والرمي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة
والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند ابي حنيفة رحمه
الله والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه
وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم
وبما انفقوا من اموالهم وبان نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن
عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول فالصالحات قانتات مطيعات
قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب وهو خلاف
الشهادة اي اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم
بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج بقوله وعاشروهن
بالمعروف او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بحفظ
الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثاني واللاتي تخافون نشوزهن اي
عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع امره فعظوهن خوفوهن
عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبائع النافرة واهجروهن في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت
اللحف وهو كناية عن الجماع او هو ان يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن
المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في
المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران فان اطعنكم
بترك النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا
مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر اي طلبته ان الله كان عليا كبيرا اي انه
على ايديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا
ظلمهن او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم خاطب
الولاة بقوله وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق
الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في
الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على

صاحبه

صاحبه او يميل الى شق اي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر
ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من
اهله رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما وحكما من اهلها وانما كان
بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح ونفوس الزوجين اسكن اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب
والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير في ان يريدا اصلاحا للحكمين
وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت
نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين
الالفة والوفاق والقى في نفوسهما المودة والاتفاق او الضميران للحكمين
اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد او الضميران للزوجين
اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلقي الله
بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة ان الله كان عليما
بارادة الحكمين خبيرا بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا
خلافا لمالك رحمه الله واعبدوا الله قيل العبودية اربعة الوفاء بالعهود
والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود ولا تشركوا به شيئا
صنما وغيره ويحتمل المصدر اي اشراكا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما
احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج وبذي القربى
وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد او الجار
القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي والصاحب بالجنب اي الزوجة
عن علي رضي الله عنه او الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او
شريكا في تعلم علم او غيره او قاصدا الى جنبك في مجلس او مسجد وابن السبيل
الغريب او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب
من كان مختالا متكبرا يانف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم فخورا
يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا الذين يبخلون نصب على
البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من او على الذم او رفع على
انه خبر مبتدا تقديره هم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بالبخل
حمزة وعلي وهما لغتان كالرشد والرشد اي يبخلون بذات ايديهم وبما
في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخيل ان
ياكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا ياكل ولا يؤكل والسخاء ان ياكل
ويؤكل والجود ان يؤكل ولا ياكل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ويخفون
ما انعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفي الحديث اذا انعم الله
على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء
قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى

اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه قيل نزلت
في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا** اي يهانون به في الاخرة **والذين ينفقون اموالهم**
معطوف على الذين او على الكافرين **رئاء الناس** مفعول له اي للفخار وليقال
ما اجودهم لا لابتغاء الله وهم المنافقون او مشركوا مكة **ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** حيث حملهم
على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم لان الشيطان يقرن بهم في
النار **وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله**
واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ
والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضرك لو كنت بارا
وقد علم انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ **وكان الله بهم عليما** وعيد
ان الله لا يظلم مثقال ذرة هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة
وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة **وان تك حسنة** وان يك مثقال
الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة مجازي
على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال **يضاعفها**
يضاعف ثوابها يضعفها مكي وشامي **ويؤت من لدنه اجرا عظيما** ويعط
صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره
مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب
الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة **فكيف** يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود
وغيرهم **اذا جئنا من كل امة بشهيد** يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم **وجئنا
بك** يا محمد **على هؤلاء** اي امتك **شهيدا** حال اي شاهدا على من امن بالايمان
وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا
يومئذ ظرف لقوله **يود الذين كفروا** بالله **وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض** لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم
لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او تصير البهائم ترابا فيودون حالها
تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف احدى التائين من
تتسوى حمزة وعلي وتسوى بادغام التاء في السين مدني وشامي **ولا يكتمون
الله حديثا** مستانف اي لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضي
الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا احدهم ليصلي بهم
المغرب فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد نزل **يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** اي لا تقربوها في هذه الحالة **حتى تعلموا**

ما تقولون اي تقرءون وفيه دليل على ان ردة السكران ليس بردة لان قراءة
سورة الكافرين بطرح اللاءات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان
وما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينه وبين امراته ولا بتجديد
الايمان ولان الامة اجتمعت على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا
لا يحكم بكفره **ولا جنبا** عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب
على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا اي ولا تقربوا جنبا
والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر
الذي هو الاجناب **الا عابري سبيل** صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلاة جنبا
غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين **حتى تغتسلوا** الا ان تكونوا مسافرين
عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء
وهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله وهو مروي عن علي رضي الله عنه
وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلاة اي مواضع الصلاة وهي
المساجد ولا جنبا اي ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابري سبيل اي الا
مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة **وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط** اي المطمئن من الارض وكانوا ياتون
لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث **او لامستم النساء** جامعتموهن كذا عن
علي وابن عباس رضي الله عنهم **فلم تجدوا ماء** تقدرون على استعماله لعدمه
او بعده او فقد الة الوصول اليه او لمانع من حية او سبع او عدو **فتيمموا**
ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل
الجنابة والجزاء الذي هو الامر بالتيمم يتعلق بهم جميعا فالمرضى اذا اعدموا
الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والسفر اذا اعدموه لبعده
والمحدثون واهل الجنابة اذا لم يجدوه فلهم ان يتيمموا التيمم القصد **صعيدا** قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب
عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة
لابتداء الغاية لا للتبعيض **طيبا** طاهرا **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** قيل
الباء زائدة **ان الله كان عفوا** بالترخيص والتيسير **غفورا** عن الخطا والتقصير
الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى
الم تنظر اليهم **الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** حظا من علم التوراة وهم
احبار اليهود **يشترون الضلالة** يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على
اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل **ويريدون
ان تضلوا** انتم ايها المؤمنون **السبيل** اي سبيل الحق كما ضلوه **والله اعلم
باعدائكم** منكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم في
اموركم **وكفى بالله وليا** في النفع **وكفى بالله نصيرا** في الدفع فثقوا بولايته

وتقربه د وتهمزا ولا نبا لوابهم فان الله بنصركم عليهم وبكفيكم مكرهم وَوَليا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب او بيان لاعدايكم وما بينهما اعتراض او يتعلق بقوله نصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا او يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه فقوم مبتدا ويحرفون صفته له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم واقيم صفته مقامه وهو يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا ابدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها وازالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعه عن موضعه في التوراة بوضعهم ادم طوال مكانه ثم ذكرهنا عن مواضعه وفي المايدة من بعد مواضعه يعني عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضته شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك قيل اسروا به واسمع قولنا غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيا وكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا اسبه وكذلك قوله وراعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وطعنا في الدين هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع ولم يلحقوا به غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم وابعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر فلا يؤمنون الا قليلا منهم امنوا كعبد الله بن سلام واصحابه او الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبؤ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا انزل له يا ايها

الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئات ادبارها وهي الاقفا مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها على ادبارها بعد طمسها والمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه روسهم ووجهاوهم اي من قبل ان نغير احوال وجهايهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد الوجهاء او الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يؤمن كلهم وقد امن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الاية قافلا من الشام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان اتى اهله وقال ما كنت ارى ان اصل الى اهلي قبل ان يطمس الله وجهي ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال روسايهم فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود وكان امر الله اي المامور به وهو العذاب الذي وعدوا به مفعولا كاينا لا محالة لا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ان مات عليه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب اي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال عليه السلام من لقي الله تعالى لا يشرك به شيا دخل الجنة ولم يضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال علي كرم الله وجهه ما في القران اية احب الي من هذه الاية وحمل المعتزلة على التايب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما كذب كذبا عظيما استحق به عذابا اليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ولا يظلمون فتيلا قدر فتيل

اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم ... او من يشاء يثابون على تزكيتهم لا ينقص من ثوابهم

وهو ما يخرج بفتل الاصابع من الوسخ انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم عند الله ازكيا وكفى به بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر
اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اليهود يؤمنون بالجبت
اي الاصنام وكلما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان ويقولون للذين
كفروا هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وذلك ان حيي بن اخطب وكعب
بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا
على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم الى
محمد اقرب منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب
انتم اهدى سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم من رحمته ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر
الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون مال غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك اي ملك اهل الدنيا او ملك
الله فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو
مثل في القلة كالفتيل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله بل
ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا
يحسدونهم على ما اتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة وازدياد العز
والتقدم كل يوم فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب اي التوراة والحكمة المواعظ
والفقه واتيناهم ملكا عظيما يعني ملك يوسف وداود وسليمان عليهم
السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل
ما اوتي اسلافه فمنهم من امن به فمن اليهود من امن بما ذكر من حديث ال
ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من امن
برسول الله ومنهم من انكر نبوته واعرض عنه وكفى بجهنم سعيرا للصادين
ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم ندخلهم نارا كلما نضجت جلودهم
احترقت بدلناهم جلودا غيرها اعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل
والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند اهل الحق خلافا للكرامية
وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه
ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك ان الله كان عزيزا
غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما فيما يفعل بالكافرين
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة من الانجاس والحيض والنفاس
وندخلهم ظلا ظليلا هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال

ليل اليل وهو ما كان فينانا لا جوب له ودايما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر
فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات والحكم
بالعدل بقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقيل قد دخل
في هذا الامر اداء الفرايض التي هي امانة الله التي حملها الانسان وحفظ
الحواس التي هي ودايع الله واذا حكمتم بين الناس فيلزم ان تحكموا بالعدل
بالتسوية والانصاف وقيل ان عثمان ابن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة
وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الاية
امر عليا رضي الله عنه ان يرده اليه وقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا
عليه الاية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ان الله نعما يعظكم به ما نكرة
منصوبة موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او موصولة مرفوعة
المحل صلتها ما بعدها اي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في
الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وابو عمرو وبفتح النون وكسر العين
شامي وحمزة وعلي ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا باعمالكم ولما امر الولاة
باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم بقوله يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم او الولاة او
العلما لان امرهم ينفذ على الامرا فان تنازعتم في شيء فاذا اختلفتم انتم
واولو الامر في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه
الى الكتاب والسنة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اي ان الايمان
يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الاية على ان طاعة الامرا واجبة اذا
وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم
الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولي الامر منكم فقال ابو حازم قد نزعت الطاعة
عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اي القران والرسول
في حياته والى احاديثه بعد وفاته ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب
والسنة خير عاجلا واحسن تاويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودي
خصومة فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لبرشوه فاحتكما الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال
اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل عمر واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا اقضي
لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت الفاروق يريدون حال من الضمير في يزعمون
ان يتحاكموا الى الطاغوت اي كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه
في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
اوجعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه
تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم عن الحق ضلالا بعيدا مستمرا الى الموت واذا قيل لهم للمنافقين
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول للتحاكم رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة ليقضي لهم فكيف
يكون حالهم وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة من قتل عمر لبشر
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك
اصحاب القتيل من المنافقين يحلفون بالله حال ان اردنا ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد
مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافقين
يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن
الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه ولم يخطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق
فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فاعرض عن قبول الاعذار وعظ
بالزجر والانكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والانذار او اعرض عن عقابهم
وعظهم في عقابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة
ان يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه وفي انفسهم يتعلق بقل لهم اي قل في معنى
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويوثر
فيهم وما ارسلنا من رسول اي قط رسولا الا ليطاع باذن الله بتوفيقه في طاعته
وتيسيره او بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه
مود عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم اي بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق
معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق فاستغفروا الله من النفاق والشقاق
واستغفر لهم الرسول بالشفاعة لهم والعامل في اذ ظلموا جبرانه وهو جاؤك
والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول
لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل استغفرت لهم
وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله
بمكان رحيما بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على
قبره وحثا من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان
فيما انزل عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقد ظلمت نفسي وجئت

استغفر

استغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك فلا
وربك اي فوربك كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم
وجواب القسم لا يؤمنون او التقدير فلا اي ليس الامر كما يقولون ثم لا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي لا
تضيق صدورهم من حكمك او شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح
له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا ويذعنوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم
نفسه واسلمها اي جعلها سالمة خالصة وتسليما مصدر موكد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل وينقادوا والحكمة انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم
والمعنى لا يكونون مومنين حتى يرضون بحكمك وقضائك ولو انا كتبنا
عليهم على المنافقين اي لو وقع كتبنا عليهم ان اقتلوا ان هي المفسرة
انفسكم اي تعرضوا للقتل بالجهاد او لو وجبنا عليهم مثل ما اوجبنا
على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم بالهجرة ما فعلوه
لنفاقهم والهاء ضمير احد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير
المكتوب لدلالة كتبنا عليهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لحكمه لكان خيرا لهم في
الدارين واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب
لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لاتيناهم
لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما اي ثوابا كثيرا لا ينقطع ولهديناهم صراطا مفعول
ثان مستقيما اي لثبتناهم على الدين الحق ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين كافاضل صحابة الانبيا والصديقين
المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله
بفعله والشهدا والذين استشهدوا في سبيل الله والصالحين ومن صلحت
احوالهم وحسنت اعمالهم وحسن اولئك رفيقا اي وما احسن اولئك
رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ذلك مبتدا
خبره الفضل من الله او الفضل صفة ومن الله خبر والمعنى ان ما اعطى
المطيعون من الاجر العظيم وموافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به
عليهم او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله وكفى بالله عليما بعباده
وبمن هو من اهل الفضل ودلت الاية على ان ما يفعل الله بعباده فهو
فضل بخلاف ما تقوله المعتزلة يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر
والحذر بمعنى وهو التحذر وهما كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ
واحتذر من المخوف كانه جعل الحذر التة التي يقي بها نفسه ويعصم بها
روحه والمعنى احذروا واحتذروا من العدو فانفروا ثبات فاخرجوا
الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات
واحدها ثبة او انفروا جميعا اي مجتمعين او مع النبي عليه السلام لانه

الا قليل منهم قليلا او الا ... على الاستثنا
والرفع بدل من واو فعلوه صح

الجمع بدون السمع لا ينتظم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم او انفروا ثبات
اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا
واللام في وان منكم لمن للابتداء بمنزلتها في ان الله لغفور ومن موصولة وفي
ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم
وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن اي ليتثاقلن
وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ اي تاخر ويقال ما بطأ بك فيعدى
بالبا والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم اي في
الظاهر دون الباطن يعني المنافقين يقولون لم تقتلون انفسكم تانوا
حتى يظهر الامر فان اصابتكم مصيبة قتل او هزيمة قال المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني مثل ما اصابهم ولئن اصابكم
فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة
لا طلبا للمثوبة كان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي كانه لم تكن
وبالياء مكي وحفص بينكم وبينه مودة وهي اعتراض بين الفعل وهو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة
لان المنافقين كانوا يوادون المومنين في الظاهر وان كانوا يبغون لهم
الغوايل في الباطن فافوز بالنصب لانه جواب التمني فوزا عظيما فاخذ من
الغنيمة حظا وافرا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحياة
الدنيا بالاخرة والمراد المومنون الذين يستحبون العاجلة على الاجلة
ويستبدلونها بها اي ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن
القتال فليقاتل الثابتون المخلصون او يشترون والمراد المنافقون
الذين يشترون الحياة الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من
النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله حق
جهاده ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما
وعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده
في اعزاز دين الله وما لكم مبتدا وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه
على الاستبطاء وفي الاثبات للانكار لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل
فيها الاستقرار كما تقول ما لك قايما والمعنى واي شيء لكم تاركين القتال
وقد ظهرت دواعيه والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل الله اي
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او منصوب على الاختصاص اي واخص
من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص
المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه
والمستضعفين هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا
بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد من الرجال
والنساء والولدان ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان
غير المكلفين ارغاما لابايهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون

صبيانهم في دعايهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل
قوم يونس عليه السلام وقال ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من
المستضعفين من النساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية يعني مكة الظالم اهلها الظالم وصف القرية الا انه مسند الى اهلها
فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه
القرية التي ظلم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولى امرنا ويستنقذنا
من اعدائنا واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص
ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح
حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم
احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل عتاب بن اسيد
فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم رغب الله
المومنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداوهم يقاتلون
في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان بقوله الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي الشيطان
فقاتلوا اولياء الشيطان اي الكفار ان كيد الشيطان اي وسوسته
وقيل الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال كان ضعيفا لانه
غرور لا يؤول الى محصول او كيده في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون
مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن
لهم فيه فنزل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا
الصلاة فلما كتب عليهم القتال اي فرض بالمدينة اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله يخافون ان يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله
عليهم باسه لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح
وخوفا من الموت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا
ان ذلك منهم كراهة لحكم الله وامره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة
ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل
خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية هو معطوف
على الحال اي او اشد خشية من اهل خشية الله واو للتخيير اي ان قلت
خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها اشد فانت
مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب هلا امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش
وهو سوال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل
انهم لم يوبخوا على هذا السوال بل اجيبوا بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لمن اتقى متاع الدنيا قليل زايل ومتاع الاخرة كثير دايم والكثير اذا

كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزايل ولا تظلمون فتيلا ولا
تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وبالياء
مكي وحمزة وعلي ثم اخبر ان الحذر لا يغني من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم
الموت ما زايدة لتوكيد معنى الشرط في اين ولو كنتم في بروج حصون او قصور
مشيدة مرفعة وان تصبهم حسنة نعمة من خصب ورخا يقولوا هذه
من عند الله ينسبوها الى الله وان تصبهم سيئة بلية من قحط وشدة يقولوا
هذه من عندك اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك
وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا اصابهم خير حمدوا الله تعالى وان
اصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله بقوله
قل كل من عند الله والمضاف اليه محذوف اي كل ذلك فهو يبسط الارزاق
ويقبضها فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلموا ان الله
هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال ما اصابك يا انسان
خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره
من حسنة من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا وما اصابك
من سيئة من بلية فمن نفسك فمن عندك اي فبما كسبت يداك وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وارسلناك للناس رسولا لا مقدرا حتى
تنسبوا اليك الشدة او ارسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة
وليس اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا بانك رسوله وقيل هذا
متصل بالاول اي لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وحمل
المعتزلة الحسنة والسيئة في الاية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف
بين تنادي عليه ما اصابك اذ يقال في الافعال ما اصبت ولانهم
لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فانى يكون لهم حجة في ذلك
وشهيدا مميز من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر ولا ينهى الا بما
امر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في اوامره ونواهيه طاعة لله ومن تولى
عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ويقولون ويقول المنافقون اذا امرتهم بشيء
طاعة خبر مبتدا محذوف اي امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طايفة منهم دبر وسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره
بالليل او من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة
وعلي غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت
وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة
وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والله يكتب ما يبيتون يثبته في
صحايف اعمالهم ويجازيهم عليها فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام
منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم
اذا قوي امر الاسلام وكفى بالله وكيلا كافيا لمن توكل عليه افلا يتدبرون

القران افلا يتاملون في معانيه ومبانيه والتدبر التامل والنظر في ادبار
الامور وما يؤول اليه في عاقبته ثم استعمل في كل تامل والتفكر تصرف
القلب بالنظر في الدلايل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القران
لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول والامام المعصوم ويدل على صحة القياس
وعلى بطلان التقليد ولو كان من عند غير الله كما زعم الكفار لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا اي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم
او تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا
عنه يمكن معارضته او من حيث المعاني فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق
المخبر عنه وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتيم واما تعلق الملحدة بايات
يدعون فيها اختلافا من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك
لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى
عنها اهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شا الله
تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف هم ناس من ضعفة المسلمين
الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال او المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة وخوف وخلل
اذاعوا به افشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به
والضمير يعود الى الامر او الى الامن او الخوف لان او يقتضي احدهما ولو ردوه
اي ذلك الخبر الى الرسول اي رسول الله والى اولي الامر منهم يعني كبار
الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يومرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى
الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء
او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم
مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا
كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه والنبط الماء
يخرج من البير اول ما يحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ولولا فضل الله عليكم
بارسال الرسول ورحمته بانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم على
الكفر الا قليلا لم يتبعوه ولكن امنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن
ساعدة وغيرهم لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة
واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك
لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو
ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان
واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقا فيها فكره بعض الناس ان
يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه احد لخرج وحده

وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا
التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي بطشهم وشدتهم
وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان
اطماع الكريم اعود من انجاز اللئيم والله اشد بأسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا وهو تمييز كبأسا من يشفع شفاعة حسنة اي الشفاعة
في دفع شر او جلب نفع مع جوازها شرعا يكن له نصيب منها من ثواب
الشفاعة ومن يشفع شفاعة سيئة هي خلاف الشفاعة الحسنة
قال ابن عباس رضي الله عنهما ماله مفسر غيري معناه من امر بالتوحيد
وقاتل اهل الكفر وضده وقال الحسن هو المشي في الصلح وضده النميمة
يكن له كفل منها نصيب وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات
على الشيء اقتدر عليه او حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا
حييتم اي سلم عليكم لان التحية في الدنيا بالسلام في الدارين فسلموا على
انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول
عند اللقاء حياك الله اي اطال حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام
بالسلام بتحية هي تفعلة من حيا يحيي تحية فحيوا باحسن منها
اي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد
وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته
اوردوها اواجيبوها بمثلها ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد
قول المسلم فيه حذف مضاف اي ردوا امثالها والتسليم سنة والرد
فرض والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم
ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة
ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند
مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعند ابي يوسف رحمه الله لا يسلم
على لاعب الشطرنج او النرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام
والعاري من غير عذر في حمام وغيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته
والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب
الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل
باحسن منها لاهل الملة اوردوها لاهل الذمة وعن النبي عليه السلام
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون
السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار في تسليم اي لا يقال عليك
بل عليكم لان كاتبيه معه ان الله كان على كل شيء حسيبا اي محاسبكم على
كل شيء من التحية وغيرها الله مبتدأ لا اله الا هو خبره او اعتراض
والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي
ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم
من القبور او قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين

لاريب فيه هو حال من يوم القيامة والهاء تعود الى اليوم او صفة لمصدر
محذوف اي جمعا لا ريب فيه والهاء تعود الى الجمع ومن اصدق من الله
حديثا تمييز وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه في اخباره
ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء
بخلاف ما هو عليه فما لكم مبتدأ وخبر في المنافقين فئتين اي ما لكم اختلفتم
في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا
القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين
حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما فمعناه لم
قمت ونصبه على تأويل اي شيء يستقر لك في هذه الحالة والله اركسهم
ردهم الى حكم الكفار بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم
ايضا ولا تختلفوا في كفرهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين
من اضل الله من جعله الله ضالا او اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد
اظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين اهل السنة والاية
تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهداية ودوا لو تكفرون كما كفروا
الكاف لمصدر محذوف وما مصدرية اي ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم
فتكونون عطف على تكفرون سواء اي مستوين انتم وهم في الكفر
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا
لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام فان تولوا عن الايمان فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم كما كان حكم سائر المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم اي
ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون
الموالاة بينكم وبينهم ميثاق القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان
من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال اي
قاتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم عطف على
صلة قوم اي الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن
القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين اي الا الذين يتصلون بالمعاهدين
او الذين لا يقاتلونكم حصرت صدورهم حال من اضمار قد والحصر الضيق
والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم اي عن قتالكم او يقاتلوا قومهم
معكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنها

تلقاتلوكم عطف على لسلطهم ودخول اللام للتاكيد فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا الى القتال ستجدون اخرين يريدون
ان يامنوكم بالنفاق ويامنوا قومهم بالوفاق هم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى
قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم
الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم فان لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا اليكم
السلم عطف على لم يعتزلوكم اي ولم ينقادوا اليكم بطلب الصلح ويكفوا ايديهم
عطف عليه ايضا اي ولم يمسكوا عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر
واضرارهم بالمسلمين او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص
اي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم في اباحة دمه الا خطاء الا على وجه
الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اي لكن ان وقع خطا ويحتمل ان يكون
صفة للمصدر اي الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه
وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد بان
يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم ومن
قتل مؤمنا خطا صفة مصدر محذوف اي قتلا خطاء فتحرير رقبة مبتدا
والخبر محذوف اي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق
الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق
الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك
كذا راسا من الرقيق مؤمنة قيل لما اخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحيا
لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق
كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق اثر من اثار الكفر
والكفر موت حكما او من كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف الاحرار
وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب في العمد ايضا لكن يحتمل ان يقال
انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم
يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين
سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث
فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة اشيم
الضبابي من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على
القاتل الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية اي يعفوا عنه والتقدير

فعليه

فعليه دية في كل حال الا في حال التصدق عليه بها فان كان من قوم عدو لكم فان
كان المقتول خطاء من قوم اعداء لكم اي كفرة فالعدو يطلق على الجمع وهو
مؤمن اي المقتول مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعني اذا اسلم الحربي في
دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطا تجب الكفارة بقتله للعصمة
المؤثمة وهو الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم
توجد وان كان اي المقتول من قوم بينكم بين المسلمين وبينهم ميثاق
عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي وان كان المقتول
ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا
فمن لم يجد رقبة اي لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين
فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله اي قبولا من الله ورحمة
منه من تاب عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فليتب
توبة فهو نصب على المصدر وكان الله عليما بما امر حكيما بما قدر ومن
يقتل مؤمنا متعمدا حال من ضمير القاتل اي قاصدا قتله لايمانه وهو
كفر او قتله مستحلا لقتله وهو كفر ايضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
اي ان جازاه قال عليه السلام هي جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به
طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغضب الله عليه ولعنه اي
انتقم منه وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما لارتكابه امرا عظيما
وخطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سرتم في طريق الغزو
فتبينوا فتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي
اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام
وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا في موضع النصب
بالقول روي ان مرداس بن نهيك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم
سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لثقته
باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه
ثم قرا الاية على اسامة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبوا الغنيمة
التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة
البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون
حال من ضمير الفاعل في تقولوا فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم
عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك

كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة
فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم
لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها فمن الله عليكم
بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما
فعل بكم فتبينوا كرر الامر بالتبيين ليوكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون
عن الجهاد من المؤمنين غير اولي الضرر بالنصب مدني وشامي وعلي لانه
استثناء من القاعدين او حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع
غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة
او نحوها والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم عطف على القاعدون
ونفي التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد
عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى
موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون
فاجيب بذلك درجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل
كانه قيل فضلهم تفضيلة كقولك ضربه سوطا ونصب وكلا اي وكل فريق
من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول اول وقوله وعد الله والثاني
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين
على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا
عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة انتصب اجرا بفضل لانه في معنى
اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا وانتصب درجات
نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه اسواطا اي ضربات
واجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة
ورحمة باضمار فعلهما اي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله
تعالى فضل المجاهدين بغير عذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبي اكتفا
بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية وكان الله غفورا بتكفير العذر رحيما
بتوفير الاجر ونزل فيمن اسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج
مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا ان الذين توفاهم الملائكة يجوز
ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذف
التاء الثانية لاجتماع التائين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت
واعوانه ظالمي انفسهم حال من ضمير المفعول في توفاهم اي في حال ظلمهم
انفسهم بالكفر وترك الهجرة قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في
اي شيء كنتم من امر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين
قالوا كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة في الارض ارض مكة فاخرجونا

كارهين

كارهين قالوا اي الملائكة موبخين لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد
التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام فاولئك ماواهم
جهنم وساءت مصيرا خبران فاولئك ودخول الفاء لما في الذين من الابهام
المشابه للشرط او قالوا فيم كنتم والعائد محذوف اي قالوا لهم والاية تدل
على ان من لم يتمكن من اقامة دينه في بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته
في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم
ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء
من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج
منها لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا ولا معرفة لهم بالمسالك
ولا يستطيعون صفة للمستضعفين او الرجال والنساء والولدان
وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف
فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من الله تعالى واجب لان
الكريم اذا اطمع انجز وكان الله عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما مهاجرا وطريقا يراغم
بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان
واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا
فارقته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة في الرزق
او في اظهار الدين او في الصدر لتبدل الخوف بالامن ومن يخرج من بيته
مهاجرا حال من الضمير في يخرج الى الله ورسوله الى حيث امر الله
ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج
فقد وقع اجره على الله اي حصل له الاجر بوعد الله وهو توكيد للوعد
فلا شيء يجب على الله لاحد من خلقه وكان الله غفورا رحيما قالوا كل
هجرة لطلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة
وزهدا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه
الموت في طريقه فقد وقع اجره على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم
فيها فالضرب في الارض هو السفر فليس عليكم جناح حرج ان تقصروا
في ان تقصروا من الصلاة من اعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية
وظاهر الاية يقتضي ان القصر رخصة في السفر والاكمال عزيمة كما قال
الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة
لا في موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال
لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان

بينكم واما الاية فكانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة بان يخطر ببالهم ان عليهم
نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي خشيتم ان يقصدكم الكفار بقتل
او جرح او اخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند
الجمهور ليس بشرط لما روي عن يعلى ابن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر
وقد امنا فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
وفيه دليل على انه لا يجوز الاكمال في السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك
اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق ممن لا يلزم طاعته كولي
القصاص اذا عفا فممن تلزم طاعته اولى ولان حالهم حين نزول الاية
كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان اردن تحصنا دليله قراءة
عبد الله من الصلاة ان يفتنكم اي لئلا يفتنكم على ان المراد بالاية قصر
الاحوال وهو ان يومي على الدابة عند الخوف او يخفف القراءة والركوع
والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا فتحرزوا عنهم واذا كنت يا محمد فيهم في اصحابك
فاقمت لهم الصلاة فاردت ان تقيم بهم الصلاة بظاهره تعلق ابو
يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الايمة
نوابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له
متناولا لكل امام كقوله خذ من اموالهم صدقة دليله فعل الصحابة رضي
الله عنهم بعده عليه السلام فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احدهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو وليأخذوا
اسلحتهم اي الذين تجاه العدو وعن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان
المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة
كالسيف والخنجر ونحوهما فاذا سجدوا اي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود
على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة فليكونوا من ورائكم اي اذا
صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا في موضع رفع صفة لطائفة فليصلوا معك
اي ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية
وليأخذوا حذرهم ما يتحذرون به من العدو كالدرع ونحوه واسلحتهم
جمع سلاح وهو ما يقاتل به اخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله
وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم ان تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا في ان تضعوا اسلحتكم وخذوا
حذركم رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم

من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم بعد ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا
فيهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اخبر انه يهين
عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم
وانه هو تعبد من الله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فرغتم منها فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي دوموا على ذكر الله في جميع الاحوال
او فاذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم
عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود فاذا اطمانتم سكنتم
بزوال الخوف فاقيموا الصلاة فاتموها بطائفة او اذا اقمتم فاتموا ولا تقصروا
او اذا اطمانتم بالصحة فاتموا القيام والقعود والركوع والسجود ان الصلاة
كانت على المومنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا باوقات معلومة ولا
تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تالمون فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون اي ليس ما تجدون من الالم
بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اجدر
منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على ساير
الاديان ومن الثواب العظيم في الاخرة وكان الله عليما بما يجد المومنون
من الالم حكيما في تدبير امورهم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر
سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن
صاحبهم فقالوا ان لم يفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق اي محقا لتحكم بين الناس بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك
وقال الشيخ ابو منصور بما الهمك الله بالنظر في الاصول المنزلة وفيه
دلالة جواز الاجتهاد في حقه واستغفر الله مما هممت به ان الله كان
غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية
جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد
به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق او ذكر بلفظ
الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته ان الله لا يحب من كان خوانا
اثيما وانما قال بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة انه مفرط
في الخيانة وركوب الماثم وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد

ونقب حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله وقيل اذا عثرت
من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع
يد سارق فجاءت امه تبكي وهي تقول هذه اول سرقة سرقها فاعف
عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون
من الناس حيا منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف
من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحيا والخشية
من ربهم مع علمهم انهم في حضرته لا سترة ولا غيبة اذ يبيتون يدبرون
واصله ان يكون ليلا ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي
بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان
الكلام هو المعنى القايم بالنفس حيث سمى التدبير قولا وكان الله بما يعملون
محيطا عالما علم احاطة ها انتم هولاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا
وخبر جادلتم خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض
الاسخيا انت حاتم تجود بمالك او اولاء اسم موصول بمعنى الذين
وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه في
الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم في الاخرة
اذا اخذهم الله بعذابه وقرى عنه اي عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا
حافظا ومحاميا من امر الله وعذابه ومن يعمل سوءا ذنبا دون الشرك
او يظلم نفسه بالشرك او سوءا قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل
طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
ثم يستغفر الله يسال مغفرته يجد الله غفورا رحيما له وهذا بعث
لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه
لان وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب بالذنب غير فاعله ومن
يكسب خطية صغيرة او اثما كبيرة او الاول ذنب بينه وبين ربه
والثاني ذنب من مظالم العباد ثم يرم به بريا كما رمى طعمة زيدا فقد
احتمل بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ذنبا ظاهرا لانه بكسب الاثم اثم
وبرمي البري باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من
قيل عليه ما لا علم له به ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته ولطفه
من الاطلاع على سرهم لهمت طايفة منهم من بني ظفر والمراد بالطايفة
بنو ظفر والضمير في منهم يعود الى الناس ان يضلوك عن القضاء بالحق
وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم وما يضلون الا انفسهم
لان وباله عليهم وما يضرونك من شي لانك انما عملت بظاهر الحال وما
كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب
القران والحكمة والسنة وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين والشرايع
ومن خفيات الامور وضماير القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما

علمك

علمك وانعم عليك لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر
بصدقة الا نجوى من امر وهو مجرور بدل من كثير او من نجواهم او
منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير
او معروف اي قرض او اغاثة ملهوف او جميل او المراد بالصدقة
الزكاة وبالمعروف التطوع او اصلاح بين الناس اي اصلاح ذات البين
ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء مرضات الله طلب رضا الله وخرج عنه
من فعل ذلك ريا او ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من
امر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به
على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة الخير كان الفاعل فيهم ادخل
ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم
او المراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل فسوف نوتيه اجرا عظيما
يوتيه ابو عمرو وحمزة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ويتبع غير سبيل
المومنين اي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على ان الاجماع
حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع
بين اتباع سبيل المومنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاوه
الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا ونصله جهنم
في العقبى وساءت مصيرا قيل هي في طعمة وارتداده ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مر تفسيره في هذه السورة ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الصواب ان يدعون من دونه
الا اناثا ما يعبدون من دون الله الا اناثا جمع انثى وهي اللات والعزى
ومناة ولم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه
انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وان
يدعون ما يعبدون الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام
فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا خارجا عن الطاعة عاريا عن
الخير ومنه الامرد لعنه الله وقال لاتخذن صفتان يعني شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لي من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله
ولاضلنهم ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة والدعا الى الضلالة
والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل ولامنينهم
ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال
ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع والتبتيك التكثير
والتكرير اي لاحملنهم على ان يقطعوا اذان الانعام وكانوا يشقون
اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على

انفسهم الانتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله بفقاء عين الحامي
واعفائه من الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني ادم
او بالوشم او بنفي الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد
او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل فطرة الله التي هي دين
الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله واجاب الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين
يعدهم يوسوسهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويمنيهم
ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا هو ان يرى شيئا يظهر خلافه
اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومفرا والذين امنوا
وعملوا الصالحات ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ النخعي سيدخلهم وعد الله
حقا مصدران الاول موكد لنفسه والثاني موكد لغيره ومن اصدق من
الله قيلا قولا وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه وهو تاكيد
ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة
لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس بامانيكم ليس الامر على شهواتكم
واماتيكم ايها المشركون ان تنفعكم الاصنام ولا اماني اهل الكتاب
ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
لن تمسنا النار الا اياما معدودة من يعمل سوءا يجز به اي من المشركين
واهل الكتاب بدليل قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن وقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية
لبيان الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان
فاولئك يدخلون الجنة يدخلون مكي وابو عمرو وابو بكر ولا يظلمون
نقيرا قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال
السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره عند احد الفريقين
دليلا على ذكره عند الاخر وقوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل
من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة
واحاطت به خطيئته وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيب
قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا معبودا
سواه وهو محسن عامل للحسنات واتبع ملة ابراهيم حنيفا مائلا
عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله
ابراهيم خليلا هو في الاصل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك
في خلالك او يداخلك خلال منازلك او يسد خللك كما تسد خلله فالخلة
صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة اصفى لانها من

حبة

حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث
جمة وفائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لانه من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على ما قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم
خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس
نيام وقيل اوحي اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب ان تعطي ولا
تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسالهم وفي قوله ولله ما في
السموات وما في الارض دليل على ان اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه
لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك وكان الله بكل شيء محيطا عالما
ويستفتونك في النساء ويسالونك الافتاء في النساء والافتاء تبيين
المبهم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء
اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب اي القران في معنى اليتامى يعني
قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد
وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير في يفتيكم او على
لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز
ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم
يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان
كانت دميمة عضلها من التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان
تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن لدمامتهن
والمستضعفين من الولدان اي اليتامى وهو مجرور معطوف على
يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور
دون الاطفال والنساء وان تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين
بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا او منصوب
بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم بالقسط بالعدل في ميراثهم ومالهم وما تفعلوا من خير
شرط وجوابه فان الله كان به عليما اي فيجازيكم عليه وان امراة خافت
من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته
والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب او
ضرب او اعراضا عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن او دمامة
او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما كوفي يصالحا غيرهم اي يتصالحا وهو اصله فابدلت
التاء صادا وادغمت صلحا في معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح
ان يتصالحا على ان تطيب له نفسها عن القسمة او عن بعضها او تهب له بعض
المهر او كله او النفقة والصلح خير من الفرقة او من النشوز او من الخصومة

في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة
اعتراض كقوله واحضرت الانفس الشح اي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها
ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المراة لا تكاد تسمح
بقسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد
منهما يطلب ما فيه راحته واحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس
ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق
الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان
الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم عليه وكانت
عمران الخارجي من اذم بني ادم وامراته من اجملهم فنظرت اليه وقالت
الحمد لله على اني انا واياك من اهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت
مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولن تستطيعوا العدل بين النساء
والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل ان يسوي بينهن بالقسمة والنفقة
والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة وقيل معناه ان تعدلوا في
المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما
املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله
عنها كانت احب اليه ولو حرصتم بالغتم في تحري ذلك فلا تميلوا كل الميل
فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها
يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه وان وقع منكم التفريط
في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما
يضاف اليه فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة
وان تصلحوا بينهن وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ميل
قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم وان يتفرقا اي ان لم يصطلح الزوجان على شيء
وتفرقا بالخلع او بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها يغن الله
كلا كل واحد منهما من سعته من غناه اي يرزقه زوجا خيرا من زوجه
وعيشا اهنأ من عيشه وكان الله واسعا بتحليل النكاح حكيما بالاذن
في السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني المقتدر ثم بين غناه
وقدرته بقوله ولله ما في السموات وما في الارض خلقا والمتملكون عبيده
رقا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب هو اسم للجنس فيتناول الكتب
السماوية من قبلكم من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا او باوتوا
واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله بان اتقوا ويكون ان المفسرة
لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصي
الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وان
تكفروا عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم

ولكم

ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا عن
خلقه وعن عبادتهم حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد
وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه
لان الخلق لما كانوا كلهم له وهو خالقهم ومالكهم فحقه ان يكون مطاعا
في خلقه غير معصي وفيه دليل على ان التقوى اصل الخير كله وقوله وان
تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على
غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله ان يشا يذهبكم يعدمكم ايها الناس
ويات باخرين ويوجد انشاء غيركم اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس
وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فماله
يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما وكان الله سميعا للاقوال
بصيرا بالافعال وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء خبر بعد خبر لله اي
تقيمون شهاداتكم لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على
انفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة
عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك
جميعها في الاخبار عن حق لاحد على احد غير ان الدعوى اخبار عن حق
لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير
او الوالدين والاقربين اي ولو كانت الشهادة على ابائكم وامهاتكم
واقاربكم ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا
لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير او
بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه ان يوحد لان المعنى
ان يكن احد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا وهو
جنس الغني والفقير كانه قيل فالله اولى بجنس الغني والفقير فلا تتبعوا
الهوى ارادة ان تعدلوا عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين
الناس من العدل وان تلوا بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية
او تعرضوا اي وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها غيرهما
تلووا بواوين وسكون اللام من اللي اي وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وتعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب
للمسلمين امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه او لاهل الكتاب لانهم
امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اي يا ايها الذين
امنوا نفاقا امنوا اخلاصا بالله ورسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
والكتاب الذي نزل على رسوله اي القران والكتاب الذي انزل من قبل

اي جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه
نزل وانزل مكي وشامي وابو عمرو وعلى البنا للفاعل فيهما غيرهم وانما
قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين
سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر اي من يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه
كفر بكله ان الذين امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بموسى
بعد عوده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا الى النجاة او الى الجنة
او هم المنافقون امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى وازدياد
الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله بشر المنافقين اي اخبرهم
ووضع بشر مكانه تهكما بهم بان لهم عذابا اليما مؤلما الذين نصب على الذم
او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون
منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم امر محمد عليه السلام فان العزة لله جميعا
ولمن اعزه كالنبي والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد
نزل عليكم بفتح النون عاصم وبضمها غيره في الكتاب القران ان اذا سمعتم
ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقران والخوض
الشروع ان مخففة من الثقيلة اي انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن
كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع
الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما
نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر
القران في مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا
خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة
فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة انكم اذا مثلهم
اي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان خوض
المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا لاجتماعهم بالكفر والاستهزاء الذين بدل من
الذين يتخذون او صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم
ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله
نصر وغنيمة قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاشركونا في الغنيمة وان كان
للكافرين نصيب سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لانه امر عظيم
تفتح له ابواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لمظة
من الدنيا يصيبونها قالوا للكفار الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن

من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة ونمنعكم من
المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم فالله
يحكم بينكم ايها المؤمنون والمنافقون يوم القيامة فيدخل المنافقين
النار والمؤمنين الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
اي في القيامة بدليل اول الاية كذا عن علي رضي الله عنه او حجة كذا عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان المنافقين يخادعون الله اي يفعلون ما يفعل
المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر فالمنافق من اظهر الايمان
وابطن الكفر واولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه
تشريفا لهم وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع
حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته
وكنت اخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى متثاقلين كراهة اما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع
كسلان كسكارى في سكران يراؤن الناس حال اي يقصدون بصلاتهم
الرياء والسمعة والمراءاة مفاعلة من الرؤية لان المرائي يريهم عمله
وهم يرونه استحسانا ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا
لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس او لا يذكرون الله بالتسبيح
والتهليل الا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان
كثيرا مذبذبين نصب على الذم اي مترددين يعني ذبذبهم الشيطان
والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة
المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يدفع فلا يقر في جانب واحد
الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب بين ذلك بين الكفر والايمان
لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة في تعذيبكم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار اي في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع
دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وانما
كان المنافق اشد عذابا من الكافر لانه امن السيف في الدنيا فاستحق
الدرك الاسفل في العقبى تعديلا ولانه مثله في الكفر وضم الى الكفر
الاستهزاء بالاسلام واهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الاعشى وبفتح
الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء ولن تجد لهم
نصيرا يمنعهم من العذاب الا الذين تابوا من النفاق وهو استثناء من
الضمير المجرور في ولن تجد لهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم

في خالص النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون المخلص
واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما فيشاركونهم فيه وحذفت اليا في الخط هنا اتباعا للفظ ثم
استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم لله وامنتم به فما منصوبة بيفعل اي اي شي يفعل بعذابكم والايمان
معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عنادا
فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى
ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما
فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان
الشكر متقدما على الايمان وكان الله شاكرا يجزيكم على شكركم او يقبل اليسير
من العمل ويعطي الجزيل من الثواب عليما عالما بما تصنعون لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر ولكن الجهر افحش الا من ظلم الا جهر من
ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم
ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر من القول هو الشتم الا من ظلم فانه
ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله سميعا لشكوى
المظلوم عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء
وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر
ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو فقال ان تبدوا خيرا مكان جهر السوء
او تخفوه تفعلوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال او تعفوا عن سوء
اي تمحوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي انه لم يزل عفوا عن الاثام مع قدرته
على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والانجيل والقران وكالنصارى كفروا بمحمد
والقران ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي دينا وسطا بين الايمان
والكفر ولا واسطة بينهما اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر
لان الكفر بواحد كفر بالكل حقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله
حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر
الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا في الاخرة والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم وانما جاز دخول بين على احد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما اولئك سوف نؤتيهم وبالياء حفص اجورهم اي الثواب
الموعود لهم وكان الله غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات والاية
تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب للكبيرة لانه اخبر ان من

امن

امن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم سيدخله تحت الوعد وعلى بطلان
قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان
الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما في الازل ثم صار
غفورا رحيما ولما قال فنحاص واصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتى به موسى نزل يسالك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم وبالتخفيف مكي وابو عمرو كتابا من السما اي جملة
كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن
ولو سالوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القران جملة ممكن فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه
منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان كان
وجد من ابائهم في ايام موسى عليه السلام وهم النقبا السبعون لانهم كانوا
على مذهبهم وراضين بسؤالهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارنا نره
جهرة فاخذتهم الصاعقة العذاب الهايل او النار المحرقة بظلمهم على انفسهم
بسؤال شي في غير موضعه وبالتحكم على نبيهم في الايات وتعنتهم في سؤال
الروية لا بسؤال الروية لانها ممكنة كانزال القران جملة ولو كان ذلك
بسبب سؤال الروية لكان موسى بذلك احق فانه قال رب ارني انظر
اليك وما اخذته الصاعقة بل اطمعه وقيده بالممكن ولا يتعلق بالممكن
الا ما هو ممكن الثبوت ثم احياهم ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما
جاءتهم البينات التوراة والمعجزات التسع فعفونا عن ذلك تفضلا
ولم نستاصلهم واتينا موسى سلطانا مبينا حجة ظاهرة على من خالفه
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه
وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا اي ادخلوا باب ايليا
مطاطئين عند الدخول رؤسكم وقلنا لهم لا تعدوا لا تجاوزوا الحد تعدوا
ورش تعدوا باسكان العين وتشديد الدال مدني غير ورش وهما مدغما
تعتدوا وهي قراءة ابي لانه ادغم التاء في الدال وبقي العين ساكنة في رواية
وفي رواية بنقل فتحة التاء الى العين في السبت باخذ السمك واخذنا منهم
ميثاقا غليظا عهدا موكدا فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتاكيد والبا
تتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم
ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم
ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف
عليه من الكفر وقتل الانبيا وغير ذلك وكفرهم بايات الله اي معجزات
موسى عليه السلام وقتلهم الانبيا كزكريا ويحيى وغيرهما بغير حق بغير
سبب يستحقون به القتل وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي محجوبة
لا يتوصل اليها شي من الذكر بل طبع الله عليها بكفرهم هو رد وانكار
لقولهم قلوبنا غلف فلا يؤمنون الا قليلا كعبد الله بن سلام واصحابه

ويكفرهم معطوف على فبما نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر
منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليه السلام عطف
بعض كفرهم على بعض وقولهم على مريم بهتانا عظيما هو النسبة الى
الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح سمي مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه
بالبركة فهو ممسوح او لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرئ
فسمي مسيحا بمعنى الماسح عيسى بن مريم رسول الله هم لم يعتقدوه
رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه به وان لم يقولوا ذلك
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من
سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السما ويطهره من صحبة اليهود
فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل
كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت
عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم
يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون
وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن
وقع التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل
ولكن شبه لهم من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه في عيسى يعني اليهود
قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا او اختلف النصارى قالوا
اله وابن اله وثالث ثلاثة لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثنا منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون
الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح احد الجانبين ثم وصفوا
بالظن وهو ان يترجح احدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم به من علم ولكن
ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه اي في
قتله لفي شك منه اي من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا
او ما قتلوه متيقنين او ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تاكيدا لقوله وما
قتلوه حق انتفاء قتله حقا بل رفعه الله اليه الى حيث لا حكم فيه لغير
الله او الى السما وكان الله عزيزا في انتقامه من اليهود حكيما فيما دبر
من رفعه اليه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن به
جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من
اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله

يعني

يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف
او الضميران لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى
وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السما
في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام او الضمير في به يرجع الى الله او الى محمد عليه
السلام والثاني الى الكتابي ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد
على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهي ما ذكرنا في سورة الانعام
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات
الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا وبصدهم عن سبيل الله وبمنعهم
عن الايمان كثيرا خلقا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه
كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه واكلهم اموال الناس
بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون من
امن عذابا اليما في الاخرة لكن الراسخون في العلم اي الثابتون فيه المتقنون
كابن سلام واضرابه منهم من اهل الكتاب والمؤمنون اي المؤمنون منهم
او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتدا يؤمنون
خبره بما انزل اليك اي القران وما انزل من قبلك اي ساير الكتب والمقيمين
الصلاة منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفي مصحف عبد الله والمقيمون
وهي قراءة مالك بن دينار وغيره والمؤتون الزكاة مبتدا والمؤمنون بالله
واليوم الاخر عطف عليه والخبر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما وبالياء حمزة
انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان شانه في
الوحي اليه كشان ساير الانبيا الذين سلفوا كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم واوحينا الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط اي اولاد يعقوب وعيسى وايوب ويونس
وهارون وسليمان واتينا داود زبورا زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول
سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام ورسلا نصب بمضمر في معنى
اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا قد قصصناهم عليك من قبل من قبل
هذه السورة ورسلا لم نقصصهم عليك سال ابو ذر رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الفا
قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر اول الرسل ادم واخرهم
نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم والاية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم
ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم جميعا اذ لو كان
معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك وكلم الله موسى تكليما
اي بلا واسطة رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح

اي اعني رسلاً ويجوز ان يكون بدلا من الاول وان يكون مفعولا اي وارسلنا
رسلا واللام في لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يتعلق بمبشرين
ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب
الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرايع اعني
في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما تدرك بالعقل
وكان الله عزيزا في العقاب على الانكار حكيما في بعث الرسل للانذار ولما
نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا نزل لكن الله يشهد بما انزل
اليك ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوي بالبينات اذ الحكيم لا يويد الكاذب بالمعجزة انزله بعلمه
اي انزله وهو عالم بانك اهل بانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم
من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه اثبت
لنفسه العلم والملائكة يشهدون لك بالنبوة وكفى بالله شهيدا شاهدا
وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بتكذيب محمد عليه السلام وهم اليهود
وصدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا
لا نجده في كتابنا قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الرشد ان الذين كفروا بالله
وظلموا محمدا بتغيير نعته وانكار نبوته لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا
على الكفر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على
الله يسيرا وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير يقدّرون فيها خالدين
وهو حال مقدرة والايتان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون
على الكفر يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم اي بالاسلام او
هو حال اي محقا فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر
وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعن الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم
على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر
والتثليث وهو الايمان به والتوحيد وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض فلا يضره كفركم وكان الله عليما بمن يومن وبمن يكفر حكيما
لا يسوي بينهما في الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لا تجاوزوا الحد فغلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى
في رفعه عن مقداره حتى جعلوه ابن الله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو
تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله رسول الله
خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى عطف بيان او بدل وكلمته عطف على رسول
الله وقيل له كلمة لانه يهتدي به كما يهتدي بالكلام القاها الى مريم وقد
معه مرادة اي اوصلها اليها وحصّلها فيها وروح معطوف على الخبر ايضا
وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمي القران روحا بقوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا لما انه يحيي القلوب منه اي بتخليقه وتكوينه كقوله

تعالى

تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وبه اجاب علي بن
الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حيث زعم ان
في كتابكم حجة على ان عيسى ابن الله فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة
خبر مبتدا محذوف اي ولا تقولوا الالهة ثلاثة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم والذي يدل عليه القران التصريح منهم بان الله والمسيح
ومريم ثلاثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله انما الله مبتدا اله خبره واحد توكيد سبحانه ان يكون له ولد
اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض بيان
لتنزهه بما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض
ملكه جزءا منه اذ النبوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح في الاجسام
وهو يتعالى عن ان يكون جسما وكفى بالله وكيلا حافظا ومدبرا لهما ولما
فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واي شيء اقول
قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله
قالوا بلى نزل لن يستنكف المسيح اي لن يانف ان يكون عبدا لله يورد
على النصارى ولا الملائكة رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على
المسيح المقربون الكروبيون الذين حول العرش لجبريل وميكائيل واسرافيل
ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف
ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل
الملك على البشر بهذه الاية قالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان
لا يستنكف عن خدمتي ولا ابوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله
ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا ويدل
عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثاني على الاول لكن هذا
لا يمس ما تنازعنا فيه لان الاية تدل على ان الملائكة المقربين باجمعهم افضل
من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملائكة المقربين افضل من رسول واحد
من البشر الى هذا ذهب بعض اهل السنة ولان المراد ان الملائكة مع ما لهم
من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد
الازدواجي راسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن تولد من اخر لا يقدر
على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم
وغرابة التكون هي التي تورث الحمقاء امثال النصارى وهم الترفع عن
العبودية حيث راوا المسيح ولد من غير اب وهو يبرئ الاكمه والابرص
ويحيي الموتى وينبي بما ياكلون ويدخرون في بيوتهم فبراوه عن العبودية
فقيل لهم هذه الاوصاف في الملائكة اتم منها في المسيح ومع هذا لم
يستنكفوا من العبودية فكيف المسيح والحاصل ان خواص البشر وهم الانبيا

عليهم السلام افضل من خواص الملايكة وهم الرسل منهم لجبريل وميكايل وعزرايل
ونحوهم وخواص الملايكة افضل من عوام المومنين من البشر وعوام المومنين
من البشر افضل من عوام الملايكة ودليلنا على تفضيل الملك على الملك
ابتداء انهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها
فضاهت الانبيا عليهم السلام الملايكة في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر
البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم اشق لكونها
مع الصوارف بخلاف طاعة الملايكة لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد ثوابا
بالحديث ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع ويطلب الكبريا
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل
فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق
للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت
هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج
عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة
التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في
التفصيل في قوله بعد هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني ان
الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين
وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم اي
رسول يبهر المنكر بالاعجاز وانزلنا اليكم نورا مبينا قرانا يستضاء به
من ظلمات الحيرة فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به بالله او بالقران
فسيدخلهم في رحمة منه اي جنة وفضل زيادة النعمة ويهديهم
ويرشدهم اليه الى الله تعالى او الى الفضل او الى صراطه صراطا مستقيما
فصراطا حال من المضاف المحذوف يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
كان جابر ابن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة ان هلك امرؤ غير
ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن
يسقط الاخت ولا تسقطها البنت وله اخت اي لاب وام او لاب فلها نصف
ما ترك اي الميت وهو يرثها اي الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر
الامر على العكس من موتها وبقايه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن
يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره
في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفا الولد ووكل
حكم انتفا الولد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرايض

باهلها

باهلها فما ابقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ فان كانتا اثنتين
اي فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله اخت فلهما الثلثان
مما ترك وان كانوا اخوة اي وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة
والاخوات تغليبا لحكم الذكورة رجالا ونساء ذكورا واناثا فللذكر منهم
مثل حظ الانثيين يبين الله لكم الحق فهو مفعول يبين ان تضلوا كراهة
ان تضلوا والله بكل شيء عليم يعلم الاشيا بكنهها قبل كونها وبعده
سورة المايدة وتسمى العقود مدنية وهي ماية وعشرون اية كوفي
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
يقال وفى بالعهد واوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه
وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب
التكليف او ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر انها عقود الله
عليهم في دينهم من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم
عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل ذات
اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم
فضة ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة
الانعام الظبا وبقر الوحش ونحوها الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وهو قوله
حرمت عليكم الميتة الاية غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم اي احلت لكم
هذه الاشيا لا محلين الصيد وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل
احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم عن الصيد وانتم محرمون لئلا نضيق
عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام
او من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعاير الله جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما
للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي
علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر
ولا الشهر الحرام اي شهر الحج ولا الهدي هو ما اهدي الى البيت وتقرب به
الى الله من النسايك وهو جمع هدية ولا القلايد جمع قلادة وهي ما قلد
به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحا شجر او غيره ولا امين البيت
الحرام ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال
هذه الاشيا ان يتهاون بحرمة الشعاير وان يحال بينها وبين المتنسكين
بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي
بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلايد فجاز ان يراد بها ذوات
القلايد وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص لانها اشرف الهدي كقوله
وجبريل وميكايل كانه قيل والقلايد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن التعرض
لقلايد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي اي ولا تحلوا قلايدها
فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة

في النهي عن ابداء مواقعها يبتغون حال من الضمير في آمين فضلا من ربهم
اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما
لهم واذا حللتم خرجتم من الاحرام فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد
حظره عليهم بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم ولا يجرمنكم شنآن قوم ان
صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول
واحد واثنين تقول جرم ذنبا كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه
واول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم متعلق
بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامي وابو بكر
والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم
على الشرط مكي وابو عمرو ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة
رسول الله والمومنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام
منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي او البر فعل المامور
والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المامور والعدوان فعل المحظور
ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول
بعمومه العفو والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب لمن
عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان اهل الجاهلية ياكلونه فقال حرمت
عليكم الميتة اي البهيمة التي تموت حتف انفها والدم اي المسفوح
وهو السائل ولحم الخنزير وكله نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود
وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم
اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او
انخنقت بالشبكة او بغيرها والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا
او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت
والنطيحة المنطوحة وهي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل
السبع بعضه وماتت بجرحه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو
يضطرب اضطراب المذبوح فالاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها
فانه اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت وما ذبح على النصب
كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك
يتقربون به اليها تسمى الانصاب واحدها نصب او هو جمع والواحد نصاب
وان تستقسموا بالازلام في موضع الرفع بالعطف على الميتة اي حرمت
عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالازلام وهي المعلمة واحدها
زلم وزلم كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او نحو
ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب امرني ربي وعلى الاخر
نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضى لحاجته وان خرج الناهي
امسك وان خرج الغفل اعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة

ما قسم

ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول
المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التاويلات
رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يامر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا
كما كان تفعل اولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على
احكام الله ويجوز ان يجعل الله تعالى في النجوم معاني واعلاما يدرك بها
الاحكام ويستخرج بها الاشيا ولا لائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم
على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصبا المعلومة
ذلكم فسق اي الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل ان يعود
الى كل محرم في الاية اليوم ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه
الان وهذا كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الان وقيل اريد يوم نزولها
وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه او يئسوا من دينكم ان يغلبوه
لان الله تعالى وفى بوعده في اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد
اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا
غالبين واخشون بغير يا في الوصل والوقف اي اخلصوا لي الخشية
اليوم ظرف لقوله اكملت لكم دينكم بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم
عليهم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه
او اكملت ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف
على شرائع الاسلام وقوانين القياس واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة
ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم ورضيت لكم
الاسلام دينا حال اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين
المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فمن اضطر متصل
بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذا
ما بعده لان تحريم هذه الخبايث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضي دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة
او الى غيرها في مخمصة مجاعة غير حال متجانف لاثم مائل الى اثم
اي غير متجاوز سد الرمق فان الله غفور لا يواخذه بذلك رحيم باباحة
المحظور للمعذور يسالونك في السوال معنى القول ولذا وقع بعده
ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا
حكاية لما قالوا لان يسالونك بلفظ الغيبة كقولهم اقسم زيد ليفعلن
ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل لهم خبره
كقولك اي شي احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي
عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم منها فقال
قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه
في كتاب او سنة او اجماع او قياس وما علمتم عطف على الطيبات

أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية
وجوابها فكلوا **من الجوارح** أي الكواسب للصيد من سباع البهائم
والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي والشاهين وقيل
هي من الجراحة فيشترط للحل الجرح **مكلبين** حال من علمتم وفائدة هذه
الحال مع أنه استغني عنها بعلمتم أن يكون من تعلم الجوارح موصوفا
بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لأن
التأديب في الكلاب أكثر أشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن
السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله
الأسد **تعلمونهن** حال أو استيناف ولا موضع له وفيه دليل على أن كل
آخذ علما أن لا يأخذه إلا من انحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن
قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله **مما علمكم الله** من علم
التكليب **فكلوا مما أمسكن عليكم** الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه
فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان صيد كلب ونحوه فأما صيد البازي ونحوه
فأكله لا يحرمه وقد عرف في موضعه والضمير في **واذكروا اسم الله عليه**
يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما
علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله **واتقوا الله** واحذروا
مخالفة أمره في هذا كله **إن الله سريع الحساب** إنه محاسبكم على
أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث **اليوم** الآن **أحل لكم الطيبات** كرره
تأكيدا للمنة **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** أي ذبائحهم لأن
ساير الأطعمة لا يختص حلها بالملة **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم
أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم
والمحصنات من المؤمنات هي الحراير أو العفايف وليس هذا الشرط
لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصح نكاح الإماء من المسلمات
ونكاح غير العفايف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو
معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من
المؤمنات حل لكم **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**
هي الحراير الكتابيات أو العفايف الكتابيات **إذا آتيتموهن أجورهن**
أعطيتموهن مهورهن **محصنين غير مسافحين** متزوجين غير زانين
ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى **ومن يكفر**
بالإيمان بشرايع الإسلام وما أحل الله وحرم **فقد حبط** بطل **عمله**
وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله فإذا
قرأت القرآن أي إذا أردت أن تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل
بالفعل لأن الفعل مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس
رضي الله عنهما أو من النوم لأنه دليل الحدث وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم والخلفاء يتوضؤون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا
أول ما فرض ثم نسخ **وأيديكم إلى المرافق** إلى تفيد معنى الغاية أما دخولها
في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج فنظرة
إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت
الميسرة فيه لكان منظرا في الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام
إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت
القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله
تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم لأنه لا يسرى به إلى
بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق لا دليل فيه على أحد الأمرين
فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وأبو داود
بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي عليه السلام أنه كان يدير الماء على مرفقيه
وامسحوا برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب
والشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية
بربع الراس **وأرجلكم إلى الكعبين** بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص
والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين
وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير وغيرهم بالجر بالعطف على الرؤوس
لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها
فكانت مظنة للإسراف المنهي عنه فعطفت على الممسوح لا للمسح ولكن
لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء
بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم يضرب له غاية
في الشريعة وقال جامع العلوم إنها مجرورة للجوار وقد صح أنه عليه
السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للأعقاب من النار
وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ
التي يتصل بها لأنها تبدو وأكثر والصلاة خدمة الله والقيام بين يديه
متطهرا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في
الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل إن الأولى أن يصلي
الرجل في أحسن ثيابه وأن الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف
الراس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم **وإن كنتم جنبا فاطهروا** فاغسلوا
أبدانكم **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم** قال الرازي معناه
وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث **من الغائط** المكان
المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة **أو لامستم النساء** جامعتم **فلم تجدوا**
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله

ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في باب التيمم ولكن
يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم
بالاسلام ولعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فتقبلوا
وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان
واتقوا الله في نقض الميثاق ان الله عليم بذات الصدور بسرائر الصدور
من الخير والشرور وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا تحملنكم
بغض قوم على ترك العدل فيهم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل
اقرب الى التقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف
فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه
الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع
الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه
واتقوا الله فيما امر ونهى ان الله خبير بما تعملون وعد ووعيد ولذا ذكر
بعد اية الوعد وهو قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعد
يتعدى الى مفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف استغنى عنه
بالجملة التي هي قوله لهم مغفرة واجر عظيم والوعيد وهو قوله والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي ملازموها يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان والختنان يستقرضهم
دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا
بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
يده ونزل جبريل فاخبره بذلك فخرج النبي عليه السلام ونزلت الاية
اذ ظرف للنعمة ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل يقال بسط
اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به فكف ايديهم
عنكم فمنعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فانه الكافي والدافع والمانع ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا هو الذي ينقب عن احوال القوم وينقش عنها ولما
استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا
ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها

لكم

لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان
ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم
فاختاروا النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء
وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما
عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم ان
يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون وكانا من
النقباء وقال الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتداء
بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو لئن اقمتم الصلاة واتيتم
الزكاة وكانتا فريضتين عليهم وامنتم برسلي من غير تفريق بين احد منهم
وعزرتموهم وعظمتموهم او نصرتموهم بان تردوا عنهم اعداءهم والعزر
في اللغة الرد ويقال عزرت فلانا اي ادبته يعني فعلت به ما يردعه
عن القبيح كذا قاله الزجاج واقرضتم الله قرضا حسنا بلا من وقيل هو كل خير
واللام في لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم وهذا الجواب ساد مسد
جواب القسم والشرط جميعا ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد ذلك الشرط المذكور المعلق بالوعد العظيم
فقد ضل سواء السبيل اخطا طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء
السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة
افادت تفخيم الامر لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية يابسة لا رحمة فيها
ولا لين قسية حمزة وعلي اي رديئة من قولهم درهم قسي اي ردي يحرفون
الكلم عن مواضعه يفسرونه على غير ما انزل وهو بيان لقسوة قلوبهم
لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا
نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم
عن التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة
وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية او تركوا نصيب انفسهم مما امروا به
من الايمان بمحمد وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم
اي هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة اي على خيانة او على فعلة ذات
خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية
للشعر للمبالغة الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث
على مخالفتهم او فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم واصفح ان
الله يحب المحسنين ومن في قوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم وهو الايمان بالله والرسول وافعال الخير متعلق باخذنا اي
اخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور

وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان نسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم من فرق النصارى المختلفين بالاهواء المختلفة العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اي في القيامة بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى والكتاب الجنس قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه او يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القران لكشفه ظلمات الشرك والشك والابانة ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز او النور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمي سراجا يهدي به الله اي القران من اتبع رضوانه من امن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله فالسلام السلامة او الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الاسلام باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم معناه بت القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون بذلك وان مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض اي ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه يعني ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض على المسيح وامه جميعا ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى انه من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية التي يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما اوجد لم يعد نقص التي الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اي اعزة عليه كالابن عند اب او اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وحشمه نحن الملوك او نحن ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار اياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم

بل انتم

بل انتم بشر ممن خلق اي انتم خلق من خلقه فلا بنوة يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر تفضلا ويعذب من يشاء من مات عليه عدلا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والبنوة متنافيان يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم اي الشرايع وحذف لظهوره او مما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال اي مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة او خمسمائة وستون سنة ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والفاء في فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير للمؤمنين ونذير للكافرين ومعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم والله على كل شيء قدير فكان قادرا على ارسال محمد صلى الله عليه وسلم مزورة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام او اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة او المباركة وهي ارض بيت المقدس او الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا على اعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا او لا ترتدوا على ادباركم في دينكم فتنقلبوا خاسرين فترجعوا خاسرين من ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الجبار فعال من جبره على الامر يعني اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها بالقتال حتى يخرجوا منها بغير قتال فان يخرجوا منها بلا قتال فانا داخلون بلادهم حينئذ قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان وكذا انعم الله عليهما بالخوف منه ادخلوا عليهم الباب اي باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون اي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام وعلى الله فتوكلوا ان كنتم

مؤمنين ان الايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التعليق
بالخلائق قالوا يا موسى انا لن ندخلها هذا نفي لدخولهم في المستقبل على
وجه التأكيد ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ما داموا فيها
بيان للابد فاذهب انت وربك من العلماء من حمله على الظاهر وقال
انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوه لذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى
ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء لكن الوجه فيه ان يقال
اذهب انت وربك يعينك على قتالك او وربك اي وسيدك وهو اخوك
الاكبر هارون او لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما يقول كلمته فذهب
يجيبني تريد معنى الارادة كانهم قالوا اريدا قتالهم فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ما كون لا نقاتلهم فلما عصوه وخالفوه قال رب اني لا املك
لنصرة دينك الا نفسي واخي هو منصوب بالعطف على نفسي او على اسم ان
اي لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل
ان واسمها او على الضمير في لا املك وجاز للفصل اي لا يملك اخي الا نفسه
او هو مبتدا والخبر محذوف اي واخي كذلك وهذا من البث والتكوي
الى الله ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصر
وكانه لم يبق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبي المعصوم
او اراد ومن يواخيني على ديني فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فافصل
بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم اهله وهو في
معنى الدعاء عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني
من القوم الظالمين قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها
وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب
الله لكم اي بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم
او المراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضى الاربعون كان ما كتب
فقد سار موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته
ففتحها وقام فيها ما شاء الله ثم قبض واربعين ظرف التحريم والوقف على
سنة او ظرف يتيهون في الارض اي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون
طريقا اربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث
ثمة كانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا في ستة
فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له فلا تاس على القوم الفاسقين فلا
تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن لموسى وهارون معهم في التيه لانه كان
عقابا وقد سال موسى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان
ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هارون في التيه وموسى فيه بعده
بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع ثم امر محمد صلى الله عليه وسلم
ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله واتل
عليهم على اهل الكتاب نبا ابني ادم من صلبه هابيل وقابيل وهما رجلان

من بني اسرائيل بالحق نبا ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او تلاوة
ملتبسة بالحق والصحة او واتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا نصب
بالنبا اي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف
قربانا ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة يقال قرب صدقة
وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانا
فتقبل من احدهما اي قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الاخر قربانه
وهو قابيل روي انه اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد توامة الاخر وكانت
توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه فقال لهما ادم قربا قربانا
فمن ايكما تقبل يتزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته وازداد
قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله قال لاقتلنك قال
اي هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقديره قال لم تقتلني قال لان الله
تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى قال انما يتقبل الله من المتقين وانت غير
متق فانما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من
قبلي وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له وما يبكيك
وقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين
لئن بسطت مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي بفتح الياء مدني
وابو عمرو وحفص اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان
اقوى من القاتل وابطش منه ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له
خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك
واجبا فان فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في اثمه وانما معناه
ما انا بباسط يدي اليك مبتدئا بقصدك ذلك مني وكان عازما على
مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله فتكا على غفلة اني اخاف مجازي
وابو عمرو اني اريد مدني ان تبوء ان تحتمل او ترجع باثمي باثم قتلي اذا
قتلتني واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب
والحسد والحقد وانما اراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى او كان
ظالما وجزاء الظالم جائز ان يراد فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته ويسرته من طاع له المرتع
اذا اتسع فقتله عند عقبة حرا او بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة
فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه اي الله
او الغراب كيف يواري سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف
من جسده روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب
على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الاخر فحفر له برجليه ثم القاه في الحفرة فحثى قال يا ويلتى
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري عطف على اكون سوءة اخي فاصبح

من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره ولم يندم ندم
التائبين او كان الندم لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروي انه لما قتله
اسود جسده فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل
قتلته ولذا اسود جسدك فالسودان من ولده وما روي ان ادم رثاه بشعر
فلا يصح لان الانبيا عليهم السلام معصومين من الشعر من اجل ذلك
بسبب ذلك بعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور قيل هو متصل بالاية
الاولى فيوقف على ذلك اي فاصبح من النادمين لاجل حمله او لاجل قتله
وقيل هو مستانف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين
كتبنا على بني اسرايل خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التوراة
اول كتاب فيه الاحكام انه من قتل نفسا الضمير للشان ومن شرطية
بغير نفس بغير قتل نفس او فساد في الارض عطف على نفس اي بغير فساد
في الارض وهو الشرك او قطع الطريق او كل فساد يوجب القتل فكانما
قتل الناس جميعا اي في الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم
وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن
احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة من قتل او غرق او حرق
او هدم او غير ذلك فكانما احيا الناس جميعا جعل قتل الواحد كقتل الجميع
وكذلك الاحيا ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصورت
قتلها لقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذي اراد احياها
اذا تصور ان حكمه كحكم احياء الناس جميعا رغب في احيايها ولقد جاتهم
اي بني اسرايل رسلنا ابو عمرو بالبينات بالايات الواضحات ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجي الرسل بالايات في الارض
لمسرفون في القتل لا يبالون بعظمته انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله
اي اوليا الله في الحديث يقول الله تعالى من اهان وليا فقد بارزني
بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا مفسدين ويجوز ان يكون مفعولا
له اي للفساد وخبر جزاء ان يقتلوا وما عطف عليه وافاد التشديد
الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او
يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال او تقطع ايديهم وارجلهم
ان اخذوا المال من خلاف حال من الايدي والارجل اي مختلفة او ينفوا
من الارض بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة ذلك المذكور لهم خزي في الدنيا
ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد فاعلموا ان الله غفور
رحيم يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
فلا تتوذوا اعباد الله وابتغوا اليه الوسيلة وهي كل ما يتوسل به اي يتقرب
من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى
من فعل الطاعات وترك السيئات وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون

ان

ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه
وانفقوها ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم ولو مع ما في حيزه خبر ان
ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لانه اجرى الضمير مجرى اسم
الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم
ولهم عذاب اليم فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه يريدون يطلبون او يتمنون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اي دايم
والسارق والسارقة ارتفعا بالابتدا والخبر محذوف تقديره فيما يتلى
عليكم السارق والسارقة او الخبر فاقطعوا ايديهما اي يديهما والمراد
اليمينان بدليل قراة عبد الله ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان
المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول
يتضمن معنى الشرط وبدا بالرجل لان السرقة من الجراة وهي في الرجال
اكثر واخر الزاني لان الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء اوفر
وقطعت اليد لانها الة السرقة ولم تقطع الة الزنا تفاديا عن قطع
النسل جزاء بما كسبا مفعول له نكالا من الله اي عقوبة منه وهو بدل
من جزاء والله عزيز غالب لا يعارض في حكمه حكيم فيما حكم من قطع يد
السارق والسارقة فمن تاب من السراق من بعد ظلمه سرقته واصلح
برد المسروق فان الله يتوب عليه يقبل توبته ان الله غفور رحيم يغفر
ذنبه ويرحمه الم تعلم يا محمد او يا مخاطب ان الله له ملك السموات
والارض يعذب من يشاء من مات على الكفر ويغفر لمن يشاء لمن تاب
عن الكفر والله على كل شيء من التعذيب والمغفرة وغيرهما قدير قادر
وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا تهتم ولا تبالي بمسارعة
المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام
ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع
فيه الشيب اي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم
فيه اسرع شي اذا وجدوا فرصة لم يخطيوها من الذين قالوا تبيين
لقوله الذين يسارعون في الكفر امنا مفعول قالوا بافواههم متعلق
بقالوا اي قالوا بافواههم امنا ولم تومن قلوبهم في محل النصب على الحال
ومن الذين هادوا معطوف على من الذين قالوا اي من المنافقين واليهود
ويرتفع سماعون للكذب على انه خبر مبتدا مضمر اي هم سماعون والضمير
للفريقين او سماعون مبتدا وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف
على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك
ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل
والتغيير سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي سماعون منك لاجل قوم اخرين
من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك يحرفون الكلم من

بعد مواضعه يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعها الله فيها فيهملونه بغير
مواضع بعد ان كان ذا مواضع يحرفونه صفة لقوم كقوله لم ياتوك او خبر
لمبتدا محذوف اي هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم يقولون
ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز
ان يكون حالا من الضمير في يحرفون فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به
وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا فاياكم واياه فهو الباطل
روي ان شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة
فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به ومن يرد الله فتنته
ضلاله هو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر فلن تملك
له من الله شيئا قطع رجا محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هولاء
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم عن الكفر لعلمه منهم اختيار
الكفر وهو حجة لنا عليهم ايضا لهم في الدنيا خزي للمنافق فضيحة ولليهود
جزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي التخليد في النار سماعون للكذب
كرر للتاكيد اي هم سماعون ومثله اكالون للسحت وهو كل ما لا يحل
كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث
هو الرشوة في الحكم وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام
وبالتثقيل مكي وبصري وعلي فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب
بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وقيل نسخ التخيير بقوله وان احكم
بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا فلن يقدروا على
الاضرار بك لان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان
الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال
من التوراة وهو مبتدا اخبره عندهم ثم يتولون من بعد ذلك عطف
على يحكمونك اي ثم يعرضون عن تحكيمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به
وما اولئك بالمؤمنين بك او بكتابك كما يدعون انا انزلنا التوراة فيها هدى
يهدي للحق ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون الذين
اسلموا انقادوا لحكم الله في التوراة وهو صفة اجريت للنبيين
على سبيل المدح واريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة
الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم للذين هادوا تابوا من الكفر واللام
يتعلق بيحكم والربانيون والاحبار معطوفان على النبيون اي الزهاد
والعلماء بما استحفظوا استودعوا قيل يجوز ان يكون بدلا من بها في يحكم

بها من كتاب الله من للتبيين والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين
والاحبار جميعا والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه او للربانيين
والاحبار والاستحفاظ من الانبياء وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل
فلا تخشوا الناس نهي الحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامضائها
على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد
واخشون في مخالفة امري وبالياء فيهما سهل ووافقه ابو عمرو في الوصل
ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا وهي
الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به
فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم جاحدا
فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله
عنه هو عام في اليهود وغيرهم وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود في
التوراة ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلها بغير حق والعين
مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مقطوعة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص اي ذات قصاص وهو المقاصة
ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي
الله عنه كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقوله ان النفس بالنفس
لان المعنى يدل على ان المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمراة والحر بالعبد
نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه
ان ورفعها علي للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم
النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا
الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما
لغتان كالسحت والسحت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص
وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال
عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته امه
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون بالامتناع عن ذلك
وقفينا معنى تقفيت الشيء بالشيء جعلته في اثره كانه جعل في قفاه
يقال قفاه يقفوه اذا تبعه على اثارهم على اثار النبيين الذين
اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا هو حال من عيسى لما بين يديه من
التوراة واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة
اي واتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف
على ثابتا الذي يتعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابت
الذي قام مقامه فيه وهدى وموعظة انتصبا على الحال اي هاديا
وواعظا للمتقين لانهم ينتفعون به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر واصله الكسر وانما سكن
استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة

على انها لام كي اي وتقفينا ليؤمنوا وليحكم **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك**
هم الفاسقون الخارجون عن الطاعة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
يجوز ان يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق
المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما انزل الله
فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله **وانزلنا اليك الكتاب**
اي القران فحرف التعريف فيه للعهد **بالحق** بسبب الحق واثباته
وتبيين الصواب من الخطا **مصدقا** حال من الكتاب **لما بين يديه**
لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه **من الكتاب** المراد
به جنس الكتب المنزلة لان القران مصدق لجميع كتب الله وكان حرف
التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد
والعبادة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون **ومهيمنا عليه** وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات
فاحكم بينهم بما انزل الله بما في القران **ولا تتبع اهواءهم عما جاءك**
من الحق نهي ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا
تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدي بعن فكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك
من الحق متبعا اهواءهم او التقدير عادلا عما جاءك **لكل جعلنا منكم**
ايها الناس **شرعة** شريعة **ومنهاجا** وطريقا واضحا واستدل به من
قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر انزال التوراة على موسى ثم انزال
الانجيل على عيسى ثم انزال القران على محمد عليه السلام وبين انه ليس
للسماع فحسب بل للحكم به فقال في الاول يحكم بها النبيون وفي الثاني
وليحكم اهل الانجيل وفي الثالث فاحكم بينهم بما انزل الله **ولو شاء**
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة **ولكن** اراد
ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر **فيما اتاكم** من الشرائع المختلفة فتعبد
كل امة بما اقتضته الحكمة **فاستبقوا الخيرات** فابتدروها وتسابقوا نحوها
قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به **الى الله مرجعكم**
استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات **جميعا** حال من الضمير
المجرور والعامل المصدر المضاف لانه في التقدير اليه ترجعون **فينبئكم**
بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل
بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل **وان احكم** معطوف
على بالحق اي انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم **بينهم بما انزل الله**
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك اي يصرفوك وهو مفعول له
اي مخافة ان يفتنوك وانما حذره وهو مامون لقطع اطماع القوم
عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا
غيره **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** اي بذنب التولي عن
حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا

الابهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فان بعضها مهلك فكيف بكلها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لخارجون عن امر الله **افحكم الجاهلية**
يبغون يطلبون وبالتاء شامي يخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني
قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء
فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل
بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية وناصب الحكم يبغون **ومن احسن**
مبتدا وخبر وهو استفهام في معنى النفي اي لا احد احسن **من الله حكما**
هو تمييز واللام في **لقوم يوقنون** للبيان كاللام في هيت لك اي هذا
الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون
ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه وقال ابو علي معنى لقوم عند
قوم لان اللام وعند يتقاربان في المعنى ونزل نهيا عن موالاة اعداء الدين
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اي لا تتخذوهم اولياء
تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين
ثم علل النهي بقوله **بعضهم اولياء بعض** وكلهم اعداء المؤمنين وفيه دليل
على ان الكفر كله ملة واحدة **ومن يتولهم منكم فانه منهم** من جملتهم وحكمه
حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين
ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفرة **فترى الذين في قلوبهم مرض** نفاق **يسارعون** حال او مفعول
ثان لاحتمال ان يكون ترى من رؤية العين او القلب **فيهم** في معاونتهم
على المسلمين وموالاتهم **يقولون** اي في انفسهم كقوله ما اسروا **نخشى**
ان تصيبنا دائرة اي حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها **فعسى الله**
ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين **او امر من عنده**
اي يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اي المنافقون **على ما اسروا في انفسهم** من النفاق **نادمين**
خبر فيصبحوا **ويقول الذين امنوا** اي يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول
بصري عطف على ان ياتي يقول بغير واو شامي وحجازي على انه جواب
قايل يقول ماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا **اهؤلاء**
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي اقسموا لكم باغلاظ الايمان
انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد ايمانهم مصدر في تقدير الحال
اي مجتهدين في توكيد ايمانهم **حبطت اعمالهم** ضاعت اعمالهم التي عملوها
رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم
بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم **فاصبحوا خاسرين** في الدنيا
والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة **يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم**
عن دينه من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر يرتدد
مدني وشامي **فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** يرضى عنهم اعمالهم

ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث اخبر عما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته صحة خلافة عمر رضي الله عنهما وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ولو كان الايمان معلقا في الثريا لناله رجال من ابناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد سهى لان ذلولا لا يجمع على اذلة قال الجوهري الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين ليتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع اعزة على الكافرين اشدا عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله اي يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واعزة واذلة ولا يخافون لومة لائم الواو يحتمل ان تكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياهم اليهود فلا يعملون شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وان يكون للعطف اي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين لا يزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللائمة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع كثير الفواضل عليم بمن هو اهلها عقب النهي عن موالاة من يجب معاداتهم عقيب ذكر من يجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع ومحل الذين يقيمون الصلاة الرفع على البدل من الذين امنوا او على هم الذين او النصب على المدح ويؤتون الزكاة والواو في وهم راكعون للحال اي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وقيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والاية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وعلى ان الفعل

القليل لا يفسد الصلاة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا يتخذه وليا او يكن وليا فان حزب الله هم الغالبون من اقامة الظاهر مقام المضمر اي فانهم هم الغالبون والمراد بحزب الله الرسول والمؤمنون اي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اي اصابهم وروي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا الكتاب من للبيان من قبلكم والكفار اي المشركين وهو عطف على الذين المنصوب والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرور اي من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار اولياء واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها اي الصلاة او المناداة هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم وهزوهم من افعال السفهاء والجهلة فكانهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل يعني هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون معطوف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون والمعنى عاديتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق انبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة من اهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم اي الايمان اي بشر مما تنقمون من ايماننا ثوابا اي جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة يعني اصحاب السبت والخنازير اي كفار اهل مائدة عيسى او كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقوله رجل حذر

ونظن للتبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير
اي جعل الله منهم عبد الطاغوت اولئك الممسوخون الملعونون
شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة واضل عن
سواء السبيل عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان
نفاقا واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
اي بالحال اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر
وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من
الحال او هو متعلق بقالوا امنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم والله اعلم
بما كانوا يكتمون من النفاق وترى كثيرا منهم من اليهود يسارعون
في الاثم الكذب والعدوان الظلم او الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة واكلهم
السحت الحرام لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا هلا وهو
تحضيض ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي اشد اية في القران حيث انزل تارك النهي عن المنكر
منزلة مرتكب المنكر في الوعيد وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان روي ان اليهود لعنهم الله
لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من
اكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة
ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه
يستعمل في ملك يعطي ويمنع من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع
الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل حيث
لا تصح اليد يقال بسط الياس كفه في صدري فجعل للياس الذي هو من
المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تاويل امثال هذه الاية
وقوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا ابخل خلق الله او
تغل في جهنم فحسب كانها غلت وانما ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان
وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل
على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وغاية ما يبذله السخي ان
يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه
لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وليزيدن كثيرا منهم من اليهود ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يزدادون عند نزول القران لحسدهم
تماديا في الجحود وكفرا بايات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب

كما قال

كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم
لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل
كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى
يهوديا ببلدة الا وجدته من اذل الناس ويسعون في الارض فسادا
ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من كتبهم
والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب امنوا برسول الله وبما جاء به
مع ما عددنا من سيئاتهم واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوى لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولم نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم مع المسلمين ولو انهم اقاموا
التوراة والانجيل اي اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من ربهم من سائر كتب
الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران
لاكلوا من فوقهم يعني الثمار من فوق رؤسهم ومن تحت ارجلهم يعني
الزروع او هذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من قرنه الى
قدمه ودلت الاية على ان العمل بطاعة الله سبب لسعة الرزق وهو
كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول
الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية
واربعون من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون في معنى التعجب كانه
قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وغيرهم
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل
اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل
وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته رسالاته مدني وشامي وابو بكر
اي فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد شيئا منها قط وذلك
ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت
اداءها كلها كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء
واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير
مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به قالت الملحدة لعنهم الله هذا الكلام لا يفيد وهو
كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله فانك لم تاكله قلنا هذا
امر بتبليغ الرسالة في المستقبل اي بلغ ما انزل اليك من ربك في المستقبل
وان لم تفعل اي وان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة
اصلا وبلغ ما انزل اليك من ربك الان ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة

فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ اصلا او بلغ ذلك غير خايف احدا فان لم تبلغ على
هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ
والله يعصمك من الناس عفظك منهم قتلا فلم نقدر عليه وان شج في وجهه يوم
احد وكسرت رباعيته اونزلت بعد ما اصابه ما اصابه والناس الكفار
بدليل قوله والله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك
من الهلاك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء على دين يعتد حتى يسمى شيئا
لبطلانه حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم يعني القران
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اضافة زيادة
الكفر والطغيان الى القران بطريق التسبيب فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تتاسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك ان الذين امنوا بالسنتهم
وهم المنافقون ودل عليه قوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم والذين هادوا والصابيون
والنصارى قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابيون بالابتدا وخبره
محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابيون كذلك اي من امن بالله واليوم
الاخر فلا خوف عليهم فقدمه وحذف الخبر كقوله

• فمن يك امسى بالمدينة رحله • فاني وقيار بها لغريب •

اي فاني لغريب وقيار كذلك ودل الكلام على انه خبران ولا يرتفع بالعطف
على محل ان واسمها لان ذلك لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا يقول ان زيدا وعمرو
منطلقان وانما جوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابيون مع خبره المحذوف
جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل
للتي عطفت عليها وفايدة التقديم التنبيه على ان الصابيين وهم ابين
هولاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان
فما الظن بغيرهم ومحل من امن الرفع على الابتدا وخبره فلا خوف عليهم
والفا لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان والراجع الى اسم
ان محذوف تقديره من امن منهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون ويذرون في دينهم كلما جاءهم
رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول
منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف
والعمل بالشرايع وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب
مستانف لقايل يقول كيف فعلوا برسلهم فقال يقتلون بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شانهم
وانتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب

مشترك

مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى
وحسبوا ان لا تكون حمزة وعلي وابو عمرو على ان مخففة من الثقيلة اصله
انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته في
صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق
فتنة بلاء وعذاب اي وحسب بنو اسرايل انهم لا يصيبهم من الله عذاب
بقتل الانبيا وتكذيب الرسل وسد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند
والمسند اليه مسد مفعولي حسب فعموا وصموا فلم يعملوا بما راوا ولا بما
سمعوا او فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ثم تاب الله عليهم رزقهم
التوبة ثم عموا وصموا كثير منهم هو بدل من الضمير اي الواو وهو
بدل البعض من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم والله
بصير بما يعملون فيجازيهم حسب اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك
بالله في عبادته غير الله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
اي حرمه دخولها ومنعه منه ومأواه النار اي مرجعه وما للظالمين
اي الكافرين من انصار وهو من كلام الله تعالى او من كلام عيسى عليه
السلام لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي ثالث ثلاثة الهة
والاشكال انه تعالى قال في الاية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله
لان الله تعالى ربما تجلى في بعض الازمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت
في شخص عيسى ولهذا كان يظهر في شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا
الله وبعضهم ذهبوا الى الهية ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله
من مريم ومن في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق اي وما اله
قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا
شريك له وفي قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
للبيان كالتي في فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل فليمسنهم
لان في اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر او للتبعيض
اي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد
مما هم عليه من الكفر وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم
يغفر لهولاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول فيه نفي
الالوهية قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من
جنس الرسل الذي خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى
لم يكن منه لانه اله بل الله ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده كما احيا

العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير
ذكر ولا أنثى وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات
للأنبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت
بكلمات ربها وكتبه ثم بعدهما عما نسب إليهما بقوله كانا يأكلان الطعام
لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا
جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على أنه
مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام انظر كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام
من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا التعجب من الله تعالى في
ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب قل أتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا هو عيسى عليه السلام أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل
ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم
بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا
دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا
وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته
والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه
وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه قل يا أهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية
وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة غير الحق صفة لمصدر محذوف
أي غلوا غير الحق يعني غلوا باطلا ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي عليه السلام
وأضلوا كثيرا ممن شايعهم وضلوا لما بعث رسول الله عليه السلام عن
سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قيل إن أهل أيلة لما اعتدوا
في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر
أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد المائدة
عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت
فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله
كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه عن قبيح فعلوه
ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل أنهم لا يتناهون عن
معاودة منكر فعلوه وعن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد
لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الأمر وانتهى
عنه إذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم

بقوله

بقوله لبئس ما كانوا يفعلون وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من
العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم لبئس شيئا قدموه لأنفسهم
سخط الله عليهم أي موجب سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون أي
في جهنم ولو كانوا يؤمنون بالله إيمانا خالصا بلا نفاق والنبي أي محمد
صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه يعني القرآن ما اتخذوهم أولياء
ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم
ولكن كثيرا منهم فاسقون مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان
هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعني التوراة ما اتخذوا
المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون
عن دينهم فلا دين لهم أصلا لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز والذين أشركوا عطف عليهم
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى اللام تتعلق
بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة
وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم
قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
أي علماء وعبادا وأنهم لا يستكبرون علل سهولة مأخذ النصارى وقرب
مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وأن فيهم تواضعا واستكانة
واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى
الخير وإن كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وإن كان في راهب والبراءة
من الكبر وإن كانت في نصراني وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصفهم برقة القلوب وأنهم
يبكون عند استماع القرآن كما روي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب
حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرؤونه عليهم
هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إلى مريم فقرأها
إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث
موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض
من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن تمتلئ الإناء أو غيره
حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع
الامتلاء أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها
تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء ومن في مما عرفوا لابتداء الغاية
على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن في الحق
لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق

فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة **يقولون** حال من
ضمير الفاعل في عرفوا **ربنا امنا** بمحمد عليه السلام والمراد انشاء الايمان
والدخول فيه **فاكتبنا مع الشاهدين** مع امة محمد عليه السلام الذين
هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا
ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله** انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم
بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك
وما لنا مبتدا وخبر ولا نؤمن حال اي غير مؤمنين كقولك ما لك قائما
وما جاءنا اي وبما جاءنا **من الحق** يعني محمدا او القرآن **ونطمع** حال من
ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير نحن نطمع **ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم**
الصالحين الانبيا والمؤمنين **فاثابهم الله بما قالوا** اي بقولهم ربنا امنا
وتصديقهم لذلك **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء**
المحسنين وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء
وتعلقت الكرامية في ان الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثنا
بفيض الدمع في السباق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك واني يكون
مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم امنا بالله لعدم
التصديق بالقلب قال اهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة اشياء البكاء على
الجفا والدعاء على العطا والرضا بالقضا فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه
هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه **والذين كفروا وكذبوا باياتنا**
اولئك اصحاب الجحيم هذا اثر الرد في حق الاعدا والاول اثر القبول
للاوليا ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا
ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من
الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها
على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان
يعجبه الحلو والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن
انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها
الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية
فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكن يكره هذه الالوان فاقبل الحسن
عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه
مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال
افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء

البارد اكبر من نعمته عليه في الفالوذ **ولا تعتدوا** ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم
في تحريم او تحليل او ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا
في تناول الطيبات **ان الله لا يحب المعتدين** حدوده **وكلوا مما رزقكم الله**
حلالا طيبا حلالا حال مما رزقكم الله **واتقوا الله** توكيد للتوصية بما امر به
وزاده تاكيدا بقوله **الذي انتم به مؤمنون** لان الايمان به يوجب التقوى
فيما امر به ونهى **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شيء يرى انه كذلك وليس كما ظن
وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت تلك الاية
قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يجري على اللسان
بلا قصد **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اي بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها
وبالتخفيف كوفي غير حفص والعقد العزم على الوفا وذا لا يتصور في الماضي
فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رحمه الله العقد بالقلب ويمين
الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان
معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف **فكفارته** اي فكفارة نكثه
او فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة
اي تسترها **اطعام عشرة مساكين** هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم
بطريق التمليك وهو لكل واحد نصف صاع من بر او صاع من شعير او صاع
من تمر وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين **من اوسط ما تطعمون اهليكم**
اي غدا او عشاء من بر اذ الاوسط ثلاث مرات مع الادام والادنى مرة من
تمر او شعير **او كسوتهم** عطف على اطعام او على محل من اوسط ووجهه ان من
اوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود في الكلام وهي ثوب يغطي العورة
وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار او قميص او رداء **او تحرير رقبة** مؤمنة او كافرة
لاطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد في
كفارة القتل ومعنى او التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث **فمن**
لم يجد احداها **فصيام ثلاثة ايام** متتابعات لقراءة ابي وابن مسعود كذلك
ذلك المذكور **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع
العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجوز التكفير قبل الحنث
واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا او لا تحلفوا
اصلا **كذلك** مثل ذلك البيان **يبين الله لكم اياته** اعلام شريعته واحكامه
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه **يا ايها الذين امنوا**
انما الخمر والميسر اي القمار **والانصاب** الاصنام لانها تنصب فتعبد **والازلام**
وهي القداح التي مرت **رجس** نجس او خبيث مستقذر **من عمل الشيطان**
لانه يحمل عليه فكانه عمله والضمير في **فاجتنبوه** يرجع الى الرجس او الى
عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف المحذوف كانه قيل انما تعاطي

الخمر والميسر ولذا قال رجس لعلكم تفلحون اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه
حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر
كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا ياتي منه الا الشر البحت
وامرنا بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا
كان الارتكاب خسارا انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ذكر ما يتولد منهما من الوبال
وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤدي بان
اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلاة وخص الصلاة
من بين الذكر لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع
الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا لان الخطاب مع
المومنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر
وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال
اهل الشرك ولانه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم
افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى
به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والزواجر فهل انتم
مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا
واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين خاشعين لانهم
اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة فان توليتم
عن ذلك فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم
حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيا من الخمر والميسر قبل التحريم
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر
واكلوا من مال القمار قبل تحريمهما اذا ما اتقوا الشرك وامنوا بالله
وعملوا الصالحات بعد الايمان ثم اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم
وامنوا بتحريمهما ثم اتقوا سائر المحرمات او الاول عن الشرك والثاني
عن المحرمات والثالث عن الشبهات واحسنوا الى الناس والله يحب
المحسنين ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم
حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم ومعنى ليبلوا ليختبر وهو من الله تعالى لاظهار ما علم من العبد على ما علم
لا لعلم ما لم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس ليعلم الله
من يخافه بالغيب ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا
كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه فمن اعتدى
فصاد بعد ذلك الابتلا فله عذاب اليم فدل في قوله بشيء من الصيد ليعلم
انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا

الصيد اي المصيد اذ القتل انما يكون فيه وانتم حرم اي محرمون جمع حرام
كردح في جمع رداح في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا
ومن قتله منكم متعمدا حال من ضمير الفاعل اي ذاكرا لاحرامه او عالما
ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه او رمى صيدا
وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطي وانما شرط التعمد في الاية مع ان
محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لان مورد الاية فيمن تعمد
فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر
فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل
المتعمد والخطا ملحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد
ووردت السنة بالخطا فجزاء مثل ما قتل كوفي اي فعليه جزاء يماثل ما قتل
من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير
بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما
فيعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن
طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره
من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم
والصلة فجزاء مثل ما قتل اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف
كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد من النعم حال من الضمير
في قتل اي المقتول يكون من النعم او صفة لجزاء يحكم به بمثل ما قتل ذوا
عدل منكم حكمان عدلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة
لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشيا المشاهدة ولان
المثل المطلق في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او
بالمعنى لا بالصورة او بالصورة بلا معنى ولان القيمة اريدت فيما
لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك
فان قلت قوله من النعم بيانا في المثل بالقيمة قلت منا وجب القيمة
خير بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الاية
فكان من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة في احد الوجوه التخيير لان
من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل
من النعم على ان التخيير الذي في الاية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام
او الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار
واما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيا
لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصيام ففيه نبو عما في الاية
الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين
الاشيا الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم هديا حال من الهاء
في به اي يحكم به في حال الهدي بالغ الكعبة صفة لهديا لان اضافته
غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به

فحيث ثبت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم **او كفارة** معطوف على جزاء
طعام بدل من كفارة او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام او كفارة طعام
على الاضافة مدني وشامي وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل
او كفارة من طعام **مساكين** كما تقول خاتم فضة اي خاتم من فضة **او عدل**
وقرا بكسر العين قال الفرا العدل ما عدل الشيء من غير جنسه كالصوم
والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الجمل تقال عندي غلام
عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان اريد ان قيمته كقيمته ولم
يكن من جنسه قيل عدل غلامك بالفتح **ذلك** اشارة الى الطعام **صياما**
تمييز للعدل كقولك مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد
رحمه الله الى الحكمين **ليذوق وبال امره** متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان
يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه
والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا
يستمرا **عفا الله عما سلف** لكم من الصيد قبل التحريم **ومن عاد** اي قتل
الصيد بعد التحريم او في ذلك الاحرام **فينتقم الله منه** بالجزاء وهو خبر مبتدا
محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه **والله عزيز** بالزام الاحكام **ذو**
انتقام لمن جاوز حدود الاسلام **احل لكم صيد البحر** مصيدات البحر مما يوكل
ومما لا يوكل **وطعامه** وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع
ما يصطاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده **متاعا**
لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم **وللسيارة** وللمسافرين والمعنى
احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا
كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر **وحرم عليكم صيد**
البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كالبط فانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر **ما دمتم**
حرما محرمين **واتقوا الله** في الاصطياد في الحرم او في الاحرام **الذي اليه**
تحشرون تبعثون فيجزيكم على اعمالكم **جعل الله الكعبة** اي صير **البيت**
الحرام بدل او عطف بيان **قياما** مفعول ثان او جعل بمعنى خلق
وقياما حال **للناس** اي انتعاشا لهم في امر دينهم ونهوضا الى اغراضهم
في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وانواع منافعهم
قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يوخروا **والشهر الحرام** والشهر الذي
يودي فيه الحج وهو ذو الحجة لانه لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم
الحج فيه شانا قد علمه الله او اريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب
وذو القعدة وذو الحجة ومحرم **والهدي** ما يهدى الى مكة **والقلائد**
والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر
ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام

بترك

بترك الاصطياد وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض**
وان الله بكل شيء عليم اي لتعلموا ان الله يعلم مصالح ما في السموات
وما في الارض فكيف لا وهو بكل شيء عليم **اعلموا ان الله شديد العقاب**
لمن استخف بالحرم والاحرام **وان الله غفور** لا ثام من عظم المشاعر العظام
رحيم بالجاني الملتجي الى البلد الحرام **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد
في ايجاب القيام كما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط **والله يعلم**
ما تبدون وما تكتمون فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم **قل لا يستوي الخبيث**
والطيب لما اخبر انه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر انه لا يستوي خبيثهم
وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث الكافر ويثيب الطيب اي المسلم
ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل على الخبيث
وان كثر وقيل هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد
الناس ورديهم **يا اولي الالباب** اي العقول الخالصة **لعلكم تفلحون**
كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء امتحانا فنزل **يا ايها**
الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله
شيئا بهمزتين بينهما الف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها الثانية للتانيث
ولذا لم تنصرف كحمراء وهي مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان
المجتمعتان قدمت الاولى التي هي لام فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء
والجملة الشرطية والمعطوفة عليها اي قوله **ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا**
عنها حين ينزل القران تبد لكم صفة لاشياء اي وان تسالوا عن هذه التكاليف
الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف
التي تسؤكم اي تغمكم وتشق عليكم وتومروا بتحملها فتعرضون انفسكم
لغضب الله بالتفريط فيها **عفا الله عنها** عفا الله عما سلف من مسالتكم
فلا تعودوا الى مثلها **والله غفور حليم** لا يعاقبكم الا بعد الانذار والضمير
في **قد سالها** لا يرجع الى اشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسالة التي
دلت عليها لا تسالوا اي قد سال هذه المسالة **قوم من قبلكم** من
الاولين **ثم اصبحوا بها** صاروا بسببها **كافرين** كما عرف في بني اسرائيل
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام كان اهل الجاهلية
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها
وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة
وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي
سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق
عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت
سبعة ابطن فان كان السابع ذكرا اكله الرجال وان كان انثى ارسلت
في الغنم وكذا ان كان ذكرا وانثى وقالوا وصلت اخاها فالوصيلة بمعنى

الواصلة واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمي ظهره فلا
يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى والمعنى ما جعل ما شرع ذلك
ولا امر به ولكن الذين كفروا بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله
الكذب في نسبتهم هذا التحريم اليه واكثرهم لا يعقلون ان الله لم يحرم
ذلك وهم عوامهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
اي هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه اباءنا اي كافينا ذلك حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما
بمعنى الذي والواو في اولو كان اباؤهم للحال قد دخلت عليها همزة
الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون اي الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه
بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم انتصب انفسكم بعليكم وهو
من اسماء الافعال اي الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم في عليكم
في موضع جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحده لا يضركم
رفع على الاستئناف او جزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا
لضمة الضاد من ضل اذا اهتديتم كان المؤمنون تذهب انفسهم
حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم
عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لا يضركم الضلال عن دينكم
اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز الى الله مرجعكم رجوعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم تعملون ثم يجزيكم على اعمالكم روي انه خرج بديل مولى
عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي وتميم وكانا نصرانيين
الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه متاعه وطرحه في متاعه ولم يخبر به
صاحبيه واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه
فاخذا اناء من فضة فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء
فجحدا فرفعوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
ارتفع اثنان لانه خبر المبتدأ وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة
اثنين او لانه فاعل شهادة بينكم اي فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
واتسع في بين فاضيف اليه المصدر واذا ظرف للشهادة وحين
الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية ولو وجدت
بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت
مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ذوا عدل صفة لاثنين منكم
من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت او اخران عطف على اثنان من غيركم
من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض سافرتم فيها وانتم فاعل فعل
يفسره الظاهر فاصابتكم مصيبة الموت او منكم من المسلمين ومن غيركم

من اهل الذمة وقيل هو منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما
جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين تحبسونهما تقفونهما للحلف
هو استئناف كلام او صفة لقوله او اخران من غيركم اي او اخران من غيركم
اي او اخران محبوسان وان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت
اعتراض بين الصفة والموصوف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لانه
وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد صلاة العصر او الظهر
لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم
واستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من
تميم وعدي فيقسمان بالله فيحلفان به ان ارتبتم شككتم في امانتهما
وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو لا نشتري وجواب الشرط محذوف
اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شانهما فحلفوهما به بالله
او بالقسم ثمنا عرضا من الدنيا ولو كان اي المقسم له ذا قربى اي لا نحلف
بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها انا اذا ان كتمنا لمن
الاثمين وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان
اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما فان عثر فان اطلع على انهما استحقا
اثما فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما من الاثمين فاخران
فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته
انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما الاوليان الاحقان
بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل
ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من الضمير في يقومان او من اخران
الاوليان حفص اي من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم
بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين
الاولين حمزة وابو بكر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب
على المدح وسموا اولين لانهم كانوا اولين في الذكر في قوله شهادة بينكم
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي ليميننا احق بالصواب
من يمين هذين الوصيين الخائنين وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق في
يميننا انا اذا لمن الظالمين يعني ان حلفنا كاذبين ذلك الذي مر ذكره
في بيان الحكم ادنى اقرب ان ياتوا اي الشهداء على نحو تلك الحادثة
بالشهادة على وجهها كما حملوها بلا خيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم ان تكرر ايمان شهود اخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم
واتقوا الله في الخيانة واليمين الكاذبة واسمعوا سماع قبول واجابة

والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة فان قلت
ما معنى او هنا قلت معناه ذلك اقرب من ان تؤدوا الشهادة بالحق
والصدق في انفسها او لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به
من يرى رد اليمين على المدعي والجواب ان الورثة ادعوا على النصرانيين
انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت
الورثة وكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء يوم منصوب بـ يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ما الذي اجابتكم اممكم حين دعوتموهم الى
الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن انكرهم وماذا منصوب باجبتم نصب
المصدر او باذكروا او باحذروا يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا
الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا
يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او بنصب كما قال الشيخ
رحمه الله تعالى على اي اجابة اجبتم قالوا لا علم لنا باخلاص قومنا دليله
انك انت علام الغيوب او بما احدثوا بعدنا دليله كنت انت الرقيب عليهم
او قالوا ذلك تادبا اي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه لا علم لنا
اذ قال الله بدل من يوم يجمع يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في اذ ايدتك
اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة عليهم
او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار
الاثام دليله تكلم الناس في المهد حال اي تكلمهم طفلا اعجازا وكهلا تبليغا
واذ علمتك معطوف على اذ ايدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت
واذ اوحيت الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب والتوراة والانجيل
واذ تخلق تقدر من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي
فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا
يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في فتكون
طيرا باذني وعطف وتبرئ الاكمه والابرص باذني على تخلق واذ تخرج الموتى
باذني من القبور احياء باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية
واذ كففت بني اسرائيل عنك اي اليهود اذ هموا بقتله اذ جئتهم ظرف
لكففت بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ساحر حمزة
وعلي واذ اوحيت الهمت الى الحواريين الخواص او الاصفياء ان آمنوا اي آمنوا
بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون من اسلم وجهه
اذ قال الحواريون اي اذكر اذ يا عيسى ابن مريم عيسى نصب على اتباع حركته
حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو هل يستطيع ربك هل يفعل او هل يطيعك
ربك ان سالته فاستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع
ربك علي اي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تساله
ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ان ينزل علينا ينزل مكي وبصري مائدة

من السماء هي الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا اعطاه كانها تميد
من تقدم اليه قال اتقوا الله في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ان كنتم مؤمنين اذ الايمان يوجب التقوى قالوا نريد ان ناكل منها تبركا به
وتطمئن قلوبنا وتزداد يقينا كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن
قلبي ونعلم ان قد صدقتنا اي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا
ونكون عليها من الشاهدين بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة
العلم لا للتعنت قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه
النصارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه
تكون لنا سرورا وفرحا لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن
في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها اخر الناس كما ياكل
اولهم او للمتقدمين منا والاتباع وآية منك على صحة نبوتي ثم اكد
ذلك بقوله وارزقنا وانت خير الرازقين واعطنا ما سالناك وانت
خير المعطين قال الله اني منزلها عليكم بالتشديد مدني وشامي وعاصم
وعد الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بعد اي بعد نزولها منكم
فاني اعذبه عذابا يعني تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في لا اعذبه
للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء احدا من العالمين
عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله
واخرنا والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها
الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا وقيل
كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الجمهور على ان هذا السؤال
يكون في يوم القيامة دليله سياق الآية وسياقها وقيل خاطبه به حين رفعه
الى السماء دليله اذ قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي
لي ان اقول ما ليس لي بحق اي اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته
فقد علمته ان صح اني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى اني لا احتاج الى الاعتذار
لانك تعلم اني لم اقله ولو قلته علمته لانك تعلم ما في نفسي ذاتي ولا اعلم
ما في نفسك ذاتك ونفس الشيء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم
معلومك انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه
النفوس من جملة الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به اي ما امرتهم الا
بما امرتني به ثم فسر ما امر به فقال ان اعبدوا الله ربي وربكم فان
مفسرة بمعنى اي وكنت عليهم شهيدا رقيبا ما دمت فيهم مدة كوني بينهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ وانت على كل شيء شهيد
من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم قال الزجاج علم عيسى ان منهم من آمن ومنهم

من اقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم اي تعذب من كفر منهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم اي لمن اقلع منهم وامن بذلك تتفضل منك
وانت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك او عزيز قوي قادر على
الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب **قال الله هذا يوم ينفع**
الصادقين صدقهم برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا اي يقول الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم المستمر في دنياهم واخرتهم والجملة من
المبتدا والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول زيد عمرو منطلق
وبالنصب نافع على الظرف اي قال الله لعيسى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وهو يوم القيامة **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين**
فيها ابدا رضي الله عنهم بالسعي المشكور **ورضوا عنه** بالجزاء الموفور **ذلك**
الفوز العظيم لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق **لله ملك**
السموات والارض وما فيهن عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه
الها اخر **وهو على كل شيء قدير** من المنع والاعطا والايجاد والافنا نسأله
ان يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجنانه انه على كل شيء قدير

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون اية كوفي ومدني وبصري

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله** تعليم اللفظ والمعنى
مع تعريض الاستغنا اي الحمد لله وان لم تحمدوه **الذي خلق السموات**
والارض جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت
سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل
يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله **وجعل**
الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة
وافرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء
نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها
صاحبها والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات
لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن
اصابه النور اهتدى ومن اخطاه ضل **ثم الذين كفروا** بعد هذا البيان
بربهم يعدلون يسوون به الاوثان تقول عدلت هذا به اي ساويته
به والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر او ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
عنه اي يعرضون عنه فتكون الباء صلة الكفر وصلة يعدلون اي عنه
محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد
على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته
او على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه
ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا به
بعد وضوح ايات قدرته **هو الذي خلقكم من طين** من لابتداء الغاية

اي

اي ابتداء خلق اصلكم يعني ادم منه **ثم قضى اجلا** اي حكم اجل الموت **واجل مسمى**
عنده اجل القيامة او الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين
الموت والبعث وهو البرزخ او الاول النوم والثاني الموت او الثاني هو
الاول وتقديره وهو اجل مسمى اي معلوم واجل مسمى مبتدا والخبر عنده وقدم
المبتدا وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التاخير لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة **ثم انتم تمترون** تشكون من المرية او تجادلون من المراء ومعنى ثم
استبعاد ان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم **وهو الله**
مبتدا وخبر **في السموات وفي الارض** متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو
المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف
بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيهما والاول تفريع على انه مشتق
وغيره على انه غير مشتق **يعلم سركم وجهركم** خبر بعد خبر او كلام مبتدا
اي هو يعلم سركم وجهركم **ويعلم ما تكسبون** من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب
ومن في **وما تاتيهم من اية** للاستغراق وفي **من ايات ربهم** للتبعيض اي وما
يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار **الا كانوا عنها**
معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب
فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات
فقد كذبوا **بالحق لما جاءهم** اي بما هو اعظم اية واكبرها وهو القران تحدوا
به فعجزوا عنه **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** اي انباء الشيء الذي
كانوا به يستهزءون وهو القران اي اخباره واحواله يعني سيعلمون باي شيء
استهزءوا به وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة
او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته **الم يروا** يعني المكذبين **كم اهلكنا من**
قبلهم من قرن هو مدة انقضاء اهل كل عصر او هو ثمانون سنة او سبعون
سنة **مكناهم** في موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى **في الارض ما لم نمكن**
لكم التمكين في البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا
عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال
والاستظهار باسباب الدنيا **وارسلنا السماء** المطر **عليهم مدرارا** كثيرا
وهو حال من السماء **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** من تحت اشجارهم
والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والاثمار وسقيا الغيث المدرار
فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا **وانشانا من بعدهم قرنا**
اخرين بدلا منهم **ولو نزلنا عليك كتابا** مكتوبا **في قرطاس** اي في ورق
فلمسوه بايديهم هو للتاكيد لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ومن المحتج عليهم
الا عمى **لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** تعنتا وعنادا للحق بعد
ظهوره **وقالوا لولا** هلا **انزل عليه** على النبي عليه السلام **ملك** يكلمنا انه
نبي فقال الله **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** لقضي امر هلاكهم **ثم لا ينظرون**
لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت

ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضا الامر وعدم
الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضا الامر لان مفاجاة الشدة اشد من
نفس الشدة **ولو جعلناه ملكا** ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم
كانوا تارة يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر
مثلكم ولو شا ربنا لانزل ملايكة **لجعلناه رجلا** لارسلناه في صورة رجل
كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة
دحية لانهم لا يبقون مع روية الملايكة في صورهم **وللبسنا عليهم ما يلبسون**
ولخلطنا واشكلنا عليهم من امره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون
اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست
الامر على القوم البسه اذا شبهته عليهم واشكلته عليهم ثم سلى نبيه على
ما اصابه من استهزاء قومه بقوله **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق**
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الشي الذي كانوا يستهزءون
به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزا به ومنهم متعلق بسخروا كقوله
فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسور عند ابي عمرو وعاصم لالتقاء
الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التا **قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف**
كان عاقبة المكذبين والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل
مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير
الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة
وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح **قل لمن ما في السموات والارض** من استفهام وما بمعنى الذي في موضع
الرفع على الابتدا ولمن خبره **قل لله** تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني
وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيا منه الى غيره **كتب على نفسه الرحمة**
اصل كتب اوجب ولكن لا يجوز الاجرا على ظاهره اذ لا يجب على الله شي للعبد
فالمراد به انه وعد ذلك وعدا موكدا وهو منجزه لا محالة وذكر النفس
للاختصاص ورفع الوسايط ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من
لا يقدر على خلق شي بقوله **ليجمعنكم الى يوم القيامة** فيجازيكم على شرككم
لا ريب فيه في اليوم او في الجمع **الذين خسروا انفسهم** نصب على الذم اي
اريد الذين خسروا انفسهم باختيارهم الكفر **فهم لا يومنون** وقال
الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم اي ليجمع هولاء المشركين الذين
خسروا انفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت
بي المسكين فتجعل المسكين بدلا من اليا او الكاف لانهما في غاية الوضوح
فلا يحتاجان الى البدل والتفسير **وله** عطف الله **ما سكن في الليل والنهار**
من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك او من السكون ومعناه ما سكن
وتحرك فيهما واكتفى باحد الضدين عن الاخر كقوله تقيكم الحر اي الحر والبرد
وذكر السكون لانه اكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا

انه خالق الكل ومدبره **وهو السميع العليم** يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا
يخفى عليه شي مما يشتمل عليه الملوان **قل اغير الله اتخذ وليا** ناصرا ومعبودا
وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول
اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان احق
بالتقديم **فاطر السموات والارض** بالجر صفة لله اي مخترعهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها **وهو يطعم ولا يطعم** وهو يرزق ولا يرزق اي
المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع **قل اني امرت ان اكون اول من**
اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله
لفظا لقيل وان لا اكون امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك **قل اني اخاف**
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي اني اخاف عذاب يوم عظيم وهو القيمة
ان عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب
وهو جازائي **من يصرف عنه** العذاب **يومئذ فقد رحمه** الرحمة العظمى وهي
النجاة من يصرف حمزة وعلي وابو بكر اي من يصرف الله عنه العذاب **وذلك**
الفوز المبين ولا قادر على كشفه الا هو **وان يمسسك الله بضر** من مرض او فقر
او غير ذلك من بلاياه **فلا كاشف له الا هو** ولا قادر على كشفه الا هو **وان يمسسك**
بخير من غنى او صحة **فهو على كل شي قدير** قادرا على ادامته وازالته **وهو**
القاهر مبتدا وخبر اي الغالب المقتدر **فوق عباده** خبر بعد خبر اي عال عليهم
بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه **وهو الحكيم** في تنفيذ مراده
الخبير باهل القهر من عباده **قل اي شي اكبر شهادة** اي شي مبتدا واكبر خبره
وشهادة تمييز واي كلمة يراد بها بعض ما يضاف اليه فاذا كانت استفهاما
كان جوابها مسمى باسم ما اضيفت اليه وقوله **قل الله** جواب اي الله اكبر
شهادة فالله مبتدا والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم
الشي على الله تعالى وهذا لان الشي اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله
تعالى موجود فيكون شيا ولذا نقول الله تعالى شي لا كالاشيا ثم ابتدي
شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الجواب الله
شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فاكبر شي شهادة
شهيد له **واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ** اي ومن بلغه القران
الى قيام الساعة في الحديث من بلغه القران فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم
ومن في محل النصب بالعطف على كم والمراد به اهل مكة والعايد اليه محذوف
اي ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القران **اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى**
استفهام انكار وتبكيت **قل لا اشهد** بما تشهدون وكرر **قل** توكيدا **انما هو**
اله واحد لان عن العمل وهو مبتدا واله خبره وواحد صفة او بمعنى الذي
في محل النصب بان وهو مبتدا واله خبره والجملة صلة الذي وواحد خبر ان

وهذا الوجه اوقع **وانني بريء مما تشركون به الذين آتيناهم الكتاب**
يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل **يعرفونه** اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين **كما يعرفون ابناءهم**
بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به
وبصحة نبوته ثم قال **الذين خسروا انفسهم** من المشركين ومن اهل الكتاب
الجاحدين **فهم لا يؤمنون** به **ومن اظلم** استفهام يتضمن معنى النفي اي
لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه واشنعه اتخاذ المخلوق
معبودا **ممن افترى** اختلق **على الله كذبا** فيصفه بما لا يليق به **او كذب باياته**
بالقرآن والمعجزات **انه** ان الامر والشان **لا يفلح الظالمون** جمعوا بين
امرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث
قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا **ويوم نحشرهم**
هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم **جميعا** حال من ضمير المفعول **ثم**
نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب **اين شركاؤكم**
آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله **الذين كنتم تزعمون** اي تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان **ثم لم تكن** وبالياء حمزة وعلي **فتنتهم** كفرهم **الا ان قالوا والله**
ربنا ما كنا مشركين يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم
وقاتلوا عليه الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به
او ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب ويرفع الفتنة مكي
وشامي وحفص فمن قرا تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن
وان قالوا الخبر اي لم تكن فتنتهم الا مقالتهم ومن قرا بالياء ونصب الفتنة
جعل ان قالوا اسم يكن اي لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرا بالتاء ونصب
الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلي على النداء اي يا ربنا وغيرهما بالجر
على النعت من اسم الله **انظر** يا محمد **كيف كذبوا على انفسهم** بقولهم ما كنا
مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق وراى المشركون سعة رحمة الله
وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا
ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم **وضل عنهم** وغاب عنهم **ما كانوا يفترون** الهيته وشفاعته **ومنهم**
من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر
واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول
محمد فقال والله ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا
فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** اغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان واعنة
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** ثقلا يمنع من السماع ووحد
الوقر لانه مصدر وهو عطف على اكنة وهو حجة لنا في الاصلح على المعتزلة

وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا
حتى هي التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا
ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع
الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير
له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر
مجادلتهم بانهم يقولون **ان هذا** ما القرآن **الا اساطير الاولين** فيجعلون
كلام الله اكاذيب وواحد الاساطير اسطورة **وهم** اي المشركون **ينهون**
عنه ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه والايمان به
وينأون عنه ويبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون **وان يهلكون** بذلك
الا انفسهم وما يشعرون اي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون
انهم يضرون رسول الله وقيل عني به ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن
التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول
اشبه **ولو ترى** حذف وجوابه محذوف اي ولو ترى لشاهدت امرا عظيما
اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او حبسوا على الصراط فوق النار
فقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم
ابتدءوا بقوله **ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** واعدين
الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وحفص
على جواب التمني بالواو وباضمار ان ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من
المؤمنين وانتصبهما في ونكون شامي **بل** للاضراب عن الوفاء بما تمنوا **بدا لهم** ظهر
لهم **ما كانوا يخفون** من الناس **من قبل** في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم
في صحفهم وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه
او في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله
ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار **لعادوا لما نهوا عنه** من الكفر
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به **وقالوا** عطف
على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا **ان هي الا حياتنا الدنيا** كما
كانوا يقولونه قبل معاينة القيامة او على قوله وانهم لكاذبون اي وانهم
لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا وهي كناية
عن الحياة او هو ضمير القصة **وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على**
ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده ليعاتبه او وقفوا على جزاء ربهم **قال** جواب لسؤال مقدر
كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فقيل قال **اليس هذا**
اي البعث **بالحق** بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث
وقولهم لما كانوا يسمعون من تكذيب البعث ما هو بحق **قالوا بلى وربنا**
اقروا واكدوا الاقرار باليمين **قال** الله **فذوقوا العذاب بما كنتم**
تكفرون بكفركم **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** ببلوغ الآخرة وما

يتصل بها او هو يجري على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية حتى غاية لكذبوا
لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية له اذا جاءتهم الساعة اي القيامة لان
مدة تأخرها مع تأبدها بعدها كساعة واحدة بغتة فجاءة وانتصابها
على الحال يعني باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهي
ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته قالوا يا حسرتنا نداء تفجع
معناه يا حسرة احضري فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة
الدنيا او في الساعة اي قصرنا في شأنها وفي الايمان بها وهم يحملون اوزارهم
آثامهم على ظهورهم خص الظهور لان المعهود حمل الاثقال على الظهور
كما عهد الكسب بالايدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان
الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا
عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وانا اركبك اليوم الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يحملونه وافاد الا تعظيم ما يذكر بعده وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا واللعب ترك
ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل قيل ما اهل الحياة الدنيا
الا اهل لعب ولهو وقيل ما اعمال الحياة الدنيا الا لعب ولهو لانها
لا تعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وللدار مبتدأ
الآخرة صفتها ولدار الآخرة بالاضافة شامي اي ولدار الساعة الآخرة
لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين خير للذين يتقون
وفيه دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو افلا تعقلون
بالتاء مدني وحفص ولما قال ابو جهل ما نكذبك يا محمد وانما نكذب
ما جئتنا به نزل قد نعلم انه الهاء ضمير الشأن ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك لا ينسبونك الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلي من اكذبه
اذا وجده كاذبا ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون من اقامة
الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا في جحودهم والباء تتعلق
بيجحدون او بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك امر راجع
الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة
وانما يكذبون الله لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولقد كذبت رسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله
فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك اذا
اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا والصبر
حبس النفس على المكروه على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم
حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا ولقد جاءك
من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين
واجاز الاخفش ان تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لا يجيز

زيادتها في الموجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم
ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل وان كان كبر عليك اعراضهم عن
الاسلام فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض
حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها في الارض صفة لنفقا او سلما في السماء
فتأتيهم منهما بآية فافعل وهو جواب فان استطعت وهو وجوابها
جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه
على اسلام قومه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق
السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لجعلهم
بحيث يختارون الهدى ولكن علم انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على
ذلك كذلك قاله الشيخ ابو منصور رحمه الله فلا تكونن من الجاهلين
من الذين يجهلون ذلك ثم اخبر ان حرصه على هداهم لا ينفع لعدم سمعهم
كالموتى بقوله انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يجيب دعاءك الذين
يسمعون دعاءك بقلوبهم والموتى مبتدأ اي الكفار يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا وقالوا لولا نزل عليه هلا انزل
آية من ربه كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع ارض مكة وتفجير الانهار
خلالها قل ان الله قادر على ان ينزل آية كما اقترحوا ولكن اكثرهم لا
يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية او لا يعلمون ما عليهم في الآية
من البلاء لو انزل وما من دابة هو اسم ما يدب ويقع على المذكر والمؤنث
في الارض في موضع جر صفة لدابة ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران
بالجناحين لنفي المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا اسرع الا امم
امثالكم في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر امرها
ما فرطنا ما تركنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه
ولم نثبت ما وجب ان يثبت او الكتاب القرآن وقوله من شيء اي من شيء
يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء
ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها
من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال
الا امم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه
وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في
الظلمات اي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك
والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات
خبر آخر ثم قال ايذانا بانه فعال لما يريد من يشأ الله يضلله اي من يشأ
الله ضلاله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وفيه دلالة خلق
الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح قل أرأيتكم وبتليين الهمزة مدني
وبتركه علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم

والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار
محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من
تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون اي اتخصون الهتكم بالدعوى
فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها تدعون الله دونها
ان كنتم صادقين في ان الاصنام الهة فادعوها لتخلصكم بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون وتتركون
الهتكم او لا تذكرون الهتكم في ذلك الوقت لان اذهانكم معمورة بذكر
ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق بقوله
اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم وهو
فاخذناهم بالباساء والضراء بالبؤس والضر والاول القحط والجوع
والثاني المرض ونقصان الانفس والاموال لعلهم يتضرعون يتذللون
ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول
الشدائد فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي هلا تضرعوا بالتوبة
ومعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا
ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع ولكن قست قلوبهم فلم
ينزجروا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وصاروا
معجبين باعمالهم التي زينها الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء
والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شاملا حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من الخير والنعم اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ايسون متحسرون
واصله الاطراق حزنا لما اصابه او ندما على ما فاته واذا للمفاجاة فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي اهلكوا عن اخرهم ولم يترك منهم احد
والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة
وانه من اجل النعم واجزل القسم او احمدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله
ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
باذ اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم تسلب العقول والتمييز من اله غير
الله ياتيكم به بما اخذ وختم عليه من دفع بالابتداء واله خبره وغير صفة
لاله وكذا ياتيكم والجملة في موضع مفعولي ارايتم وجواب الشرط محذوف
انظر كيف نصرف الايات نكررها ثم هم يصدفون يعرضون عن الايات
بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشيء قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة بان لم تظهر اماراته او جهرة بان ظهرت اماراته وعن الحسن
ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون ما يهلك هلاك تعذيب وسخط
الا الذين ظلموا انفسهم بكفرهم وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين

بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الايات
بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة فمن امن واصلح
اي داوم على ايمانه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا خوف يعقوب
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل
بهم ما يريد من الالام بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم وخروجهم عن
طاعة الله تعالى بالكفر قل لا اقول لكم عندي خزائن الله اي قسمه
بين الخلق وارزاقه ومحل ولا اعلم الغيب النصب عطفا على محل عندي
خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا
هذا القول ولا اقول لكم اني ملك اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون
لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيوب ودعوى الملكية وانما ادعي
ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اخبركم الا
بما انزل الله علي قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
او لمن اتبع ما اوحي اليه ومن لم يتبع او لمن يدعي المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه
العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع
ما يوحى الي مما لا بد لي منه وانذر به بما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل
فينذرهم بما اوحي اليه او اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا اي يخافون
ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم لعلهم يتقون يدخلون
في زمرة اهل التقوى ولما امر عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا امر
بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام او معناه يصلون
صلاة الصبح والعصر او الصلوات الخمس بالغدوة شامي ووسمهم
بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه فالوجه يعبر به عن ذات
الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار واضرابهم حين قال
رؤساء المشركين لو تركت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام
ما انا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما فطلبوا بذلك
كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت
فرمى عليه السلام بالصحيفة واتى الفقراء فعانقهم ما عليك من حسابهم من
شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وما من حسابك عليهم من شيء وذلك
انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم فتطردهم جواب النفي
وما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين جواب النهي وهو ولا تطرد

وجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب
عن طردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا
الاغنياء بالفقراء ليقولوا اي الاغنياء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي
انعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤسا وهم الفقراء انكارا
لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه
لو كان خيرا ما سبقونا اليه أليس الله باعلم بالشاكرين بمن يشكر نعمته
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا
بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما
لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة
ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منه ومعناه
وعدكم بالرحمة وعدا موكدا انه الضمير للشان من عمل منكم سوءا ذنبا
بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة
او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة ثم تاب من بعده من بعد
السوء او العمل واصلح واخلص توبته فانه غفور رحيم انه فانه
شامي وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدا محذوف
اي فشانه انه غفور رحيم انه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني
مبتدا انه فانه غيرهم على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل
انه من عمل منكم وكذلك نفصل الايات ولتستبين وبالياء حمزة وعلي
وابو بكر سبيل المجرمين مدني غير بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء
لانها تذكر وتونث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول يقال
استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل ايات القران ونلخصها في صفة احوال المجرمين من
هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل
كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون الله اي صرفت وزجرت بادلة العقل والسمع
عن عبادة ما تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في
طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل
وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال قد ضللت اذا اي
ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين وما انا من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب
اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي اي اني على معرفة ربي وانه
لا معبود سواه على حجة واضحة وكذبتم به حيث اشركتم به غيره وقيل
على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم به بالبينة
وذكر الضمير على تاويل البرهان او البيان او القران ثم عقبه بما دل
على انهم احقاء بان يقعوا في العذاب فقال ما عندي ما تستعجلون به

يعني

يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا
لله في تاخير عذابكم يقض الحق حجازي وعاصم اي يتبع الحق والحكمة
فيما يحكم به ويقدره من قص اثره الباقون يقضي الحق اي القضاء الحق في كل
ما يقضي من التاخير والتعجيل فالحق صفة لمصدر يقضي وقوله وهو خير
الفاصلين اي القاضين بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء
من الخط لاتباع اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين قل لو ان
عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر
بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين فهو ينزل
عليهم العذاب في وقت يعلم انه اردع وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهو خزائن العذاب والرزق او ما غاب
عن العباد من الثواب والعقاب والاجال والاحوال جعل للغيب مفاتح
على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق
منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد
انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح
اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده
مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن امن بغيبه اسبل الله الستر
على عيبه ويعلم ما في البر من النبات والدواب والبحر من الحيوان والجواهر
وغيرهما وما تسقط من ورقة الا يعلمها ما للنفي ومن للاستغراق اي يعلم
عددها واحوالها قبل السقوط وبعده ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا
يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير
لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد وهو
علم الله او اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض
انفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
من الاثام ثم يبعثكم فيه ثم يوقظكم في النهار او التقدير ثم يبعثكم
في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه اهم وليس فيه انه لا يعلم
ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشيء بالذكر لا
يدل على نفي ما عداه ليقضى اجل مسمى ليوفى الاجال على الاستكمال ثم اليه
مرجعكم رجوعكم بالبعث بعد الموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم
ونهاركم قال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا
تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحيى بها
النفس فانه لا يقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعاني والقوى
التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشي والشم ومعنى
ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس ثم يرد اليها فلذا تحيى
الانفس بعد موتها وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين
لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك ازجر للعباد عن ارتكاب

العشاء وإذا تغفلوا أن صحايفهم تعرض على رؤوس الأشهاد حتى إذا جاء أحدكم الموت
حتى لغاية حفظ الأعمال أي ذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة
إلى أن يأتيه الممات توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت
وأعوانه توفيه واستوفيه بالإمالة حمزة رسْلنا أبو عمرو وهم لا يفرطون
لا يتوانون ولا يؤخرون ثم ردوا إلى الله إلى حكمه وجزائه أي رد المتوفون
برد الملائكة مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم الحق العدل الذي لا يحكم
إلا بالحق وهما صفتان لله ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو أسرع
الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار
حلب شاة وقيل الرد إلى من رباك خير من البقاء مع من آذاك قل من
ينجيكم ينجيكم عباس من ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات
البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما في الغيم والليل تدعونه حال من ضمير
المفعول في ينجيكم تضرعا معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا
وخفية أي مسرين في أنفسكم خفية شامي حيث كان أبو بكر وهما لغتان
لئن أنجانا عاصم وبالإمالة حمزة وعلي الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن
خلصتنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين لله تعالى قل الله ينجيكم
بالتشديد كوفي منها من الظلمات ومن كل كرب غم وحزن ثم أنتم تشركون
ولا تشكرون قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة
فاللام تحتمل العهد والجنس على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما أمطر على
قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة أو من تحت أرجلكم كما أغرق قوم فرعون
وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات
أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة
منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطون
ويشتبكوا في ملاحم القتال ويذيق بعضكم بأس بعض يقتل بعضكم بعضا
والبأس السيف وعنه عليه السلام سألت الله أن لا يبعث على أمتي
عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل
بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف انظر كيف نصرف
الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به بالقرآن أو بالعذاب قومك
قريش وهو الحق أي الصدق أو لا بد أن ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل
بحفيظ وكل إلي أمركم إنما أنا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني أنباءهم بأنهم
يعذبون وإيعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف
تعلمون تهديد وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي القرآن يعني يخوضون
في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك
في أنديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره
غير القرآن مما يحل لك أن تجالسهم وإما ينسينك الشيطان ما نهيت
عنه ينسّينّك شامي نسي وأنسى واحد فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن تذكر

النهي

النهي مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من حساب هؤلاء الذين
يخوضون في القرآن تكذيبا واستهزاء من شيء أي وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم أن
يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة
لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب أي ولكن يذكرونهم ذكرى أي
تذكيرا أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى تذكرى مبتدأ والخبر
محذوف لعلهم يتقون لعلهم يتقون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم
وذر الذين اتخذوا دينهم أي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا
ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب
وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا البعث وذكر به وعظ بالقرآن
أن تبسل نفس بما كسبت مخافة أن تسلم للهلكة والعذاب وترتهن
بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع ليس لها من دون الله ولي ينصرها بالقوة
ولا شفيع يدفع عنها بالمسألة ولا وقف على كسبت في الصحيح لأن قوله
ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة
وليا ولا شفيعا بكسبها وإن تعدل كل عدل منصوب على المصدر وإن تفد كل
فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدي بمثله وفاعل لا يؤخذ منها
لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله ولا
يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح إسناده إليه أولئك إشارة إلى
المتخذين دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر الذين أبسلوا بما كسبوا
وقوله لهم شراب من حميم أي ماء سخين خبر ثان لأولئك والتقدير أولئك
المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف وعذاب أليم بما كانوا
يكفرون بكفرهم قل لأبي بكر قل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه
إلى عبادة الأوثان أندعو أنعبد من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا
ما لا يقدر على نفعنا إن دعوناه ولا يضرنا إن تركناه ونرد وأنرد على أعقابنا
راجعين إلى الشرك بعد إذ هدانا الله للإسلام وأنقذنا من عبادة
الأصنام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به الغيلان ومردة الجن
والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص
مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى في الأرض
إذا ذهب فيها كأن معناه طلب هويه في الأرض في المهمه حيران حال
من مفعول استهوته أي تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له
لهذا المستهوي أصحاب رفقة يدعونه إلى الهدى إلى أن يهدوه إلى الطريق
سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه
تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما يقال إن الجن تستهوي
الإنسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الإسلام

التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله
وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله نصب
بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا
القول وقل امرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة والتقدير وامرنا
لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلاة واتقوه وهو الذي اليه
تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
او محقا ويوم يقول كن فيكون ع الخبر دون الجواب قوله الحق مبتدا
ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق اي قولك
الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات
والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك
الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر
المكونات الا عن حكمة وصواب وله الملك مبتدا وخبر يوم ينفخ ظرف لقوله
وله الملك في الصور هو القرن بلغة اليمن او جمع صورة عالم الغيب
هو عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية وهو الحكيم في الافناء
والاحيا الخبير بالحساب والجزا واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو اسم
ابيه او لقبه لانه لا خلاف بين النسابين ان اسم ابيه تارح وهو عطف
بيان لابيه ووزنه فاعل أتتخذ اصناما آلهة استفهام توبيخ اي اتتخذها
آلهة وهي لا تستحق الالهية اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك
اي وكما اريناه قبح الشرك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
اي نري بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونري حكاية حال
ماضية والملكوت ابلغ من الملك لان الواو والتاء تزادان للمبالغة قال
مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش
وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن وليكون من الموقنين
فعلنا ذلك او ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما ايقن بيانا فلما جن
عليه الليل اي اظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري
ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه رأى كوكبا اي
الزهرة او المشتري وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر
والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق
النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مود الى ان شيئا منها ليس
باله لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا احدثها ومدبرا دبر طلوعها
وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا
يعبدونه قال هذا ربي اي قال لهم هذا ربي في زعمكم او المراد هذا ربي
استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة
الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله
كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه

بعد

بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما افل غاب قال لا احب الآفلين اي لا احب
عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام
فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم
يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين نبه قومه على ان من اتخذ القمر الها
فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال
لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع خفا واحتجاب فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وانما ذكره لانه اراد الطالع او لانه جعل المبتدا مثل الخبر
لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التانيث ولهذا قالوا في
صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني ابلغ تفاديا من
علامة التانيث هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه فلما
افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء
لخالقها وقيل هذا كان نظيره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول
اظهر لقوله يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض اي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشيها حنيفا حال اي مائلا
عن الاديان كلها الا الاسلام وما انا من المشركين بالله شيئا من خلقه وحاجه
قومه في توحيد الله ونفي الشركا عنه قال أتحاجوني اتحاجوني مدني وابن
ذكوان في الله وقد هدان الى التوحيد وبالياء في الوصل ابو عمرو ولما خوفوه
ان معبودهم يصيبه بسوء قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا
اي لا اخاف معبودكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء
ربي ان يصيبني منها بضر فهو قادر على ان يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا لا
الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يصيب عبدا شيء من ضر او نفع الا بعلمه افلا
تتذكرون فتميزوا بين القادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم معبودكم
وهي مامونة الخوف ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به باشراكه
عليكم سلطانا حجة اذ الاشراك لا يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون
على انفسكم الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف
فاي الفريقين اي فريقي الموحدين والمشركين احق بالامن من العذاب ان
كنتم تعلمون ولم يقل اينا احترازا من تزكية نفسه ثم استانف الجواب
عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك عن الصديق
رضي الله عنه اولئك لهم الامن وهم مهتدون ثم كلام ابراهيم عليه السلام
وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من
قوله فلما جن الى وهم مهتدون آتيناها ابراهيم على قومه هو خبر بعد خبر
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول
المعتزلة في الاصلح ان ربك حكيم بالرفع عليم بالاهل ووهبنا له لابراهيم
اسحاق ويعقوب كلا هدينا اي كلهم وانتصب كلا بهدينا ونوحا هدينا
وهدينا نوحا من قبل من قبل ابراهيم ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم

والاول اظهر لان يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم داود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهارون والتقدير وهدينا من ذريته هولاء
وكذلك نجزي المحسنين ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف في
موضع نصب نعت لمصدر محذوف وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل اي كلهم
من الصالحين وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام ايضا
لانه جعله من ذرية نوح وهو لا يتصل به الا بالام وبذا اجيب الحجاج حين
انكر ان يكون بنوا فاطمة اولاد النبي صلى الله عليه وسلم واسماعيل واليسع
والليسع حيث كان بلامين حمزة وعلي ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة والرسالة ومن ابائهم في موضع النصب عطفا على كلا اي وفضلنا
بعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
ذلك اي ما دان به هولاء المذكورون هدى الله دين الله يهدي به من يشاء
من عباده فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شا هداية الخلق
كلهم لكنهم لم يهتدوا ولو اشركوا مع تفضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من
الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لبطلت اعمالهم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والحكمة
او فهم الكتاب والنبوة وهي اعلى مراتب البشر فان يكفر بها بالكتاب والحكم
والنبوة او بالنبوة او بايات القران هولاء اي اهل مكة فقد وكلنا بها
قوما هم الانبيا المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده او اصحاب النبي عليه السلام او كل من آمن به او العجم
ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل
بالشي ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في ليسوا بها صلة كافرين
وفي بكافرين لتاكيد النفي اولئك الذين هدى الله اي الانبيا الذين
مر ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم
وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله
وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فهي مختلفة والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الها في المصحف
ويحذفها حمزة وعلي في الوصل ويختلسها شامي قل لا اسالكم عليه على الوحي
او على تبليغ الرسالة والدعا الى التوحيد اجرا جعلا وفيه دليل على ان اخذ
الاجر على تعليم القران ورواية الحديث لا يجوز ان هو الا ذكرى للعالمين
ما القران الا عظة للجن والانس وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شي اي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده حين
انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين روي ان جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف يجادلون
النبي عليه السلام فقال عليه السلام له اليس في التوراة ان الله يبغض
الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب وقال ما انزل الله

على بشر من شي وحق قدره منصوب نصب المصدر قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا حال من الضمير في به او من الكتاب وهدى للناس
يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا مما فيه نعت محمد عليه السلام
او بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا
من الابدا والاخفا وبالياء في الثلاثة مكي وابو عمرو وعلمتم يا اهل
الكتاب بالكتاب ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من امور دينكم ودنياكم
قل الله جواب اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في
خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم
وهذا كتاب انزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبارك كثير
المنافع والفوايد مصدق الذي بين يديه من الكتب ولتنذر وبالياء ابو بكر
اي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه
للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار ام القرى مكة وسميت
ام القرى لانها سرة الارض وقبلة اهل القرى واعظمها شانا ولان الناس
يؤمونها ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة
فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون خصت
الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها
ظاهرا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو مالك بن الصيف او قال
اوحي الي ولم يوح اليه شي هو مسيلمة الكذاب ومن قال في موضع جر
عطف على من افترى اي وممن قال سانزل مثل ما انزل الله اي سأقول
واملي هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح كاتب الوحي وقد املي عليه السلام
عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا اخر فجرى على لسانه فتبارك الله
احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال
ان كان محمد صادقا فقد اوحي الي مثل ما اوحي اليه وان كان كاذبا فقد قلت
كما قال فارتد ولحق بمكة او النضر بن الحارث كان يقول والطاحنات
طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا كانه يعارض ولو ترى جوابه محذوف
اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبية
فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هولاء لاشتماله
في غمرات الموت شدايده وسكراته والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
اي يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من
اجسادكم وهذه عبارة عن التشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال
اليوم تجزون عذاب الهون ارادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة
النزع والهون والهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل
سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما كنتم تقولون على الله
غير الحق من ان له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون

فوت

او وصف لمصدر محذوف اي قولا غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون فلا
تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين بلا مال ولا
معين وهو جمع فريد كاسير واسارى كما خلقناكم في محل النصب صفة
لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم اول مرة على الهيئات التي ولدتم
عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ملكناكم وراء ظهوركم ولم تحملوا
منه نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في
استعبادكم لقد تقطع بينكم وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال
• فوالله لولا البين لم يكن الهوى • ولولا الهوى ما حن للبين آلف •
بينكم مدني وعلي وحفص اي تقطع بينكم وضل عنكم وضاع وبطل ما كنتم
تزعمون انها شفعاؤكم عند الله ان الله فالق الحب والنوى بالنبات
والشجر او فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق
وعن مجاهد اراد الشقين الذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت
النبات الغض النامي من الحب اليابس ومخرج الميت من الحي الحب اليابس من
النبات النامي او الانسان من النطفة والنطفة من الانسان او المومن
من الكافر والكافر من المومن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه
لانهم انكروا البعث فاعلمهم انه الذي خلق هذه الاشيا فهو يقدر على
بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق
الحب لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة
لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين
من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان دليله قوله يحيي
الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية
لا الاصنام فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد
وضوح الامر بما ذكرنا فالق الاصباح هو مصدر سمي به الصبح اي شاق عمود
الصبح عن سواد الليل اي خالق نور النهار وجاعل الليل وجعل الليل كوفي لان
اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل
لتوافقهما معنى سكنا مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه اي يسكن فيه الخلق
عن كد المعيشة الى نوم الغفلة او عن وحشة الخلق الى الانس بالحق والشمس
والقمر انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا
اي جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان
بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما
العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لتهتدوا بها في
ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها
او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الايات لقوم يعلمون قد بينا
الايات الدالة على التوحيد لقوم يفهمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة

من آدم عليه السلام فمستقر ومستودع فمستقر بالكسر مكي وبصري فمن فتح
القاف كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب
او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون وانما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لان الدلالة
ثم اظهر وهنا ادق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة ادق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر اوفق وهو الذي انزل من
السماء ماء من السحاب مطرا فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف
من اصناف النامي اي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة
فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
الذي تراكب حبه ومن النخل من طلعها قنوان هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره
ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع
قنو وهو العذق ونظيره صنو وصنوان دانية قريبة من المجتني لانحنائها
بثقل حملها او لقصر ساقها وفيه اكتفا اي وغير دانية لطولها كقوله سرابيل
تقيكم الحر وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات
من اعناب وكذا والزيتون والرمان وجنات الاعشى اي وثم جنات من
اعناب اي مع النخل مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها
نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره
والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابها وغير
متشابه في القدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره
كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به وينعه نضجه اي انظروا الى حال نضجه كيف
يعود شيئا جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره
وناقله من حال الى حال ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون ثمره وكذلك ما بعده
حمزة وعلي جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر وجعلوا لله
شركاء الجن ان جعلت لله شركا مفعولي جعلوا كان الجن بدلا من شركا والا كان
شركا الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام ان
يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او غير ذلك والمعنى انهم اطاعوا
الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وخلقهم اي وخلق الجن
فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين لله شركا
فكيف يعبدون غيره وخرقوا له اي اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه
واختلقه واخترقه بمعنى او هو من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له
بنين كقول اهل الكتابين في المسيح وعزير وبنات كقول بعض العرب
في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدني لقوله بنين وبنات بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول

عن جهالة او هو حال من فاعل خرقوا اي جاهلين بما قالوا سبحانه وتعالى
عما يصفون من الشريك والولد بديع السموات والارض يقال بدع
الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها بمعنى بديع
سمواته وارضه او هو بمعنى المبدع اي مبدعهما وهو خبر مبتدا محذوف او
مبتدا وخبره انى يكون له ولد او هو فاعل تعالى ولم تكن له صاحبة اي من
اين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة
من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا وخلق
كل شيء وهو بكل شيء عليم اي ما من شيء الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك
كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج ذلكم اشارة الى الموصوف بما
تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شيء وقوله فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمعت
له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه
وهو على كل شيء وكيل اي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق
والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار لا تحيط به او ابصار من سبق
ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الاية لا يستتب لان المنفي هو الادراك
لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده وما يستحيل
عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من
الرؤية منزلة الاحاطة من العلم به فلذا على ان مورد الاية وهو
التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح
فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية
اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن
الذات فكانت الاية حجة لنا عليهم ولو امعنوا النظر فيها لاغتنموا التفصي
فيها عن عدتها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود والا فكما يعلم
موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم لا يجوز ان يرى بلا كيفية وجهة
بخلاف كل مرئي وهذا لان الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو فان كان المرئي
في الجهة يرى فيها وان كان لا في الجهة يرى لا فيها وهو للطف ادراكه
للمدركات يدرك الابصار وهو اللطيف العالم بدقائق الامور ومشكلاتها
الخبير العليم بظواهر الاشياء وخفياتها او هو من قبيل اللف والنشر قد
جاءكم بصائر من ربكم البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما ان
البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب
كالبصائر فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه وضل
فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم
واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف في وكذلك نصرف
الايات في موضع نصب صفة لمصدر محذوف اي نصرف الايات تصريفا مثل
ما تلونا عليك وليقولوا جوابه محذوف اي وليقولوا درست نصرفها

ومعنى

ومعنى درست قرات كتب اهل الكتاب دارست مكي وابو عمرو اي دارست
اهل الكتاب درست شامي اي قدمت هذه الايات ومضت كما قالوا اساطير
الاولين ولنبينه اي القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الايات
لانها في معنى القران قيل اللام الثانية حقيقية والاولى لام العاقبة والصيرورة
اي لتصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة
عين ولكن صارت عاقبة امرهم الى العداوة فكذلك الايات صرفت للتبيين
ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل
التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف
لقوم يعلمون الحق من الباطل اتبع ما اوحي اليك من ربك ولا تتبع اهواءهم
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب
او حال من ربك مؤكدة واعرض عن المشركين في الحال الى ان يرد الامر
بالقتال ولو شاء الله اي ايمانهم فالمفعول محذوف ما اشركوا بين
انهم لا يشركون مع مشية الله تعالى ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم
اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته وما جعلناك
عليهم حفيظا مراعيا لاعمالهم ماخوذا باجرامهم وما انت عليهم بوكيل
بمسلط وكان المسلمون يسبون الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب
الله بقوله ولا تسبوا الالهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
منصوب على جواب النهي عدوا ظلما وعدوانا بغير علم على جهالة بالله
وبما يجب ان يذكر به كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم
الكفار عملهم وهو كقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وهو حجة لنا في الاصلح ثم الى ربهم مرجعهم اي
مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه واقسموا
بالله جهد ايمانهم جهد مصدر وقع موقع الحال اي جاهدين في الاتيان
باوكد الايمان لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات
عند الله وهو قادر عليها لا عندي فكيف اتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم
انها ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا
جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في
ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا
يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون انها
بالكسر مكي وبصري وابو بكر على ان الكلام تم قبله اي وما يشعركم ما يكون
منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من
جعل لا مزيدة في قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم
لا يرجعون لا تؤمنون شامي وحمزة ونقلب افئدتهم عن قبول الحق
وابصارهم عن رؤية الحق عند نزول الاية التي اقترحوها فلا يؤمنون بها

قيل هو عطف على يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم اي وما يشعركم انهم لا يؤمنون
وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق
كما لم يؤمنوا به اول مرة كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يؤمنون بها
ونذرهم في طغيانهم يعمهون متحيرين وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم
يتحيرون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة
وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بابائنا وحشرنا عليهم جمعنا كل شيء قبلا كفلا
بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدني وشامي اي عيانا
وكلاهما نصب على الحال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا
وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الايات ولكن اكثرهم
يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم اذا جاءتهم الاية المقترحة وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا وكما جعلنا لك اعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك
اعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة
الثواب والاجر وانتصب شياطين الانس والجن على البدل من عدوا او
على انه المفعول الاول وعدوا مفعول ثان يوحي بعضهم الى بعض يوسوس
شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس
الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد من شيطان الجن لاني
اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى
المعاصي عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن
زخرف القول ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي غرورا
خدعا واخذا على غرة وهو مفعول له ولو شاء ربك ما فعلوه اي الايحاء
يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه
الاجزل في الثواب فذرهم وما يفترون عليك وعلى الله فان الله يخزيهم
وينصرك ويجزيهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة ولتميل
الى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على غرورا ليغروه ولتصغى
اليه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله
ابتغي حكما اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل
المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا حال من
الكتاب اي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم
بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه
ما عندهم وموافقته له بقوله والذين اتيناهم الكتاب اي عبد الله بن
سلام واصحابه يعلمون انه منزل شامي وحفص من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين الشاكين فيه ايها السامع او فلا تكونن من الممترين
في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم
به وتمت كلمة ربك اي ما تكلم به كلمات ربك حجازي وشامي وابو عمرو
اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا في وعده ووعيده وعدلا

في امره

في امره ونهيه وانتصبا على التمييز او الحال لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من
ذلك وهو السميع لاقرار من اقر العليم لاصرار من اصر او السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون وان تطع اكثر من في الارض اي الكفار لانهم الاكثرون
يضلوك عن سبيل الله دينه ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا
على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يكذبون في ان الله حرم عليهم
كذا واحل لهم كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر
يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان افعل لا يعمل في الاسم الظاهر
النصب ويعمل الجر وقيل تقديره اعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين هو مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا
يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان
تاكلوه مما قتلتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه خاصة اي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتكم او مات
حتف انفه وما لكم ان لا تاكلوا ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم
الخبر اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم
بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم
كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص وبضمهما غيرهم الا ما اضطررتم اليه
مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة اي شدة المجاعة الى اكله
وان كثيرا ليضلون ليضلون كوفي باهوائهم بغير علم اي يضلون فيحرمون
ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم
بالمعتدين بالمجاوزين من الحق الى الباطل وذروا ظاهر الاثم وباطنه
علانيته وسره او الزنا في الحوانيت والصديقة في السر او الشرك الجلي
والخفي ان الذين يكسبون الاثم سيجزون يوم القيامة بما كانوا
يقترفون يكتسبون في الدنيا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عند
الذبح وانه وان اكله لفسق وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم لا تاكلون مما قتله الله
وتاكلون مما تذبحون بايديكم والاية تحرم متروك التسمية وخصت
حالة النسيان بالحديث او يجعل الناسي ذاكرا تقديرا وان اطعتموهم
في استحلال ما حرمه الله انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه
فقد اشرك به ومن حق المتدين ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما
في الاية من التشديد العظيم ومن اول الاية بالميتة وبما ذكر غير اسم
الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه لفسق
للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير
ولا تاكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله او فسقا

اهل لغير الله به فصار التقدير ولا تاكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به
فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحللة منها قوله قل لا اجد الاية
فقد عدل عن ظاهر اللفظ اومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه
لان الايمان حياة القلوب ميتا مدني وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
اي مستضيئا به والمراد به اليقين كمن مثله اي صفته في الظلمات
خابط فيها ليس بخارج منها لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل
المراد بهما حمزة وابو جهل والاصح ان الاية عامة لكل من هداه الله
ولكل من اضله الله فبين ان مثل المهتدي مثل الميت الذي احيي وجعل
مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو
في الظلمات التي لا يتخلص منها كذلك اي كما زين للمؤمن ايمانه زين
للكافرين تزيين الله تعالى لقوله زينا لهم اعمالهم ما كانوا يعملون
اي اعمالهم وكذلك اي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها
جعلنا صيرنا في كل قرية اكابر مجرميها ليتجبروا على الناس
فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند اهل السنة وليست
بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤسا لان ما فيهم من الرياسة
والسعة ادعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد
له النصرة بقوله وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وما يشعرون
انه يحيق بهم اكابر مفعول اول والثاني في كل قرية ومجرميها بدل
من اكابر او الاول مجرميها والثاني اكابر والتقدير مجرميها اكابر
ولما قال ابو جهل زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا
وحي كما ياتيه نزل واذا جاءتهم اي الاكابر اية معجزة او اية من القران
تامرهم بالايمان قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله اي
نعطى من الايات مثل ما اعطي الانبيا فاعلم الله تعالى انه اعلم
بمن يصلح للنبوة فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته مكي وحفص
رسالاته غيرهما حيث مفعول به والفاعل محذوف والتقدير يعلم
موضع رسالته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار ذل
وهوان عند الله في القيامة وعذاب شديد في الدارين من
القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون في الدنيا فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام
اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قيل وما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت ومن يرد اي الله ان يضله يجعل صدره ضيقا
ضيقا مكي حرجا مدني وابو بكر بالفتح في الضيق حرجا غيرهما وصفا

بالمصدر

بالمصدر كانما يصعد في السماء كانه كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي
للاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب مصعدا
في السماء او كعازب الراي طائر القلب في الهواء يصعد مكي من صعد
يصاعد ابو بكر واصله يتصاعد الباقون يصعد واصله يتصعد كذلك
يجعل الله الرجس العذاب في الاخرة واللعنة في الدنيا على الذين لا يؤمنون
والاية حجة لنا على المعتزلة في ارادة المعاصي وهذا صراط ربك اي
طريقه التي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر من اراد هدايته وجعله
ضيقا لمن اراد ضلاله مستقيما عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون يتعظون لهم لقوم يذكرون دار السلام
دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من كل افة وكدر او السلام التحية سميت دار السلام لقوله
تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما عند ربهم في ضمانه وهو وليهم
محبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون باعمالهم او متوليهم
بجزاء ما كانوا يعملون او هو وليهم في الدنيا بتوفيق الاعمال
وفي العقبى بتحقيق الامال ويوم يحشرهم جميعا وبالياء حفص
اي واذكر يوم يحشرهم او ويوم يحشرهم قلنا يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم كما تقول استكثر
الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا
الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع
الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في اغوائهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام
اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم خالدين
فيها حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة
اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل
في شيء الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما
شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب
الزمهرير ان ربك حكيم فيما يفعل باوليائه واعدائه عليم باعمالهم
فيجزي كلا وفق عمله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي نتبع
بعضهم بعضا في النار او نسلط بعضهم على بعض او نجعل بعضهم
اولياء بعض بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي
ثم قال لهم يوم القيامة على وجه التوبيخ يا معشر الجن والانس الم
ياتكم رسل منكم عن الضحاك بعث الى الجن رسلا كما بعث

الى الانس رسلاً منهم لا تعلقهم به انس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من
الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك
وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان او رسلهم رسل نبينا
كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي يقرأون كتبي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا بوجوب الحجة علينا
وتبليغ الرسالة الينا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين بالرسل ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدا
محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان
ان مصدرية ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشان والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالماً على انه لو
اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالماً وهو متعال عنه
ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وبه استدل
ابو يوسف ومحمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعات لانه ذكر عقيب
ذكر الثقلين وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه وبالتاء شامي وربك
الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع
الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها الظلمة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من
الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم
يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انّ ما بمعنى الذي
توعدون من البعث والحساب والثواب والعقاب لآت خبر ان اي
لكائن وما انتم بمعجزين بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة
تكون مصدراً يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على
جهتكم وحالكم التي انتم عليها ويقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على
مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه اني عامل على مكانتي التي انا
عليها اي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
وهو امر تهديد ووعيد دليله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف في الانذار
انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون مكاناتكم حيث كان ابو بكر يكون حمزة
وعلي ومن موضع من رفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او نصب اذا كان
بمعنى الذي وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً اي وللاصنام
نصيباً فاكتفى بدلالة قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا بزعمهم
على وكذا ما بعده اي زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك
القسمة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا

يصرفونه

يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم من انفاق عليها والاجراء على سدنتها روي انهم كانوا يعينون اشياء
من حرث ونتاج لله واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكياً نامياً
رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان
الله غني وانما ذاك لحب آلهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة
الى ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه ثم ذم صنيعهم
بقوله ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وموضع
ما رفع اي ساء الحكم حكمهم او نصب اي ساء حكماً حكمهم وكذلك زين لكثير
من المشركين اي كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات قتل هو مفعول
زين اولادهم شركاؤهم هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع اولادهم
بالنصب شركائهم بالجر شامي على اضافة القتل الى الشركاء اي الشياطين
والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين
قتل شركائهم اولادهم ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا
عنه الى الشرك ولو شاء ربك ما فعلوه وفيه دليل على ان الكائنات كلها
بمشيئة الله تعالى فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او
وافتراهم لان ضرر ذلك الافترا عليهم لا عليك ولا علينا وقالوا هذه انعام
وحرث للاوثان حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي
في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير
الصفات وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم
والزعم قول بالظن يشوبه الكذب وانعام حرمت ظهورها هي البحائر
والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها حالة الذبح وانما
يذكرون عليها اسماء الاصنام افتراء عليه هو مفعول له او حال اي فسموا
انعامهم فنعم حجر ونعم لا يركب ونعم لا يذكر عليها اسم الله ونسبوا ذلك
الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وعيد وقالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة
البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث
وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة وهو خبر ما
للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم حملاً على اللفظ او التاء
للمبالغة كنسابة وان يكن ميتة اي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن
ميتة ابو بكر اي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامي على كان
التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير في فهم فيه شركاء
لان الميتة لكل ميت ذكراً او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم

في جزائهم عليم باعتقادهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم كانوا يئدون
بناتهم مخافة السبي والفقر قتّلوا مكي وشامي سفها بغير علم لخفة
احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وحرموا ما رزقهم
الله من البحاير والسوايب وغيرها افتراء على الله مفعول له قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الصواب وهو الذي انشا خلق جنات من
الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه
الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعايم وسمكا تعطف
عليه القضبان والنخل والزرع مختلفا في اللون والطعم والحجم والرايحة
وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا اكل فيه حتى يكون مختلفا
وهو كقوله فادخلوها خالدين اكله ثمره اكله حجازي وهو ثمره الذي
يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه او لكل واحد
والزيتون والرمان متشابها في اللون وغير متشابه في الطعم كلوا من
ثمره من ثمر كل واحد وفايدة اذا اثمر ان يعلم ان وقت الاباحة وقت
اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك وآتوا حقه عشره
وهي حجة لابي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر يوم حصاده بصري وشامي
وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان ولا تسرفوا باعطاء الكل وتضييع العيال
وقوله كلوا الى انه لا يحب المسرفين اعتراض ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والغنم
لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله
اي ما احل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ولا تتبعوا خطوات
الشيطان طرقه في التحليل والتحريم كفعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين
فاتهموه على دينكم ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضان اثنين
ومن المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان معه
غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق
الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله
من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
والضان والمعز جمع ضاين وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكي وشامي
وابو عمرو وهما لغتان والهمزة في قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين للانكار والمراد بالذكر من الضان
والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز والمعنى
انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام
تارة واناثها طورا واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا او مختلطة
تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب الذكرين

بحرم

بحرم وكذا ام الانثيين اي ام حرم الانثيين وكذا اما فيما اشتملت نبئوني
بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم
صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين منهما حرم ام الانثيين منهما اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين ام ما تحمل اناثهما ام كنتم شهداء ام منقطعة اي بل اكنتم شهداء
اذ وصاكم الله بهذا يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم ولما
كانوا لا يومنون برسول وهم يقولون ان الله حرم هذا الذي نحرمه تهكم
بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا
تومنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم
يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين
في علمه انهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه
اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشا
الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون
تاكيدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتاكيد قل لا اجد
فيما اوحي الي اي في ذلك الوقت او في وحي القرآن لان وحي السنة قد
حرم غيره او من الانعام لان الآية في رد البحيرة واخواتها واما الموقوذة
والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت
بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما حيوانا حرم اكله على طاعم
يطعمه على آكل ياكله الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشي ميتة ان تكون
مكي وشامي وحمزة ميتة شامي او دما مسفوحا مصبوبا سايلا فلا
يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس نجس
او فسقا عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه اهل لغير الله به منصوبة المحل صفة لفسقا اي رفع الصوت
على ذبحه باسم غير الله وسمي بالفسق لتوغله في باب الفسق فمن اضطر
فمن دعته الضرورة الى اكل شي من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله
تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور
رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي ماله اصبع من
دابة او طاير ويدخل فيه الابل والنعام ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما اي حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه
ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم الا ما حملت ظهورهما الا ما اشتمل
على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء واحدها
حاوياء او حوية او ما اختلط بعظم وهو الالية او المخ ذلك مفعول
ثان لقوله جزيناهم والتقدير جزيناهم ذلك ببغيهم بسبب ظلمهم
وانا لصادقون فيما اخبرنا به وكيف نشكر بسبب معصيتهم لتحريم الحلال

ومعصية سابقتين لتحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشروهن **فان**
كذبوك فيما اوحيت اليك من هذا **فقل ربكم ذو رحمة واسعة** وبامهال
المكذبين فلا يعاجلهم بالعقوبة **ولا يرد باسه** عذابه مع سعة رحمته
عن القوم المجرمين اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته
سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه **لو شاء الله** ان لا نشرك
ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون
ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله ولولا مشيئته
لم يكن شيء من ذلك **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي كتكذيبهم اياك
كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم
يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة
لهم على انهم معذورون به وهذا امر مردود لان الاقرار بالمشيئة او معنى
المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن اي رضي الله منا ومن ابائنا الشرك
مراد لكنه غير مرضي من الكل الا الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن
البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض **قل هل**
عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم **فتخرجوه لنا**
فتظهروه **ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون** تكذبون **قل فلله**
الحجة البالغة عليكم باوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته **فلو**
شاء لهداكم اجمعين اي فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة **قل**
هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوي في هذه الكلمة الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع **الذين**
يشهدون ان الله حرم هذا اي ما زعموه محرما **فان شهدوا فلا تشهد**
معهم فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا اسلم لهم فكانه شهد
معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم **ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا**
من وضع الظاهر موضع المضمر لدلالة على ان من كذب بايات الله فهو
متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله **والذين**
لا يؤمنون بالاخرة هم المشركون **وهم بربهم يعدلون** يسوون الاصنام
قل للذين حرموا الحرث والانعام **تعالوا** هو من الخاص الذي صار عاما
واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر حتى عم
اتل ما حرم ربكم الذي حرمه ربكم **عليكم** من صلة حرم **ان لا تشركوا به**
شيئا ان مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهي **وبالوالدين احسانا** اي
واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك
الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر **ولا تقتلوا اولادكم**
من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق **نحن نرزقكم**
واياهم لان رزق العبيد على مولاهم **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها**

ما بينك

ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش **ولا تقتلوا النفس التي حرم**
الله الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم **ذلكم وصاكم به** اي
ما ذكر مفصلا امركم ربكم بحفظه **لعلكم تعقلون** لتعقلوا عظمها عند الله
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن
وهي حفظه وتثميره **حتى يبلغ اشده** مبلغ حلمه فادفعوه اليه واحده
شد كفلس وافلس **واوفوا الكيل والميزان بالقسط** بالسوية والعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر
بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه
واذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا **ولو كان ذا قربى** ولو كان المقول له او
عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل كقوله ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين **وبعهد الله** يوم الميثاق او في الامر والنهي
والنذر واليمين **اوفوا ذلكم** اي ما مر **وصاكم به لعلكم تذكرون** بالتخفيف
حيث كان حمزة وعلي وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد
اصله تتذكرون فادغم اي امركم به لتتعظوا **وان هذا صراطي** ولان
هذا صراطي فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامي واصله
وانه على ان الهاء ضمير الشان والحديث وان على الابتداء حمزة وعلي
مستقيما حال **فاتبعوه ولا تتبعوا السبل** الطرق المختلفة في الدين
من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات **فتفرق**
بكم عن سبيله فتفرقكم ايادي سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين
الاسلام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا
ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب
ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
فاجتنبوها وتلا هذه الاية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقا
ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من الكتب وعن كعب ان هذه
الايات لاول شيء في التوراة **ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** لتكونوا
على اصابة التقوى ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا
عقلوا تفكروا فتذكروا اي اتعظوا فاتقوا المحارم **ثم اتينا موسى**
الكتاب تماما اي ثم اخبركم انا اتينا اي هو عطف على قل اي ثم قل اتينا
او ثم مع الجملة تاتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد **على الذي احسن**
على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل قراءة عبد الله على
الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد
الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به **وتفصيلا لكل شيء** وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم **وهدى ورحمة** اي لبني اسرائيل

لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون يصدقون وهذا اي القرآن كتاب انزلناه مبارك
كثير الخير فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون لترحموا ان تقولوا
كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
اي اهل التوراة واهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب
وان كنا عن دراستهم عن تلاوة الكتاب لغافلين لا علم لنا بشيء من ذلك
ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا
عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان والخطاب لاهل مكة والمراد
اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد عليه السلام كيلا يقولوا يوم القيمة
ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما
او تقولوا او كراهة ان تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب فقد
جاءكم بينة من ربكم اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم
ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من المحاسن
الحذف وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها
وصدقها وصدف عنها اي اعرض سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا
سوء العذاب وهو النهاية في النكاية بما كانوا يصدفون باعراضهم هل
ينظرون اي انما نجح الوحدانية وثبوت الرسالة وابطلنا ما تعتقدون
من الضلالة فما ينتظرون في ترك الايمان بعدها الا ان تاتيهم الملائكة
اي ملائكة الموت لقبض ارواحهم ياتيهم حمزة وعلي او ياتي ربك اي امر
ربك وهو العذاب او القيامة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان امره
منصوص عليه محكم فيرد اليه او ياتي بعض ايات ربك اي اشراط الساعة
لطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها لانه ليس بايمان اختيار بل هو ايمان دفع العذاب والباس
عن انفسهم لم تكن امنت من قبل صفة لنفسا او كسبت في ايمانها خيرا
اخلاصا اي كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل
اخلاص المنافق ايضا او توبة وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة
من لم يتب قبل قل انتظروا احدى الايات الثلث انا منتظرون بكم
احداها ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت
اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وهي السواد الاعظم وهي ما انا عليه واصحابي فارقوا
دينهم حمزة وعلي اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها
لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم انما
امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم على ذلك من جاء

بالحسنة فله عشر امثالها تقديره عشر حسنات امثالها الا انه اقيم صفة الجنس
المميز مقام الموصوف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون
بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي ربي ابو عمرو ومدني
الى صراط مستقيم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني
صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما قيما فيعل من قام كسيد من ساد
هو ابلغ من القائم قيما كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به
ملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين بالله
يا معشر قريش قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي والناسك العابد او ذبحي
او حجي ومحياي ومماتي وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل
الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه ومحياي ومماتي بسكون الياء
الاول وفتح الثاني مدني وبعكسه غيره لا شريك له في شيء من ذلك
وبذلك الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم
على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة
الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان اطلب ربا غيره وتقديم المفعول
للانكار بانه اهم وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من
له الربوبية غيره ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب لقولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تؤخذ نفس اثمة ذنب
نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الاديان
الذي فرقتموها وهو الذي جعلكم خلائف الارض لان محمدا عليه السلام
خاتم النبيين فامته قد خلفت سائر الامم او لان بعضهم يخلف بعضا او
هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض
في الشرف والرزق وغير ذلك درجات مفعول ثان او التقدير الى درجات
او هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد رفعة ليبلوكم فيما اتاكم
فيما اعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع
الشريف بالوضيع والغني بالفقير والمالك بالمملوك ان ربك سريع العقاب
لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة
لان ما هو ات قريب وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا ثلاث ايات من اول الانعام حين يصبح وكل
الله تعالى له سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس ايات بصري وست كوفي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم المص قال الزجاج المختار في تفسيره
ما قال ابن عباس رضي الله عنهما انا الله اعلم وافصل كتاب خبر مبتدا محذوف
اي هو كتاب انزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في
صدرك حرج منه شك منه وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر
حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك منه في انه منزل

من الله او حرج من تبليغه لانه يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم
فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فامنه الله ونهاه عن المبالات
بهم والنهي متوجه الى الحرج وفيه من البلاغة ما فيه والفاء للعطف اي
هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في لتنذر
به متعلق بانزل اي انزل اليك فلا يكن بعد انزاله حرج لانذارك به او بالنهي
لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على
الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه وذكرى للمؤمنين في محل
النصب باضمار فعلها اي لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير
او الرفع بالعطف على كتاب اي هو كتاب وهو ذكرى للمؤمنين او بانه خبر
مبتدا محذوف او الجر بالعطف على محل لتنذر اي للانذار وللذكرى اتبعوا ما
انزل اليكم من ربكم اي القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله
اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة
الاوثان والاهواء والبدع قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد
القلة يتذكرون شامي وكم مبتدا من قرية تمييز والخبر اهلكناها
اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فجاءها جاء اهلها باسنا عذابنا
بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا
او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا بائتين او
قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاء زيد هو فارس بلا واو
لانه لو عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان
الوقتان لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافضح
وقوم لوط عليه السلام اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه
السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا وهم نائمون او نهارا وهم
قائلون فما كان دعواهم دعاؤهم وتضرعهم اذ جاءهم باسنا لما جاءهم
اوائل العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين اعترفوا على انفسهم بالظلم
والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وان قالوا الخبر ويجوز
العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى اليهم اي فلنسألن المرسل
اليهم وهم الامم عما اجابوا به رسلهم ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به
فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد
منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم
وشهدت عليهم انبياؤهم والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها
وخفيفها وهو مبتدا خبره يومئذ اي يوم يسال الله الامم ورسلهم فحذفت
الجملة وعوض عنها التنوين الحق اي العدل صفته ثم قيل توزن صحائف

الاعمال

الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة
عن القضاء السوي والحكم العادل والله اعلم بكيفيته فمن ثقلت موازينه
جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر
وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم فاولئك هم المفلحون الفائزون
ومن خفت موازينه هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون
في ميزانهم خير فتخف موازينهم فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا
يجحدون فالايات الحجج والظلم بها وضعها غير موضعها اي جحودها وترك
الانقياد لها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم
فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي
ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لانها
اصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف
قليلا ما تشكرون مثل قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي
خلقنا اباكم ثم صورناكم خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد
ذلك دليله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
ممن سجد لادم عليه السلام قال ما منعك الا تسجد ما رفع اي اي
شيء منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اذ امرتك فيه دليل على ان
الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره اصل ادم عليه السلام قال
انا خير منه خلقتني من نار وهو جوهر نوراني وخلقته من طين وهو ظلماني
وقد اخطا الخبيث بل الطين افضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء
والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة
والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار
عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مأمنة الامانة
والانماء والطين يطفي النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها
ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقولنا في القياس اول من قاس
ابليس فقياس على ان القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس
ابليس معاند للنص المنصوص وكان الجواب لما منعك ان يقول منعني
كذا وانما قال انا خير منه لانه لما استانف قصة واخبر فيها عن نفسه
بالفضل على ادم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه
قال منعني من السجود لمثله ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب
قال فاهبط منها من الجنة او من السماء لانه كان فيها وهي مكان المطيعين
المتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله انا خير منه اي ان كنت تتكبر
فاهبط فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من
الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه يذمك كل انسان

وبلعنك كل لسان لتكبرك به وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار قال
انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة
قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي النفخة الاولى وانما اجيب
اليه لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب اي هذا بري
بمن يسيء فكيف بمن يحسن وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه
في الحال علمه بحلم ذي الجلال قال فبما اغويتني اضللتني اي فبسبب
اغوائك اياي والفاء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب
اغوائك اقسم او يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن لهم صراطك
المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد
كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف
كقولك ضرب زيد الظهر اي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد
الحرام فجاء رجل قدري فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل
له تقوم لرجل فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهو يقول
انا اغوي نفسي ثم لآتينهم من بين ايديهم اشككهم في الآخرة ومن خلفهم
ارغبهم في الدنيا وعن ايمانهم من قبل الحسنات وعن شمائلهم من
قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي
ياتي منها العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان
على اربع مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة
على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني
فياتيني من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين وعن شمالي فياتيني
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من
فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاوليين من لابتداء
الغاية وفي الاخريين عن لدلالة على الانحراف ولا تجد اكثرهم شاكرين
مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
او سمعه من الملائكة باخبار الله اياهم قال اخرج منها من الجنة او من
السماء مذءوما معيبا من ذامه اذا ذمه والذام والذأم العيب مدحورا
مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام في لمن تبعك منهم موطئة للقسم
جوابه لاملأن جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم
فغلب ضمير المخاطب اجمعين ويا آدم وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس
من الجنة اسكن انت وزوجك الجنة اتخذاها مسكنا فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا فتصيرا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان
وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر
الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي
يلقي اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه

الفاها اليه ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ليكشف لهما ما ستر
عنهما من عوراتهما وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه
لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة
في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل تصغير واصل واصله وويصل فقلبت
الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالالف
في واري فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري وهذا لان الواوين
اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة
وهذا امر تدركه بالضرورة فالتزموا ابدالها في موضع الثقل لا في غيره وقرا
عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ
ملكين لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون
ويبقون في الجنة ساكنين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين
واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما
التصديق فكانها من اثنين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور
بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنه
من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها وهي السنبلة او الكرم بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما
لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار اي كالظفر بياضا في غاية اللطف
واللين فبقي عند الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم وطفقا وجعلا
يقال طفق يفعل كذا اي جعل يخصفان عليهما من ورق الجنة يجعلان
على عوراتهما من ورق التين او الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها
كما تخصف النعل وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة هذا عتاب
من الله وتنبيه على الخطا وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك
من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ظننت ان احدا
لا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
الا بكد عيش وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز والم اقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فيه دليل لنا على المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل
ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو
في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ويعاديانه ولكم في الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء
آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة

احاطت به الملائكة فجعلت حوى تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة
ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر
وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له لحدا ودفنوه بسرنديب
بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها تحيون في الارض
وفيها تموتون ومنها تخرجون للثواب والعقاب تخرجون حمزة
وعلي يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما في الارض منزلا من السماء لان
اصله من الماء وهو منها يواري سواتكم يستر عوراتكم وريشا لباس
الزينة استعير من لباس الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين
لباسا يواري سواتكم ولباسا يزينكم ولباس التقوى ولباس الورع
الذي يقي العقاب وهو مبتدا وخبره الجملة وهي ذلك خير كانه قيل
ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى
عود الذكر او ذلك صفة للمبتدا وخير خبر المبتدا كانه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير او لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس
التقوى اي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل لباس
اهل التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلي
عطفا على لباسا اي وانزلنا عليكم لباس التقوى ذلك من ايات الله
الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون
ليعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب
ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من
اللباس ولما في العري من الفضيحة واشعارا بان الستر من التقوى
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة لا يخدعنكم ولا
يضلنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما
لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما
والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني ادم اي لا تتبعوا الشيطان
فيفتنكم ليريهما سواتهما عوراتهما انه الضمير للشان والحديث يراكم هو
تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث
لا تشعرون وقبيله وذريته او وجنوده من الشياطين وهو عطف
على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن
دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل من حيث لا ترونهم
قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من
حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون فيه دلالة خلق الافعال واذا فعلوا فاحشة
ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة او شركهم
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اي اذا فعلوها اعتذروا بان اباءهم كانوا
يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها حيث اقرنا

عليها

عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لان احدهما تقليد للجهال والثاني
افتراء على ذي الجلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء اذ المامور به لا بد ان
يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف في اصول الفقه
اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام انكار وتوبيخ قل امر ربي
بالقسط بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يامر بالفحشاء واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته
مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في كل وقت سجود او في كل مكان
سجود وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين
بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم
احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم
على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم المسلمون وفريقا اي
اضل فريقا حق عليهم الضلالة وهم الكافرون انهم ان الفريق الذي
حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اي انصارا
ويحسبون انهم مهتدون والاية حجة لنا على اهل الاعتزال في الهداية
والاضلال يا بني ادم خذوا زينتكم لباس زينتكم عند كل مسجد كلما
صليتم وقيل الزينة هو المشط والطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن
هيئاته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزين والتعطر
كما يجب التستر والتطهر وكلوا من اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا
بالشروع في الحرام او في مجاوزة الشبع انه لا يحب المسرفين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين
بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان
وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه
وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم
شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة وهي قوله
عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما
عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم
انكارا على محرم الحلال بقوله قل من حرم زينة الله من الثياب
وكل ما يتجمل به التي اخرج لعباده اي اصلها يعني القطن من الارض
والقز من الدود والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل
والمشارب وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها
وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم
لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد
ولم يقل للذين امنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين امنوا على
طريق الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهي مبتدا خبره

للذين امنوا في الحياة الدنيا ظرف للخبر او خالصة خبر ثان او خبر مبتدأ
محذوف اي هي خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف
الذي هو الخبر اي هي ثابتة للذين امنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم
القيامة كذلك نفصل الايات نميز الحلال من الحرام لقوم يعلمون
انه لا شريك له قل انما حرم ربي ربي حمزة الفواحش ما تفاحش قبحه
اي تزايد ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها والاثم اي شرب الخمر
او كل ذنب والبغي والظلم والكبر بغير الحق متعلق بالبغي ومحل وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة النصب كانه قال حرم الفواحش
وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا يجوز ان ينزل
برهانا على ان يشرك به غيره وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وان
تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وقت
معين يأتيهم فيه عذاب الاستيصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون نبه بساعة لانها اقل ما يستعمل في
الامهال يا بني ادم اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة
لمعنى الشرط لان ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
رسل منكم يقصون عليكم اياتي يقرءون عليكم كتبي وهو في موضع رفع
صفة لرسل وجواب الشرط فمن اتقى الشرك واصلح العمل منكم فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اصلا والذين كذبوا منكم باياتنا واستكبروا عنها
تعظموا عن الايمان بها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم
فمن اشنع ظلما ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على
الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
ما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا ملك الموت
واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي حتى التي يبتدأ
بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
يقبضون ارواحهم وهو حال من الرسل اي متوفيهم وما في قالوا اين ما كنتم
تدعون موصولة باين وحقها ان تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى
اين الالهة الذين تعبدون من دون الله ليذبوا عنكم قالوا ضلوا عنا
غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بكفرهم
بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر قال ادخلوا اي يقول الله تعالى
يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا في امم في موضع الحال اي كائنين في
جملة امم مصاحبين لهم قد خلت مضت من قبلكم من الجن والانس
من كفار الجن والانس في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة النار
لعنت اختها شكلها في الدين اي التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
اصله تداركوا اي تلاحقوا واجتمعوا في النار فابدلت التاء دالا وسكنت

للادغام

للادغام ثم ادخلت همزة الوصل جميعا حال قالت اخراهم منزلة وهم
الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم
لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا يا ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم
عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف للقادة بالغواية والاغواء
وللاتباع بالكفر والاقتداء ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب
لا يعلمون ابو بكر اي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الاخر وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول
الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا
متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون بكسبكم
وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل او من قول الله
لهم جميعا والوقف على فضل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا
تفتح لهم ابواب السماء اي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة
اذ هي في السماء او لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين
الى الجنة او لا يصعد لهم عمل صالح او لا تنزل عليهم البركة وبالتاء والتخفيف
ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
حتى يدخل البعير في ثقب الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
الذي وصفنا نجزي المجرمين اي الكافرين بدلالة التكذيب بايات
الله والاستكبار عنها لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
جمع غاشية وكذلك نجزي الظالمين انفسهم بالكفر والذين امنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها والتكليف الزام ما
فيه كلفة اي مشقة اولئك مبتدأ والخبر اصحاب الجنة والجملة خبر
الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر هم فيها
خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق
بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار حال من هم في صدورهم
والعامل فيها معنى الاضافة وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما هو
وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان وما كنا ما كنا بغير واو شامي
على انها جملة موضحة للاولى لنهتدي لولا ان هدانا الله اللام لتوكيد
النفي اي وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا
وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا
لما اعتقدوا ونودوا ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء
ضمير الشأن او بمعنى اي كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها
اعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما في تلك من معنى

الاشارة بما كنتم تعملون سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هي محض
فضل الله ووعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل
هو صلة خالصة وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا
الله فيما اخبر ونوحا عليه السلام واهل الجنة والنار وابليس لانه تعالى
قال يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس
فبما اغويتني ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ان مخففة
من الثقيلة او مفسرة وكذلك ان لعنة الله على الظالمين ما وعدنا ربنا
من الثواب حقا حال فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا من العذاب
وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم
ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى قالوا نعم وبكسر
العين حيث كان علي فاذن مؤذن بينهم نادى مناد وهو ملك
يسمع اهل الجنة والنار ان لعنة الله على الظالمين انّ لعنة الله مكي وشامي
وحمزة وعلي الذين يصدون يمنعون عن سبيل الله دينه ويبغونها عوجا
مفعول ثان ليبغون اي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض وهم بالآخرة
بالدار الآخرة كافرون وبينهما وبين الجنة والنار او بين الفريقين
حجاب وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه
جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من افاضل
المسلمين او من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم
او من لم يرض عنه احد ابويه او اطفال المشركين يعرفون كلا من
زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض
الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون
ونادوا اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم انه سلام او
اي سلام لم يدخلوها اي اصحاب الاعراف ولا محل له لانه استيناف كان
سائلا سأل عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
في دخولها او له محل وهو صفة لرجال واذا صرفت ابصارهم ابصار
اصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا
تلقاء طرف اي ناحية اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب قالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤوس الكفرة
يعرفون كلا بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم
وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس
ثم يقولون لهم اهؤلاء مبتدأ الذين خبر مبتدأ مضمر تقديره اهؤلاء الذين

اقسمتم

اقسمتم حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما
لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره
اقسمتم عليه بان لا ينالهم الله برحمة اي لا يدخلهم الجنة تحقرونهم لفقرهم
فيقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين
وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ان مفسرة
وفيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة
لدخوله في حكم الافاضة او اريد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام
والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها وانما سألوا ذلك
مع اياسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين هو تحريم منع كما في وحرمنا عليه المراضع وتقف
هنا ان رفعت او نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فحرموا واحلوا ما شاءوا او دينهم عيدهم
وغرتهم الحياة الدنيا اغتروا بطول البقاء فاليوم ننساهم نتركهم
في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون كنسيانهم
وجحودهم ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه
وقصصه على علم عالمين بكيفية تفصيل احكامه وهدى ورحمة حال
من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون هل
ينظرون ينتظرون الا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين
صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل تركوه واعرضوا عنه قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا جواب الاستفهام او نرد جملة معطوفة على جملة قبلها
داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل فهل لنا من شفعاء او هل نرد
ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيدا وعطف
على تقدير هل يشفع لنا شافع او هل نرد فنعمل جواب الاستفهام ايضا
غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ما كانوا يعبدون من الاصنام ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام اراد السموات والارض وما بينهما وقد فصلها في حم السجدة
اي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا وللاعلام بالتأني في
الامور وان لكل عمل يوما ولان انشاء شيء بعد شيء ادل على عالم مدبر مريد
يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته ثم استوى استولى على العرش
اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستوليا على جميع المخلوقات
لان العرش اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار
كما يقوله المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان

لان التغير من صفات الالوان والمنقول عن الصادق والحسن وابي حنيفة
ومالك رضي الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول
والايمان به واجب والجحود به كفر والسؤال عنه بدعة **يغشي الليل**
النهار يغشّي حمزة وعلي وابو بكر اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل
يطلبه حثيثا حال من الليل اي سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة
مضيه يطلب النهار **والشمس والقمر والنجوم** اي وخلق الشمس والقمر
والنجوم **مسخرات** حال اي مذللات والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ
شامي الشمس مبتدا والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات **بامره**
هو امر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره فقال **الا له الخلق**
والامر اي هو الذي خلق الاشيا وله الامر **تبارك الله** كثر خيره او دام
بره من البركة النما او من البروك الثبات ومنه البِركة **رب العالمين**
ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية
والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا قال عليه السلام
انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم اينما
كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا **انه لا يحب**
المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شي من الدعا وغيره وعن ابن جريج
الرافعين اصواتهم بالدعا وعنه الصياح في الدعا مكروه وبدعة وقيل
هو الاسهاب في الدعا وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون
في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول ومن عمل
ثم قرا انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها**
اي بالمعصية بعد الطاعة او بالشرك بعد التوحيد او بالظلم بعد العدل
وادعوه خوفا وطمعا حالان اي خايفين من الرد طامعين في الاجابة
او من النيران وفي الجنان او من الفراق وفي التلاق او من غيب
العاقبة وفي ظاهر الهداية او من العدل وفي الفضل **ان رحمة الله قريب**
من المحسنين ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة
موصوف محذوف اي شي قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول
او للاضافة الى المذكر **وهو الذي ارسل الرياح** الريح مكي وحمزة وعلي
نشرا حمزة وعلي مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان
فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال اي منتشرات نُشْرا عاصم
تخفيف بُشُر جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نُشْرا شامي تخفيف
نُشُر كرسل ورسل وهو قراة الباقين جمع نشور اي ناشرة للمطر **بين يدي**
رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم **حتى اذا اقلت**
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا **سحابا ثقالا** بالما جمع سحابة **سقناه** الضمير للسحاب

على

على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ
لقيل ثقيلا **لبلد ميت** لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميّت مدني
وحمزة وعلي وحفص **فانزلنا به الما** بالسحاب او بالسوق وكذلك
فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيوديكم التذكر الى الايمان بالبعث
اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعادة للشي بعد انشايه
والبلد الطيب الارض الطيبة التراب **يخرج نباته باذن ربه** بتيسيره
وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع
في مقابلة نكدا **والذي خبث** صفة للبلد اي والبلد الخبيث **لا يخرج**
اي نباته فحذف للاكتفاء **الا نكدا** هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن
ينجع فيه الوعظ وهو المومن ولمن لا يوثر فيه شي من ذلك وهو الكافر
وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج
الثمرات به على طريق الاستطراد **كذلك** مثل ذلك التصريف **نصرف الايات**
نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها
ويعتبروا بها **لقد ارسلنا نوحا** جواب قسم محذوف اي والله لقد
ارسلنا نوحا **الى قومه** ارسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح
بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام **فقال يا قوم**
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره غيرِه علي فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم
اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ **اني اخاف عليكم عذاب يوم**
عظيم اي يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان
قال الملا اي الاشراف والسادة **انا لنراك في ضلال مبين**
في ذهاب عن طريق الصواب والروية روية القلب **قال يا قوم ليس بي**
ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة اخص من الضلال وكانت
ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال ثم
استدرك لتاكيد نفي الضلال فقال **ولكني رسول من رب العالمين**
لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم
فكان في الغاية القصوى من الهدى **ابلغكم رسالات ربي** ما اوحي الي
في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي
والمواعظ والبشاير والنذاير ابْلِغكم ابو عمرو وهو كلام مستانف
بيان لكونه رسول رب العالمين **وانصح لكم** واقصد صلاحكم باخلاص
يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض
النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك او النهاية
في صدق العناية **واعلم من الله ما لا تعلمون** اي من صفاته يعني
قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم
المجرمين **او عجبتم** الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه

محذوف كانه قيل أكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من
ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من
نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر
ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عقابه وعاقبة كفركم
ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فنسبوه الى الكذب
فانجيناه والذين معه وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك يتعلق بمعه
كانه قيل والذين صحبوه في الفلك واغرقنا القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم
كانوا قوما عمين عن الحق يقال اعمى في البصر وعمي في البصيرة والى عاد
وارسلنا الى عاد وهو عطف على نوح اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا
العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عجزوا عن رجل منهم افهم
فكانت الحجة عليهم الزم هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ ابن
ارفخشد بن سام بن نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون وانما لم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال
سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال
الملأ الذين كفروا من قومه وانما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من
قوم نوح لان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن انا لنراك
في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر
وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منفك عنها وانا
لنظنك من الكاذبين في ادعائك الرسالة قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح فيما
ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم وانما قال هنا وانا لكم ناصح لقولهم وانا
لنظنك من الكاذبين اي ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم
السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام
الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم
اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك
تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم
على ما يكون منهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض
او في مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت
استخلافكم وزادكم في الخلق بسطة طولا وامتدادا فكان اقصرهم
ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فبسطة مجازي وعاصم وعلي فاذكروا
آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه

وواحد

وواحد الآلاء إلى نحو إنا وآناء لعلكم تفلحون ومعنى المجيء في قالوا أجئتنا
ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه
جاء قومه يدعوهم لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء
في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه فأتنا بما تعدنا من
العذاب ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا قال قد وقع
عليكم اي قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع
كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان من ربكم رجس عذاب
وغضب سخط اتجادلونني في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء
ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهي خالية عن معنى
الالوهية انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان حجة فانتظروا
نزول العذاب اني معكم من المنتظرين ذلك فانجيناه والذين معه
اي من آمن به برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا
الدابر الاصل او الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم
عن آخرهم وما كانوا مؤمنين فائدة نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب
بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا
في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء
وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم
ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من عند بيته
الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عنز ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان
يكتم ايمانه بهود عليه السلام واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
بن لاود بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر
مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا
بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فاختار السوداء على ظن انها اكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم
فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والى ثمود وارسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتأويل الحي او باعتبار الاصل
لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود
لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز
والشام اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي وكانه قيل
ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله وهذه اضافة تخصيص وتفضيل

لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم لكم آية حال من الناقة والعامل معنى
الاشارة في هذه كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية
وهم ثمود لانهم عاينوها فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله
والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها من نبات ربها فليس عليكم
مؤنتها ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما
لاية الله فياخذكم جواب النهي عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبواكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض ارض الحجر بين
الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا غرفا للصيف وتنحتون
الجبال بيوتا للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصا اذ
الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين روي ان عادا لما اهلكت عمرت
ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وعمروا اعمارا طوالا فنحتوا البيوت من
الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على
الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا
قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل
منهم مستضعفون فانذرهم فسالوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة
عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرج منها ناقة
كما شاؤا فامن به جندع ورهط من قومه قال الملا الذين استكبروا من
قومه وقال شامي للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤسا الكفار
لمن امن منهم بدل من للذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على
ان البدل حيث جاء كان في تقدير اعادة العامل والضمير في منهم راجع
الى قومه وهو يدل على ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين
او الى الذين استضعفوا وهو يدل على ان المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل السخرية قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون وانما صار هذا جوابا عنه لانهم سالوه عن العلم
بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله وبما
ارسل به لا شبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به
مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون
فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما
فعقروا الناقة اسند الفعل الى جميعهم وان كان العاقر قدار بن سالف
لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما كان فرعون كذلك
وقال عليه السلام يا على اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين
قاتلك وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا وامر ربهم ما امر
به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او
شان ربهم وهو دينه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب

اذ كنت

ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت بها الارض
واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم او مساكنهم جاثمين ميتين
يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون فتولى عنهم
لما عقروا الناقة وقال يا قوم عند فراقه اياهم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين الامرين بالهدى لاستحلاء
الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة
روي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة
ايام تصفر وجوهكم اول يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث ويصبحكم
العذاب في الرابع وكان كذلك وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا اذ قال
لقومه اي واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة
المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والبا للتعدية ومنه قوله
عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من زائدة لتاكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق من العالمين من للتبعيض وهذه جملة مستانفة انكر
عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها
اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها
في اتاتون للانكار انكم على الاخبار مدني وحفص يقال اتى المراة اذا غشيها
شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم
اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية من دون النساء اي لا من النساء بل انتم
قوم مسرفون اضرب على الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب
ارتكاب القبائح وانهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء
فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي لوطا ومن امن به
يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم
بصفة الاسراف الذي هو من قرينهم انهم اناس يتطهرون يدعون
الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما
يتمدح به فانجيناه واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين الا
امراته كانت من الغابرين من الباقين في العذاب والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت
فاصابها حجر فماتت وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قالوا مطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم
وامطرت حجارة على مسافريهم قال ابو عبيدة امطر في العذاب ومطر في الرحمة
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الكافرين والى مدين وارسلنا الى مدين
وهو اسم قبيلة اخاهم شعيبا يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته
قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة وان لم تذكر في القرآن فاوفوا
الكيل والميزان اتموهما والمراد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او يكون
الميزان كالميعاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شيء
في مبايعاتهم وبخس يتعدى اي مفعولين وهما الناس واشياءهم تقول
بخست زيدا حقه اي نقصته اياه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح فيها الصالحون من الانبياء
والاولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار اي بل مكركم في الليل
والنهار ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس
والافساد في الارض خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة ان كنتم مؤمنين
مصدقين لي في قولي ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق توعدون من آمن
بشعيب بالعذاب وتصدون عن سبيل الله عن العبادة من آمن به
بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها وتطلبون
لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها طريق معوجة غير مستقيمة
لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال
اي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا واذكروا اذ
كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت
كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل ان مدين ابن ابراهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنما فكثروا وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح
وهود وصالح ولوط عليهم السلام وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فانتظروا حتى يحكم الله بيننا
اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد
للكافرين بانتقام الله تعالى منهم او هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم او هو خطاب
للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذاء الكفار والكافرون على ما يسوءهم
من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين
لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور قال الملأ الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم او عودكم في الكفر قال
اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره اتعيدوننا في
ملتكم في حال كراهتنا مع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وهو قسم على تقدير حذف اللام
اي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
خلصنا فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبيا

عليهم

عليهم السلام محال قلت اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم
وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب وما يكون لنا
وما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الا ان يكون
سبق في مشيئته انا نعود فيها اذ الكائنات كلها بمشيئته تعالى خيرها
وشرها وسع ربنا كل شيء علما تمييز اي هو عالم بكل شيء يعلم احوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق اي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء بالحق بفتح الامر المنغلق
فلذا سمي فتحا وسمى اهل عمان القاضي فتاحا وانت خير الفاتحين
كقوله وانت خير الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن
اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون مغبونون لفوات فوائد البخس
والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما ويامركم بالايفاء والتسوية وجواب
القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون
فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم
جاثمين ميتين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها
كأن لم يقيموا فيها غني بالمكان اقام الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كانوا
هم الخاسرين لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفي هذا الابتداء
معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان
اهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فهم
الرابحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم
فتولى عنهم بعد ان نزل بهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى احزن على قوم كافرين اشتد حزنه على
قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل
الحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم او اراد لقد اعذرت
لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم
وما ارسلنا في قرية من نبي يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف اي
فكذبوه الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء الضر والمرض
لاستكبارهم عن اتباع نبيهم او هما نقصان النفس والمال لعلهم
يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة
الرخاء والسعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم
من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء اي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة

فيكونوا على ما انتم عليه فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول
العذاب اللام في ولو ان اهل القرى اشارة الى القرى التي دل عليها
وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين
كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك مكان ارتكابه لفتحنا
عليهم لفتحنا اي بركات من السماء والارض اراد المطر والنبات
او لاتيناهم بالخير من كل وجه ولكن كذبوا الانبياء فاخذناهم بما كانوا
يكسبون بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام للجنس افأمن
اهل القرى يريد الكفار ان يأتيهم بأسنا عذابنا بياتا ليلا اي وقت
بيات يقال بات بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
ضحى نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا اشرقت فالفاء والواو في
افأمن واوامن حرفا عطف دخل عليها همزة الانكار والمعطوف عليه
فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا
فاخذناهم بغتة بعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا
وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى اوامن شامي وحجازي على العطف باو
والمعنى انكار الامن من احد هذين الوجهين من اتيان العذاب
ليلا او ضحى فان قلت كيف دخل الف استفهام على حرف العطف
وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في المفرد لا في العطف جملة على
جملة لانه على استيناف جملة بعد جملة وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي لهم افامنوا تكرير لقوله افامن اهل القرى مكر الله
اخذه العبد من حيث لا يشعرون وعن الشبلي قدس الله روحه
العزيز مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن
خثيم لابيها ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه
ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون الا الكافرون الذين خسروا انفسهم حتى
صاروا الى النار اولم يهد يبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة
من الثقيلة اي اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم
ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من
قبلهم فاهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين وانما عدي فعل الهداية
باللام لانه بمعنى التبيين ونطبع مستانف اي ونحن نختم على قلوبهم
فهم لا يسمعون الوعظ تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله
هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبره حال او تكون القرى صفة تلك
ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب
نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم

رسلهم

رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات
بما كذبوا من قبل بما كذبوه من ايات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا
ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا
على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين مع تتابع
الايات واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع
الله على قلوب الكافرين لما علم منهم انهم يختارون الثبات على الكفر
وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق يعني ان اكثر
الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الايمان والاية اعتراض او للامم
المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة قالوا لئن انجيتنا
لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا وان وجدنا وان الشان والحديث اكثرهم لفاسقين
خارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل ان المخففة واللام الفارقة
ولا يجوز ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا
من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم موسى باياتنا
بالمعجزات الواضحات الى فرعون وملايه فظلموا بها فكفروا بها اجرى
الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم
او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوا من امن بها او لانه اذا وجب
الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر
غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
حيث صاروا مغرقين وقال موسى يا فرعون يقال لملوك مصر الفراعنة
كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر واسمه قابوس
او الوليد بن مصعب ابن الريان اني رسول من رب العالمين اليك
قال فرعون كذبت فقال موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا
الحق اي انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون
قائله والقائم به حقيق علي نافع اي واجب علي ترك القول على الله
الا الحق اي الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول
يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة ابي
اي اني رسول خليق بان لا اقول او تعلق على بمعنى الفعل في الرسول
اي اني رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على ان لا اقول على الله
الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم بما يبين رسالتي فارسل معي بني
اسرائيل فخلهم يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم وذلك
ان يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون نسل الاسباط واستعبدهم
فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام معي حفص
قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها ان كنت من
الصادقين فاتني بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها فالقى

موسى عليه السلام عصاه من يده فاذا هي اذا هذه للمفاجاة ومي من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك ثعبان حية عظيمة مبين ظاهر امره روي انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذه انا او من بك فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين اي فاذا هي بيضاء للنظارة ولا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا يجتمع الناس للنظر اليه روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه ونزعها فاذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا حية والادم ابيض وهذا الكلام قد عزي الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا وهنا عزي اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هنا او قاله ابتداء فتلقفته منه الملا فقالوه لاعقابهم يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني مصر فماذا تامرون تشيرون من امرته فامرني بكذا اي شاورته فاشار علي براي وهو من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا اي هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم قالوا ارجه بسكون الهاء غير عاصم وحمزة اي اخره واحبس اي اخر امره ولا تعجل وكانه هم بقتله فقالوا اخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق واخاه هارون وارسل في المداين حاشرين جامعين ياتوك بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلي اي ياتوك بكل ساحر مثله في المهارة او خير منه وجاء السحرة فرعون يريد فارسل اليهم فحضروا قالوا ان لنا لاجرا على الخبر واثبات الاجر العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم ان كنا نحن الغالبين قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين عندي فتكونون اول من يدخل واخر من يخرج وكانوا ثمانين الفا او سبعين الفا او بضعة وثلاثين الفا قالوا يا موسى اما ان تلقي عصاك واما ان نكون نحن الملقين ما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في ان يلقوا قبله حيث اكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر قال لهم موسى عليه السلام القوا تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتخاوضوا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة

بخلافها

بخلافها روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بالحيلة وجاؤ بسحر عظيم في باب السحر او في عين من راه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف تبتلع تلقف حفص ما يافكون ما موصولة او مصدرية يعني ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل او يزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملا الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت وبطل ما كانوا يعملون من السحر والقي السحرة ساجدين وخروا سجدا لله كانما القاهم ملق لشدة خرورهم او لم يتمالكوا مما راوا كانهم فكانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون هو بدل مما قبله قال فرعون امنتم به على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد قبل ان اذن لكم قبل اذني لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني اسرائيل فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين هو اول من قطع من خلاف وصلب قالوا انا الى ربنا منقلبون فلا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته او انا جميعا يعني انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بايات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر الا الايمان ومنه قوله

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ارض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين اهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس ويذرك والهتك عطف على ليفسدوا قيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون يقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى قال فرعون مجيبا للملا سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون سنقتل حجازي اي سنعيد عليهم قتل الابناء

فغلبوا هنالك اي فرعون وجموعه والسحرة وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين ع م

ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا
كما كانوا وايلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب
ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه **قال موسى**
لقومه استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون
سنقتل ابناءهم تسلية لهم ووعدا لهم بالنصر عليهم **ان الارض** اللام للعهد
اي ارض مصر او للجنس فتتناول ارض مصر تناولا اوليا **لله يورثها من يشاء**
من عباده فيه تمنية اياهم ارض مصر **والعاقبة للمتقين** بشارة بان الخاتمة
المحمودة للمتقين منهم ومن القبط واخليت هذه الجملة عن الواو لانها مستانفة
بخلاف قوله وقال الملأ، لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من
قوم فرعون **قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا** يعنون قتل
ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء
من فرعون واستبطاء لوعد النصر **قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم**
في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك
فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر **فينظر كيف تعملون** فيرى الكائن
منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى
مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرا
عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال
قد بقي فينظر كيف تعملون **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين** بسني
القحط وهي سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم
ونقص من الثمرات قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار
لعلهم يذكرون لكي يتعظوا فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولان
الناس في حال الشدة اضرع خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون
اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك
المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية **فاذا جاءتهم الحسنة** الصحة
والخصب **قالوا لنا هذه** اي هذه التي نستحقها **وان تصبهم سيئة** جدب
ومرض **يطيروا** اصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانها من طرف اللسان
واصول الثنايا **بموسى ومن معه** تشاءموا بهم وقالوا هذا بشؤمهم ولولا
مكانهم لما اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في
السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما
السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها **الا انما طائرهم** سبب
خيرهم وشرهم **عند الله** في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم
من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ذلك
وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اصله
ما ما فما الاولى للجزاء ضم اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متيما

تخرج

تخرج اخرج ايما تكونوا اما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا
لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري وهو في موضع النصب بتاتنا
اي اي شيء تحضرنا تاتنا به ومن اية بيان لهما والضمير في به وبها يرجع الى مهما الا
ان الاول ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانها في معنى الاية
وانما سموها اية اعتبارا لتسمية موسى او قصدوا بذلك الاستهزاء
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طفا
الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل الماء
في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل
بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة او هو الجدري او الطاعون **والجراد**
فاكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل منها شيء **والقمل** وهو الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
او البراغيث او كبار القردان **والضفادع** وكانت تقع في طعامهم وشرابهم
حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه **والدم** اي الرعاف وقيل مياههم انقلبت
دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء فيكون ما يلي الاسرائيلي
ماء وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما **آيات** حال من
الاشياء المذكورة **مفصلات** مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها
من آيات الله او مفرقات بين كل آيتين شهر **فاستكبروا** عن الايمان
بموسى **وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز** العذاب الاخير وهو
الدم او العذاب المذكور واحدا بعد واحد **قالوا يا موسى ادع لنا**
ربك بما عهد عندك ما مصدرية اي بعهده عندك وهو النبوة والباء
تتعلق بادع اي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك **لئن كشفت**
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فيعذبون
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله
اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث ولم يؤخروه
فانتقمنا منهم هو ضد الانعام كما ان العقاب ضد الثواب **فاغرقناهم في اليم**
هو البحر الذي لا يدرك قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه
من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه **بانهم كذبوا باياتنا وكانوا**
عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها
وقلة فكرهم فيها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** هم بنو
اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام **مشارق**
الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام **التي باركنا فيها** بالخصب
وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار **وتمت كلمة ربك الحسنى**
على بني اسرائيل هو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض

او نريد ان نمن على الذين استضعفوا الى ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث
الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت اي مضت عليهم واستمرت من
قولك تم على الامر اذا مضى عليه **بما صبروا** بسبب صبرهم وحسبك به
حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه
ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج **ودمرنا** واهلكنا **ما كان يصنع**
فرعون وقومه من العمارات وبناء القصور **وما كانوا يعرشون** من
الجنات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح
هامان وغيره وبضم الراء شامي وهذا اخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم
بايات الله ثم اتبعه قصة بني اسرايل وما احدثوه بعد انقاذهم
من فرعون ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقر وغير ذلك ليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى من
بني اسرايل بالمدينة **وجاوزنا ببني اسرايل البحر** روي انه عبر بهم
موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله
فاتوا على قوم فمروا عليهم **يعكفون على اصنام لهم** يواظبون على
عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي **قالوا يا موسى**
اجعل لنا الها صنما نعكف عليه **كما لهم الهة** اصنام يعكفون عليها
ما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله
عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها
ولما تجف اقدامكم **قال انكم قوم تجهلون** تعجب من قولهم على اثر
ما راوا من الاية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق واكده **ان هؤلاء** يعني
عبدة تلك التماثيل **متبر** مهلك من التبار **ما هم فيه** اي يتبر الله
ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم
خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم
المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة **وباطل ما كانوا يعملون** اي ما
عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل **قال اغير الله ابغيكم الها** اغير المستحق
للعبادة اطلب لكم معبودا **وهو فضلكم على العالمين** حال اي على عالمي
زمانكم **واذ انجيناكم من ال فرعون** انجاكم شامي **يسومونكم سوء العذاب**
يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استئناف لا محل له
او حال من المخاطبين او من ال فرعون **يقتلون ابناءكم ويستحيون**
نساءكم يقتلون نافع **وفي ذلكم** اي في الانجاء او في العذاب **بلاء** نعمة
او محنة **من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** لاعطاء التوراة
واتممناها بعشر روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرايل وهو بمصر
اذا اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون
سال موسى ربه الكتاب فامره ان يصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي
القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فاوحى الله تعالى

اليه

اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره ان
يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك **فتم ميقات ربه** ما وقت له
من الوقت وضربه له **اربعين ليلة** نصب على الحال اي تم بالغا هذا
العدد ولقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا **وقال موسى لاخيه**
هارون هو عطف بيان لاخيه **اخلفني في قومي** كن خليفتي فيهم **واصلح**
ما يجب ان يصلح في امور بني اسرايل **ولا تتبع سبيل المفسدين** ومن
دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه **ولما جاء موسى لميقاتنا**
لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص اي اختص مجيئه
لميقاتنا **وكلمه ربه** بلا واسطة ولا كيفية قيل انه كان يسمع الكلام من
كل جهة وذكر الشيخ في التاويلات ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا
على كلام الله وكان اختصاصه باعتبار انه اسمعه صوتا تولى تخليقه من غير
ان يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا
مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته
لغلبة شوقه فسال الرؤية بقوله **قال رب ارني انظر اليك** ثاني
مفعولي ارني محذوف اي ارني ذاتك انظر اليك يعني مكني من رؤيتك
بان تتجلى لي حتى اراك ارني مكي وبكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء
مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه
السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سالها واعتقاد جواز ما لا يجوز على
الله تعالى كفر **قال لن تراني** بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال
بعين باقية وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن اري ليكون نفيا للجواز ولو لم
يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان **ولكن**
انظر الى الجبل فان استقر مكانه بقي على حاله **فسوف تراني** وهو دليل لنا
ايضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن
يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن
قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد
لو لم يوجده لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما ايأسه عن ذلك ولا عاتبه
عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني
اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سال انجاء ابنه من الغرق **فلما تجلى**
ربه للجبل اي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
معنى التجلي للجبل ما قاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما
ورؤية حتى سال ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين
جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى
ولكن طلب قومه ان يريهم ربهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي
باطل اذ لو كان كما زعموا لقال اريهم ينظروا اليك ثم يقول لهم لن تروني

ولانها لو لم تكن جائزة لما اخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم
وقت قرع كلامهم سماعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام
بعث لتغييره لا لتقريره الا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة
لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون **جعله دكا**
مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء
حمزه وعلي اي مستوية بالارض لا اكمة فيها ناقة دكاء لا سنام لها
وخر موسى صعقا حال اي سقط مغشيا عليه **فلما افاق** من صعقته
قال سبحانك تبت اليك عن السؤال في الدنيا **وانا اول المؤمنين**
لعظمتك وجلالك او بانك لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال
الكعبي والاصم معنى قوله ارني انظر اليك ارني اية اعلمك بها بطريق
الضرورة كاني انظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ولكن
انظر الى الجبل فاني اظهر لك اية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه
فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال ارني انظر اليك ولم
يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى ايتي وكيف يكون معناه
لن ترى ايتي وقد اراه اعظم الايات حيث جعل الجبل دكا **قال يا موسى**
اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك **برسالاتي** هي
اسفار التوراة برسالتي حجازي **وبكلامي** وبتكليمي اياك **فخذ ما اتيتك**
اعطيتك من شرف النبوة والحكمة **وكن من الشاكرين** على النعمة في ذلك
فهي من اجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطى التوراة يوم
النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفا بموسى
عليه السلام **وكتبنا له في الالواح** الواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة
الواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السما فيها
التوراة **من كل شيء** في محل النصب على انه مفعول كتبنا **موعظة وتفصيلا**
لكل شيء بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرايل محتاجين اليه
في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون
وقر بعير لم يقراها كلها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى **فخذها**
فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى
الاشيا **بقوة** بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل **وامر قومك ياخذوا**
باحسنها اي فيها ما هو احسن وحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار
والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم **ساريكم دار الفاسقين** اي دار
فرعون وقومه وهي مصر او هي منازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف
اقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم
او جهنم **ساصرف عن اياتي** عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه
ابى الله ان يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القران **الذين يتكبرون**

يتطاولون على الخلق ويانفون عن قبول الحق وحقيقته التكلف للكبريا
التي اختصت بالباري عز قدرته **في الارض بغير الحق** هو حال اي يتكبرون
غير محقين لان التكبر بالحق لله تعالى وحده **وان يروا كل اية** من الايات
المنزلة عليهم **لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد** طريق صلاح الامر وطريق
الهدى الرشد حمزه وعلي وهما كالسقم والسقم **لا يتخذوه سبيلا وان يروا**
سبيل الغي الضلال **يتخذوه سبيلا** ومحل ذلك الرفع اي ذلك الصرف
بانهم كذبوا باياتنا بسبب تكذيبهم **وكانوا عنها غافلين** غفلة عناد
واعراض لا غفلة سهو وجهل **والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة** هو
من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم احوالها
حبطت اعمالهم خبر والذين **هل يجزون الا ما كانوا يعملون** وهو تكذيب
الاحوال بتكذيب الارسال **واتخذ قوم موسى من بعده** من بعد ذهابه
الى الطور **من حليهم** وانما نسب اليهم مع انها كانت عواري في ايديهم لان الاضافة
تكون بادنى ملابسة وفيه دليل على انه من حلف ان لا يدخل دار فلان
فدخل دارا استعارها حنث على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا
غيرها من املاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار يوجب
زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند اليهم
والحلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم
حمزة وعلي للاتباع **عجلا** مفعول اتخذ **جسدا** بدل منه اي بدنا ذا
لحم ودم كسائر الاجساد **له خوار** هو صوت البقر والمفعول الثاني
محذوف اي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال **الم يروا** حين
اتخذوه الها **انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا** لا يقدر على كلام ولا على هداية
سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان
تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق بما ركز في العقول
من الادلة وبما انزل في الكتب ثم ابتدا فقال **اتخذوه** الها فاقدموا
على هذا الامر المنكر **وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم** ولما اشتد ندمهم
على عبادة العجل واصله ان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية
وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما
يقال حصل في يده مكروه وان استحال ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل
في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين **وراوا انهم قد ضلوا**
وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا**
ويغفر لنا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلي وانتصاب ربنا على الندا
لنكونن من الخاسرين المغبونين في الدنيا والاخرة **ولما رجع موسى** من
الطور **الى قومه** بني اسرايل **غضبان** حال من موسى عليه السلام **اسفا**
حال ايضا اي حزينا **قال بئسما خلفتموني** قمتم مقامي وكنتم خلفائي **من بعدي**

وَالخطاب لعبدة العجل من السامري واشياعه اولهارون ومن معه من
المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بيسما خلفتموني
حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله اوحيث لم تكفوا من عبد غير الله
وفاعل بيس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بيس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي
من بعد ما كنت احمل بني اسرايل على التوحيد والكفهم عن عبادة البقر حين
قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة المستخلف
اعجلتم استفتم بعبادة العجل امر ربكم وهو اتيانى لكم بالتوراة بعد
اربعين ليلة واصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى
تركتم والقى الالواح ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان
في نفسه شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا ولذلك كان
احب الى بني اسرايل من موسى فتكسرت فرفعت ستة اسباعها
وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة واخذ
براس اخيه بشعر راسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل
يجره اليه عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى قال يا ابن ام
بني الابن مع الام على الفتح لخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي
لان اصله امي فحذف فتة اللام الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن امه
وابيه وانما ذكر الام لانها كانت مومنة ولان ذكرها ادعى الى
العطف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني اي اني لم الك
جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي
فلا تشمت بي الاعداء الذين عبدوا العجل اي لا تفعل بي ما هو امنيتهم
من الاستهانة بي والاساءة الي ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر اخيه قال رب اغفر لي
ولاخي ليرضي اخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى
اغفر لي ما فرط مني في حق اخي ولاخي ان فرط في حسن الخلافة وادخلنا
برحمتك عصمتك في الدنيا وجنتك في الاخرة وانت ارحم الراحمين
ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم هو ما امروا به
من قتل انفسهم توبة وذلة في الحياة الدنيا خروجهم من ديارهم
فالغربة تذل الاعناق اوضرب الجزية عليهم وكذلك نجزي المفترين
المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله
موسى والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا رجعوا
الى الله من بعدها وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها اي
السيئات او التوبة لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم
منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل
تحته متخذوا العجل وغيرهم عظم جناياتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته

ليعلم

ليعلم ان الذنوب وان عظمت فعفوه اعظم ولما كان الغضب لشدته كانه
هو الامر لموسى بما فعل قيل ولما سكت عن موسى الغضب وقال الزجاج
معناه سكن وقرئ به اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه
باعتباره واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل
سبعين رجلا قيل اختار من قومه اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا
اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع
لميقاتنا لاعتذارهم عن عبادة العجل فلما اخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل بما كان منهم من عبادة العجل
واياي بقتلي القبطي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اتهلكنا عقوبة
بما فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل ان هي الا فتنتك ابتلاؤك
وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هي تلك
الفتنة التي اخبرتني بها ومعنى ابتلاء الله تعالى بها عباده بما شاء ونبلوكم
بالشر والخير فتنة تضل بها بالفتنة من تشاء من علمت منهم اختيار
الضلالة وتهدي بها من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى انت ولينا
مولانا القائم بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا
واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة حياة طيبة اوتوفيقا في الطاعة
وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع
وتاب والهود جمع هايد وهو التايب قال عذابي من صفته اني
اصيب به من اشاء ان لا اعفو عنه ورحمتي وسعت كل شيء اي من صفة
رحمتي انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه اثر رحمتي
في الدنيا فساكتبها اي هذه الرحمة للذين يتقون الشرك من امة محمد
عليه السلام ويؤتون الزكاة المفروضة والذين هم باياتنا بجميع كتبنا
يومنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي
اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي صاحب المعجزات الامي الذي يجدونه
اي يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرايل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل يامرهم بالمعروف بخلع الانداد وانصاف العباد وينهاهم عن
المنكر عبادة الاصنام وقطيعة الارحام ويحل لهم الطيبات ما حرم
عليهم من الاشيا الطيبة كالشحوم وغيرها اوما طاب في الشريعة مما
ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم
الخبايث ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
اوما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة
ويضع عنهم اصرهم هو الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الاعضا

الخاطئة اصارهم شامي على الجمع والاغلال التي كانت عليهم سي الاحكام
الشاقة نحو بث القضا بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الدية
وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وظهور
الذنوب على ابواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل فالذين
امنوا به بمحمد عليه السلام وعزروه وعظموه او منعوه من العدو حتى
لا يقوى عليه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاوده
القبيح كالحد فهو المنع ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي
القران ومع متعلق باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي
والعمل بسنته اولئك هم المفلحون الفايزون بكل خير والناجون
من كل شر قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم بعث كل رسول الى قومه
خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن
جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض في محل النصب
باضمار اعني وهو نصب على المدح لا اله الا هو بدل من الصلة وهي له ملك
السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة
قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت
بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته اي الكتب المنزلة
واتبعوه لعلكم تهتدون ولم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول
الله اليكم ليجري على الصفات التي اجريت عليه ولما في الالتفات من
مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص
الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كاينا ما كان
او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق اي يهدون الناس محقين او بسبب الحق الذي هم
عليه وبه يعدلون وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم
وراء الصين امنوا بمحمد عليه السلام ليلة المعراج او هم عبد الله بن سلام
واضرابه وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقنا وميزنا بعضهم
من بعض اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد
الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
يعقوب عليه السلام نعم مميز ما عدا العشرة مفرد وكان ينبغي ان يقال
اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط
لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة امما بدل من اثنتي عشرة اي وقطعناهم
امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف
ما تؤمه الاخرى واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك
الحجر فضرب فانبجست فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
مشربهم هي اسم جمع غير تكسير وظللنا عليهم الغمام وجعلناه عليهم ظليلا

في التيه

في التيه وانزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم عليهم واذ
قيل لهم واذكر اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا
منها حيث شئتم رغدا وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم
خطاياكم تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم مدني خطاياكم ابو عمرو خطيئتكم
شامي سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ولا تناقض بين قوله
اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله في البقرة ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول
الباب او اخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته
وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القايل
وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم
زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد
واسألهم واسأل اليهود عن القرية ايلة او مدين وهذا السؤال
للتقريع بتقديم كفرهم التي كانت حاضرة البحر قريبة منه اذ يعدون
في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم يوم السبت
وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية
اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت
وهو من بدل الاشتمال اذ تاتيهم منصوب بيعدون او بدل بعد بدل
حيتانهم جمع حوت ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
يوم سبتهم شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان
والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا
قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم ويوم ظرف لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم واذ قالت
معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة
من صلحا القرية الذين ايسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول
في موعظتهم لاخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
او معذبهم عذابا شديدا وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب
في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له اي

اي وعظناهم للمعذرة **ولعلهم يتقون** ولطمعنا في ان يتقوا **فلما نسوا**
اهل القرية لما تركوا **ما ذكروا به** ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي
لما ينساه **انجينا الذين ينهون عن السوء** عن العذاب الشديد **واخذنا**
الذين ظلموا الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن
الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان
بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس
شامي بئس مدني بيئس على وزن فيعل ابوبكر غير حماد **بما كانوا يفسقون**
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة اي جعلناهم قردة اذلا
خاسئين مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون
اقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل
بقيت وتناسلت **واذ تأذن ربك** اي اعلم واجرى مجرى فعل القسم
ولذا اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله **ليبعثن عليهم** اي كتب على نفسه
ليسلطن على اليهود **من يسومهم** من يوليهم **سوء العذاب** وكانوا يؤدون
الجزية الى المجوس الى ان بعث محمد عليه السلام فضربها عليهم فلا تزال
مضروبة عليهم الى اخر الدهر **ان ربك لسريع العقاب** للكفار **وانه**
لغفور رحيم للمؤمنين **وقطعناهم في الارض امما** وفرقناهم فيها فلا
تخلو بلد عن فرقة منهم **منهم الصالحون** الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين
وراء الصين **ومنهم دون ذلك** ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف
اي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح **وبلوناهم بالحسنات والسيئات**
بالنعم والنقم والخصب والجدب **لعلهم يرجعون** ينتهون فينيبون
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين **خلف** وهم الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف
فهو الصالح **ورثوا الكتاب** التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر
والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها **ياخذون عرض هذا الادنى**
هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع اي حطام هذا الشيء الادنى
يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب
والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم وفي قوله
هذا الادنى تخسيس وتحقير **ويقولون سيغفر لنا** لا يؤاخذنا الله بما اخذنا
والفعل مسند الى الاخذ او الى الجار والمجرور اي لنا **وان ياتهم عرض مثله**
ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم
غير تائبين **الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب** اي الميثاق المذكور في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق اي قد اخذ عليهم الميثاق في كتابهم ان لا يقولوا

على الله

على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب **ودرسوا ما فيه**
وقرأوا ما في الكتاب وهو عطف على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه
قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه **والدار الاخرة خير**
من ذلك العرض الخسيس **للذين يتقون** الرشا والمحارم **افلا يعقلون**
انه كذلك بالتاء مدني وحفص **والذين يمسكون بالكتاب** يمسكون
ابوبكر والامساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بالشيء
واقاموا الصلاة خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل
عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر **انا لا نضيع اجر المصلحين**
اي انا لا نضيع اجرهم وجاز ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون
وانا لا نضيع اعتراض **واذ نتقنا الجبل فوقهم** واذكر اذ قلعناه
ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور **كانه ظلة** هي كل ما اظلك من
سقيفة او سحاب **وظنوا انه واقع بهم** وعلموا انه ساقط عليهم
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله
الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها
وعملتم بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل واحد منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فكذا
لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هي السجدة التي رفعت
عنا بها العقوبة وقلنا لهم **خذوا ما اتيناكم** من الكتاب **بقوة** وعزم
على احتمال مشاقه وتكاليفه **واذكروا ما فيه** من الاوامر والنواهي ولا
تنسوه **لعلكم تتقون** ما انتم عليه **واذ اخذ ربك من بني ادم** اي واذكر
اذ اخذ **من ظهورهم** بدل من بني ادم والتقدير واذ اخذ ربك من ظهور
بني ادم **ذرياتهم** ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلاب
ابائهم **واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا** هذا من
باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة
وكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا
بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك **ان تقولوا** مفعول
له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة
ان تقولوا **يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين** لم ننبه عليه **او تقولوا**
او كراهة ان تقولوا **انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم**
فاقتدينا بهم لانه نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم
فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك
وادلة التوحيد منصوبة لهم **افتهلكنا بما فعل المبطلون** اي كانوا
السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتركه سنة لنا **وكذلك** ومثل
ذلك التفصيل البليغ **نفصل الايات** لهم **ولعلهم يرجعون** عن شركهم

نفصلها الى هذا ذهب المحققون من اهل التفسير وذهب جمهور المفسرين الى
ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهر ادم مثل الذر واخذ عليهم الميثاق
انه ربهم بقوله الست بربكم فاجابوه ببلى قالوا وهي الفطرة التي فطر
الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخرج الله من ظهر ادم ذريته
واراه اياهم كهيئة الذر واعطاهم العقل وقال هولاء ولدك اخذ عليهم الميثاق
ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل الدخول في الجنة بين مكة والطائف وقيل
بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والحجة للاولين انه قال من بني ادم
من ظهورهم ولم يقل من ظهر ادم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم
مدني وبصري وشامي ان تقولوا او تقولوا ابو عمرو **واتل عليهم** على اليهود
نبا الذي اتيناه اياتنا هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم ابن
باعوراء اوتي علم بعض كتب الله **فانسلخ منها** فخرج من الايات بان كفر بها
ونبذها وراء ظهره **فاتبعه الشيطان** فلحقه الشيطان وادركه وصار
قرينا له **فكان من الغاوين** فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان
عنده الاسم الاعظم **ولو شئنا لرفعناه** الى منازل الابرار من العلماء **بها**
بتلك الايات **ولكنه اخلد الى الارض** مال الى الدنيا ورغب فيها **واتبع
هواه** في ايثار الدنيا ولذاتها على الاخرة ونعيمها **فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه** اي تزجره وتطرده **يلهث او تتركه** غير مطرود **يلهث**
والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس
احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به سواء حمل عليه اي شد عليه
وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان
لا يكون منه اللهث الا اذا حرك اما الكلب فيلهث في الحالين وكان
مقتضى الكلام ان يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته
فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه ابلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب
على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما
دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب
قيل معناه هو ضال وعظ او ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب
ينبح طرد او ترك **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** من اليهود بعد
ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر في القران
المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه **فاقصص القصص** اي
قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم **لعلهم يتفكرون** فيحذرون مثل
عاقبته اذا ساروا نحو سيرته **ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا**
اي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر اي ساء المثل مثلا وانتصاب
مثلا على التمييز **وانفسهم كانوا يظلمون** معطوف على كذبوا فيدخل
في حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم

او منقطع

او منقطع عن الصلة اي وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول
للاختصاص اي وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها **من يهد الله
فهو المهتدي** حمل على اللفظ **ومن يضلل** اي ومن يضلله **فاولئك هم
الخاسرون** حمل على المعنى وان كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة
لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله
تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما
اهتدى المؤمن **ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس** هم الكفار
من الفريقين المعرضون عن تدبر ايات الله والله تعالى علم منهم اختيار
الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا
تنافي بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه
انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده واما من علم انه يكفر به فانما
خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه في الازل انه يكون
منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم انه يكون منه الكفر خلقه لذلك
وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذا لام العاقبة
لما كان عاقبتهم الى جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصي
عدول عن الظاهر **لهم قلوب لا يفقهون بها** الحق ولا يتفكرون فيه
ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد **ولهم اذان لا يسمعون بها** الوعظ
اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر
بل هم اضل من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول
وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم
لا يعلمون مضارها حيث يختارون النار وكيف يستوي المكلف المامور
والمخلى المعذور فالادمي روحاني شهواني سماوي ارضي فان غلب روحه
هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم
الارض **اولئك هم الغافلون** الكاملون في الغفلة **ولله الاسماء الحسنى**
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه
حقا بحقيقته كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء
والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه
الانفس لاثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب
التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع
والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء **وذروا الذين يلحدون في اسمائه**
واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير
الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو ان يقولوا يا سخي يا رفيق
لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة
يلحدون حمزة لحد والحد **سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا** للجنة

لانه في مقابلة ولقد ذرانا لجهنم امة يهدون بالحق وبه يعدلون في احكا
قيل هم العلما والدعاة الي الدين وفيه دلالة ان اجماع كل عصر حجة والذين
كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الي ما يهلكهم
من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه مع انهماكهم
في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب
وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعا
د او الاستنزال درجة بعد درجة واملي لهم عطف على سنستدرجهم اي
امهلهم ان كيدي متين اخذي شديد سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث
انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله
عليه وسلم الي الجنون نزل اولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد عليه السلام
وما نافية بعد وقف اي اولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله
ما بصاحبهم من جنة جنون ان هو الا نذير مبين منذر من الله موضح انذاره
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض الملكوت الملك
العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من
اجناس لا يحصرها العدد وان عسى ان مخففة من الثقيلة واصله وانه
عسى والضمير ضمير الشان وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى
اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي
ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعون الي النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل
مفاجاة الاجل وحلول العقاب فباي حديث بعده بعد القران
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى ان يكون قد اقترب اجلهم
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل
الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له اي يضلله الله ويذرهم بالياء
عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم وبالرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم الباقون بالنون
في طغيانهم كفرهم يعمهون يتحيرون ولما سالت اليهود او قريش عن
الساعة متى تكون نزل يسالونك عن الساعة وهي من الاسماء الغالبة
كالنجم للثريا سميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان متى
واشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت مرساها ارساؤها وهو
مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال او وقت ارسائها عنده قد استاثر به
لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الي الطاعة
وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها
لوقتها الا هو لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده ثقلت

في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان
الساعة ويتمنى ان يتجلى له وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها
لان اهلها يخافون شدائدها واهوالها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة
منكم يسالونك كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ
في السؤال عنها لان من بالغ في المسالة عن الشيء والتنقير عنه استحكم
علمه فيها واصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب او عنها متعلق
بيسالونك اي يسالونك عنها كانك حفي اي عالم بها قل انما علمها عند
الله وكرر يسالونك وانما علمها عند الله للتاكيد ولزيادة كانك حفي عنها
وعلى هذا تكرير العلما في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن
رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه المختص بالعلم بها قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص
بالربوبية علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع
ولا دفع ضر كالمماليك الا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي
على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى
لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب وقيل
الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت
من الخصب للجدب والسوء الفقر وقد رد ان انا الا نذير وبشير ان انا
الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب واللام في
لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما
ينفعان فيهم او بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي الا نذيرا
للكافرين وبشيرا لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة هي
نفس ادم عليه السلام وجعل منها زوجها حواء خلقها من جسد ادم
من ضلع من اضلاعه ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل لان الجنس الي الجنس
اميل خصوصا اذا كانت بعضا منه كما يسكن الانسان الي ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعدما انث في قوله واحدة
منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم فلما تغشاها
جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى
من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به
فمضت به الي وقت ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق او حملت حملا
خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت فلما اثقلت حان
وقت ثقل حملها دعوا الله ربهما دعا ادم وحواء ربهما ومالك امرهما
الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا لئن وهبت
لنا ولدا سويا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح لنكونن
من الشاكرين والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل منه

ذريتهما **فلما آتاهما صالحا** اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي **جعلا**
له شركا اي جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه ولذلك **فيما آتاهما** اي آتى اولادهما دليله **فتعالى الله عما يشركون**
حيث جمع الضمير وادم وحوى بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم
الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك
مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم او يكون الخطاب لقريش
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي اي هو
الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن
اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما آتاهما
حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد
الدار والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك
شركا مدني وابو بكر اي ذوي شرك وهم الشركاء **ايشركون ما لا يخلق شيئا**
يعني الاصنام **وهم يخلقون** اجريت الاصنام مجرى اولي العلم بناء على
اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء
وهم يخلقون لان الله خالقهم والضمير في وهم يخلقون للعابدين اي
ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم مخلوقون الله فليعبدوا خالقهم او للعابدين
والمعبودين وجمعهم كاولي العلم تغليبا للعابدين **ولا يستطيعون لهم**
لعبدتهم **نصرا ولا انفسهم ينصرون** فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث
كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم **وان تدعوهم** وان
تدعوا هذه الاصنام **الى الهدى** الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم اي
وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى **لا يتبعوكم** الى مرادكم
وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع **سواء عليكم ادعوتموهم ام**
انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم ولا يجيبوكم فالعدول عن الجملة
الفعلية الى الاسمية لرؤوس الآي **ان الذين تدعون من دون الله** اي تعبدونهم
وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم** مخلوقون مملوكون امثالكم **فادعوهم**
لجلب نفع او دفع ضر **فليستجيبوا لكم** فليجيبوا **ان كنتم صادقين** في انهم آلهة
ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال **الهم ارجل يمشون بها** مشيكم
ام لهم ايد يبطشون بها يتناولون بها **ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها**
اي فلم تعبدون ما هو دونكم **قل ادعوا شركاءكم** واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه ابو عمرو في الوصل
فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك وبالياء يعقوب **ان وليي** ناصري عليكم **الله الذي نزل الكتاب** اوحى
الي واعزني برسالته **وهو يتولى الصالحين** ومن سنته ان ينصر الصالحين
من عباده ولا يخذلهم **والذين تدعون من دونه** من دون الله **لا يستطيعون**
نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم

ينظرون

ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة
من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه **وهم لا يبصرون** المرئي **خذ العفو** هو
ضد الجهد اي ما عفا لك من اخلاق الناس وافعالهم ولا تطلب منهم
الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
وامر بالعرف بالمعروف والجميل من الافعال او هو كل خصلة يرتضيها
العقل ويقبلها الشرع **واعرض عن الجاهلين** ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم
ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من
قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق امر الله نبيه
عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق
منها **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** واما ينخسنك منه نخس بان يحملك
بوسوسته على خلاف ما امرت به **فاستعذ بالله** ولا تطعه والنزغ
النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا
كما قيل جد جده او اريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي
الله عنه ان لي شيطانا يعتريني **انه سميع** لنزغه **عليم** بدفعه **ان**
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان طيف مكي وبصري وعلي اي
لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن ابي عمرو هما
واحد وهي الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله
عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان
والمام بوسوسته **تذكروا** ما امر الله به ونهى عنه **فاذا هم مبصرون**
فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته ان يفروا منه الى الله
فيزدادوا بصيرة من الله بالله **واخوانهم** واما اخوان الشياطين من
شياطين الانس فان الشياطين **يمدونهم في الغي** اي يكونون مددا لهم
فيه ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مدني **ثم لا يقصرون** ثم لا
يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز ان يراد بالاخوان الشياطين
ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول اوجه لان اخوانهم في
مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد لان
المراد به الجنس **واذا لم تأتهم بآية** مقترحة **قالوا لولا اجتبيتها** هلا
اخترعتها اي اختلقتها كما اختلقت ما قبلها **قل انما اتبع ما يوحى الي من**
ربي ولست بمقترح لها **هذا بصائر من ربكم** هذا القرآن دلائل تبصركم
وجوه الحق **وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** به **واذا قرئ القرآن**
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب الاستماع والانصات
وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول
القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم
على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح
واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء

والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر
من القول ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفا ادخل في الاخلاص واقرب
الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين ونيل المراد
ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات
والآصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشي ولا تكن من الغافلين
من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك مكانة
ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون
ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون ويخصونه بالعبادة
لا يشركون به غيره سورة الانفال مدنية وهي خمس او ست وسبعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف
بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل
لهم جميعا فقيل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا
ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها
مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول
امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد فاتقوا الله في
الاختلاف والتخاصم وكونوا متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم احوال بينكم
يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق وقال
الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل اي فاتقوا الله
وكونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت نزلت
فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه
الله من ايدينا فجعله لرسول الله يقسمه بين المسلمين على السوا واطيعوا
الله ورسوله فيما امرتم به في الغنائم وغيرها ان كنتم مؤمنين كاملي
الايمان انما المؤمنون انما الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا
وطمانينة لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه او زادتهم
ايمانا بتلك الايات لانهم لم يؤمنوا باحكامها قبل وعلى ربهم يتوكلون
يعتمدون ولا يفوضون امورهم الا الى ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون جمع بين اعمال القلوب
من الوجل والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة
اولئك هم المؤمنون حقا هو صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او هو مصدر موكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك
هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت

قال ان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني عن
قوله انما المؤمنون الاية فلا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم
انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية
اي كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
وبهذا يتشبث من يقول انا مؤمن ان شاء الله وكان ابو حنيفة رحمه
الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا
لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم
التيمي قل انا مؤمن حقا فان صدقت اثبت عليه وان كذبت فكفرك اشد
من كذبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا
وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك قال احمد فقال تقول
احمد حقا او انا احمد ان شاء الله فقال انا احمد حقا فقال حيث سماك والدك
لا تستثني وقد سماك الله في القران مؤمنا تستثني لهم درجات مراتب
بعضها فوق بعض على قدر الاعمال عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم
ورزق كريم صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكاف في كما
اخرجك ربك في محل النصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر والتقدير
قل الانفال استقرت لله وللرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل
ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته
بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به
كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاخبر جبريل النبي عليه السلام فاخبر
اصحابه فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت
قريش بذلك فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر
لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فابى وسار بمن معه الى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم
يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي عليه السلام اصحابه وقال العير
احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقا العدو فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقالوا يا رسول الله علينا
بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة وقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال

المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك
كما قال بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا
تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض
يا رسول الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطايفتين والله
لكاني الآن انظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان
فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ ابو منصور رحمه الله يحتمل
انهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا او يحتمل ان يكونوا مخلصين ويكون
ذلك كراهة طبع لانهم غير متاهبين له **يجادلونك في الحق** الحق الذي
جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه
تلقي العير **بعد ما تبين** بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم
ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون شبه حالهم في فرط فزعهم
وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق
على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل
كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان
واذ يعدكم الله احدى الطايفتين اذ منصوب باذكر واحدى مفعول
ثان **انها لكم** بدل من احدى الطايفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ
يعدكم الله ان احدى الطايفتين لكم **وتودون ان غير ذات الشوكة تكون**
لكم اي العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفير
لعددهم وعدتهم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطايفة التي لا
سلاح لها ولا تريدون الطايفة الاخرى **ويريد الله ان يحق الحق** اي
يثبته ويعليه **بكلماته** باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما
امر الملايكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر
ويقطع دابر الكافرين اخرهم والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر
وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفايدة العاجلة
وسفساف الامور والله تعالى يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة
وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر
قوتهم بضعفكم واعزكم واذلهم **ليحق الحق** متعلق بيقطع او بمحذوف
تقديره ليحق الحق **ويبطل الباطل** فعل ذلك والمقدر متاخر ليفيد
الاختصاص اي ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال
الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا

بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ونصرهم عليها
ولو كره المجرمون المشركون ذلك **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم
او متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا
انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على
عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وهو طلب الغوث وهو التخلص
من المكروه **فاستجاب لكم** فاجاب واصل **اني ممدكم** باني ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله **بالف من الملايكة مردفين**
مدني غيره بكسر الدال فالكسر على انهم اردفوا غيرهم اردف كل ملك ملكا
اخر والفتح على انه اردف كل ملك ملكا اخر يقال ردفه اذا تبعه واردفته
اياه اذا اتبعته **وما جعله الله** اي الامداد الذي دل عليه ممدكم **الا بشرى**
الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمين به قلوبكم** يعني انكم استغثتم وتضرعتم
لقلتكم فكان الامداد بالملايكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على
قلوبكم **وما النصر الا من عند الله** اي ولا تحسبوا النصر من الملايكة فان
الناصر هو الله لكم وللملايكة او وما النصر بالملايكة وغيرهم من الاسباب
الا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملايكة يوم بدر
فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر
وميكايل في خمسماية على الميسرة وفيها علي في صورة الرجال عليهم ثياب
بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت حتى قال
ابو جهل لابن مسعود من اين يا تينا الضرب ولا نرى الشخص قال
من قبل الملايكة قال فهم غلبونا لا انتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا
يكثرون السواد ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل
الدنيا **ان الله عزيز** بنصر اولياءه **حكيم** بقهر اعداءه **اذ يغشاكم** بدل ثان
من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او باضمار اذكر يغشيكم مدني **النعاس**
النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وابو عمرو
امنة مفعول له اي اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لا منكم او مصدر
اي فامنتم امنة والنوم يزيح الرعب ويريح النفس **منه** صفة لها
اي امنة حاصلة لكم من الله **وينزل** بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد
غيرهم **عليكم من السماء** مطرا **ليطهركم به** بالماء من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش
او الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس اليهم ان لا نصر
مع الجنابة **وليربط على قلوبكم** بالصبر **ويثبت به الاقدام** اي بالماء
اذ الاقدام كانت تسوخ في الرمل او بالربط لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر تثبت القدم في مواطن القتال **اذ يوحي** بدل ثالث من اذ يعدكم
او منصوب بيثبت **ربك للملايكة اني معكم** بالنصر **فثبتوا الذين امنوا**
بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان

الله ناصركم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف
الرعب شامي وعلي فاضربوا امر للمومنين او للملائكة وفيه دليل على انهم
قاتلوا فوق الاعناق اي اعالي الاعناق التي هي المذابح تطييرا للروس
او اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام واضربوا منهم كل
بنان هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان
الضرب اما ان يقع على مقتل او غير مقتل فامروا ان يجمعوا عليهم النوعين
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو
مبتدا خبره بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب وقع عليهم
بسبب مشاقتهم اي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين
في شق خلاف شق صاحبه وكذلك المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة
وخصم اي جانب وذا في عدوة وخصم ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب والكاف في ذلك لخطاب كل رسول او لكل احد وفي ذلكم
للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم
فذوقوه والواو في وان للكافرين عذاب النار بمعنى مع اي ذوقوا هذا
العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من
زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم
الادبار فلا تنصرفوا عنهم منهزمين اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير
وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال
من المومنين او من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا مائلا لقتال وهو الكر بعد الفر
يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب او متحيزا منضما
الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان
من ضمير الفاعل في يولهم فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
المصير ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه
متحوز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القائل منهم يقول
تفاخرا قتلت واسرت قيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والفاء
جواب شرط محذوف تقديره اذا افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي عليه السلام خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا قيل وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى
يعني ان الرمية التي رميتها انت لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها
لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث
اثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه

كسبا

كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من
العبد بقوله اذ رميت ثم نفى عنه واثبته لله تعالى بقوله وما رميت ولكن الله
رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي وليبلي
المومنين وليعطيهم منه بلاء حسنا عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المومنين
فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم
اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الامر ذلكم وان الله موهن كيد
الكافرين معطوف على ذلكم اي المراد ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين
موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد غيرهم ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين
ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق
فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان
تنتهوا للكافرين اي وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو
اي الانتهاء خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن
تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا ولو كثرت عددا وان الله مع المومنين
بالفتح مدني وشامي وحفص اي ولان الله مع المومنين بالنصر كان ذلك
وبالكسر غيرهم ويويده قراءة عبد الله والله مع المومنين يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه عن رسول الله لان المعنى واطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول
وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع
الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع
في فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا
الامر وامتثاله واصله ولا تتولوا فحذفت احدى التاءين تخفيفا
وانتم تسمعون اي وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله
ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم
المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع
وهم المنافقون او اهل الكتاب وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا
توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها
اشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان
شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم
جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ولو علم الله فيهم
في هولاء الصم البكم خيرا صدقا ورغبة لاسمعهم لجعلهم سامعين حتى
يسمعوا سماع المصدقين ولو اسمعهم لتولوا عنه اي ولو اسمعهم
وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا وهم معرضون عن الايمان

يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا فيما
قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة
والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض **لما يحييكم** من علوم
الديانات والشرايع لان العلم حياة كما ان الجهل موت قال

لا يعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن •

او لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم او للشهادة
لقوله تعالى بل احيا عند ربهم **واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه**
اي يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص
القلب فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
او بينه وبين ما عناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزايمه **وانه اليه
تحشرون** واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب
واخلاص الطاعة **واتقوا فتنة** عذابا **لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**
وهو جواب للامر اي ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها
تعمكم وجاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي
كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن في منكم
للتبعيض **واعلموا ان الله شديد العقاب** اذا عاقب **واذكروا اذ انتم قليل**
اذ مفعول به لا ظرف اي واذكروا وقت كونكم اقلة اذلة **مستضعفون
في الارض** ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش **تخافون ان يتخطفكم
الناس** لان الناس كانوا لهم اعداء مضادين **فآواكم** الى المدينة **وايدكم
بنصره** بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات**
من الغنايم ولن تحل لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون** هذه النعم **يا ايها
الذين امنوا لا تخونوا الله** بان تعطلوا فرايضه **والرسول** بان لا تستنوا
به **وتخونوا** عطف جزم على لا تخونوا اي ولا تخونوا **اماناتكم** فيما بينكم
بان لا تحفظوها **وانتم تعلمون** تبعة ذلك ووباله او وانتم تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو او وانتم
علما تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان
معنى الوفا التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة
والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شي فقد ادخلت عليه النقصان
فيه **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** اي سبب الوقوع في الفتنة
وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم
على حدوده **وان الله عنده اجر عظيم** فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك
وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد **يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر
باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث
صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم سطع الفرقان اي طلع الفجر

او مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من
اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة **ويكفر عنكم سيئاتكم** اي
الصغاير **ويغفر لكم** ذنوبكم اي الكباير **والله ذو الفضل العظيم** على عباده
واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلايه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكر بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار فرقوا ان
يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت
باجتماعكم واردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال
ابليس بيس الراي يايتكم من يقاتلكم من قومه ويخلصوه من ايديكم
فقال هشام ابن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم
فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بيس الراي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل
فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على
راي ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة فامر عليا فنام
في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه
وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا
وخيب الله سعيهم واقتفوا اثره فابطل مكرهم **ليثبتوك** ليحبسوك
ويوثقوك **او يقتلوك** بسيوفهم **او يخرجوك** من مكة **ويمكرون** ويخفون
المكايد له **ويمكر الله** ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة **والله خير
الماكرين** اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا كان عليه السلام
يقرا القران ويذكر اخبار القرون الماضية في قراته فقال النضر ابن
الحارث لو شيت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس
بنسخة حديث رستم واحاديث العجم فنزل **واذا تتلى عليهم اياتنا**
اي القران **قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين**
وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى ان ياتوا بسورة من مثل
القران فلم ياتوا به **واذ قالوا اللهم ان كان هذا** اي القران **هو الحق من
عندك** هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روي ان النضر لما قال
ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي ويلك هذا كلام الله فرفع
النضر راسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك **فامطر علينا**

حجارة من السما اي ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما
فعلت باصحاب الفيل او ايتنا بعذاب اليم بنوع اخر من جنس العذاب
الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا
لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا
حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم
غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب
استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب
اذا هاجرت عنهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون هو في موضع الحال
ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر
لما عذبهم او معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون
بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم الا
يعذبهم الله اي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية
واخراجهم رسول الله والمومنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
الحرام والحرم فنصد من نشا وندخل من نشاء فقيل وما كانوا اولياءه
وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امر الحرم ان
اولياؤه الا المتقون من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذلك كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند او اراد بالاكثر
الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء صفيرا الصوت
المكاء وهو طاير مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر وتصدية
وتصفيقا تفعلة من الصدا وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم
مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو
ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه
فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا كلهم من قريش
وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة
ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب
حسرة ثم يغلبون اخر الامر وهو من دلايل النبوة لانه اخبر عنه قبل
وقوعه فكان كما اخبر والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه واللام في ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث

من

من الكفار من الطيب اي من الفريق الطيب من المومنين متعلقة بيحشرون
ليميز حمزة وعلي ويجعل الخبيث الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فيجمعه فيجعله في جهنم اي الفريق الخبيث اولئك اشارة الى
الفريق الخبيث هم الخاسرون انفسهم واموالهم قل للذين كفروا اي ابي
سفيان واصحابه ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا
لقتاله فقد مضت سنة الاولين بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى
او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر
والمعاصي وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه
قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد
منهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين
الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير
يثيبهم على اسلامهم وان تولوا اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف واعلموا انما
غنمتم ما بمعنى الذي ولا يجوز ان تكتب الا مفصولة لانها موصولة اذ لو كتبت
موصولة لوجب ان يكون ما كافة وغنمتم صلته والعايد محذوف والتقدير
الذي غنمتموه من شيء بيانه قيل حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه والفا
انما دخلت لما في الذي من معنى المجازاة وان وما عملت فيه في موضع رفع على
انه خبر المبتدا تقديره فالحكم ان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فالخمس كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذي
قرباه من بني هاشم وبني عبد المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه
حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير ابن مطعم وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته
وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى اغنياؤهم
فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه فاجرى ابو بكر الخمس
على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفا رضي الله عنهم ومعنى لله وللرسول
لرسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ان كنتم امنتم بالله فاعلموا
به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم وما انزلنا
معطوف على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان
يوم بدر يوم التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل
عليه من الايات والملايكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان والله
على كل شيء قدير يقدر ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر اذ انتم بدل

من يوم الفرقان او التقدير اذكروا اذ انتم **بالعدوة** شط الوادي وبالكسر فيهما
مكي وابو عمرو **الدنيا** القربى الى جهة المدينة تانيث الادنى **وهم بالعدوة**
القصوى البعدى عن المدينة تانيث الاقصى وكلتاهما فعلى من بنات
الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تانيث الاعلى واما القصوى
فكالقود في مجيئه على الاصل **والركب** اي العير وهو جمع راكب في المعنى
اسفل منكم نصب على الظرف اي مكانا اسفل من مكانكم يعني في اسفل الوادي
بثلاثة اميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا **ولو تواعدتم** انتم واهل
مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال **لاختلفتم في الميعاد**
لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في
قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي **ولكن** جمع
بينكم بلا ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** من اعزاز دينه واعلاء كلمته
واللام تتعلق بمحذوف اي ليقضي الله امرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور رحمه الله القضا
يحتمل الحكم اي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا او ليتم امرا كان قد اراده
وما اراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام واهله وذل الكفر
وحزبه ويتعلق بيقضي **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**
حيي نافع وابو بكر بالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثاني
غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيى والادغام اكثر استعير الهلاك
والحيا للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن
مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا
عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك
ان وقعة بدر من الايات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه
مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم
مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة
لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى
التي اناخ بها المشركون كانت فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء
بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة
وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين
وضعفهم ثم كان ما كان **وان الله لسميع** لاقوالهم **عليم** بكفر من كفر وعقابه
وبايمان من امن وثوابه **اذ يريكهم الله** نصب باضمار اذكر او هو متعلق بقوله
لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك **في منامك قليلا** اي في رؤياك
وذلك ان الله تعالى اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه
فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** لجبنتم وهبتم
الاقدام **ولتنازعتم في الامر** امر القتال وترددتم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف

انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر
والجزع **واذ يريكموهم** الضميران مفعولان اي واذ يبصركم اياهم **اذ التقيتم**
وقت اللقاء **في اعينكم قليلا** هو نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم
تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به
فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جانبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة **ويقللكم**
في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور قيل قد قللهم في اعينهم
قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترءوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز ان يبصروا الكثير قليلا بان يستر الله بعضهم
بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين
الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد
اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة
ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور فيحكم فيها بما يريد
ترجع شامي وحمزة وعلي **يايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة** اذا حاربتم جماعة
من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم
غالب للقتال **فاثبتوا** لقتالهم ولا تفروا **واذكروا الله كثيرا** في مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم
اللهم اقطع دابرهم **لعلكم تفلحون** تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا
واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة
عن غيره **واطيعوا الله ورسوله** في الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما
ولا تنازعوا فتفشلوا فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان ويدل عليه **وتذهب**
ريحكم اي دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
شبهت في نفوذه وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح
يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور **واصبروا**
في القتال مع العدو وغيره **ان الله مع الصابرين** اي معينهم وحافظهم
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس هم اهل مكة
حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور
وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس
باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح
مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان
يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله تعالى مخلصين
اعمالهم لله والبطر ان تشغله سكر النعمة عن شكرها **ويصدون عن سبيل**
الله دين الله **والله بما تعملون محيط** عالم وهو وعيد **واذ زين لهم**

الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واذكر اذ زين لهم
الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووسوس اليهم انهم لا يغلبون غالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع
خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم واني جار لكم اي مجير لكم اوهمهم ان
طاعة الشيطان مما يجيرهم فلما ترائت الفئتان فلما تلاقى الفريقان نكص
الشيطان هاربا على عقبيه اي رجع القهقري وقال اني بريء منكم
اي رجعت عما ضمنت لكم من الامان روي ان ابليس تمثل لهم في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه رايته فلما راى الملائكة
تنزل نكص وقال له الحارث بن هشام اتخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون اي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة بن مالك فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان اني اخاف الله اي
عقوبته والله شديد العقاب اذكروا اذ يقول المنافقون بالمدينة
والذين في قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين او اريد الذين هم على
حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين
اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال
جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه فان الله عزيز غالب يسلط
القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه ولو ترى
ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان
الماضي الى معنى الاستقبال اذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا يقبض
ارواحهم الملائكة فاعل يضربون حال منهم وجوههم اي اذا اقبلوا
وادبارهم ظهورهم واستاههم اذا ادبروا او وجوههم عند الاقدام وادبارهم
عند الانهزام وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء
ويضربون خبر والوجه الاول لان الكفار لا يستحقون ان يكون الله متوفيهم
بلا واسطة ودليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء وذوقوا ويقولون لهم ذوقوا
معطوف على يضربون عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب
الاخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا فظيعا ذلك بما قدمت ايديكم اي كسبت وهو رد على الجبرية
وهو من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت
خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم
وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام
للتكثير لاجل العبيد او لنفي انواع الظلم الكائن في كداب ال فرعون في محل
الرفع اي داب هؤلاء مثل داب ال فرعون وداب هم عادتهم وعملهم الذي
دابوا فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل قريش او من قبل
ال فرعون كفروا تفسير لداب ال فرعون بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم

ان الله

ان الله قوي شديد العقاب والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى
عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب ذلك العذاب او الانتقام بان الله لم
يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم بسبب ان الله
لم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم
لم يكن لال فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
لكن لما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط
منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما
بعث اليهم بالايات فكذبوه وسعوا في اراقة دمه غيروا حالهم الى
اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كداب ال
فرعون تكرير للتاكيد او لان في الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك
وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستيصال والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون في اليم وكل وكلهم
من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على
الكفر فلا يتوقع منهم الايمان الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا
اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس
الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة في كل معاهدة وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا
يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم
شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد
اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق وتطرد به من
عداهم لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون واما تخافن من
قوم معاهدين خيانة نكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
العهد على سواء على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال
من النابذ والمنبوذ اليهم اي حاصلين على استواء في العلم ان الله لا يحب
الخائنين الناقضين للعهود ولا تحسبن بالياء وفتح السين شامي وحمزة
ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين ابو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم
الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم
لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم شامي اي لانهم وكل
واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستيناف
والمفتوحة تعليل صريح فمن قرا بالتاء فالذين كفروا مفعول اول والثاني
سبقوا ومن قرا بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعوله تقديره ان سبقوا فحذف

اذ وان مخففة من الثقيلة اي انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون
الفاعل مضمرا اي ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفردهم
بالقراة فعليه نظر لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهري انها نزلت
فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا ايها المومنون لهم لناقضي العهد
او لجميع الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها
وفي الحديث الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر وقيل هي الحصون
ومن رباط الخيل مواسم للخيل التي تربط في سبيل الله او هو جمع ربيط كفصيل
وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكائيل وقوله
ترهبون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم اي اهل مكة واخرين من
دونهم غيرهم وهم اليهود او المنافقون او اهل فارس او كفرة الجن في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي
ان صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ليوفر عليكم جزاؤه وانتم لا
تظلمون في الجزاء بل تعطونه على التمام وان جنحوا مالوا جنح له واليه
مال للسلم للصلح وبكسر السين ابو بكر وهو مونث تانيث ضدها وهو
الحرب فاجنح لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر
في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم انه هو السميع
لا قوالك العليم باحوالك وان يريدوا ان يخدعوك بمكروا ويغدروا
فان حسبك الله كافيك الله هو الذي ايدك قواك بنصره وبالمومنين
جميعا او بالانصار والف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم
مائة وعشرين سنة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي بلغت عداوتهم مبلغا لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض
من الاموال لم يقدر عليه ولكن الله الف بينهم بفضله ورحمته وجمع بين
كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التواد والتحاب واماط عنهم التباغض
والتماقت انه عزيز يقهر من يخدعوك حكيم ينصر من يتبعونك يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين الواو بمعنى مع وما بعده
منصوب والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المومنين الله ناصرا ويجوز ان
يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المومنون قيل اسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال التحريض المبالغة في الحث على
الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من
الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان
صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده بانهم قوم
لا يفقهون بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب

وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من
يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفروا ويثبت
الواحد للعشرة ثم ثقل ذلك عليهم فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة
فان تكن منكم مائة صابرة بالياء فيهما كوفي وافق البصري في الاولى والمراد
الضعف في البدن يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل
التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذ
الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف
وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي
ما صح له ولا استقام ان يكون له اسرى ان تكون بصري حتى يثخن في
الارض الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ
والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار ابا بكر
فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك
فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك من
الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب
له فلنضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر فقال عليه السلام مثلك
يا ابا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام حيث قال ومن عصاني فانك
غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ثم قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفدا فاستشهدوا باحد فلما اخذوا الفدا
نزلت الاية تريدون عرض الدنيا متاعها يعني الفدا سماه عرضا لقلة
بقائه وسرعة فنائه والله يريد الاخرة اي ما هو سبب الجنة من اعزاز
الاسلام بالاثخان والقتل والله عزيز يقهر الاعدا حكيم في عتاب
الاولياء لولا كتاب من الله لولا حكم من الله سبق ان لا يعذب احدا
على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاهم
ربما كان سببا في اسلامهم وان فداهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم
ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم او ما كتب الله في اللوح
ان لا يعذب اهل بدر او ان لا يواخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر
من الاستشارة دلالة جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس
كتاب مبتدا ومن الله صفته اي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة
اخرى له وخبر المبتدا محذوف اي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود

وسبق لا يجوز ان يكون خبراً الا ان لولا لا يظهر خبرها ابداً لمسكم لنالكم واصابكم
فيما اخذتم من فداء الاسرى عذاب عظيم روي ان عمر رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول
الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي
على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السما لما نجا منه غير
عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي فكلوا مما غنمتم
روي انهم امسكوا عن الغنايم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة
للفداء لانه من جملة الغنايم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه
قد احللت لكم الغنايم فكلوا حلالا حال طيبا لذيذا هنياً او حلالاً بالشرع
طيبا بالطبع واتقوا الله فلا تقدموا على شي لم يعهد اليكم فيه ان الله غفور
لما فعلتم من قبل رحيم باحلال ما غنمتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في مملكتكم
كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى جمع اسير من الاسارى ابو عمرو جمع
اسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما
اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة
ويغفر لكم والله غفور رحيم روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه
وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما
اخذ مني وارجو المغفرة وكان له عشرون عبداً ان ادناهم ليتجر في عشرين
الفا كان يقول انجز الله احد الوعدين وانا على ثقة من الاخر وان يريدوا
اي الاسرى خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة او
منع ما ضمنوا من الفدا فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ
على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم فامكنك منهم اي اظفرك بهم
كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة والله عليم بالمال
حكيم فيما امر في الحال ان الذين امنوا وهاجروا من مكة حبا لله
ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله هم المهاجرون
والذين اووا ونصروا اي اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
وهم الانصار اولئك بعضهم اوليا بعض اي يتولى بعضهم بعضا في
الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة
دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة والذين امنوا ولم
يهاجروا من مكة ما لكم من ولايتهم من توليهم في الميراث ولانهم حرم
وقيل هما واحد من شي حتى يهاجروا فكان لا يرث المومن الذي لم يهاجر
ممن امن وهاجر ولما ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة
فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل ان صاحب الكبيرة لا يخرج

من الايمان وان استنصروكم اي من اسلم ولم يهاجر في الدين فعليكم النصر اي
ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونتكم فواجب عليكم ان تنصروهم
على الكافرين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم
لانهم لا يبتداون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون
بصير تحذير عن تعدي حد الشرع والذين كفروا بعضهم اوليا بعض
ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم
وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون
بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل
المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام
على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة تكن فتنة في الارض
وفساد كبير تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم
يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته
من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا
لاجل الدين والعقبى لهم مغفرة ورزق كريم لا منة فيه ولا تنغيص
ولا تكرار لان هذه الاية واردة للثنا عليهم مع الموعد الكريم والاولى
للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى
الهجرة وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم جعلهم منهم تفضلا
وترغيبا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واولوا القرابات اولى
بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه
وقسمته او في اللوح او في القران وهو اية المواريث وهو دليل لنا
على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شي عليم فيقضي بين عباده بما شا
من احكامه قسم الناس اربعة اقسام قسم امنوا وهاجروا وقسم اووا
ونصروا وقسم امنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يومنوا والله تعالى اعلم
سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون وقيل مائة وثلثون
وقيل تسع وعشرون كوفي وثلاثون غيره لها اسماء براءة • التوبة •
المقشقشة • المبعثرة • المشردة • المخزية • الفاضحة • المثيرة • الحافرة •
المنكلة • المدمدمة • لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من
النفاق اي تبري منه وتبعثر عن اسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها
وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك
التسمية في ابتدايها اقوال فعن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان باسم الله
امان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية قال اجعلوها في الموضع الذي
يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين

نفعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفي **براءة**
نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان
السابعة من الطول وهي سبع وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال
وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان
وتركت بسم الله لقول من قال سورة واحدة **براءة** خبر مبتدا محذوف
اي هذه براءة **من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين** من لابتدا
الغاية متعلق بمحذوف اي هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتداء لتخصصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله
ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فسيحوا في الارض اربعة اشهر فسيروا في الارض كيف شئتم والسيح السير
على مهل روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنوا ضمرة وبنوا كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا
ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا ولا يتعرض لهم وهي
الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم
من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة
ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقراها على اهل
الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين
او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا
العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب
بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
او عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع
الاخر وكانت حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب
لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال في الاشهر الحرم وان
ذلك قد نسخ **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه وان امهلكم **وان الله
مخزي الكافرين** مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب **واذان من الله
ورسوله الى الناس** ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة

على مثلها

على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطا بمعنى
الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار
بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وانما علقت
البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة
مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من
عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج الاكبر**
يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج
من الطواف والنحر والحلق والرمي ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج
الاصغر **ان الله بريء من المشركين** اي بان الله حذفت صلة الاذان تخفيفا
ورسوله عطف على المنوي في بريء او على الابتداء وحذف الخبر اي ورسوله
بريء وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وبالجر على الجوار او على القسم كقوله
لعمرك وحكي ان اعرابيا سمع رجلا يقراها فقال ان الله بريئا من رسوله
فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر
عمر بتعليم العربية **فان تبتم** من الكفر والغدر **فهو** اي التوب **خير لكم** من
الاصرار على الكفر **وان توليتم** عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن
الاسلام **فاعلموا انكم غير معجزي الله** غير سابقين الله ولا فائتين
اخذه وعقابه **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** مكان بشارة المؤمنين
بنعيم مقيم **الا الذين عاهدتم من المشركين** استثناء من قوله فسيحوا في
الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط العهد
اي وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ ينقضوكم اي عهدكم وهو ادق لكن
المشهورة ابلغ لانه في مقابلة التمام **ولم يظاهروا عليكم احدا** ولم يعاونوا
عليكم عدوا **فاتموا اليهم عهدهم** فادوا اليهم تاما كاملا **الى مدتهم** الى تمام
مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين
لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا
الموفي كالغادر **ان الله يحب المتقين** يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى
بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك **فاذا انسلخ** مضى او خرج **الاشهر الحرم**
التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا **فاقتلوا المشركين** الذين نقضوكم
وظاهروا عليكم **حيث وجدتموهم** من حل او حرم **وخذوهم** واسروهم
والاخيذ الاسير **واحصروهم** وقيدوهم وامنعوهم من التفرق في البلاد
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم وانصبوا به على
الطرق **فان تابوا** عن الكفر **واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم** فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكوا عنهم ولا تتعرضوا لهم
ان الله غفور يستر الكفر والغدر بالاسلام **رحيم** بدفع القتل قبل
الاداء بالالتزام **وان احد من المشركين استجارك فاجره** احد مرتفع

بفعل الشرط مضمرًا يفسره الظاهر اي وان استجارك احد استجارك والمعنى
وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه
واستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران فامنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مامنه
داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان
المستامن لا يؤذي وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود ذلك
اي الامر بالاجارة في قوله فاجره بانهم قوم لا يعلمون بسبب انهم
قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من
اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله كيف استفهام في معنى الاستنكار اي مستنكر
ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني
ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم فما اقاموا على وفاء
العهد فاستقيموا لهم على الوفا وما شرطية اي فان استقاموا لكم فاستقيموا
لهم ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان
يظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل
لكونه معلومًا اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم
اي يظفروا بكم بعدما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لا يرقبوا
فيكم الا لا يراعوا حلفًا ولا قرابة ولا ذمة عهدًا يرضونكم بافواههم
بالوعد والايمان والوفا بالعهد وهو كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة
الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم
الايمان والوفا بالعهد واكثرهم فاسقون ناقضون العهد او متمردون
في الكفر لا مروة تمنعهم عن الكذب ولا شمايل تردعهم عن النكث كما
يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما اشتروا استبدلوا
بايات الله بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهوا
والشهوات فصدوا عن سبيل الله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم انهم ساء
ما كانوا يعملون اي بيس الصنيع صنيعهم لا يرقبون في مومن الا ولا
ذمة ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثاني
على العموم لانه قال في مومن واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية
في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم
فهم اخوانكم على حذف المبتدا في الدين لا في النسب ونفصل الايات ونبينها
لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من
تامل تفصيلها فهو العالم تحريضًا على تامل ما فصل من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم

اي نقضوا

اي نقضوا العهود الموكدة بالايمان وطعنوا في دينكم وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤسا الشرك او زعما قريش
الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا
ظاهرًا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن
فقد نكث عهده وخرج من الذمة ائمة بهمزتين كوفي وشامي الباقون
بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها يا مكسورة واصلها اأممة لانها جمع امام
كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وادغمت في
الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء
فلكسرتها انهم لا ايمان لهم وانما اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم
لانه اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل
لنا على ان يمين الكافر لا يكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم
لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامي
اي لا اسلام لعلهم ينتهون متعلق بفقاتلوا ائمة الكفر وما بينهما اعتراض
اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم
وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من
مكة وهم بدءوكم اول مرة بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم ان تقاتلوهم
وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث
العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب اتخشونهم توبيخ
على الخشية منهم فالله احق ان تخشوه بان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم
مومنين فاخشوه اي ان قضية الايمان ان لا يخشى المومن الا ربه ولا
يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله
قاتلوهم ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله يعذبهم الله
بايديكم قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم يغلبكم عليهم ويشف صدور قوم
مومنين طايفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد
كلها فكان دليلا على صحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتدا كلام واخبار
بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم
كابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وفيه رد على المعتزلة
قولهم ان الله تعالى شا ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم
والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم في قبول التوبة
ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ام منقطعة والهمزة فيها
للتوبيخ على وجود الحسبان اي لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المومنين وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله

والمومنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع
كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا
معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين
منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم نفي
المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمعنى
احسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين **والله خبير بما تعملون**
من خير او شر فيجازيكم عليه **ما كان للمشركين** ما صح لهم وما استقام
ان يعمروا مساجد الله مسجد الله مكي وبصري يعني المسجد الحرام
وانما جمع في القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامرها كعامر جميع
المساجد ولان كل بقعة منه مسجد او اريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا
لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو
صدر الجنس وهو اكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرا
كتب الله كنت انفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك **شاهدين على انفسهم**
بالكفر باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو في يعمروا والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع
الكفر بالله وبعبادته **اولئك الذين حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون**
دايمون **انما يعمر مساجد الله** عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا لانها بنيت
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم **من آمن بالله واليوم الآخر** ولم
يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينته الايمان
بالرسول لاقترانهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها او دل
عليه بقوله **واقام الصلاة وآتى الزكاة** وفي قوله **ولم يخش الا الله** تنبيه
على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختار على رضى الله
رضا غيره لتوقع مخوف اذ المومن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء
وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما
يستقيم عمارة هولاء وتكون منتفعا بها عند الله دون من سواهم **اجعلتم**
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من
مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن
آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج
وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمومنين واعمالهم
المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم

بالكفر

بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين
اسر فطفق علي يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم
تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل اولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقي
الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضي
الله عنه بالاسلام والجهاد وصدق الله تعالى عليا **الذين آمنوا وهاجروا**
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية
والعمارة **واولئك هم الفائزون** لا انتم والمختصون بالفوز دونكم **يبشرهم**
ربهم يبشرهم حمزة **برحمة منه ورضوان وجنات** تنكير المبشر به لوقوعه
وراء صفة الواصف وتعريف المعرف **لهم فيها** في الجنات **نعيم مقيم** دايم
خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم لا ينقطع لما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد
امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته او ولده
فيقول تدعنا بلا شيء فيمتنع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل **يا ايها الذين**
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان
اي آثروه واختاروه **ومن يتولهم منكم** اي ومن يتول الكافرين **فاولئك**
هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
اقاربكم وعشيراتكم ابو بكر **واموال اقترفتموها** اكتسبتموها **وتجارة تخشون**
كسادها فوات وقت نفاقها **ومساكن ترضونها احب اليكم من الله**
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وهو عذاب عاجل
او عقاب آجل او فتح مكة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** والآية تنعي
على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد
عند اورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاموال وحظوظ
الدنيا **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة** كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية
وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي والمومنون ثمانون
موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها **ويوم** اي واذكر يوم **حنين**
واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا
وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة فساءت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **اذ**
بدل من يوم **اعجبتكم كثرتكم** فادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزلت
عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس
آخذ بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه آخذ بركابه وقال للعباس
صح بالناس وكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون
لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة

فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى
وانت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر **فلم تغن عنكم**
شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع
رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك
دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم
عن اعدائكم فكانها ضاقت عليكم **ثم وليتم مدبرين** ثم انهزمتم **ثم انزل الله**
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا **على رسوله وعلى المؤمنين وانزل**
جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف او خمسة الاف او ستة
الاف او ستة عشر الفا **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر وسبي النساء
والذراري **وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء**
وهم الذين اسلموا منهم **والله غفور** يستر كفر العدو بالاسلام **رحيم** ينصر
الولي بعد الانهزام **يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس** اي ذو نجس وهو
مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها **فلا يقربوا المسجد**
الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا**
وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهبنا
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند
الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره
وقيل نهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه
وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله** من الغنائم او
المطر والنبات او من متاجر حجيج الاسلام **ان شاء** هو تعليم لتعليق الامر
بمشيئة الله تعالى لينقطع الامال اليه **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم** في
تحقيق امالكم او عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد ونزل في اهل
الكتاب **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله** لان اليهود مثنية والنصارى
مثلثة **ولا باليوم الاخر** لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون
ان لا اكل فيها ولا شرب **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** لانهم لا
يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة او لا يعملون بما في التوراة والانجيل
ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال
فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده **من الذين اوتوا الكتاب**
بيان للذين قبله واما المجوس فملحقون باهل الكتاب في قبول الجزية
وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري
ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من
العرب **حتى يعطوا الجزية** الا ان يقبلوها وسميت جزية لانها تجب على

اهلها

اهلها ان يجزوه اي يقضوه او هي جزاء على الكفر على التهجين في تذليل **عن يد**
اي عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا اعطى بيده اذا انقاد وقالوا
نزع يده عن الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا
مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ **وهم صاغرون** اي
تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له اد الجزية يا ذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام
وقالت اليهود كلهم او بعضهم **عزير ابن الله** مبتدا وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم اعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهو
عاصم وعلي فقد جعله عربيا **وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك**
قولهم بافواههم اي قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا
لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة **يضاهون قول**
الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم
ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعني
ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث
او الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله
لانهم اقدم منهم يضاهئون عاصم واصل المضاهاة المشابهة والاكثر
ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امراة ضهياء وهي التي اشبهت الرجال
لانها لا تحيض كذا قاله الزجاج **قاتلهم الله** اي هم احقاء بان يقال لهم
هذا **انى يؤفكون** كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان **اتخذوا**
اي اهل الكتابين **احبارهم** علماءهم **ورهبانهم** نساكهم **اربابا** الهة **من**
دون الله حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله كما
يطاع الارباب في اوامرهم ونواهيهم **والمسيح ابن مريم** عطف على احبارهم
اي اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله **وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا**
يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحدا **لا اله الا هو**
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك **يريدون ان يطفؤا نور الله**
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم
في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من
يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه
الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه اجرى يابى الله مجرى لا يريد
الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت او ابغضت الا
زيدا **هو الذي ارسل رسوله** محمدا عليه السلام **بالهدى** بالقرآن **ودين**
الحق الاسلام **ليظهره** ليعليه **على الدين كله** على اهل الاديان كلهم او ليظهر
دين الحق على كل دين **ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من**

الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل استعار الاكل للاخذ
بالرشا فى الاحكام ويصدون سفلتهم عن سبيل الله دينه والذين يكنزون
الذهب والفضة يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان
بالدلالة على اجتماع ذميمتين فيهم اخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها
عن الانفاق فى الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين
ويقرن بينهم وبين المرتشين من اهل الكتاب تغليظا وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك
فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد
الرحمن بن عوف يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض
عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتنا مباح لا يذم صاحبه
ولا ينفقونها فى سبيل الله الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير
ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا او اريد الكنوز او
الاموال او معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله • فاني وقيار بها
لغريب • وقيار كذلك وخصها بالذكر من بين ساير الاموال لانهما قانون
التمول واثمان الاشيا وذكر كنزهما دليل على ما سواهما فبشرهم بعذاب
اليم ومعنى قوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم ان النار تحمى عليها فلما حذفت
النار قيل تحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت
القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا
راوا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم
وولوا ظهورهم او معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
وجنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم
وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وهو توبيخ فذوقوا العذاب
بما كنتم تكنزون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم
كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا من غير زيادة
والمراد بيان ان احكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة
بالاهلة دون الشمسية فى كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه او
فى اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة سرد
ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال
فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب اياه اي تعظيمه ذلك
الدين القيم اي الدين المستقيم لا كما يفعله اهل الجاهلية يعني ان تحريم
الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت
به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى احدثت النسيء فغيروا
فلا تظلموا فيهن فى الحرم او فى الاثني عشر انفسكم بارتكاب المعاصى
وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل او المفعول كما يقاتلونكم كافة

جميعا

جميعا واعلموا ان الله مع المتقين اي ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر
لاهلها انما النسيء بالهمز مصدر نسأه اذا اخره وهو تاخير حرمة الشهر
الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر
الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه
شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شق
شهور العالم اربعة اشهر زيادة فى الكفر اي هذا الفعل منهم زيادة في
كفرهم يضل كوفى غير ابي بكر به الذين كفروا بالنسيء والضمير فى يحلونه
عاما ويحرمونه عاما للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما
رجعوا فحرموه فى العام القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة
التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين
واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه او بيحرمونه فحسب وهو الظاهر
فيحلوا ما حرم الله اي فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم
سوء اعمالهم زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة
والله لا يهدي القوم الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا اخرجوا فى سبيل الله اثاقلتم
تثاقلتم وهو اصله الا ان التاء ادغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة
فدخلت الف الوصل ليلا يبتدي بالساكن اي تباطأتم الى الارض ضمن
معنى الميل والاخلاد فعدي بالى اي ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم
مشاق السفر ومتاعبه اي ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان
ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد
الشقة وكثرة العدو وشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى غزوة الا ورى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس
تمام العدة ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة بدل الاخرة فما متاع الحياة
الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا قليل الا تنفروا الى الحرب يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا سخط عظيم على المتثاقلين
حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم فى نصرة دينه
لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير فى ولا تضروه للرسول لان الله وعده
ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعده كائن لا محالة والله على كل شيء قدير
من التبديل والتعذيب وغيرهما الا تنصروه فقد نصره الله الا تنصروه فسينصره
من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه
ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا اسند
الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله فى الخروج فكانهم
اخرجوه ثاني اثنين احد الاثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله

وابو بكر وانتهايه على الحال **اذ هما** بدل من اذ اخرجه **في الغار** هو نقب في اعلا ثور وهو جبل في يمنى مكه على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا **اذ يقول** بدل ثان **لصاحبه لا تحزن ان الله معنا** بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة **فانزل الله سكينته** ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه **عليه** على النبي عليه السلام او على ابي بكر لانه كان يخاف وكان النبي عليه السلام ساكن القلب **وايده بجنود لم تروها** هم الملايكة صرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه او ايده بالملايكة يوم بدر والاحزاب وحنين **وجعل كلمة الذين كفروا** اي دعوتهم الى الكفر **السفلى وكلمة الله** دعوته الى الاسلام **هي** فصل **العليا** وكلمة الله بالرفع على الاستيناف اوجه اذ هي لم تزل كانت عالية **والله عزيز** يعز بنصره اهل كلمته **حكيم** يذل اهل الشرك بحكمته **انفروا خفافا** في النفور لنشاطكم له **وثقالا** عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا **وجاهدوا باموالكم وانفسكم** ايجاب للجهاد بهما اذا امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة **في سبيل الله ذلكم خير لكم** ذلكم الجهاد خير من تركه **ان كنتم تعلمون** كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين **لو كان عرضا** هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما **قريبا** سهل الماخذ **وسفرا قاصدا** وسطا مقاربا والقصد والقاصد المعتدل **لاتبعوك** لوافقوك في الخروج **ولكن بعدت عليهم الشقة** المسافة الشاطة الشاقة **وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم** من دلايل النبوة لانه اخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا **يهلكون انفسهم** بدل من سيحلفون او حال منه اي مهلكين والمعنى انهم يهلكون بالحلف الكاذب او حال من خرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها

في التهلكة

في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة **والله يعلم انهم لكاذبون** فيما يقولون **عفا الله عنك** كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتقديم العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على ساير الانبيا عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لساير الانبيا عليهم السلام **لم اذنت لهم** بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن **حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفدا من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبيا عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل **لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا** وليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا **باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين** عدة لهم باجزل الثواب **انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر** يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا **وارتابت قلوبهم** شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم **فهم في ريبهم يترددون** يتحيرون لان التردد دين المتحير كما ان الثبات دين المستبصر **ولو ارادوا الخروج لاعدوا له** للخروج او للجهاد **عدة** اهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل **ولكن كره الله انبعاثهم** نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم **فثبطهم** فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه **وقيل اقعدوا** اي قال بعضهم لبعض او قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم او قاله الشيطان بالوسوسة **مع القاعدين** هو ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود في البيوت **لو خرجوا فيكم ما زادوكم** بخروجهم معكم **الا خبالا** فسادا او شرا والاستثنا متصل لان المعنى ما زادوكم شيا الا خبالا والاستثنا المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوهم شيا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثنا من اشيء فكان استثنا متصلا لان الخبال بعضه **ولا وضعوا خلالكم** ولسعوا بينكم بالتضريب والنمايم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولا وضعوا ركايبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وخط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي وخط العربي اخترع قريبا من نزول

القراءة وقد بقي من تلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة وفتحها الفا اخرى
ونحوه او لا اذبحنه يبغونكم حال من الضمير في اوضعوا الفتنة اي يطلبون
ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويشوشوا نياتكم في مغزاكم
وفيكم سماعون اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم والله عليم
بالظالمين بالمنافقين لقد ابتغوا الفتنة بصد الناس او بان يفتكوا به
عليه السلام ليلة العقبة او بالرجوع يوم احد من قبل من قبل غزوة تبوك
وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه
وعلا شرعه وهم كارهون اي على رغم منهم ومنهم من يقول ائذن لي ولا
تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير
اذنك اثمت او لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي
وقيل قال الجد بن قيس المنافق لو علمت الانصار اني مستهتر بالنساء
فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني الا في
الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وان جهنم لمحيطة بالكافرين الان لان اسباب الاحاطة معهم او هي تحيط
بهم يوم القيامة ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل
بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي تعني
من خير او شر هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله قل هل تربصون بنا
احدى السوئتين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من
السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا بنا ما ذكرنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا في
وجوه البر طوعا او كرها طائعين او مكرهين نصب على الحال كرها حمزة
وعلي وهو امر في معنى الخبر ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها
ونحوه استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله

٭ اسيئي بنا او احسني لا ملومة ٭ لدينا ولا مقلية ان تقلت ٭

اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت
الينا او احسنت وقد جاء عكسه في قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول
انه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها او لا يثيبها الله وقوله طوعا
اي من غير الزام من الله ورسوله وكرها اي ملزمين وسمى الالزام
اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه
انكم تعليل لرد انفاقهم كنتم قوما فاسقين متمردين عاتين وما منعهم

ان

ان تقبل منهم نفقاتهم وبالياء حمزة وعلي الا انهم كفروا انهم فاعل منع
وهم وتقبل مفعولاه اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله
ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يريدون بها وجه الله تعالى ووصفهم بالطوع او طوعا
وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول
الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة
واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحياة الدنيا الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى ولا تستحسن ما اوتوا من زينة الدنيا فان الله انما
اعطاهم ما اعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها او بالانفاق منه في ابواب
الخير وهم له كارهون او بنهب اموالهم وسبي اولادهم او بجمعها وحفظها
وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهق انفسهم
وهم كافرون وتخرج ارواحهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة
ودلت الاية على بطلان القول بالاصلح لانه اخبر ان اعطاء الاموال
والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون
ملجأ مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل او قلعة او جزيرة
او مغارات او غيرانا او مدخلا او نفقا يندسون فيه وهو مفتعل
من الدخول لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح ومنهم ومن المنافقين من يلمزك في
الصدقات يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجأة اي وان
لم يعطوا منها فاجؤوا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم
لا للدين وما فيه صلاح اهله لانه عليه السلام استعطف قلوب اهل
مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره
ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به
الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا
فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا
رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله
لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة اي هي
مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك

انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف
الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس
وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها
اجزاتك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وهو
المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه للحال
والمسكين الذي يسال لانه لا يجد شيا فهو اضعف حالا وعند الشافعي
رحمه الله على العكس **والعاملين عليها** هم السعاة الذين يقبضونها
والمؤلفة قلوبهم على الاسلام اشراف من العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتالفهم على ان يسلموا وقوم منهم اسلموا فيعطيهم تقريرا
لهم على الاسلام **وفي الرقاب** هم المكاتبون يعانون منها **والغارمين**
الذين ركبتهم الديون **وفي سبيل الله** فقراء الغزاة او الحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن الكلام الى في في الاربعة
الاخيرة للايذان بانهم ارسخ في استحقاق الصدقة عليهم ممن سبق ذكره
لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة
لها وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين
على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر
المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون
غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء
عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها
وسهم المؤلفة سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة ابي بكر رضي الله عنه
لان الله تعالى اعز الاسلام واغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى
خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى **فريضة من الله** في معنى
المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات
لهم **والله عليم** بالمصلحة **حكيم** في القسمة **ومنهم الذين يؤذون النبي**
ويقولون هو اذن الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول
كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة وايذاؤهم
له هو قولهم فيه هو اذن ويقصد به المذمة وانه من اهل سلامة القلوب
والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال **قل اذن خير لكم**
كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم
الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله
وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه اذن خير بانه **يؤمن بالله** اي يصدق
بالله لما قام عنده من الادلة **ويؤمن للمؤمنين** ويقبل من المؤمنين الخلص
من المهاجرين والانصار وعدي فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به
التصديق بالله الذي هو ضد الكفر والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع
من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقهم لكونهم صادقين عنده

الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء **ورحمة** بالعطف على
اذن ورحمة حمزة عطفا على خير اي هو اذن خير واذن رحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله **للذين امنوا منكم** اي وهو رحمة للذين امنوا منكم اي اظهروا
الايمان المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفعل
بكم ما يفعل بالمشركين او وهو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر
الى الايمان ويشفع لهم في الاخرة بايمانهم في الدنيا **والذين يؤذون رسول**
الله لهم عذاب اليم في الدارين **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** الخطاب للمسلمين
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم
فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم
فقيل لهم **والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين** اي ان كنتم
مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وانما وحد الضمير لانه لا يتفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم
شيء واحد كقولك احسان زيد واجماله رفعني او والله احق ان يرضوه
ورسوله كذلك **الم يعلموا انه** ان الامر والشان **من يحادد الله ورسوله**
يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق **فان له**
على حذف الخبر اي فحق ان له **نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم**
يحذر المنافقون خبر بمعنى الامر اي ليحذر المنافقون **ان تنزل عليهم**
سورة تنزل بالتخفيف مكي وبصري **تنبئهم بما في قلوبهم** من الكفر والنفاق
والضمائر للمنافقين لان السورة اذا انزلت في معناهم فهي نازلة عليهم
او الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى
يعود اليه **قل استهزءوا** امر تهديد **ان الله مخرج ما تحذرون** مظهر
ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون
ان يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالاسلام واهله حتى قال
بعضهم وددت اني قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين
يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا
على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما
كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض
فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر اي ولئن سالتهم وقلت لهم
لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب **قل ابالله واياته**
ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين
فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى
وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي

حرف التقدير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا اي
لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد
كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهار الايمان
ان يعف عن طائفة منكم بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه نعذب
طائفة غير عاصم المنافقون والمنافقات الرجال المنافقون كانوا
ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين بعضهم من بعض اي كانهم
نفس واحدة وفيه نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قوله ويحلفون
بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر بالكفر والعصيان وينهون
عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون ايديهم شحا بالمبار
والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله تركوا امره او اغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا
ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ
في ذمهم وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود فيها هي اي النار حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها وانه
بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين
ملحقين بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم في العاجل
لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف
للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب
ان اطلع على اسرارهم الكاف في كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم محلها رفع اي انتم مثل الذين من قبلكم
او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم
كما استمتعوا بخلاقهم اي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق
من الخلق وهو التقدير اي ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير وخضتم
في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه
والخوض الدخول في الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة
وطلب الفلاح في الاخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة في مقابلة قوله واتيناه اجره في الدنيا
والاخرة واولئك هم الخاسرون ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال الم ياتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح هو بدل من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم

واصحاب

واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم
لوط وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم
من غير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمؤ (منون)
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في التناصر والتراحم يامرون بالمعروف
بالطاعة والايمان وينهون عن المنكر عن الشرك والعصيان ويقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد
الوعيد في سانتقم منك يوما ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه
فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد في جنات عدن هو علم بدليل قوله جنات عدن التي
وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والتي وضعا لوصف المعارف بالجمل
وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله وشيء من رضوان الله اكبر من
ذلك لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك اشارة الى ما وعد او الى
الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا يا ايها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين
جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم
ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها وماواهم
جهنم وبئس المصير جهنم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان
ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن شر
من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا
صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك
ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن شر
من الحمير او هي استهزاؤهم فقال الجلاس والله يا رسول الله لقد قلته
وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد
لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد عليه السلام
او قتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا ابن ابي وان
لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا

الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله
صلى الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا
يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا عن النفاق
يك التوب خيرا لهم وهي الاية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا يصروا
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما
لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله روي
ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه
السلام قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك
بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
فقال ما هي الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب
على راسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها
وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنهم
لئن اتانا من فضله اي المال لنصدقن لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن
ولكن التاء ادغمت في الصاد لقربها منها ولنكونن من الصالحين باخراج الصدقة
فلما اتاهم من فضله اعطاهم الله المال ونالوا مناهم بخلوا به منعوا
حق الله ولم يفوا بالعهد وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون مصرون على
الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم
لانه كان سببا فيه الى يوم يلقونه اي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق
والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق الم يعلموا
يعني المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه من النفاق بالعزم على اخلاف
ما وعدوه ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية
الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء
الذين محله النصب او الرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم
ونجواهم يلمزون المطوعين يعيبون المتبرعين من المؤمنين في الصدقات
يتعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال عليه السلام بارك

الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امراته على
ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بماية وسق من تمر والذين عطف على
المطوعين لا يجدون الا جهدهم طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد
وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء ابو عقيل بصاع من تمر فقال بت
ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان صاع ابي عقيل فالله غني عنه
فيسخرون منهم يستهزؤون سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر
غير دعاء ولهم عذاب اليم مولم ولما سال عبد الله بن عبد الله ابن ابي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل استغفر لهم
او لا تستغفر لهم وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو
استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى
وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر
السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص
السبعين من بين ساير الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث
والكثير الثلاث فما فوقه وادنى الكثير الثلاثة وليس لاقصاه غاية
والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واقل الاشفاع اثنان واقل الاوتار
ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها
اوتارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كامل الحساب لان ما جاوز
العشرة فهو اضافة الاحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر
الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث
مرات وكذلك الى ماية والسبعون تجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال
الحساب والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه
ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله اعلم
ذلك اشارة الى الياس من المغفرة بانهم بسبب انهم كفروا بالله ورسوله
ولا غفران للكافر والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الايمان
ما داموا مختارين للكفر والطغيان فرح المخلفون المنافقون الذين
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في
غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم
بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله بمخالفته له وهو مفعول له
او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل اموالهم
وارواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث
الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض

او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم
لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد
كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اي فليضحكوا قليلا
على فرحهم لتخلفهم في الدنيا وليبكوا كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على
لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق
يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا
يكسبون من النفاق فان رجعك الله اي ردك من تبوك وانما قال
الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق ومنهم من هلك فاستاذنوك
للخروج الى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا وسكون
اليا حمزة وعلي وابو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا معي حفص انكم رضيتم بالقعود
اول مرة اول ما دعيتم الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين مع من
تخلف بعذر روي ان عبد الله بن ابي وكان يوما ان يكفن النبي صلى الله عليه
وسلم اباه في قميصه ويصلي عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك
فقال عليه السلام لا ينفعه ذلك وكنت ارجو ان يؤمن به الف من قومه
فنزل ولا تصل على احد منهم من المنافقين يعني صلاة الجنازة روي انه اسلم
الف من الخزرج لما راوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم
مات صفة لاحد ابدا ظرف لتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت
وقف على قبره ودعا له فقيل ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي اي انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم
كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون التكرير للمبالغة
والتاكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وان يعتقد ان انه مهم
ولان كل اية في فرقة غير الفرقة الاخرى واذا انزلت سورة يجوز ان يراد
سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه
ان امنوا بالله هي ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
اي النسا جمع خالفة وطبع على قلوبهم ختم عليها لاختيارهم الكفر
والنفاق فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف
من الهلاك والشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ان تخلف هولاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم قوله اعد دليل على انها مخلوقة وجاء المعذرون من
الاعراب ليؤذن لهم هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته
ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء

في الذال

في الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم اسد
وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم
يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل
والاخرة بالنار ليس على الضعفا الهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقرا من مزينة وجهينة وبني عذرة
حرج اثم ومضيق في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بان امنوا في السر
والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين
الناصحين من سبيل اي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم والله
غفور يغفر لهم تخلفهم رحيم بهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة
اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا هو جواب اذا واعينهم
تفيض من الدمع اي تسيل وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت
كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار
والمجرور النصب على التمييز ويجوز ان يكون قلت لا اجد استئنافا
كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل
قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزا كالاعتراض
حزنا مفعول له الا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما ينفقون
ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون ابو موسى
الاشعري واصحابه او البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل
على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنيا استئناف وقوله رضوا
استئناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بان يكونوا
مع الخوالف اي بالانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
يعتذرون اليكم يقيمون لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه
السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم لن نصدقكم وهو علة
للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبانا
الله من اخباركم علة لانتفا تصديقهم في معاذيرهم لانه تعالى
اذا اوحي الى رسوله الاعلام باخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع
ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون ام
تثبتون على كفركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون
اليه فهو عالم كل سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على
حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لتتركوهم
ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك
معاتبتهم اي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا سبيل

لا لتطهيرهم ومأواهم جهنم ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا
فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
اي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم
اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وانما
قيد ذلك لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن
العلم والعلماء واجدر الا يعلموا واحق لئلا يعلموا حدود ما انزل الله
على رسوله يعني حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه
قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين يعني الاكرة لانهم
يفدون ان يصيحون في حروثهم والفديد الصياح والله عليم باحوالهم
حليم في امهاله لهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق اي يتصدق مغرما
غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله
وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر اي دوائر الزمان وتبدل الاحوال
بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة
السوء اي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في
الحروب في المسلمين السوء مكي وابو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح
ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق والله سميع
لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق في الجهاد والصدقات
قربات اسبابا للقربة عند الله وهي مفعول ثان ليتخذ وصلوات
الرسول اي دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة
ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها ان النفقة او
صلوات الرسول قربة لهم قربة نافع وهذه شهادة من الله للمتصدق
بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على
طريق الاستيناف مع حرف التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر
وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته جنته وما في السين من
تحقيق الامر وما دل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة
منه بمكان اذا اخلصت من صاحبها ان الله غفور يستر عيب المخل
رحيم يقبل جهد المقل والسابقون مبتدأ الاولون صفة لهم من المهاجرين
تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او بيعة
الرضوان والانصار عطف على المهاجرين اي ومن الانصار وهم اهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين اتبعوهم باحسان من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة
وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر رضي الله

عنهم

عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية
واعد لهم عطف على رضي جنات تجري تحتها الانهار من تحتها مكي خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة
من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم وغفار كانوا نازلين حولها
ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم والمبتدأ
منافقون ويجوز ان تكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن
اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه على ان مردوا صفة موصوف
محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون
فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم
اي يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما
يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم
غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر
المخلصين من المؤمنين سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة
وعذاب القبر او اخذ الصدقات من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون
الى عذاب عظيم اي عذاب النار وآخرون اي قوم آخرون سوى المذكورين
اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على انفسهم بانهم بئسما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكان عادته
كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا
يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان
آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا
الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه او التوبة او الاثم او من قولهم بعت الشاة
شاة ودرهما اي شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق
فيتناسبان او المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط
به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك
خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته
بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما فكأنك قلت خلطت الماء باللبن
واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ولم يذكر توبتهم
لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة خذ من اموالهم صدقة
كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة تطهرهم عن الذنوب وهو صفة لصدقة
والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث والتاء في وتزكيهم للخطاب لا محالة بها
بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة

في المال **وصل عليهم** واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعوا
المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها **ان صلواتك** صلاتك كوفي غير ابي بكر
قيل الصلاة اكثر من الصلوات لانها للجنس **سكن لهم** سكون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم **والله سميع** لدعائك او يسمع
اعترافهم بذنوبهم ودعائهم **عليم** بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط
منهم **الم يعلموا** المراد المتوب عليهم اي الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم **ان الله هو يقبل التوبة عن عباده** اذا صحت **ويأخذ الصدقات**
ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص اي ان ذلك ليس
الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها
ووجهوها اليه **وان الله هو التواب** كثير قبول التوبة **الرحيم** بعفو الحوبة
وقل لهؤلاء التائبين **اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**
اي فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم او
غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما قبلت توبة عليهم قال
الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول
عن التوبة **وستردون الى عالم الغيب** ما يغيب عن الناس **والشهادة**
ما يشاهدونه **فينبئكم بما كنتم تعملون** تنبيه تذكير ومجازاة عليه
واخرون مرجون لامر الله بغير همز مدني وكوفي غير ابي بكر مرجؤون
غيرهم من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة اي واخرون من
المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امر الله فيهم **اما يعذبهم** ان اصروا ولم يتوبوا
واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع والضابطة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين
ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا **والله عليم** بارجائهم **حكيم** في
ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا
لهم الرحمة روي انه عليه السلام امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع
والغم فلما ان علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا
نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله **والذين اتخذوا مسجدا** تقديره ومنهم
الذين اتخذوا الذين بغير واو مدني وشامي وهو مبتدا خبره محذوف اي
جازيناهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم
بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي عليه

السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ونحن نحب ان تصلي لنا فيه فقال
اني على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من
غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشي قاتل حمزة
ومعن بن عدي وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة
ومات ابو عامر بالشام **ضرارا** مفعول له وكذا ما بعده اي مضارة
لاخوانهم اصحاب مسجد قبا **وكفرا** وتقوية للنفاق **وتفريقا بين المؤمنين**
لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف
كلمتهم **وارصادا لمن** واعدادا لاجل من **حارب الله ورسوله** وهو الراهب
اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او
بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار **من قبل** متعلق بحارب اي من
قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق **وليحلفن** كاذبين **ان اردنا الا الحسنى**
ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله
والتوسعة على المصلين **والله يشهد انهم لكاذبون** في حلفهم **لا تقم فيه**
ابدا للصلاة **لمسجد اسس على التقوى** اللام للابتداء واسس نعت له وهو
مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه
بقبا او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة **من اول يوم**
من ايام وجوده قيل القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية في الزمان ومن
لابتداء الغاية في المكان والجواب ان من عام في الزمان والمكان
احق ان تقوم فيه مصليا **فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب**
المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقفوا على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم
فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انا لمؤمنون وانا معهم
فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما
الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم
رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها
وقيل هو تطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه
ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم
ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه **افمن اسس بنيانه** وضع اساس
ما يبنيه **على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا**
جرف هار هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى

أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله ورضوانه خير أمن
أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله
مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف
في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الحرف والشفير
وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى
واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط
ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل إنما هي عينه
وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا نرى أبلغ من هذا
الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه أمن أسس
بنيانه شامي ونافع جرف شامي وحمزة ويحيى هار بالإمالة أبو عمرو
وحمزة وفي رواية ويحيى **فانهار به في نار جهنم** فطاح به الباطل في نار جهنم
ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي
هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية
جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان
يخرج من مسجد الضرار حين انهار **والله لا يهدي القوم الظالمين** لا
يرشدهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
في قلوبهم** لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم
لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم **إلا أن تقطع قلوبهم** شامي وحمزة وحفص
أي تتقطع غيرهم تقطع أي إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ
يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة
ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن
يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار
أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم
والله عليم بعزائمهم **حكيم** في جزاء جرائمهم **إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم
أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشرى وروي تاجرهم فأغلى لهم الثمن
وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله
عليه وسلم أعرابي وهو يقرأها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا
نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد **يقاتلون في سبيل الله** بيان محل
التسليم **فيقتلون ويقتلون** أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو
فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي **وعدا عليه** مصدر أي وعدهم بذلك وعدا
حقا صفته أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيل الله وعد
ثابت قد أثبته **في التوراة والإنجيل والقرآن** وهو دليل على أن أهل
كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال **ومن أوفى بعهده من
الله** لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم

الأكرمين ولا نرى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ **فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به** فافرحوا به غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيا بباق
وذلك هو الفوز العظيم قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا
تبيعوها إلا بها **التائبون** رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين
المذكورين أو هو مبتدأ خبره **العابدون** أي الذين عبدوا الله وحده
وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا عن الشرك
وتبرؤوا من النفاق **الحامدون** على نعمة الإسلام **السائحون** الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصيام أو طلبة العلم لأنهم يسيحون
في الأرض يطلبونه في مظانه أو السائرون في الأرض للاعتبار **الراكعون
الساجدون** المحافظون على الصلوات **الآمرون بالمعروف** بالإيمان
والطاعة **والناهون عن المنكر** عن الشرك والمعاصي ودخلت الواو
للإشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر والنهي كما في قوله ثيبات
وأبكارا **والحافظون لحدود الله** أوامره ونواهيه أو معالم الشرع
وبشر المؤمنين المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر
لأبي طالب فنزل **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولي قربى** أي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته **من بعد
ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك
ثم ذكر عذر إبراهيم فقال **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة
وعدها إياه** أي وعدها أبوه إياه أن يسلم أو وعدها إياه أن يستغفر وهو
قوله لأستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره
سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له
فلما تبين من جهة الوحي **له** لإبراهيم **أنه** أن أباه **عدو لله** بأن يموت كافرا
وانقطع رجاؤه عنه **تبرأ منه** وقطع استغفاره **إن إبراهيم لأواه**
هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف
لأبيه الكافر **حليم** هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان
يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ
هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه
كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به
عباده الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان
حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا
بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون
ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف
**إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي** أي تاب

عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنهم كقوله عفا الله عنك والمهاجرين
والانصار فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج
الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة
في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يتعقب العشرة على البعير
الواحد ومن الزاد حتى تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة
الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة
ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا الفرث وشربوه
وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول
في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان والجملة بعده في
موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله اي ليس الشان خلق الله
مثله يزيغ حمزة وحفص ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد انه بهم رءوف رحيم
وعلى الثلاثة اي وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن
الربيع وهلال بن امية وهو عطف على النبي الذين خلفوا عن الغزو
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل
للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا
وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت
من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه وعلموا ان
لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما
ليتوبوا ليكونوا في جملة التوابين ان الله هو التواب الرحيم عن ابي
بكر الوراق انه قال التوبة النصوح ان تضيق على التائب الارض بما
رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هذه الثلاثة يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في ايمانهم دون المنافقين او مع
الذين لم يتخلفوا او مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا
والاية تدل على ان الاجماع حجة لانه امرنا بالكون مع الصادقين
فلزم قبول قولهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله المراد بهذا النفي النهي وخص هؤلاء بالذكر
وان استوى كل الناس في ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم عما يصيب نفسه اي لا يختاروا
بقاء انفسهم على نفسه بالشدائد بل امروا ان يصحبوه في البأساء والضراء
وليلقوا انفسهم بين يديه في كل شديدة ذلك النهي عن التخلف بانهم
بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
في سبيل الله في الجهاد ولا يطئون موطئا ولا يدوسون مكانا من
امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ

الكفار يغضبهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم
اصابة بقتل او اسر او جرح او كسر او هزيمة الا كتب لهم به عمل صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما لكل روعة سبعون الف حسنة يقال نال منه
اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويضرهم وفيه دليل على ان من قصد
خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك
وعلى ان المدد تشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب والموطئ اما
مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه
ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم
ولا ينفقون نفقة في سبيل صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان
رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم
ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في
الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في الاستعمال
بمعنى الارض الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ليجزيهم الله
متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون
اي يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به
توفيرا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي
اي ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح للافضاء الى
المفسدة فلولا نفر فحين لم يمكن منهم نفير العامة فهلا نفر من كل فرقة
طائفة منهم اي من كل جماعة كبيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في
تحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار
قومهم وارشادهم اذا رجعوا اليهم دون الاغراض الخسيسة
من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس لعلهم
يحذرون ما يجب اجتنابه قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما انزل في المتخلفين من
الايات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا
جميعا عن التفقه في الدين فامروا ان ينفروا من كل فرقة منهم طائفة
الى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطع عن التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالنصال
والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم
ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة
النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
يقربون منكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم
وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب وقد حارب النبي صلى الله

عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام اقرب الى
المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا
من وليهم **وليجدوا فيكم غلظة** شدة وعنفا في المقال قبل القتال
واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والغلبة **واذا ما انزلت سورة** ما
صلة مؤكدة **فمنهم** فمن المنافقين **من يقول** بعضهم لبعض **ايكم زادته**
هذه السورة **ايمانا** انكارا واستهزاء بالمؤمنين وايكم مرفوع بالابتدا
وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه **فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا**
يقينا وثباتا او خشية او ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا امنوا بها
تفصيلا **وهم يستبشرون** بعد وحي زيادة التكليف بشارة التشريف
واما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج الي علاج
كالفساد في البدن **فزادتهم رجسا الى رجسهم** كفرا مضموما الي كفرهم
وماتوا وهم كافرون هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت **اولا يرون**
يعني المنافقين وبالتاء خطاب للمؤمنين **انهم يفتنون** يبتلون
بالقحط والمرض وغيرهما **في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون** عن
نفاقهم ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لا يتوبون عما يرون من دولة الاسلام **ولا هم يذكرون** عما يقع بهم
من الاصطلام **واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض** تغامزوا بالعيون
انكارا للوحي وسخرية به قائلين **هل يراكم من احد** من المسلمين لننصرف
فانا لا نصبر على استماعه فيغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او
اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل
يراكم من احد ان قمتم من حضرته عليه السلام **ثم انصرفوا** عن حضرة
النبي عليه السلام مخافة الفضيحة **صرف الله قلوبهم** عن فهم القران
بانهم بسبب انهم **قوم لا يفقهون** لا يتدبرون حتى لا يفقهوا **لقد جاءكم**
رسول محمد عليه السلام **من انفسكم** من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي
مثلكم **عزيز عليه ما عنتم** شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم
ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب **حريص عليكم** على
ايمانكم **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم **رؤف رحيم** قيل لم يجمع الله اسمين من
اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان تولوا** فان اعرضوا
عن الايمان بك وناصبوك **فقل حسبي الله** فاستعن بالله وفوض
امورك اليه فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم **لا اله الا هو عليه توكلت**
فوضت امري اليه **وهو رب العرش** هو اعظم خلق الله خلق مطافا
لاهل السما وقبلة للدعاء **العظيم** بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب
جل وعز عن ابي اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم والله اعلم

سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الا سورة النور وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **الر** ونحوه مماله حمزة وعلي وابو عمرو

وهو

وهو تعديد للحروف على طريق التحدي **تلك ايات الكتاب** اشارة الي ما
تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة **الحكيم** ذي الحكمة لاشتماله
عليها او المحكم عن الكذب والاختلاف والهمزة في **اكان للناس عجبا**
لانكار التعجب والتعجيب منه **ان اوحينا** اسم كان وعجبا خبره واللام في
للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجب فلما تقدم صار حالا **الى رجل منهم**
ان انذر الناس بان انذر وهي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول **وبشر**
الذين امنوا ان لهم بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة
يتعجبون منه والذي تعجبوا منه ان يوحي الى بشر وان يكون رجلا من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الي الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر
بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل
المبعوثين الي الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير
ليس بعجب ايضا لان الله تعالي انما يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنى
والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو
الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل
الجزاء **قدم صدق عند ربهم** اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان
السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم
في الخير واضافتها الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة
ومقام صدق او سبق السعادة **قال الكافرون ان هذا** الكتاب **لسحر**
مبين مدني وبصري وشامي ومن قرأ الساحر فهذا اشارة الي رسول الله
وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا **ان ربكم**
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
اي استولى فقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود **يدبر**
يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة **الامر** امر الخلق كله وامر ملكوت
السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمة شانه وملكه من
خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها هذه الجملة لزيادة
الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك
قوله **ما من شفيع الا من بعد اذنه** دليل على عزته وكبريائه **ذلكم** العظيم
الموصوف بما وصف الله به **الله ربكم** وهو الذي يستحق العبادة **فاعبدوه**
وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر
ولا ينفع **افلا تذكرون** افلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح
والمنافع على وجود المصلح النافع **اليه مرجعكم جميعا** حال اي لا ترجعون
في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع
وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم **انه يبدأ الخلق ثم يعيده**

استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم
او بقسطهم اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا اذ الشرك ظلم
ان الشرك لظلم عظيم وهذا اوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ولوجه كلامي هو الذي جعل الشمس
ضياء الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقلبها قنبل همزة لانها
للحركة احمل والقمر نورا والضياء اقوى من النور فلذا جعله للشمس وقدره
وقدر القمر اي وقدر مسيره منازل اي وقدره ذا منازل لقوله والقمر
قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين اي عدد السنين والشهور فاكتفى
بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الاجال والمواقيت
المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق
الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا يفصل الايات مكي وبصري وحفص
وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون بالتامل فيها ان في اختلاف
الليل والنهار في مجي كل واحد منهما خلف الاخر او في اختلاف لونيهما
وما خلق الله في السموات والارض من الخلائق لايات لقوم يتقون
خصهم بالذكر لانهم يحذرون الاخرة فيدعوهم الحذر الى النظر ان الذين
لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن
التفكر في الحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون
سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة
واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي واطمأنوا بها وسكنوا اليها سكون
من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن اياتنا غافلون
لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان اولئك مأواهم النار فاولئك
مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر اولئك والباء في
بما كانوا يكسبون متعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب
ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل
تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول
اليها او يهديهم اليها في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث
ان المؤمن اذا خرج من قبره صار له عمله في صورة حسنة فيقول له انا
عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله
النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم
يضم اليه العمل الصالح في جنات النعيم متعلق بتجري او حال من الانهار
دعواهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه

اللهم انا نسبحك اي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره
لا عبادة وتحيتهم فيها سلام اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام او هي تحية
الملائكة اياهم واضيف المصدر الى المفعول او تحية الله لهم واخر
دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان الحمد لله رب العالمين
ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه الحمد
لله رب العالمين والضمير للشأن قيل اول كلامهم التسبيح واخره التحميد
فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه ويتكلمون
بينهما بما ارادوا ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع
تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد اهل مكة وقولهم
فامطر علينا حجارة من السماء اي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما
نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا لقضى اليهم
اجلهم شامي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم شركهم وضلالهم يعمهون يترددون ووجه اتصاله
بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل
لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض
عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان اصابه
والمراد به الكافر الضر دعانا اي دعا الله لازالته لجنبه في موضع الحال
بدليل عطف الحالين اي او قاعدا او قائما عليه اي دعانا مضطجعا وفائدة
ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا حتى يفتر عن الدعاء حتى
يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن
النهوض او قاعدا لا يقدر على القيام او قائما لا يطيق المشي فلما كشفنا
عنه ضره ازلنا ما به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه اي مضى على طريقته
الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به والاصل كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشأن كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين المجاوزين
الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر واتباع الكفر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة
لما ظلموا اشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم رسلهم للحال
اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات وما كانوا
ليؤمنوا اي بقوا ولم يهلكوا لان الله تعالى علم منهم انهم يصرون على كفرهم
وهو عطف على ظلموا او اعتراض واللام لتاكيد النفي يعني ان السبب
في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا
الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي
القوم المجرمين وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله

ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم
محمد عليه السلام اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا
لننظر كيف تعملون اي لننظر أتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب
عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع
ان يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون ابالاعتبار
بماضيكم ام الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات حال
قال الذين لا يرجون لقاءنا لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان
والوعيد لاهل الطغيان ائت بقرآن غير هذا ليس فيه ما يغيظنا من ذلك
نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم
عبادتها فأمر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو
ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة وان يسقط ذكر الآلهة بقوله قل ما
يكون لي ما يحل لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي ان اتبع الا ما
يوحى الي ولا اتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان
الذي اتيت به من عند الله لا من عندي فابدله اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل من عند نفسي عذاب يوم عظيم اي يوم القيامة واما
الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه
الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا
يحتمل ان يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي لقوله
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح
الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر
على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه
ان وجد منه تبديل فيجعلوا التبديل حجة عليه ويفضحوه لافترائه على الله
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله
واظهاره امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم
يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح
ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار
عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله ولا ادراكم به ولا اعلمكم الله بالقرآن
على لساني فقد لبثت فيكم عمرا من قبله من قبل نزول القرآن اي فقد اقمت
فيما بينكم اربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه
ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون
فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت
قوله ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في انه ذو شريك
وولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء او كذب بآياته

بالقرآن

بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء انه لا
يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان تركوا عبادتها
ولا ينفعهم ان عبدوها ويقولون هؤلاء اي الاصنام شفعاؤنا عند
الله اي في امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وآمنوا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت او يوم القيامة ان يكن بعث
ونشور قل أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده
وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع
المعلومات لم يكن شيئا وقوله في السماوات ولا في الارض تأكيد
لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون
نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة
او مصدرية اي عن الشركاء الذين تشركونهم به او عن اشراكهم وما
كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان
يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا
فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم
الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا
فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهي ان هذه الدار
دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل
عليه آية من ربه اي آية من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب
لله اي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات
المقترحة لا غير فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
بما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس اهل
مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء مستهم يعني القحط والجوع اذا
لهم مكر في آياتنا اي مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روي ان الله تعالى
سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه
فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اي وان تصبهم سيئة قنطوا
واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية
الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها
فيهم وانما قال قل الله اسرع مكرا ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة
دلت على ذلك كأنه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر
منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ان رسلنا يعني
الحفظة يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على
الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل هو الذي يسيركم في البر والبحر يجعلكم

يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية
في البحار ويخلق لكم السير فيسيركم سايا حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن
وجرين اي السفن بهم بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة
بريح طيبة لينة الهبوب لا ضعيفة ولا عاصفة وفرحوا بها بتلك الريح
للينها واستقامتها جاءتها اي الفلك او الريح الطيبة اي تلقتها ريح
عاصف ذات عصف اي شديدة الهبوب وجاءهم الموج هو ما علا على الما
من كل مكان من البحار او من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم
اهلكوا جعل احاطة العدو مثلا في الاهلاك دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون لئن انجيتنا من
هذه الاهوال ومن هذه الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين
بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر
ولكن مضمون الجملة الشرطية بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا
وقعت هذه الحالة وكانت كيت وكيت من مجي الريح العاصفة وتراكم
الامواج والظن للهلاك والدعاء للانجا والجواب اذا كنتم جاءتها ودعوا
بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما
انجاهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون فيها بغير الحق باطلا اي
مبطلين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي ظلمكم يرجع عليكم
كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها متاع الحياة الدنيا حفص
اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على
انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على
امثالكم او هو خبر ومتاع خبر بعد خبر او متاع خبر مبتدا مضمر اي هو متاع
الحياة الدنيا وفي الحديث اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا
البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وعن
ابن محمد كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله
تعالى انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون فنخبركم
به ونجازيكم انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء من السحاب
فاختلط به بالماء نبات الارض اي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس يعني الحبوب والثمار والبقول والانعام يعني
الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف
الوانه وازينت وتزينت به وهو اصله فادغمت التاء في الزاي
وهو كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس
اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها
من الوان الزين وظن اهلها اهل الارض انهم قادرون عليها اي
متمكنون من منفعتها محصلون لثمرها رافعون لغلتها اتاها امرنا

عذابنا

عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد
سلم ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد
من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي كان
لم تنبت حذف المضاف في هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى
بالامس هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون فينتفعون بضرب الامثال وهذا
من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد
ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبيه على حكمة
التشبيه ان الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء
في اعلى الاناء قال • الم تر ان العمر كاس سلافة • فاوله صفو واخره كدر •
وحقيقته تزيين جنة الطين • بمصالح الدنيا والدين • كاختلاط النبات
على اختلاف التلوين • فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس • ورياحين
الروح • وزهرة الزهد • وكروم الكرم • وحبوب الحب • وحدائق
الحقيقة • وشقائق الطريقة • والخبيثة تخرج خلاف الخلف • وثمام
الاثم • وشوك الشرك • وشيح الشح • وحطب العطب • ولعاع اللعب
ثم يدعوه معاده • كما يجيء للحرث حصاده • ثم تزايله الحياة مخترا •
كما يهيج النبات مصفرا • ثم تغيب جثته في الرمس • كان لم تغن بالامس •
الى ان يعود ربيع البعث • وموعد الوقت والبحث • وكذلك حال الدنيا
ينفع قليله ويهلك كثيره • ولا بد من ترك ما زاد • كما لا بد من اخذ الزاد •
واخذ المال لا يخلو من زلة • كما ان خائض الماء لا يخلو من بلة • وجمعه
وامساكه تلف صاحبه واهلاكه • فما دون النصاب كضحضاح ما يجاوز
بلا احتماء • والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا عبور
الا بقنطرة • وعمارتها بذل الفضلات فمتى اختلت القنطرة غرقته امواج
القناطير المقنطرة • وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام
وكذا المال يتباعد عن الاوغاد دون الامجاد • كما ان الماء يجتمع في الوهاد
دون النجاد • وكذا المال لا يجتمع الا بكد البخيل • كما ان الماء لا يجتمع
الا بسد المسيل • ثم يفنى ويتلف • ولا يبقى كالماء في الكف والله يدعوا
الى دار السلام هي الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها او السلام السلامة
لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة
عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي من يشاء ويوفق من يشاء الى صراط
مستقيم الى الاسلام او طريق السنة فالدعوة عامة على لسان الرسول
بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا
امنوا بالله ورسوله الحسنى المثوبة الحسنى فهي الجنة وزيادة رؤية

الرب عز وجل كذا عن ابي بكر وحذيفة وبن عباس وابي موسى الاشعري
وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون
على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون
شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار
قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر
الى ربهم ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف
انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مرفوع مع انه مرفوع
قد اورده صاحب المصابيح في الصحاح وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا عطف
على الذين احسنوا اي وللذين كسبوا السيئات فنون الشرك جزاء سيئة
بمثلها الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او التقدير جزاء سيئة مقدرة
بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان ما لهم من الله من عقابه من عاصم اي
لا يعصمهم احد من سخطه وعقابه كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اي جعل عليها غطاء من سواد الليل اي هم سود الوجوه وقطعا جمع
قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلي من قوله بقطع من الليل
وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف
كافضائه الى الصفة او معنى الفعل في من الليل اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ويوم نحشرهم اي الكفار وغيرهم جميعا حال ثم نقول
للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف
عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله من اولي العقل او
الاصنام ينطقها الله عز وجل ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون
الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم وهو كقوله ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله شهيدا وهو تمييز ان كنا عن
عبادتكم لغافلين ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية
هنالك في ذلك المقام او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان
تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح
ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس
ما قدمت تتلوا حمزة وعلي اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه

الى طريق

الى طريق الجنة او الى النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر كذا عن الاخفش
وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون
ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم او ثوابهم العدل الذي
لا يظلم احدا وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم
شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة
قل من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع
والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من
الفطرة العجيبة او من يحميهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما
لطيفان يؤذيهما ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب
والكافر والجاهل وعكسها ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء
بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فسيجيبونك عند سؤالك ان
القادر على هذه هو الله فقل افلا تتقون الشرك في العبودية اذا اعترفتم
بالربوبية فذلكم الله اي من هذه قدرته الله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اي لا واسطة
بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق
الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق حقت
كلمة ربك كلمات شامي ومدني اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن
او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل اي لانهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين
بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل امرا مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة
او يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده امر نبيه بان ينوب عنهم في الجواب يعني
انه لا يدعهم مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
يرشد اليه قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال
هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة
وعلي امن لا يهدي بمعنى لا يهتدي لا يهدّي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال
مكي وشامي وورش وباشمام الهاء فتحة ابو عمرو وبفتح الهاء وفتح الياء
عاصم غير يحيى والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله فادغم التاء في الدال
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء

وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني
غير ورش والمعنى ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين
من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الدلائل التي نصبها لهم
وبما وفقهم والهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم
الذين جعلتم انداداً لله احد يهدي الى الحق من هداية الله ثم قال افمن
يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي
غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان
فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء
الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيا ناطقا فيهديه فما لكم كيف
تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في قولهم
للاصنام انها الهة وانها شفعاؤنا عند الله والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا
بغير دليل وهو اقتداؤهم باسلافهم ظنا انهم مصيبون ان الظن لا يغني
من الحق وهو العلم شيئا في موضع المصدر اي اغناء ان الله عليم بما
يفعلون من اتباع الظن وترك الحق وما كان هذا القران ان يفترى
من دون الله اي افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام
ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى ولكن تصديق الذي بين
يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة وتفصيل الكتاب وتبيين ما
كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم لا ريب فيه
من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان
تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه قل ان كان
الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله اي شبيهة
به في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية وادعوا من استطعتم
من دون الله اي وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة
به على الاتيان بمثله ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله بل سارعوا الى التكذيب بالقران في بديهة السماع
قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله
ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة
دين ابائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم تاويله انهم كذبوا به على
البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر
تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة
التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي
وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا
وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني كفار

الامم

الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا
وتقليدا للاباء ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل
ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق
يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه
من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه
وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان جربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به بالنبي او
بالقران اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب
ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق به ويشك فيه او يكون للاستقبال
اي منهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين
او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك وايست من اجابتهم فقل
لي عملي جزاء عملي ولكم عملكم جزاء اعمالكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون فكل يؤاخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس
يستمعون اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون
ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون انطمع
انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم
العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا
اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ومنهم
ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اتحسب انك
تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى
الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس واما العمى مع الحمق فجهد البلاء
يعني انهم في الياس من ان يقبلوه ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا بصائر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
ولكن الناس حمزة وعلي اي لم يظلمهم بسلب الة الاستدلال ولكنهم ظلموا
انفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم احياء ويوم يحشرهم
وبالياء حفص كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار استقصروا مدة
لبثهم في الدنيا او في قبورهم لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال منهم
اي يحشرهم مشبهين بمن لا يلبث الا ساعة وكان مخففة من الثقيلة
واسمها محذوف اي كانهم ويتعارفون بينهم حال اخرى او مستانف على تقدير
هم يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول
اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم
والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين

للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم
واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب **او نتوفينك** قبل عذابهم
فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف اي واما
نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه
فنحن نريكه في الاخرة **ثم الله شهيد على ما يفعلون** ذكرت الشهادة
والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما
يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو **ولكل امة رسول** يبعث اليهم
لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق **فاذا جاء رسولهم** بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه **قضي بينهم** بين النبي ومكذبيه **بالقسط** بالعدل
فانجي الرسول وعذب المكذبون او ولكل امة من الامم يوم القيامة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان قضي بينهم **وهم لا يظلمون** لا يعذب احد بغير ذنب
ولما قال واما نرينك الذي نعدهم اي من العذاب استعجلوا ما وعدوا
من العذاب نزل **ويقولون متى هذا الوعد** اي وعد العذاب **ان كنتم
صادقين** ان العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين **قل
لا املك لنفسي ضرا** من مرض او فقر **ولا نفعا** من صحة او غنى **الا ما شاء
الله** استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك
لكم الضر وجلب العذاب **لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون** لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في
اللوح المحفوظ فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتاخرون
فلا تستعجلوا **قل ارايتم ان اتاكم عذابه** الذي تستعجلونه **بياتا** نصب
على الظرف اي وقت بيات وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
او نهارا وانتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب **ماذا يستعجل منه
المجرمون** اي من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور
فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء يوجب الاستعجال والاستفهام
في ماذا يتعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه
ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه اريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الاجرام او ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط
نحو ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم او **اثم اذا ما وقع**
العذاب **امنتم به** جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض
والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به قبل وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء افامن اهل
القرى او امن اهل القرى **الآن** على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا
بعد وقوع العذاب الآن امنتم به **وقد كنتم به تستعجلون** اي بالعذاب

تكذيبا

تكذيبا واستهزاء الان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام
نافع **ثم قيل للذين ظلموا** عطف على قيل المضمر قبل الان **ذوقوا عذاب الخلد**
اي الدوام **هل تجزون الا بما كنتم تكسبون** من الشرك والتكذيب
ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون **احق هو** وهو استفهام على
جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود **قل** يا محمد **اي وربي**
نعم والله **انه لحق** ان العذاب كائن لا محالة **وما انتم بمعجزين** بفائتين
العذاب وهو لاحق بكم لا محالة **ولو ان لكل نفس ظلمت** كفرت واشركت
وهو صفة لنفس اي ولو ان لكل نفس ظالمة **ما في الارض** ما في الدنيا
اليوم من خزائنها واموالها **لافتدت به** لجعلته فدية لها يقال فداه
فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه **واسروا الندامة لما راوا
العذاب** واظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره او اخفوها عجزا
عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد **وقضي بينهم بالقسط** بين
الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم **وهم لا يظلمون** ثم اتبع
ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله **الا ان لله ما في السموات والارض**
فكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق بقوله **الا ان وعد الله** بالثواب او العذاب **حق** كائن **ولكن
اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت** هو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر
عليهما غيره **واليه ترجعون** والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد
من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر
عن كل مرهوب كما في القران من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب
وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضي حسن المامور فيكون مرغوبا
وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي **وشفاء لما في
الصدور** اي صدوركم من العقائد الفاسدة **وهدى** من الضلالة **ورحمة
للمؤمنين** لمن امن به منكم **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** اصل
الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء
داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح او بفضل
الله وبرحمته فليعتنوا عليه بذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام
في الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى الفاقة كتب
الله الفقر بين عينيه الى يوم القيامة وقرا الاية **هو خير مما يجمعون**
وبالتاء شامي فلتفرحوا يعقوب **قل ارايتم** فاخبروني **ما انزل الله
لكم من رزق** ما مفعول به بانزل او بارايتم اي اخبرونيه **فجعلتم منه
حراما وحلالا** فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون

هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا نعم الارزاق تخرج من الارض
ولكن لما نيطت اسبابها بالسما نحو المطر الذي به تنبت الارض النبات
والشمس التي بها نضج الاثمار وينع الثمار اضيف انزالها الى السما قل
الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله
اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام على الله
تفترون ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه او الهمزة للانكار وام
منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافترا والاية زاجرة عن
التجوز فيما يسال من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان
لا يقول احد في شي جايز او غير جايز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ينسبون ذلك اليه
يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه اي اي شي ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساة وهو
وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والشان الامر وما تتلو منه من التنزيل كانه
قيل ما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل
الذكر تفخيم له او من الله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي
عمل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقبا نحصي عليكم اذ تفيضون فيه
تخوضون من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وما
يبعد وما يغيب وبكسر الزاي علي حيث كان من مثقال ذرة وزن نملة
صغيرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر رفعهما حمزة
على الابتدا والخبر الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ ونصبهما غيره
على نفي الجنس وقدمت الارض على السما هنا وفي سبا قدمت السموات
لان العطف بالواو حكمه حكم التثنية الا ان اوليا الله هم الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين تولى هداهم بالبرهان الذي
اتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه او هم المتحابون في الله على
غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها او هم المومنون المتقون بدليل
الاية الثانية لا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزن
الناس الذين امنوا منصوب باضمار اعني او لانه صفة لاوليا او مرفوع على
انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي
لهم البشرى في الحياة الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين
في غير موضع من كتابه وعن النبي عليه السلام هي الرويا الصالحة جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلاث وعشرين
سنة وكان في كل ستة اشهر منها يومر النور بالانذار وستة اشهر مع

ثلاث

ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا او هي محبة الناس له والذكر
الحسن او لهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة وفي الاخرة
هي الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم فكلتا
الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان
ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك ان العزة استيناف
بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله ان الغلبة والقهر
في ملكة الله لا يملك احد شيا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبك وينصرك
عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا او به يتعزز كل عزيز
فهو يعزك ودينك واهله والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة
مقول الكفار جميعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض
يعني العقلا وهم الملايكة والثقلان وخصهم ليوذن ان هولاء اذا كانوا له
وفي ملكته ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراهم
مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركا ما نافية اي وما يتبعون حقيقة الشركا وان كانوا يسمونها
شركا لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم
شركا وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركا تقديرا
باطلا او استفهامية اي واي شي يتبعون وشركا على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا
شركا فاقتصر على احدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون او موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركا
اي وله شركاوهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا
فيه من تعب التردد في النهار والنهار مبصرا مضيا لتبصروا فيه مطالب
ارزاقكم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع مدكر معتبر قالوا اتخذ
الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقا
هو الغني علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به او فقير
ليستعين به او ذليل ليتشرف به والكل امارة الحاجة فمن كان غنيا
غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي ان
يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج الى الغير فكان حادثا
فاستحال القديم ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض
ملكا ولا تجتمع النبوة معه ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة
بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول

مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون
سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال اتقولون
على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه
لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اي افتراؤ
هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبة
النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم
العذاب الشديد المخلد بما كانوا يكفرون بكفرهم واتل عليهم واتل
عليهم نبأ نوح خبره مع قومه والوقف لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا
لقوله واتل بل التقدير واذكر اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني يعني نفسه
لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين
اظهركم الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري بآيات الله لانهم
كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا
وكلامهم مسموعا فعلى الله توكلت اي فوضت امري اليه فاجمعوا
امركم من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وشركاءكم الواو بمعنى مع اي
فاجمعوا امركم مع شركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي غما عليكم
وهما والغم والغمة كالكرب والكربة او ملتبسا في خفية والغمة السترة
من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن
يجاهر به والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي
ادوا الي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه او اصنعوا ما
امكنكم ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم فاذا اعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سألتكم من اجر فاوجب التولي او فما سألتكم من اجر
تفاتني ذلك بتوليكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني عليه
به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اعراض الدنيا وفيه دلالة
منع اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني وامرت ان اكون من
المسلمين من المسلمين لاوامره ونواهيه ان اجري مدني وشامي وابو عمرو
وحفص فكذبوه فداموا على تكذيبه فنجيناه من الغرق ومن معه في
الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا القوم
الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين هو تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم اي هودا وصالحا وابراهيم ولوطا
وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا
ليؤمنوا فاصروا على الكفر بعد المجيء بما كذبوا به من قبل من قبل مجيئهم
يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع

م

فصل

فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك
نطبع مثل ذلك الطبع نختم على قلوب المعتدين المجاوزين الحد في التكذيب
ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها واعظم الكبر ان يتهاون
العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما
جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله قالوا لحبهم
الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف اي هذا سحر
ثم استانف انكارا آخر فقال اسحر هذا خبر ومبتدا ولا يفلح الساحرون
اي لا يظفر قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام او من عبادة فرعون وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك
موصوفون بالكبر والعظمة والعلو في الارض ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به ويكون حماد ويحيى وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم سحار حمزة وعلي فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما
انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة
مبتدا وجئتم صلتها والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي
سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله السحر بعد وقف ابو عمرو
على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به
اهو السحر ان الله سيبطله يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته بل يدمره ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
او يظهر الاسلام بعداته بالنصرة ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى
في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون الا طائفة من ذراري
بني اسرائيل كانه قال الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم
يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف او الضمير
في قومه لفرعون والذرية مؤمن من آل فرعون واجابته طائفة منهم
ابنائهم واسية امراته وخازنه وامراة خازنه وماشطته والضمير في
وملائهم يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه
ذو اصحاب ياتمرون له او الى الذرية او على خوف من فرعون وخوف
من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان
فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم
والفساد وفي الكبرياء والعتو في ادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم
في العصمة من فرعون ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان

يُسلِّموا انفسهم لله اي جعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان
التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم
كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاهم ونجاهم واهلك
من كانوا يخافونه وجعلهم خلفا في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه
فعليه برفض التخليط للاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اي يضلوننا
والفاتن المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من تعبيدهم
وتسخيرهم واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ
المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا
من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا
بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن
معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم
في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما
كان المسلمون على ذلك في اول الاسلام بمكة واقيموا الصلاة في بيوتكم
حتى تامنوا وبشر المؤمنين يا موسى ثنى الخطاب اولا لان اختيار مواضع
العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المسجد والصلاة فيها واجب
على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال
موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة هي ما يتزين به من لباس او
حلي او فرش او اثاث او غير ذلك واموالا نقدا ونعما وضيعة في الحياة
الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي ولا وقف
على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق باتيت وربنا تكرار الاول للالحاح في التضرع
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اذا علم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله
اتاهم ما اتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما فتكون
الاية حجة على المعتزلة ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب اثارها
لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والاهلاك قيل صارت
دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيأتها منقوشة وقيل سائر اموالهم كذلك
واشدد على قلوبهم اي اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب
الدعا الذي هو اشدد حتى يروا العذاب الاليم الا ان يروا العذاب الاليم
وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان باس فلم يقبل وانما
دعا عليهم بهذا لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون فاما قبل
ان يعلم انهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعا لانه انما ارسل
اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعا على الغير بالموت على الكفر
لا يكون كفرا قال قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعو
وهارون يؤمن فثبت ان التامين دعا فكان اخفاؤه اولى والمعنى
ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على

ما انتما عليه من الدعوة والتبليغ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعا
طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان
بين الدعا والاجابة اربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها
لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامي وخطاه بعضهم لان النون
الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهي وهو
حال وتقديره فاستقيما غير متبعين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو دليل
لنا على خلق الافعال فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته
حتى اتبعته بغيا ظلما وعدوا ظلما وانتصبا على الحال او على المفعول له
حتى اذا ادركه الغرق ولا وقف عليه لان قال امنت جواب اذا انه
حمزة وعلي على الاستئناف بدل من امنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء
التي هي صلة الايمان لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال امنت ثم قال وانا
من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات
حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا وقته وكانت المرة الواحدة
تكفي في حالة الاختيار الان قال جبريل اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار
حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق
والعامل فيه اتؤمن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين من الضالين
المضلين عن الايمان روي انه جبريل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول
الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء
العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق
ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك نلقيك بنجوة من الارض
فرماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال
التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منك
شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك كانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو مثل
قولهم هوى باجرامه اي ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك لانه
ظاهر بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس علامة وهم
بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وقيل
اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه
وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان تظهر للناس
عبوديته وان ما كان يدعي من الربوبية محال وانه مع ما كان فيه من عظم
الملك ال امره الى ما ترون لعصيان ربه فما الظن بغيره وان كثيرا من الناس
عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في دينهم

حتى جاءهم العلم اي التوراة وهم اختلفوا في تاويلها كما اختلف امة محمد عليه السلام في تاويل الايات في القران او المراد العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرايل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم انه هو **ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** فيميز المحق من المبطل ويجزي كلا جزاءه **فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك** لما قدم ذكر بني اسرايل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اراد ان يؤكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته او بمباحثة العلماء فاسال علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال **لقد جاءك الحق من ربك** اي ثبت عندك بالايات الواضحة والبراهين اللايحة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك **فلا تكونن من الممترين** الشاكين ولا وقف عليه للعطف **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين** اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله او هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وخوطب رسول الله عليه السلام والمراد امته اي وان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا او الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عزّ اخوك فهن او ان للنفي اي فما كنت في شك فاسال اي لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما تجيء ان للنفي اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا في غرور قلت ذاك غير لازم الا ترى الى قوله ان امسكهما من احد من بعده فان للنفي وليس بعده الا **ان الذين حقت عليهم كلمة ربك** ثبت عليهم قول الله الذي كتب عليهم في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا او قوله لاملان جهنم الاية ولا وقف على **لا يؤمنون** لان **ولو جاءتهم كل اية** تتعلق بما قبلها **حتى يروا العذاب الاليم** اي عند الياس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند القيامة ولا يتقبل منهم **فلولا كانت قرية امنت** فهلا كانت قرية واحدة من القرى اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه **فنفعها ايمانها**

بان تقبل الله ايمانها منها بوقوعه قبل الاختيار **الا قوم يونس** استثناء من القرى وهي استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس او متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء **لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين** اي اجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا من نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض واظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم** على وجه الاحاطة والشمول **جميعا** مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لامن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان جبرا لامنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله **افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** اي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الي فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار ودليله عندنا ان لله تعالى لطفا لو اعطاهم لامنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في افانت بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق **وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله** بمشيئته او بقضائه او بتوفيقه وتسهيله او بعلمه **ويجعل الرجس** اي العذاب او السخط او الشيطان اي ويسلط الشيطان **على الذين لا يعقلون** لا ينتفعون بعقولهم ويجعل حماد ويحيى **قل انظروا** نظر استدلال واعتبار **ماذا في السموات والارض** من الايات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار **وما تغني الايات** ما نافية **والنذر** والرسل المنذرون او الانذارات **عن قوم لا يؤمنون** لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** يعني وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها **قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا** معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا

على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن منهم كذلك حقا علينا ننجي
المؤمنين اي مثل ذلك الانجا ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا
علينا اعتراض اي حق ذلك حقا ننجي بالتخفيف علي وحفص قل يا ايها الناس
يا اهل مكه ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه
ثم وصف دينه فقال فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان
يخاف ويتقى ويعبد دون ما يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين اي
بان اكون يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في
كتابه وان اقم وجهك للدين اي واوحي الي ان اقم ليشاكل قوله امرت اي
استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا
شمالا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان خذلته فان فعلت فاذ دعوت من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين
اي جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا يسأل عن تبعة عبدة الاوثان
وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك وان يمسسك الله بضر
مرض فلا كاشف له لذلك الضر الا هو الا الله وان يردك بخير عافية فلا راد
لفضله فلا راد لمراده يصيب به بالخير من يشاء من عباده قطع بهذه الاية
على عباده طريقي الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الا عليه وهو الغفور المكفر
بالبلاء الرحيم المعافي بالعطا اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا
تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لا يقدر على كشفه
الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا ان ارادك
بخير لم يرد احد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو
الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته واعنـ
ذكر المس في احدهما والارادة في الاخر كانه اراد ان يذكر الامرين الارادة
والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما
يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة
بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده قل يا ايها الناس يا اهل مكه قد جاءكم
الحق القران او الرسول من ربكم فمن اهتدى اختار الهدى واتبع الحق فانما
يهتدي لنفسه فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اثر
الضلالة فما ضر الا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضر وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة
وهو خير الحاكمين لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود
سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هذا كتاب فهو خبر مبتدا محذوف
احكمت اياته صفة له اي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل
كالبنا المحكم ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في
التنزيل ولم تنزل جملة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص
وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها
وتفصيلها الا تعبدوا الا الله مفعول له اي لئلا تعبدوا او ان مفسرة لان
في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا
تعبدوا الا الله انني لكم منه اي من الله نذير وبشير اي امركم بالتوحيد
والاستغفار وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي استغفروا من
الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا بطول نفعكم في
الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل
مسمى الى ان يتوفاكم ويؤت كل ذي فضل فضله ويعطي في الاخرة كل من له
فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيامة الى الله مرجعكم اي
رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان قادرا على اعادتكم الا انهم يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله
بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه
ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على
ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها اي يريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح
عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون اي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم
الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم
ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت في المنافقين انه عليم بذات
الصدور بما فيها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها تفضلا لا
وجوبا ويعلم مستقرها مكانه من الارض ومسكنه ومستودعها حيث
كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين
كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح المحفوظ
يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام من الاحد الى الجمعة تعليما للتاني وكان عرشه
على الماء اي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا
الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات
والارض وقيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء

ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء، وفي وقوف العرش على
الماء أعظم الاعتبار لأهل الأفكار ليبلوكم أي خلق السموات والأرض وما
بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها أيكم أحسن عملا أكثر شكرا
وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله
فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر
قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون ولئن
قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين
أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد
اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة أو عذاب
يوم بدر إلى أمة إلى جماعة من الأوقات معدودة معلومة أو قلائل والمعنى
إلى حين معلوم ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه
التكذيب والاستهزاء ألا يوم يأتيهم العذاب ليس العذاب مصروفا
عنهم وهو مصروفا أي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم وحاق بهم
وأحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا يستعجلون وإنما
وضع يستهزءون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
ولئن أذقنا الإنسان هو للجنس منا رحمة نعمة من صحة وأمن وجدة
واللام في لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب
القسم إنه ليؤس شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة
قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه به كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساه له ولئن أذقناه نعماء
بعد ضراء مسته وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ليقولن ذهب السيئات
عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه
الله من نعمائه ثم شغله الفرح والفخور عن الشكر إلا الذين صبروا في المحنة
والبلاء وعملوا الصالحات وشكروا في النعمة والرخاء أولئك لهم مغفرة
لذنوبهم وأجر كبير يعني الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا
لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به
كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك
وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وكان يضيق صدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه
لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم
وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن
تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه
عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولأنه أشكل بتارك أن يقولوا

مخافة

مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك هلا أنزل عليه
ما اقترحناه من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه ما لا
نقترحه إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك
وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا والله على كل
شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل
عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر
منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم
أم يقولون أم منقطعة افتراه الضمير لما يوحى إليك قل فأتوا بعشر
سور تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في
الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن
ذلك قال لقد اقتصرت منك على سطر واحد مثله في الحسن والجزالة
ومعنى مثله أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات
صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك
وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من
عند نفسي فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم
عرب فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة
على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا
أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله
وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم وإنما جمع الخطاب
بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لأن الجمع لتعظيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم أو لأن
الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم فإن لم يستجب لكم
من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي بإذنه أو بأمره فهل أنتم مسلمون متابعون
بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه
على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا على أنه منزل من عند الله وعلى
التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل إليهم أجور أعمالهم
وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق
وهم الكفار أو المنافقون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم إذ لم يكن لهم
ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما
أرادوا وباطل ما كانوا يعملون أي كان عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل
لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له أفمن كان على بينة من ربه أفمن
كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم

يعني ان بين الفريقين تباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله
بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين
الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد
يشهد بصحته وهو القران منه من الله او من القران فقد مر ذكره انفا
ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك
البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى عليه السلام اماما كتابا موتما
به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان
اولئك اي من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به بالقران
من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك في مرية
شك منه من القران او من الموعد انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ويشهدون عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون
على الله بانه اتخذ ولدا او شريكا الا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على
ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب او شهيد كشريف واشراف
الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون الناس عن دينه ويبغونها عوجا
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد
وهم بالاخرة هم كافرون هم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا
ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء من
يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير
عقابهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب لانهم اضلوا الناس عن دين الله
يضعف مكي وشامي ما كانوا يستطيعون السمع اي استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق اولئك الذين خسروا انفسهم حيث اشتروا عبادة الالهة
بعبادة الله وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون
من الالهة وشفاعتها لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون للصد والصدود
وفي لا جرم اقوال احدها ان لا رد لكلام سابق اي ليس الامر كما زعموا
ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم في محل النصب والتقدير كسب قولهم
خسرانهم في الاخرة وثانيها ان لا جرم كلمتان ركبتا فصارتا بمعنى حقا
وان في موضع رفع بانه فاعل لحق اي حق خسرانهم وثالثها ان معناه
لا محالة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم واطمانوا
اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى
والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين

والاصم

بالبصير

بالبصير والسميع هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على
التمييز افلا تذكرون فتنتفعون بضرب المثل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني لكم نذير مبين اي باني والمعنى ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله
اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى
على الكسر وبكسر الالف شامي ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول الا
تعبدوا الا الله ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فقال
الملا الذين كفروا من قومه يريد الاشراف لانهم يملؤون القلوب هيبة
والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نراك الا بشرا
مثلنا ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا او ملكا وما نراك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع الارذل بادي وبالهمزة ابو عمرو الراي
وبغير همز ابو بكر اي اتبعوك ظاهر الراي او اول الراي من بدا يبدو
اذا ظهر او من بدا يبدا اذا فعل الشيء اولا وانتصابه على الظرف
اصله وقت حدوث ظاهر رايهم او اول رايهم فحذف ذلك واقيم
المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير
روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم
وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا وكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر
المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم
ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده
ولا يرفعه بل يضعه وما نرى لكم علينا من فضل في مال وراي عنوا
نوحا واتباعه بل نظنكم كاذبين اي نوحا في الدعوة وانتم في الاجابة
والتصديق يعني تواطاتم على الدعوة والاجابة تسببا للرياسة قال
يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد
بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده يعني النبوة فعميت عليكم خفيت
فعميت حمزة وعلي وحفص اي اخفيت اي فعميت عليكم البينة فلم تهدكم
كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته ان الحجة
كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره
انلزمكموها اي الرحمة وانتم لها كارهون لا تريدونها والواو دخلت
هنا تتمة للميم وعن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة كانت خفيفة
فظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها
الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسالكم عليه على تبليغ الرسالة لانه مدلول
قوله اني لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او علي ان ابيتم ان اجري
مدني وشامي وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا
جواب لهم حين سالوا طردهم ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم

انهم ملاقوا ربهم فيشكونني اليه ان طردتهم **ولكني اراكم قوما تجهلون**
تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل او تجهلون لقاء ربكم او انهم خير
منكم **ويا قوم من ينصرني من الله** من يمنعني من انتقامه **ان طردتهم افلا**
تذكرون تتعظون **ولا اقول لكم عندي خزاين الله** فادعي فضلا عليكم
بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل **ولا اعلم الغيب**
حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم وهو معطوف على عندي
خزاين الله اي لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اقول انا اعلم الغيب
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا **ولا اقول للذين**
تزدري اعينكم ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم **لن يؤتيهم**
الله خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم
الله اعلم بما في انفسهم من صدق الاعتقاد وانما علي قبول ظاهر اقرارهم
اذ لا اطلع على خفي اسرارهم **اني اذا لمن الظالمين** ان قلت شيا من ذلك
والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه واصله تزترى فابدلت التا
دالا **قالوا يا نوح قد جادلتنا** خاصمتنا **فاكثرت جدالنا فاتنا بما**
تعدنا من العذاب **ان كنت من الصادقين** في وعيدك **قال انما ياتيكم**
به الله ان شاء اي ليس الاتيان بالعذاب الي وانما هو الى من كفرتم به
وما انتم بمعجزين اي لم تقدروا على الهروب منه **ولا ينفعكم نصحي** هو اعلام
موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى وكني اني مدني وابو عمرو **ان اردت**
ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا شرط دخل على
شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد ان
يغويكم لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح وذلك دليل بين لنا في ارادة
المعاصي **هو ربكم** فيتصرف فيكم على قضية ارادته **واليه ترجعون**
فيجازيكم على اعمالكم **ام يقولون افتراه** بل ايقولون افتراه **قل ان افتريته**
فعلي اجرامي ان صح اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي
يقال اجرم الرجل اذا اذنب **وانا بري** اي ولم يثبت ذلك وانا بري
منه ومعنى **مما تجرمون** من اجرامكم في اسناد الافترا الي فلا وجه
لاعراضكم ومعاداتكم **واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد**
امن اقناطا من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم التجدد
لانه قال ان الذي امن يؤمن في حادث الوقت وعلى هذا تخرج الزيادة
التي ذكرت في الايمان في القران **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** فلا تحزن
حزن بايس مستكين والابتياس افتعال من البوس وهو الحزن والفقر
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذايك فقد حان وقت
انتقام اعدايك **واصنع الفلك باعيننا** هو في موضع الحال اي اصنعها
محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ
في صنعته عن الصواب **ووحينا** وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع

عن

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** ولا تدعني في
شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك **انهم مغرقون** محكوم
عليهم بالاغراق قد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه **ويصنع الفلك**
حكاية حال ماضية **وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه** ومن عمله
السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء وكانوا يتضاحكون منه
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا **قال ان تسخروا منا فانا**
نسخر منكم عند رؤية الهلاك **كما تسخرون** منا عند رؤية الفلك روي ان
نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها
ثلثماية ذراع او الفا ومايتي ذراع وخمسون ذراعا او ستماية ذراع وطولها
في السما ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن
معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه
السلام وجعله معترضا بين النسا والرجال **فسوف تعلمون من ياتيه**
من في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه **عذاب يخزيه**
ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق **ويحل عليه**
وينزل عليه **عذاب مقيم** وهو عذاب الاخرة **حتى** هي التي يبتدا بعدها
الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزا وهو غاية لقوله ويصنع الفلك
اي وكان يصنعها الى ان جا وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع
اي يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه وجواب
كلما سخروا وقال استيناف على تقدير سؤال سايل او قال جواب وسخروا
بدل من مر او صفة لملا **اذا جا امرنا** عذابنا **وفار التنور** هو كناية عن
اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر
لحوا فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض **قلنا احمل فيها**
في السفينة **من كل زوجين اثنين** تفسيره في سورة المؤمنين **واهلك**
الا من سبق عليه القول عطف على اثنين وكذا **ومن امن** اي واحمل اهلك
والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل
النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر وتقديره وارادته
جل خالق العباد عن ان يقع في الكون خلاف ما اراد **وما امن معه الا قليل**
قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين
رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونسا وهم فالجميع ثمانية
وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نسا **وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها**
ومرساها بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها اما لان المجرى والمرسى

للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة براسها
غير متعلقة بما قبلها وهي مبتداء وخبر يعني ان نوحا عليه السلام امرهم
بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر الله تعالى اي بسم الله
اجراؤها وارساؤها وكان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت
وكان اذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست مجراها بفتح الميم وكسر الراء
من جرى اما مصدرا او وقت حمزة وعلي وحفص ان ربي لغفور لمن امن منهم
رحيم حيث خلصهم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها
بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم
فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الريح الشديدة في خلاله شبه
كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان وقيل
يام والجمهور على انه ابنه الصلبي وقيل كان ابن امراته وكان في معزل
عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزل عنه اذا نحاه وابعده او في معزل
عن دين ابيه يا بني بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من
ياء الاضافة من قولك يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
اركب معنا في السفينة اي اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين قال
ساوي الجاء الى جبل يعصمني من الماء يمنعني من الغرق قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم
من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك
انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من
جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج بين ابنه والجبل
او بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار او فكان في علم الله وقيل يا ارض
ابلعي ماءك انشفي وتشربي والبلع النشف ويا سماء اقلعي امسكي وغيض
الماء نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد وقضي الامر وانجز
ما وعد الله نوحا من اغراق قومه واستوت واستقرت السفينة
بعد ان طافت الارض ستة اشهر على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل
بعدا للقوم الظالمين اي سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا
وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك اختص
بدعاء السوء والنظر في هذه الاية من اربع جهات من جهة علم البيان
وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها
فنقول ان الله تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من
الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض

الماء

الماء النازل من السماء فغيض وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا
من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وابقينا
الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمامور الذي لا يتاتى منه لكمال
هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجازم النافذ في تكون
المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه
فيهما ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيهما تغييرا وتبديلا كانهما عقلاء مميزون قد عرفوه
حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم
بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام
فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول
القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض يا سماء ثم قال
مخاطبا لهما يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم
استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم
للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها
له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات كتقوي الاكل بالطعام
ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء
بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي
هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التاتي ثم قال وغيض الماء
وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء
ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض
ويا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد
لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره
ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب
الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وان ذلك العذاب الشديد
ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها
وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخواتها
لكونها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى المؤذن بالتهاون به
ولم يقل يا ارضي لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعي القرب ولم يقل
يا ايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف
وادور واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي
وقيل اقلعي ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت
ويا سماء اقلعي فاقلعت اختصارا واختير غيض على غيض وقيل الماء دون
ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل امر نوح وقومه لقصد الاختصار
والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي اي اقرت

نحو قيل وغيض اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري
بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعداً للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلباً للتأكيد
مع اختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم واما من حيث النظر
الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي
ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء جرياً على مقتضى
الكلام فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد
عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض
على امر السماء وابتدئ به لابتداء الطوفان منها ثم اتبع وغيض الماء
لاتصاله بقصة الماء واخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله
وقضي الامر اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه
في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى
نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يكد الفكر في
طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة
اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات
كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة
ومن ثمة اطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان
بمثل هذه الاية ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم اية من اياته
الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الاية مقصورة على المذكور
فلعل المتروك اكثر من المسطور ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه
ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله
ان ابني من اهلي وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين
اي اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل
ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب
اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبروا واستعبر قال يا نوح انه
ليس من اهلك ثم علل لانتفاء كونه من اهله بقوله انه عمل غير صالح وفيه
ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك
وان كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان
امس اقاربك رحماً فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملاً غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار او التقدير انه ذو عمل
وفيه اشعار بانه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهله وهذا
لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوته عمل غير صالح علي اي عملاً غير صالح
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه
كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل ان يقول ان ابني من اهلي

ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان
اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا عليه السلام ويضمرون
الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى اطلعه الله عليه وقوله ليس من اهلك
اي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر
فلا تسألن اجتزاء بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني
تسألن شامي بحذف الياء واجتزاء بالكسرة والنون نون التأكيد
تسألن مكي ما ليس لك به علم بجواز مسألته اني اعظك ان تكون
من الجاهلين هو كما نهى رسولنا عليه السلام بقوله فلا تكونن من
الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي من ان
اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك واتعاظاً
بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالعصمة عن العود الى
مثله اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا بتحية منا وسلامة
من الغرق وبركات عليك هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة
ذريته واتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من ذريته وائمة الدين في
القرون الباقية من نسله وعلى امم ممن معك من للبيان فتراد الامم
الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او لابتداء الغاية
اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه
وامم رفع بالابتداء سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض
في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم
وانما حذف لان ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب اليم اي
في الاخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين
ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى
النار والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن
محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر تلك اشارة الى قصة
نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي من انباء
الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك اخبار اي تلك
القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك
من قبل هذا الوقت او قبل ايحائي اليك واخبارك بها فاصبر على
تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك
ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر
والغلبة للمتقين عن الشرك والى عاد اخاهم واحداً منهم وانتصابه
للعطف على ارسلنا نوحاً اي وارسلنا الى عاد اخاهم هوداً عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره بالرفع

مفتنة على محل الجار والمجرور وبالجر على عا الله **ان انتم الا مفترون** تفترون
على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء **يا قوم لا اسالكم عليه اجرا**
ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول
لان شانهم النصيحة ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء
منها لم تنجع ولم تنفع **افلا تعقلون** اذ تردون نصيحة من لا يطلب
عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك
ويا قوم استغفروا ربكم امنوا به **ثم توبوا اليه** من عبادة غيره **يرسل**
السماء اي المطر **عليكم مدرارا** حال اي الكثيرة الدرور **ويزدكم قوة الى**
قوتكم انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم
كانوا اصحاب زروع وبساتين فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا
مدلين بما اوتوا من شدة البطش والقوة وقيل اراد القوة بالمال او
على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم
فوعدهم عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال بعض
حجابه اني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا
فقال عليك بالاستغفار وكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال
هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال
الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال
وبنين **ولا تتولوا** ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه **مجرمين** مصرين على
اجرامكم واثامكم **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك هو حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك
الهتنا صادرين عن قولك **وما نحن لك بمؤمنين** وما يصح من امثالنا ان يصدقوا
مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من اجابة الدعوة **ان نقول الا اعتراك بعض**
الهتنا بسوء ان حرف نفي تنفي جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك
اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة اي
الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء **قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما**
تشركون من دونه اي من اشراككم الهة من دونه والمعنى اني اشهد الله اني
بريء مما تشركون واشهدوا انتم ايضا اني بريء من ذلك وجيء به على لفظ الامر
بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك
تهكما به واستهانة بحاله **فكيدوني جميعا** انتم والهتكم **ثم لا تنظرون** لا تمهلون
فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وكيف تضرني الهتكم
وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن
عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي **اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا**

هو آخذ بناصيتها اي مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلائه من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كل دابة كونها
في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك **ان ربي**
على صراط مستقيم ان ربي على الحق لا يعدل عنه او ان ربي يدلك على صراط مستقيم
فان تولوا فان تتولوا **فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم** هو في موضع فقد ثبتت الحجة
عليكم **ويستخلف ربي قوما غيركم** كلام مستانف اي ويهلككم الله ويجيء بقوم
اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم **ولا تضرونه** بتوليكم **شيئا** من ضرر قط اذ لا يجوز
عليه المضار وانما تضرون انفسكم **ان ربي على كل شيء حفيظ** رقيب عليه مهيمن فلا تخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم ومن كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت
الاشياء مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم **ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين**
امنوا معه وكانوا اربعة الاف **برحمة منا** اي بفضل منا لا بعملهم او بالايمان
الذي انعمنا عليهم **ونجيناهم من عذاب غليظ** وتكرار نجينا للتاكيد او الثانية من
عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه **وتلك عاد** اشارة الى قبورهم واثارهم كانه
قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال
جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل
الله لا نفرق بين احد من رسله **واتبعوا امر كل جبار عنيد** يريد رؤساءهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة** لما كانوا
تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين **الا ان عادا كفروا ربهم**
الا بعدا لعاد تكرير الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على
الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك
للدلالة على انهم كانوا مستاهلين له **قوم هود** عطف بيان لعاد وفيه فائدة
لان عادا الاولى القديمة التي هي قوم هود والذين فيهم والاخرى ارم **والى ثمود**
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض
لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب ثم خلقهم من ادم **واستعمركم**
فيها وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها او استعمركم من العمر اي اطال
اعماركم فيها وكانت اعمارهم من ثلثمائة الى الف وكانوا ملوك فارس قد اكثروا من
حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسال
نبي من الانبياء في زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحي اليه انهم عمروا بلادي
فعاش فيها عبادي **فاستغفروه** فسلوا مغفرته بالايمان **ثم توبوا اليه ان ربي**
قريب داني الرحمة **مجيب** لمن دعاه **قالوا يا صالح قد كنت فينا** فيما بيننا
مرجوا قبل هذا للسيادة والمشاورة في الامور وكنا نرجوا ان تدخل في ديننا
وتوافقنا على ما نحن عليه **اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا** حكاية حال ماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد **مريب** موقع في الريبة من ارابه اذا
اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة **قال يا قوم ارايتم ان كنت**

على بينة من ربي واتاني منه رحمة نبوة اتى بحرف الشك مع انه على اليقين انه على بينة
لان خطابه للجاحدين فكانه قيل قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة
وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذاب الله ان عصيته في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان فما
تزيدونني بقولكم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا غير تخسير بنسبتكم اياي الى
الخسار او بنسبتي اياكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب
على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم يتعلق باية
حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على
الحال فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رزقها مع ان لكم نفعها ولا تمسوها
بسوء عقر او نحر فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم الاربعا فقال صالح
تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها
اي يتصرف او في دار الدنيا ثلاثة ايام ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ذلك وعد
غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرايه مجرى
المفعول به او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول فلما جا امرنا
بالعذاب او عذابنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قال الشيخ
رحمه الله هذا يدل على ان من نجا انما نجا برحمة الله لا بعمله كما قال عليه السلام
لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله ومن خزي يومئذ باضافة الخزي باليوم وانجرار
اليوم بالاضافة وبفتحها مدني وعلي لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان
اذا اضيفت الى الاسما المبهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البنا من
المضاف اليه كقوله •

• على حين عاتبت المشيب على الصبا • والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من
خزي يومئذ اي من ذله وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب
الله وانتقامه وجاز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب
الاخرة ان ربك هو القوي القادر على تنجية اوليايه العزيز الغالب باهلاك
اعدايه واخذ الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم
منازلهم جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا ان ثمود
كفروا ربهم ثمود حمزة وحفص الا بعدا لثمود علي بالصرف بالذهاب الى الحي
او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جات رسلنا
جبريل وميكاييل واسرافيل او جبريل مع احد عشر ملكا ابراهيم بالبشرى هي البشارة
بالولد او بهلاك قوم لوط والاول اظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال
سلام امركم سلام سلم حمزة وعلي بمعنى السلام فما لبث ان جا بعجل فما
لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيه والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم
البقر حنيذ مشوي بالحجارة المحماة فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم نكر
وانكر بمعنى وكانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه
والظاهر انه احس بانهم ملايكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره

الله عليه او لتعذيب قومه دليله قوله واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم
خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما يقال هذا لمن
عرفهم ولم يعرف فيما ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف
والتغير في وجهه وامراته قايمة وراء الستر تسمع تحاورهم او على
روسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبايث
او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او فحاضت فبشرناها باسحاق
وخصت بالبشارة لان النسا اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن
لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل ومن وراء اسحاق ومن بعده يعقوب
بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه وبشرناها اي فبشرناها باسحاق
ووهبنا له اسحاق ومن بعد اسحاق يعقوب من وراء اسحاق وبالرفع غيرهم على الابتدا
والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد قالت يا ويلتى الالف مبدلة من
يا الاضافة وقرا الحسن يا ويلتي باليا على الاصل االد وانا عجوز ابنة
تسعين سنة وهذا بعلي شيخا ابن ماية وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلي
خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا او معنى التنبيه
الذي دل عليها ان هذا لشي عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة قالوا اتعجبين من امر الله قدرته وحكمته وانما انكرت
الملايكة تعجبها لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي ساير النسا
الناشيات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى
ذلك اشارت الملايكة حين قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل
بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستانف علل به انكار التعجب
كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة
من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني
اسرايل لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابراهيم واهل البيت نصب
على الندا او على الاختصاص انه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر
الكرم بتاجيل النعم فلما ذهب عن ابراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس
من الخيفة حين انكر اضيافه وجاته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط
اي لما اطمان قلبه بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى فرغ للمجادلة
وجواب لما محذوف تقديره اقبل يجادلنا او يجادلنا جوابه لما وانما جي
به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون مومنا
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ
العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند
ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان ابراهيم لحليم

غير عجول على كل من اساء اليه او كثير الاحتمال ممن اذاه الصفوح عمن عصاه **اواه** كثير التاوه من خوف الله **منيب** تايب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة تبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة **انه قد جاء امر ربك** قضاوه وحكمه **وانهم اتيهم عذاب غير مردود** لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو اتيهم تقديره وانهم ياتيهم عذاب ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قرية لوط وكان بين قرية ابراهيم ولوط اربعة فراسخ **ولما جاءت رسلنا لوطا** لما اتوه وراى هياتهم وجمالهم **سيء بهم** احزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وانه يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم **وضاق بهم ذرعا** تمييز اي وضاق بمكانهم صدره **وقال هذا يوم عصيب** شديد وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها **وجاءه قومه يهرعون اليه** يسرعون كانما يدفعون دفعا **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يسرعون مجاهرين لا يكفهم حياء **قال يا قوم هؤلاء بناتي** فتزوجوهن اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جايزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتدا في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط ان يزوجهما ابنتيه **هن اطهر لكم** احل هؤلاء مبتدا وبناتي عطف بيان وهن فصل واطهر خبر المبتدا او هنا بناتي خبر وهن اطهر مبتدا وخبر **فاتقوا الله** بايثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحيا وبالياء ابو عمرو **في ضيفي** في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة **اليس منكم رجل رشيد** اي رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السو **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** حاجة لان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران **وانك لتعلم ما نريد** عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة **قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد** جواب لو محذوف اي لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنهم ويجادلهم

فتسوروا الجدار فلما رات الملايكة ما لقي لوط من الكرب **قالوا يا لوط ان** ركنك لشديد **انا رسل ربك** فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط قوما سحرة **لن يصلوا اليك** جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره **فاسر** بالوصل حجازي من سرى **باهلك بقطع من الليل** طايفة منه او نصفه **ولا يلتفت منكم احد** بقلبه الى ما خلف او لا ينظر الى ما وراه او لا يتخلف منكم احد **الا امراتك** مستثنى من فاسر باهلك وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامران لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراتين لاختلاف الروايتين **انه مصيبها ما اصابهم** اي ان الامر وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا **ان موعدهم الصبح** فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا **اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها** جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها اي اسفل قراها ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله **وامطرنا عليها حجارة من سجيل** هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين **منضود** نعت لسجيل اي متتابع او مجموع معد للعذاب **مسومة** نعت لحجارة اي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به **عند ربك** في خزاينه او في حكمه **وما هي من الظالمين ببعيد** بشي بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة او الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم **والى مدين اخاهم شعيبا** هو اسم بلدهم او اسم جدهم مدين بن ابراهيم اي وارسلنا شعيبا الى ساكني مدين او الى بني مدين **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال** المكيل بالمكيال **والميزان** والموزون بالميزان **اني اراكم بخير** بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون **واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا او عذاب الاخرة **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان** اتموهما **بالقسط** بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول

لزيادة الترغيب وتنبيه على انه مقيدا بالقسط لكن الايفاء على وجه العدل
والتسوية وان لم يزد ولا نقص ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس
النقص كانوا يبخسون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك
ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة
والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم في الارض
بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان
كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون
معها من تبعة البخس والتطفيف الا ان فائدتها تظهر مع الايمان من حصول
الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبه في
غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه او المراد
ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم وما انا عليكم بحفيظ لنعمه
عليكم فاحفظوها بترك البخس قالوا يا شعيب اصلواتك وبالتوحيد
كوني غير ابي بكر تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له
ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن القبائح
فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلواتك تامرك بترك عبادة ما كان
يعبد اباؤنا وان نترك التبسط في اموالنا بما نشاء من ايفاء ونقص
وجاز ان تكون الصلاة امرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا انك
لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء
او انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه من لدنه رزقا حسنا يعني
النبوة والرسالة او ومالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب ارايتم محذوف
اي اخبروني اذ كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة
ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والترك والكف عن المعاصي
والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده
وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد
ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها
لا استبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة
استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا وما توفيقي
الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر الا بمعونته وتاييده
عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع في السراء والضراء جرم مثل كسب
في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله ويا قوم لا يجرمنكم

شقاقي

شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب مثل ما اصاب قوم
نوح او قوم هود او قوم صالح وهو الغرق والريح [illegible] وما قوم لوط
منكم ببعيد في الزمان فهم اقرب الهالكين منكم او في [illegible]
قريبة منكم او فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي [illegible]
قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة
المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه
ان ربي رحيم يغفر لاهل الجفا من المؤمنين ودود يحب اهل الوفاء من
الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي لا نفهم صحة ما تقول
والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وانا لنراك فينا ضعيفا
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها
ولولا رهطك لرجمناك ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة
وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك اظهروا الميل اليهم والاكرام لهم
وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل
ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد دل
ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل كانه قيل وما انت علينا
بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
انما قال ارهطي اعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه
وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله
فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله
من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبؤ به والظهري منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس
امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها
ويا قوم اعملوا على مكانتكم هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة
ومقام ومقامة او مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشيء
يعني اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي
او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني
الله من النصرة والتاييد ويمكنني سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل
سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب او موصولة قد عمل
فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف
وضع للوصل ونزعها وصل تقديري بالاستيناف الذي هو جواب
لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت

انت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وابلغهما
الاستيناف فارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب
منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى
المراقب كالعشير او بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع ولما جا امرنا
نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر في اخر قصة عاد ومدين ولما
جا وفي اخر قصة ثمود ولوط فلما جا لانهما وعدا بعد ذكر الموعد وذلك
قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجي بالفا الذي هو للتسبيب
كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فقد
وقعتا مبتدايين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف
قصة على قصة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يريم
يعني ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة تزهق روح كل واحد منهم
بحيث هو بغتة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احيا متصرفين
مترددين الا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى
الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرى بعدت والمعنى في البنائين
واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك
وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد
واوعد ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين المراد به العصا
لانها ابهرها الى فرعون وملايه فاتبعوا اي الملا امر فرعون وما
امر فرعون برشيد هو تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو
ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم
والشر الذي لا ياتي الا من شيطان ومثله بمعزل عن الالهية وفيه
انهم عاينوا الايات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد
والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط او المراد
وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه يوم القيامة
اي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه
عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل
ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه فاوردهم النار ادخلهم وجي بلفظ
الماضي لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم
الى النار وهم يتبعونه وبيس الورد المورد المورود الذي وردوه شبه
بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال
بيس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
والنار ضده واتبعوا في هذه اي الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الاخرة بيس الرفد المرفود رفدهم اي بيس العون

المعان او بيس العطاء المعطى ذلك مبتدا من انباء القرى خبره نقصه
عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انبا القرى المهلكة مقصوص عليك
منها من القرى قائم وحصيد اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع
القايم على ساقه والذي حصد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به
اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله التي يدعون
يعبدون وهي حكاية حال ماضية من دون الله من شي لما جا امر ربك
عذابه ولما منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال
تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني وما افادتهم عبادة
غير الله شيا بل اهلكتهم وكذلك محل الكاف الرفع اي ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اهلها وهي ظالمة حال من القرى ان
اخذه اليم مولم شديد صعب على الماخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة
من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال
ان في ذلك فيما قص الله من قصص الامم الهالكة لاية لعبرة لمن خاف
عذاب الاخرة اي اعتقد صحته ووجوده ذلك اشارة الى يوم القيمة
لان عذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس هو مرفوع بمجموع
كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس وانما اوثر اسم المفعول على
فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه اثبت
ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب
والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع في
الظرف باجرايه مجرى المفعول به اي يشهد فيه الخلايق الموقف
لا يغيب عنه احد وما نوخره اي اليوم المذكور الاجل يطلق على مدة التاجيل
كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله
وما نوخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف
او ما نوخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا يوم يات
وباليا مكي وافقه ابو عمرو ونافع وعلي في الوصل واثبات اليا هو الاصل
اذ لا علة توجب حذفها وحذف اليا والاجتزاء بالكسرة كثير في لغة
هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يات ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس
لا اليوم المضاف الى يات ويوم منصوب باذكر او بقوله لا تكلم اي لا تتكلم
نفس الا باذنه اي لا يشفع احد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه فمنهم الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر
الناس في قوله مجموع له الناس شقي معذب وسعيد اي ومنهم سعيد
اي منعم فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير هو اول نهيق الحمار
وشهيق هو اخره او هما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال
والعامل فيها الاستقرار الذي في النار خالدين فيها حال مقدرة

مادامت السموات والارض في موضع النصب اي مدة دوام السموات
والارض والمراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد
والدليل على ان لها سموات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقيل ما دام فوق وتحت ولانه لابد لاهل الاخرة مما يقلهم
ويظلهم اما سماء او عرش كل ما اظلك فهو سماء او هو عبارة عن التابيد
ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد
الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان اهل
النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من
العذاب سوى عذاب النار او ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون
من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من
اهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما فهولاء لم يشقوا
شقاوة من يدخل النار على التابيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار
وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ان ربك فعال
لما يريد بالشقي والسعيد واما الذين سعدوا سُعدوا حمزة وعلي وحفص
سعد لازم وسعده يسعده متعد ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك
ان لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه
او معناه الا من شاء ان يعذبه بذنبه قبل ان يدخله الجنة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاستثناء في الايتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لا يكون للمسلم
العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منه ولا يكون له
ايضا خلود في الجنة لانه لا يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا
خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب
وكفى به اثما مبينا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية
كقوله لهم اجر غير ممنون وهو نصب على المصدر اي اعطوا عطاء قيل
كفرت الجهميون باربع ايات عطاء غير مجذوذ اكلها دائم وما عند الله
باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل
بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
اي فلا تشك بعد ما انزل من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم
لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم فقد بلغك
ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن
المرية وما في مما وكما مصدرية او موصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم
او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم

حظهم

حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم غير منقوص حال من نصيبهم
اي كاملا ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة فاختلف فيه امن به قوم
وكفر به قوم كما اختلف في القران وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك انه لا يعاجلهم بالعذاب لقضي بينهم
بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستاصل وانهم لفي شك منه
من القران او من العذاب مريب من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على
الاسناد المجازي وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه يعني وان كلهم
اي وان جميع المختلفين فيه وان مشدد لما مخفف بصري وعلي ما
مزيدة جيء به ليفصل بها بين لام ان ولام ليوفينهم وهو جواب قسم
محذوف واللام في لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله
ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزاء اعمالهم من ايمان وجحود وحسن
وقبيح بعكس الاول ابو بكر مخففتان مكي ونافع على اعمال المخففة
عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل ولان ان تشبه الفعل
والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به
مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لممت
الشيء جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم اجري الوصل مجرى الوقف
وجاز ان يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه الف التانيث من
المصادر وقراءة الزهري وان كلا لمًّا وهو ما يؤيد ما ذكرنا والمعنى
وان كلا ملمومين اي مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف
وقد دخل الكلام اختصار كانه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك
اعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم انه بما يعملون خبير
فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها
غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم
وجاز للفاصل بمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع
الى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم فاتقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اية كانت اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني سورة هود
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب
لاتباع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم
اليه فتمسكم النار وقيل الركون اليهم الرضاء بكفرهم وقال قتادة
لا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرا هذه الاية
غشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف
بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال
سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن

الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملاً وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله
في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى
شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت **وما لكم من دون الله**
من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه
الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من
عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم هو لا
لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اي النصرة من الله مستبعدة
واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية **وزلفا من الليل** وساعات من
الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه
وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف
لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته
نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف
اليه **ان الحسنات يذهبن السيئات** ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب
في الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب او الطاعات
قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر **ذلك** اشارة الى فاستقم فما بعده او القران
ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين نزلت في عمرو بن غزية بايع التمر قال
لامرأة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها فندم فجاء حاكيا باكيا فنزلت
فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم فقال هي كفارة
لك فقيل الخاص قال بل للناس عامة **واصبر** على امتثال ما امرت به
والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به **فان الله لا يضيع اجر المحسنين**
جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى فاصبر
وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون من قبلكم** فهلا كان
وهو موضوع بالتحضيض ومخصوص بالفعل **اولوا بقية** اولوا فضل
وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا
ينهون عن الفساد في الارض عجب محمدا عليه السلام وامته ان لم يكن
في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من اولي العقل
والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي **الا قليلا ممن انجينا منهم**
استثناء منقطع اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة
للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا

واتبع

واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر اي
الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم
فهو عطف على نهوا **ما اترفوا فيه** اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم
والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم **وكانوا مجرمين**
اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون **وما كان ربك ليهلك القرى** اللام
لتاكيد النفي **بظلم** حال من الفاعل اي لا يصح ان يهلك القرى ظالما لها
واهلها قوم **مصلحون** تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك
اي لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون في المعاملات
فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر **ولو شاء ربك لجعل الناس**
امة واحدة اي متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ
ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا
يجوز **ولا يزالون مختلفين** في الكفر والايمان اي ولكن شاء ان يكونوا
مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك **الا من رحم ربك** الا ناسا عصمهم الله
عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه **ولذلك خلقهم**
اي ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذي علم انهم يصيرون
اليه من اختلاف او اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه
كذا في شرح التاويلات **وتمت كلمة ربك** وهي قوله للملائكة **لاملأن**
جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا**
التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ وهو منصوب
بقوله **نقص عليك** وقوله **من انباء الرسل** بيان لكل وقوله **ما نثبت به**
فؤادك بدل من كلا **وجاءك في هذه الحق** اي في هذه السورة او في هذه
الانباء المقتصة ما هو حق **وموعظة وذكرى للمؤمنين** ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب **وقل للذين لا يؤمنون**
من اهل مكة وغيرهم **اعملوا على مكانتكم** على حالكم وجهتكم التي انتم عليها
انا عاملون على مكانتنا **وانتظروا** بنا الدوائر **انا منتظرون** ان ينزل
بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم **ولله غيب**
السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا تخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك
منهم يرجع نافع وحفص **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وكافلك **وما**
ربك بغافل عما تعملون وبالتاء مدني وشامي وحفص اي انت وهم على
تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة هذه الاية وفي الحديث من احب
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله تعالى والله اعلم بالصواب

سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك آيات الكتاب المبين**

تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات
التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز
العرب او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او
الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين
فيها ما سألت عنها اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود
قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن
قصة يوسف عليه السلام **انا انزلناه قرانا عربيا** اي انزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض
القران قرانا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه **لعلكم تعقلون** لكي تفهموا
معانيه ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته **نحن نقص عليك**
احسن القصص نبين لك احسن البيان والقاص الذي ياتي بالقصة
على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص
تقول قص الحديث يقصه قصصا ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض
فعلى الاول معناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص **بما اوحينا اليك**
هذا القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا
نصب المصدر لاضافته اليه والمقصوص محذوف لان بما اوحينا اليك هذا
القران مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة
واعجب اسلوب فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه
في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن
ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب
التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال فلان
اعلم الناس اي في فنه واشتقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي
يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا **وان كنت من قبله** الضمير يرجع الى
ما اوحينا **لمن الغافلين** عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين
النافية يعني وان الشان والحديث كنت قبل ايحائنا اليك لمن الجاهلين به
اذ قال بدل اشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص
والتقدير اذكر و**يوسف** اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه
عن سبب اخر سوى التعريف **لابيه** يعقوب **يا ابت** ابت شامي وهي تاء
تانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما في ان كل واحد منهما زيادة في اخر
الاسم ولهذا تقلب هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التانيث بالمذكر كما في
رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد
حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء
في يا غلام **اني رايت** من الرؤيا لا من الرؤية **احد عشر كوكبا** اسماوها
بتبيان النبي صلى الله عليه وسلم جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين

والشمس

والشمس والقمر هما ابواه او ابوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو
بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في
رايتهم لي ساجدين لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت
الرؤية لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال او الثانية كلام
مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان اباه قال له كيف رايتها
فقال رايتهم لي ساجدين اي متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتي عشرة
سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة
او ثمانون **قال يا بني** بفتح الياء حيث كان حفص **لا تقصص رؤياك**
هي بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق
بينهما بحرفي التانيث كما في القربة والقربى **على اخوتك فيكيدوا لك**
جواب النهي اي ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام
ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد
الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدون لانه ضمن معنى فعل
يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن
فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى
تاكيده بالمصدر وهو **كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين** ظاهر
العداوة فيحملهم على الحسد والكيد **وكذلك** ومثل ذلك الاجتباء الذي
دل عليه رؤياك **يجتبيك ربك** يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال
من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته **ويعلمك**
كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك **من تاويل**
الاحاديث اي تاويل الرؤيا وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان
يوسف اعبر الناس للرؤيا او تاويل احاديث الانبياء وكتب الله
وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة **ويتم نعمته عليك وعلى**
ال يعقوب بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة اي جعلهم انبياء
في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وال يعقوب
اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه
لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا يقال ال الحجام
ولكن اهله وانما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء
استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى ال يعقوب **كما اتمها على ابويك**
من قبل اراد الجد واب الجد **ابراهيم واسحاق** عطف بيان لابويك
ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء **حكيم** يضع الاشياء في مواضعها
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم **ايات** علامات
ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء اية مكي **للسائلين** لمن
سال عن قصتهم وعرفها او ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من احد ولا قراءة

كتاب واسمايهم **يهوذا** وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة امهم ليا ودان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا** اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا اخوه وهم اخوته ايضا لان امهما كانت واحدة وانما قيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث ولابد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامران والواو في **ونحن عصبة** للحال اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والنفعة عليهما **ان ابانا لفي ضلال مبين** غلط في تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا **اقتلوا يوسف** من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين **او اطرحوه ارضا** منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلايها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك **وتكونوا** مجزوم عطف على يخل لكم **من بعده** من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او من بعد قتله او طرحه فرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا **قوما صالحين** تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم **قال قائل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم **والقوه في غيابة الجب** في قعر البير وما منه من عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني **يلتقطه بعض السيارة** بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق **ان كنتم فاعلين** به شيئا **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا** بالاشمام **على يوسف وانا له لناصحون** اي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه **ارسله معنا غدا نرتع** نتسع في اكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة **ونلعب** نتفرج بما يباح كالصيد والرمي والركض بالياء فيهما مدني وكوفي وبالنون فيهما مكي وشامي

وابو عمرو

وابو عمرو وبكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي **وانا له لحافظون** من ان يناله مكروه **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به** اي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء **واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون** اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة وانه يخاف عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم **قالوا لئن اكله الذيب** اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله والواو في **ونحن عصبة** اي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال **انا اذا لخاسرون** جواب للقسم مجزي عن جزاء الشرط اي ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يغيظهم **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب** اي عزموا على القايه في البير وهي بير على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف وتقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة فضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم ودلوه في البير وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه **واوحينا اليه** قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وزكريا عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا **لتنبئنهم بامرهم هذا** اي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم القيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون باوحينا اي انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك **وجاؤا اباهم عشاء** للاستتار والتجسر على الاعتذار **يبكون** حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** اي نتسابق في العدو او في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغيرهما **وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا** بمصدق لنا **ولو كنا صادقين** ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة مع

شدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا **وجاؤا**
على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي انهم ذبحوا
سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم
ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا
ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر ومحل على قميصه النصب على الظرف
كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم **قال** يعقوب **بل سولت** زينت او سهلت
لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه **فصبر جميل** خبر او مبتدأ لكونه موصوفا
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وهو الا شكوى فيه الى الخلق
والله المستعان اي استعينه **على** احتمال **ما تصفون** من هلاك يوسف
والصبر على الرزء فيه **وجاءت سيارة** رفقة تسير من قبل مدين الى مصر
وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا
قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه يوسف **فارسلوا واردهم** هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم
اسمه مالك بن ذعر الخزاعي **فادلى دلوه** ارسل الدلو ليملأها فتشبث
يوسف بالدلو فنزعوه **قال يا بشراي** كأنه نادى البشرى كأنه يقول تعالى
فهذا اوانك عبرهم بشراي على اضافتها الى نفسه او هو اسم غلامه
فناداه مضافا الى نفسه **هذا غلام** قيل ذهب به فلما دنا من اصحابه
صاح بذلك يبشرهم **واسروه** الضمير للوارد واصحابه واخفوه من الرفقة
او لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه **بضاعة** حال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع **والله عليم بما يعملون** بما
يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه** باعوه **بثمن**
بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف **دراهم** بدل من ثمن
معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين
ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما **وكانوا فيه من**
الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف او معنى وشروه
واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين اي غير راغبين
لانهم اعتقدوا انه ابق ويروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه
لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين اي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم
على الموصول وانما هو بيان كأنه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه **وقال**
الذي اشتراه من مصر هو قطفير وهو الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ

الريان

الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته
ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة
سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة
والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة
لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه **اكرمي مثواه** اجعلي
منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي
وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطئ فراشه **عسى ان ينفعنا**
لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن
بسبيله **او نتخذه ولدا** او نتبناه او نقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد
تفرس فيه الرشد فقال ذلك **وكذلك** اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف
قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف **مكنا**
ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه **في الارض** اي ارض
مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه **ولنعلمه من تأويل الاحاديث**
كان ذلك الانجاء والتمكين **والله غالب على امره** لا يمنع عما يشاء او على امر
يوسف يتبلغه ما اراد له دون ما اراد اخوته **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
ذلك **ولما بلغ اشده** منتهى اشتداد قوته وهي ثماني عشرة سنة او احدى
وعشرون **آتيناه حكما وعلما** حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل
فيه او حكما بين الناس وفقها **وكذلك نجزي المحسنين** تنبيه على انه كان
محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه**
اي طلبت يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب
كأن المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء
الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي
عبارة عن التمحل لمواقعته اياها **وغلقت الابواب** وكانت سبعة
وقالت هيت لك هو اسم لتعال واقبل وهو مبني على الفتح هيت مكي
بناه على الضم هيت مدني وشامي واللام للبيان كأنه قيل لك اقول هذا كما
تقول هلم لك **قال معاذ الله** اعوذ بالله معاذا **انه** ان الشأن والحديث
ربي سيدي ومالكي يريد قطفير **احسن مثواي** حين قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخونه في اهله **انه لا يفلح الظالمون** الخائنون او الزناة
او اراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب **ولقد همت به**
هم عزم **وهم بها** هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ
ابو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب
ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده
المخلصين وقيل وهم بها وشارف ان يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده
وعزم عليه وجواب **لولا ان رأى برهان ربه** محذوف اي لكان ما كان وقيل
وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليه لانه في حكم الشرط

وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا في حكم
القسم في قوله ولقد همت به ويجوز ان يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر
خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على به ويبتدئ بقوله وهم
بها وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر همّ يوسف بانه حل تكة
سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان
بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا اعرض عن هذا فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي
راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه ايضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا
عنه وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله
ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم
ونوح وذي النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله تعالى مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة اولي العزم ناظرا في دلائل
التحريم حتى استحق من الله تعالى الثناء محل الكاف في كذلك نصب اي مثل
ذلك التثبيت ثبتناه او رفع اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام حيث كان مدني
مدني وكوفي اي الذين اخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم اي الذين اخلصوا
دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين
واستبقا الباب وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف
الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا او على تضمين
استبقا معنى ابتدرا فنفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب
لانه اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف
جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه وألفيا
سيدها لدى الباب وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد ان يدخل فلما رأته
احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا
في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها حيث قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
او عذاب اليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها
سوءا لانها قصدت العموم اي كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن
او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته
للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني عن نفسي
ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها وهو ابن عم لها

وانما القى الله تعالى الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة
عليها واوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمي
قوله شهادة لانه ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والتقدير وشهد شاهد فقال
ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها
ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها
فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها قبل
ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان لان
المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد فلما رأى قطفير قميصه قد من دبر وعلم
براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك
سوءا او ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال من كيدكن الخطاب لها
ولامثالها ان كيدكن عظيم لانهن الطف كيدا واعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال
والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء
اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله قال ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه
منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا
الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما
قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل
الغيرة حيث اقتصر على هذا القول وقال نسوة جماعة من النساء وكن خمسا
امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا
لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز
يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها يقال فتاي
وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه لتنال شهوتها منه قد شغفها حبا
تمييز اي قد شغفها حبه اي خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف
حجاب القلب او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب انا لنراها في ضلال
مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت راعيل بمكرهن
باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي
الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت
اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت وهيأت افتعلت من
العتاد لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي
قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته ويشغلن

عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكي اذا بهت لشي
وقعت يده على يده **واتت كل واحدة منهن سكينا** وكانوا لا ياكلون في
ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم **وقالت اخرج عليهن** بكسر
التا بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم **فلما راينه اكبرنه** عظمنه وهبن ذلك
الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل
القمر ليلة البدر على النجوم في السما وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ
وجهه على الجدران وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه ربه وقيل ورث
الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال
النسا قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال اكبرت المراة اذا حاضت
وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب
اخذ من هذا التفسير قوله

• خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق •

وقطعن ايديهن وجرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد
جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام الذي في ايديهن فدهشن لما راينه
فخدشن ايديهن **وقلن حاش لله** حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثنا تقول اساء القوم حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا لله براة الله وتنزيه الله وقرا ابو عمرو
حاشا لله نحو قولك سقيا لك كانه قال براة ثم قال لله لبيان ما يبرا
وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات
العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله **ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم** نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم
لما ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته والا لعذرتنني
في الافتتان به **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** الاستعصام بنا مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها وهذا بيان جلي على ان يوسف عليه السلام بري مما فسر به اولئك الفريق
الهم والبرهان ثم قلن له اطع مولاتك فقالت راعيل **ولئن لم يفعل ما امره**
الضمير راجع الى ما وهي موصولة والمعنى ما امره به فحذف الجار كما في قوله امرتك
الخير او مصدرية والضمير يرجع الى يوسف اي ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب
امري ومقتضاه **ليسجنن** ليحبسن والالف في **وليكونا** بدل من نون التاكيد
الخفيفة **من الصاغرين** مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي وابق
مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنا ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني
هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير اميرا حصل في الحصير على
الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها **قال رب السجن احب الي مما يدعونني**

اليه اسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو اطعت مولاتك وافتتنت كل
واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجا الى ربه وقال رب نزول السجن
احب الي من ركوب المعصية **والا تصرف عني كيدهن** فزع منه الى الله في
طلب العصمة **اصب اليهن** امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها **واكن من الجاهلين**
من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء
او من السفها ولما كان في قوله والا تصرف عني كيدهن معنى طلب الصرف
والدعا قال **فاستجاب له ربه** اي اجاب الله دعاه **فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع** بدعوات الملتجئين اليه **العليم** بحاله وحالهن **ثم بدا لهم**
فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم
راي والضمير في لهم للعزيز واهله **من بعد ما راوا الايات** وهو الشواهد
على براته كقد القميص وشهادة الصبي وغير ذلك **ليسجننه** لابداء عذر الحال
وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال المراة
لزوجها وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها وقد طمعت ان
يذلله السجن ويسخره لها او خافت عليه العيون وظنت به الظنون
فالجاها الخجل من الناس والوجل من الياس الى ان رضيت بالحجاب مكان
خوف الذهاب لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره **حتى حين** الى زمان
لانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه **ودخل معه السجن
فتيان** عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة
ادخل يوسف لان مع يدل على الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا
له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له **قال احدهما** اي شرابيه
اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية **اعصر خمرا** اي عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه او الخمر بلغة عمان اسم للعنب **وقال الاخر**
اي خبازه **اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله**
بتاويل ما رايناه **انا نراك من المحسنين** من الذين يحسنون عبارة الرؤيا
او من المحسنين الى اهل السجن فانك تداوي المرضا وتعزي الحزين
وتوسع على الفقير فاحسن الينا بتاويل ما راينا قيل انهما تحالما ليمتحناه
فقال الشرابي اني رايت كاني في بستان فاذا باصل حبلة ثلاثة عناقيد
من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني
رايتني كان فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير
تنهش منها **قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله** بيان ماهيته
وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل **قبل ان ياتيكما** لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق
علم العلما وهو الاخبار بالغيب وانه ينبيهما بما يحمل اليهما من الطعام في
السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته

كيف وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم
اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان
يقتبس منه لم يكن من باب التزكية ذلكما اشارة لهما الى التاويل
اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي
ولم اقله عن تكهن ولا تنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالاخرة هم كافرون يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا
لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك وهم
اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم واتبعت ملة اباءي ابراهيم
واسحاق ويعقوب وهي الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر
الاباء ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي بما ذكر من اخباره
بالغيوب لتقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به الترك ابتداء لا انه كان
فيه ثم تركه ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان صنما او غيره ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا
وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله فيشركون به
ولا ينتبهون يا صاحبي السجن يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
يريد التفرق في العدد والتكاثر اي ان تكون ارباب شتى يستعبدكما
هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا
يشارك في الربوبية وهذا امثل ضرب لعبادة الله وحده ولعبادة
الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن كان على دينهما من اهل مصر
من دونه من دون الله الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي سميتم
ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون
الا اسماء لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته
زيدا وسميته بزيد ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان حجة ان
الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه
البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال
يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا اي
يعود الى عمله واما الاخر اي الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة هو الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه ثم قال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة
ايام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رايت شيئا فقال

يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي تم وقطع ما تستفتيان فيه
من امركما وشانكما اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة
الاخر وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام
ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو
الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك
بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه
الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه او عند ربه او فانسى
يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره وفي الحديث رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا فلبث
في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنا
فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها
وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها
قيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته ايضا
الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال
الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل
وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض وفي الاية دلالة على ان السنبلات
اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد
في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى
الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر يا ايها الملأ
كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون اللام في للرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
او لان المفعول اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله
اذا تاخر عنه فعضد بها كقولك عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت
او يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان
مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حال وحقيقة عبرت
الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته
حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مالها
وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات
ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قالوا اضغاث
احلام اي هي اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها وما يكون منها

من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط
النبات وحزم الواحد ضغث استعيرت لذلك والاضافة بمعنى
من اي اضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايدا في وصف
الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة
فقالوا ليس لها عندنا تاويل انما التاويل للمنامات الصحيحة او اعتر فوا
بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا
من القتل منهما من صاحبي السجن وادكر بالدال هو الفصيح واصله
اذتكر فابدلت الذال دالا والتاء دالا وادغمت الاولى في الثانية
لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه انه قلب التاء ذالا وادغم
اي تذكر يوسف وما شاهده منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك
انه حين استفتى الملك في الرؤيا واعضل اي اشكل على الملك تاويلها
تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره
عند الملك انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون
وبالياء يعقوب اي فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فاتاه
فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق انما قال ذلك
لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث
جاء كما اول افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس الى الملك واتباعه
لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك
قال تزرعون سبع سنين هو خبر بمعنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم
الاخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة
الخبر للمبالغة في وجود المامور به فيجعل كانه موجود فهو يخبر عنه دأبا
بسكون الهمزة وحفص بحركه وهو مصدر دأب في العمل وهو حال من
المامورين اي دائبين فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن هو من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ما قدمتم
لهن اي في السنين المخصبة الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبؤن
ثم ياتي من بعد ذلك عام اي من بعد اربعة عشر سنة فيه يغاث
الناس من الغوث اي يجاب مغيثهم او من الغيث اي يمطرون يقال
غيثت البلاد اذا مطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم
فيتخذون الاشربة والادهان تعصرون حمزة وعلي اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام
الثامن يجي مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وقال

الملك

الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن قال ارجع الى ربك
اي الملك فاسأله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن انما تثبت يوسف وتانى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة
ليظهر براءة ساحته لما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون
الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما
خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان
الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها
وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له
حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم
حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال
ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر انه كان لحليما ذا اناة
ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
اي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه فرجع الرسول
الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات
ايديهن ودعا امراة العزيز ثم قال لهن ما خطبكن ما شانكن اذ
راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله
تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء ذنب
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق ظهر واستقر انا راودته عن
نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد
على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم
يتعلق بشيء مما قرف به ثم رجع الرسول الى يوسف واخبره بكلام
النسوة واقرار امراة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف
ذلك اي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة ليعلم
العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من
الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ليعلم
الملك اني لم اخن العزيز وان الله وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها ثم اراد
ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين ان ما فيه
من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل
وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها في عموم الاحوال او في هذه
الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق
القصد والعزم ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا
الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي

الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت الا وقت
الا وقت العصمة او هو استثنا منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي
تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت
ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجيت بالصدق
فيما سيلت عنه وما ابري نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته
حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوا الا ان يسجن واودعته
السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم
الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة استغفرت ربها واسترحمته مما
ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهرا الا ان المعنى يقود اليه
وقيل هذا من تقديم القران وتاخيره اي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله
فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقال الملك ايتوني به
استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه وشاهد منه ما لم
يحتسب قال الملك ليوسف انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين موتمن على كل شي روي ان الرسول جاه ومعه سبعون حاجبا
وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج
من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم
عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب
السجن هذه منازل البلوي وقبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة
الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما
دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا
اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها
فاجابه بجميعها فتعجب الملك منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع
روياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن
ووصف السنابل وما كان على الهيئة التي راها الملك وقال له من حقك
ان تجمع الطعام في الاهرا فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك
ويجتمع لك الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن
يجمعه قال يوسف اجعلني على خزاين الارض ولني خزاين ارضك يعني
مصر اني حفيظ امين احفظ ما تستحفظنيه عليم عالم بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك
ليتوسل الى امضا احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما
لاجله بعث الانبيا الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في
ذلك فطلبه ابتغا وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث

رحم الله

رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من
ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى
الانسان عمالة من يد سلطان جاير وقد كان السلف يتولون القضا
من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم لانه لا سبيل الى الحكم بامر الله
ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به
وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راي فكان
في حكم التابع له وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف
في الارض ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين
الاقدار واعطا المكنة يتبوا منها حيث يشا اي كل مكان
اراد ان يتخذه منزلا لا يمنع منه لاستيلايه على جميعها ودخوله تحت
سلطانه نشا مكن نصيب برحمتنا يعطايا في الدنيا من الملك
والغنى وغيرهما من النعم من نشا من اقتضت الحكمة ان نشاء له
ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
يريد يوسف وغيره من المومنين الى يوم القيمة وكانوا يتقون الشرك
والفواحش قال سفيان بن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا
والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق
وتلا الاية روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير
فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من
لباسي ولا لباس ابائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض
الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما
دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها بكرا عذرا فولدت
له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنسا
واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط
الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شي منها
ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاما
في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم بالاولادهم في السادسة
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر عن اخرهم ورد عليهم
املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض
كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله
وجا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم بلا تعريف وهم له منكرون
لتبدل الزي ولانه كان من ورا الحجاب ولطول المدة وهو اربعون سنة
روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما
شانكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار
فقال لعلكم جيتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن

بنوابني هزيت لتفقد ابن كان احبنا اليه وقد امنتك اخاه من امسه
لبستانش به فقال ايتوني به ان صدقتم ولما جهزهم بجهازهم اعطى كل
واحد منهم حمل بعير وزوي بكسر الجيم شاة قال ايتوني باخ لكم من
ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين كان قد احسن
انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع اليه فان لم تاتوني به
فلا كيل لكم عندي فلا ابيعكم طعاما ولا تقربون اي فان لم تاتوني به
تحزبوا ولا تقربوا وهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل فلا
كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه
ونحتال حتى ننزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه
ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا تتركوا عنده شمعون وكان احسنهم
فيه رايا وقال لفتيانه كوفي غير ابي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى
كالاخوة والاخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اوعيتهم وكانت نعالا وادما او ورقا
وهو البق بالدس في الرحال لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا
او ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما فيهم من الديانة يعيدهم
لرد الامانة اولم يرم الكرم اذ باخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما رجعوا
الى ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون
قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع
الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلي اي يكتل اخونا
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني انكم قلتم في
يوسف ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون كما تقولونه في
اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير
حافظا كوفي غير ابي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال او تمييز
ومن قرا حفظا فهو تمييز لا غير وهو ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم
علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا
قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي اي ما نبغي
في القول ولا نتجاوز الحق او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او ما نبغي منك بضاعة اخرى او للاستفهام اي اي شيء نطلب وراء هذا
هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل
بعدها معطوفة عليها اي ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير

اهلنا

اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب لهم الميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك
ونحفظ اخانا في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد بصحبته
اخينا كيل بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل عليه متيسر لا يتعاظمه
قال لن ارسله معكم حتى تؤتون وبالياء مكي موثقا عهدا من الله والمعنى
حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل
الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد اذن الله في
ذلك فهو اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني
به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له
والكلام المثبت وهو قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من
الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة
واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء
من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تاويله بالنفي فلما اتوه موثقهم
قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام قال بعضهم يسكت عليه لان المعنى
قال يعقوب الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل
رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى
ان تفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله تعالى وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة الجمهور على انه خاف
عليهم من العين لجمالهم وجلالة امرهم ولم يامرهم بالتفرق في الكرة
الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده
بان يجري الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا
وكان النبي عليه السلام يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وانكر الجبائي العين وهو
مردود بما ذكرنا وقيل احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم
وما اغني عنكم من الله من شيء اي ان كان اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع
عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون والتوكل تفويض الامر الى
الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي
متفرقين ما كان يغني عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من
شيء اي شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة
اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله وتضاعف
المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس
يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وانه لذو علم يعني قوله وما
اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر لما علمناه لتعليمنا اياه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه
ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم

احسنتم فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة
فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال
يوسف بقي اخيكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله فقال له
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال له اني انا
اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون فيما مضى فان الله
قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وروي انه قال
له فانا لا افارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا احبستك ازداد
غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك بما لا يجمل قال لا ابالي فافعل
ما بدا لك فقال اني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل فلما جهزهم بجهازهم
هيأ اسبابهم واوفى الكيل لهم جعل السقاية هي مشربة يسقى بها
وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة
الطعام وكان يشبه الطاس من فضة او ذهب في رحل اخيه ثم اذن
مؤذن ثم نادى مناد اذنه اي اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر
بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ايتها العير هي الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تذهب وتجي والمراد اصحاب العير انكم لسارقون كناية عن
سرقتهم اياه من ابيه قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد
صواع الملك وهو الصاع ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم يقوله المؤذن
المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من
طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من
لا بل دينهم ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا
سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا
جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان
حكم السارق في ال يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه
وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه
لا غير جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبر كذلك نجزي الظالمين
اي السراق بالاسترقاق فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه فبدأ بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن
هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي الصواع من وعاء اخيه
ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه لان التانيث يرجع الى السقاية

اولان الصواع يذكر ويؤنث الكاف في كذلك في محل النصب اي مثل
ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه ما كان لياخذ
اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك
اي في سيرته للسارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يستعبد الا ان يشاء الله
اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله وارادته فيه نرفع درجات بالتنوين
كوفي من نشاء اي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وفوق كل ذي علم
عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه
في العلم وهو الله عز وجل قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ارادوا
يوسف قيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها السائل وقيل كان منطقة
لابراهيم عليه السلام يتوارثها الاكابر فورثها اسحاق ثم وقعت
الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه
وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى
المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحاق
فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم
افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروي انهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له
فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى اخذت
هذا الصواع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه
ووضع هذا الصواع الذي وضع البضاعة في رحالكم فاسرها اي تغافلهم
انه سرق كانه لم يسمعها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر
مكانا تمييز اي انتم شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم يوسف من ابيه
والله اعلم بما تصفون تقولون او تكذبون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا في السن او في القدر فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاسترهان او
الاستعباد فان اباه يتسلى به عن اخيه المفقود انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها
قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ بالله معاذا
من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون اذن
جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على فتيته
فتواكم اخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك
ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم فلما استياسوا يئسوا وزيادة
السين والتاء للمبالغة كامر في استعصم منه من يوسف واجابته اياهم
خلصوا انفردوا واعتزلوا الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى
او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا او تمحضوا تناجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي

وحقيقته فالنجي يكون بمعنى المناجي كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وما ذا يقولون لابيهم في شان اخيهم **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في العقل والراي وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون **الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف** ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف **فلن ابرح الارض** فلن افارق ارض مصر **حتى ياذن لي ابي** في الانصراف اليه **او يحكم الله لي** بالخروج منها او بالموت او بقتلنا لهم **وهو خير الحاكمين** لانه لا يحكم الا بالعدل **ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق** وقري سُرِّق اي نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه بالسرقة **الا بما علمنا** من سرقته وتيقننا اذ الصواع استخرج من وعائه **وما كنا للغيب حافظين** وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق **واسال القرية التي كنا فيها** يعني مصر اي ارسل الى اهلها واسالهم عن كنه القصة **والعير التي اقبلنا فيها** واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب **وانا لصادقون** في قولنا فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم **قال بل سولت لكم انفسكم امرا** اردتموه والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يوخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم **فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا** بيوسف واخيه وكبيرهم **انه هو العليم** بحالي في الحزن والاسف **الحكيم** الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة **وتولى عنهم** واعرض عنهم كراهة لما جاوا به **وقال يا اسفا على يوسف** اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من يا الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وانما تاسف على يوسف دون اخيه وكبيرهم لتمادي اسفه على يوسف دون الاخرين وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا **وابيضت عيناه** اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا **من الحزن** كان الحزن سبب البكا الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم من يعقوب ويجوز للنبي ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور

والوجوه

والوجوه وتمزيق الثياب **فهو كظيم** مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه **قالوا تالله تفتؤا** اي لا تفتؤا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون والمعنى لا تفتؤا لا تزال **تذكر يوسف حتى تكون حرضا** مشفيا على الهلاك مرضا **او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله** البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره اي لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا ملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت **واعلم من الله ما لا تعلمون** واعلم من رحمته انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيرك فرج عني **يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه** فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة **ولا تياسوا من روح الله** ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه **انه** ان الامر والشان **لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون** لان من امن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند ابيهم راجعين الى مصر **فلما دخلوا عليه** على يوسف **قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر** الهزال من الشدة والجوع **وجئنا ببضاعة مزجاة** مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا **فاوف لنا الكيل** الذي هو حقنا **وتصدق علينا** وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا او هب لنا اخانا **ان الله يجزي المتصدقين** ولما قالوا مسنا واهلنا الضر تضرعوا اليه وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك ان عرفهم نفسه حيث **قال هل علمتم ما فعلتم** اي هل علمتم قبح ما فعلتم **بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون** لا تعلمون قبحه او اذ انتم في حد السفه والطيش وفعلهم باخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذاؤهم له بانواع الاذى **قالوا ائنك** بهمزتين كوفي وشامي **لانت يوسف** اللام لام الابتدا وانت مبتدا ويوسف خبره والجملة خبران **قال انا يوسف وهذا اخي** وانما ذكر اخاه وهم لم يسالوه عنه لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه **قد من الله علينا**

بالالفة بعد الفرقة ذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة
انه من يتق الفحشاء ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات **فان الله لا
يضيع اجر المحسنين** اي اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله
على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع اجره
في دنياه وعقباه **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا** اختارك وفضلك
علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن **وان كنا لخاطئين** وان شاننا
وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله
تعالى اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك **قال لا تثريب عليكم**
لا تعيير عليكم **اليوم** متعلق بالتثريب او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم
الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال **يغفر الله
لكم** فدعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك
على لفظ الماضي والمضارع او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة
يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول
فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا
اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرطنا
فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين
الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت الآن بكم حيث علم الناس اني من حفدة ابراهيم **وهو ارحم الراحمين**
اي اذا رحمتكم وانا الفقير القتور فما ظنكم بالغني الغفور ثم سألهم عن
حال ابيه فقالوا انه عمي من كثرة البكا قال **اذهبوا بقميصي هذا** قيل
هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره
جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا
عوفي **فالقوه على وجه ابي يات بصيرا** يصر بصيرا تقول جاء البناء محكما
اي صار او يات الي وهو بصير قال يهوذا انا احمل قميص الشفاء كما
ذهبت بقميص الجفا وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا **واتوني باهلكم اجمعين** ليتنعموا باثاركم ملكي كما
اغتموا باخبار هلكي **ولما فصلت العير** خرجت من عريش مصر يقال
فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه **قال ابوهم** لولد
ولده ومن حوله من قومه **اني لاجد ريح يوسف** اوجده الله ريح القميص
حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام **لولا ان تفندون** التفنيد النسبة الى
الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا

تفنيدكم

تفنيدكم اياي لصدقتموني **قالوا** اي اسباطه **تالله انك لفي ضلالك
القديم** لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف او في
خطائك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات **فلما ان جاء
البشير** اي يهوذا **القاه على وجهه** طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او القاه يعقوب **فارتد** فرجع **بصيرا** يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه
قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من
روح الله وقوله **اني اعلم من الله ما لا تعلمون** كلام مبتدأ لم يقع عليه القول
والمراد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال ملك مصر قال ما اصنع بالملك
على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة **قالوا يا
ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين** اي سل الله مغفرة ما ارتكبنا
في حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا **قال سوف استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم** اخر الاستغفار الى وقت السحر او الى ليلة الجمعة
او ليتعرف حالهم في صدق التوبة او الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم
ان يوسف وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما
بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء
واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا **فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه** ضم اليه **ابويه** واعتنقهما قيل كانت امه باقية
وقيل ماتت وتزوج خالته والخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله
ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم
مصر انه حين استقبلهم نزلهم في مضرب او قصر كان له ثمة فدخلوا عليه
وضم اليه ابويه **وقال** لهم بعد ذلك **ادخلوا مصر ان شاء الله امنين**
من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجواز او من القحط وروي انه لما لقيه
قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابت
بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب
وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا
منها مع موسى والمقاتلون ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف **ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا** قيل لما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا
على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني
الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية
مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال
الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت
الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا اياه وقيل لاجل يوسف

سجدا لله شكرا وفيه نبوة ايضا واختلف في استنبائهم وقال يا ابت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها اي الرؤيا ربي حقا اي صادقة
وكان بين الرؤيا والتأويل اربعون سنة او ثمانون سنة او ست وثلاثون
او اثنتان وعشرون وقد احسن بي يقال احسن اليه وبه وكذلك
اساء اليه وبه اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم
اليوم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب مواشي
ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
اي افسد بيننا واغوى ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير له انه
هو العليم الحكيم بتاخير الامال الى الاجال او حكم بالابتلاء بعد
الاختلاف رب قد اتيتني من الملك ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث
تفسير كتب الله او تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض
ملك الدنيا وبعض التأويل فاطر السموات والارض انتصابه على النداء
انت وليي في الدنيا والآخرة انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل
الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام
لقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا
وعن التستري مسلما اليك امري وفي عصمة الانبياء وانما دعا به يوسف
ليقتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبيا
لنظر الامم اليهم والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم روي ان
يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب
والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى ادخله خزانة
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل بذلك قال او ما تسأله
قال انت ابسط اليه مني فاسأله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك اخاف ان ياكله الذيب فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام
عنده اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب
ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه
ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى
الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله تعالى طيبا
طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم
حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه
ودفنوه بالنيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم
فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد اربعمائة سنة تابوته
الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون
يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر
ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه

ذلك

ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران وما كنت لديهم
لدى بني يعقوب اذ اجمعوا امرهم عزموا على ما هموا به من القاء
يوسف في البئر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان
هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب
حين اتفقوا على القائهم في البئر وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين اراد العموم او اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل
الاجتهاد على ايمانهم وما تسألهم عليه على التبليغ او على القرآن من
اجر جعل ان هو الا ذكر من الله للعالمين ما القرآن الا عظة لهم وحث
على طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكاين من آية من علامة
ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات والارض
يمرون عليها على الآيات او على الارض ويشاهدونها وهم عنها عن الآيات
معرضون لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة
وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم به مشركون اي
وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات
والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على انها نزلت في المشركين
لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم امر شديد
دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله
القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله
اهل السنة وهو ان لا خالق الا الله افأمنوا ان تأتيهم غاشية اي
عقوبة تغشاهم وتشملهم من عذاب الله او تأتيهم الساعة القيمة
بغتة حال اي فجاة وهم لا يشعرون باتيانها قل هذه سبيلي هذه
السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق
يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة
ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو
ومن اتبعني عطف عليه اي ادعو الى سبيل الله انا ويدعو اليها من
اتبعني او انا مبتدا وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على انا
يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان
الله وانزهه من الشركا وما انا من المشركين مع الله غيره وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا
لانزل ملائكة اذ ليست فيهم امراة يوحى بالنون حفص اليهم من اهل
القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة
اي ولدار الساعة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك وآمنوا به افلا
تعقلون وبالياء مكي وابو عمرو وحمزة وعلي حتى اذا استيأس الرسل

ييئسوا من ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا وايقن الرسل ان قومهم
كذبوهم وبالتخفيف كوفي اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا
اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم
الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه جاءهم نصرنا للانبيا
والمومنين بهم فجاة من غير احتساب فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم
وفتح اليا شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقايم مقام
الفاعل من الباقون فننجي من نشاء اي النبي ومن امن به ولا يرد
باسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد كان في قصصهم اي
في قصص الانبيا واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي
الالباب حيث نقل من غاية الحب الى غيابة الجب ومن الحصير
الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر
وخامة وندامة ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا يفترى
كما زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديق
الكتب التي تقدمته وتفصيل كل شيء يحتاج اليه لانه القانون الذي
تستند اليه السنة والاجماع والقياس وهدى من الضلال ورحمة
من العذاب لقوم يومنون بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن
معطوف على خبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فايما عبد تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته
تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى قريش كانه يقول
ان اخوة يوسف مع موافقتهم اباه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف
ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتك اياهم
في الدين احرى ان تصبر على اذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم
ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما هي في القران والله اعلم

سورة الرعد مكية وهي ثلاث او اربع او خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المر انا الله اعلم وارى عن ابن عباس
رضي الله عنهما تلك اشارة الى ايات السورة ايات الكتاب اريد
بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة
في بابها والذي انزل اليك من ربك القران كله الحق خبر والذي
ولكن اكثر الناس لا يومنون فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب
الايمان فقال الله الذي رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان
تكون موضوعة فرفعها والله مبتدا والخبر الذي رفع السموات بغير
عمد حال وهو جمع عماد او عمود ترونها الضمير يعود الى السموات
اي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان او الى عمد فيكون في موضع

الجر على انه صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ثم استوى على العرش استولى
بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح
بلاده كل يجري لاجل مسمى وهو انقضاء الدنيا يدبر الامر امر ملكوته
وربوبيته يفصل الايات يبين اياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه
وهو الذي مد الارض بسطها وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت
وانهارا جارية ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اي
الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا
يغشي حمزة وعلي وابو بكر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون
ان لها صانعا عليما حكيما قادرا وفي الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة
مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة
وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه
دون وجه وجنات معطوفة على قطع من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على قطع غيرهم
بالجر بالعطف على اعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان
واصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان تسقى بماء واحد وباليا
عاصم وشامي ونفضل بعضها على بعض وباليا حمزة وعلي في الاكل في الثمر
وبسكون الكاف نافع ومكي ان في ذلك لايات لقوم يعقلون عن
الحسن مثل اختلاف القلوب في اثارها وانوارها واسرارها باختلاف
القطع في انهارها وازهارها وثمارها وان تعجب يا محمد من قولهم
في انكار البعث فعجب قولهم خبر ومبتدا اي فقولهم حقيق بان يتعجب
منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة اهون شيء عليه
وايسر فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق
جديد في محل الرفع بدل من قولهم قرا عاصم وحمزة كل واحدة بهمزتين
اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم
واولئك الاغلال في اعناقهم وصف لهم بالاصرار او من جملة الوعيد
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دل تكرار اولئك على تعظيم
الامر ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية وذلك
انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من
المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة لما بين
العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال
اي ظالمين لانفسهم قال السدي يعني المومنين وهي ارجى اية في كتاب الله

حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها
وان ربك لشديد العقاب على الكافرين او هما جميعا في المؤمنين
لكنه معلق بالمشية فيهما اي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء **ويقول**
الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى
من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله **انما انت**
منذر انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر
وصحة ذلك حاصلة باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة
الدعوى بها **ولكل قوم هاد** من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى
الله باية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون **الله يعلم ما تحمل كل انثى**
وما تغيض الارحام وما تزداد ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة اي
يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام اي وتعلم
ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا وما تزداده والمراد عدد الولد
فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة واربعة او جسد الولد فانه يكون
تاما ومخدجا او مدة الولادة فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد
عليها الى سنتين عندنا والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك او
مصدرية اي يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها **وكل شيء**
عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر
عالم الغيب ما غاب عن الخلق **والشهادة** ما شاهدوه **الكبير** العظيم
الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي
كبر عن صفات المخلوقين **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به** اي في
علمه **ومن هو مستخف بالليل** متوار **وسارب بالنهار** ذاهب في سربه
اي في طريقه يقال سرب في الارض سروبا وسارب عطف على من هو مستخف
لا على مستخف او على مستخف غير ان من في معنى الاثنين والضمير في **له**
مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **معقبات**
جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه والاصل معتقبات فادغمت
التاء في القاف او معقبات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه **من بين يديه ومن خلفه** اي
قدامه ووراءه **يحفظونه من امر الله** هما صفتان جميعا وليس من امر الله
بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله
اي من اجل ان الله امرهم بحفظه او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا
اذنب بدعائهم له **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا**
ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي **واذا اراد الله بقوم سوءا**

عذابا

عذابا **فلا مرد له** فلا يدفعه شيء **وما لهم من دونه من وال** من دون الله
ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا**
انتصبا على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف
وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين والمعنى يخاف من
وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
• فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق •
او يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد
من لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع **وينشئ السحاب**
هو اسم جنس والواحدة سحابة **الثقال** بالماء وهو جمع ثقيلة تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال **ويسبح الرعد بحمده** قيل يسبح سامعوا
الرعد من العباد الراجين للمطر اي يضجون سبحان الله والحمد لله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره
السحاب حتى ينتهي الى حيث امر **والملائكة من خيفته** ويسبح الملائكة
من هيبته وجلاله **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** الصاعقة
نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر
والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال **وهم**
يجادلون في الله يعني الذين كذبوا رسول الله يجادلون في الله حيث
ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق
بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء
ويجعلونه بعض الاجسام كقولهم الملائكة بنات الله او الواو للحال اي
فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر ابن الطفيل قاصدين لقتله
فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على
اربد صاعقة فقتلته لانه قال اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من
حديد **وهو شديد المحال** اي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة
ومنه تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان
اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون **له دعوة الحق** اضيفت الدعوة
الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها
بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة
ويعطي الداعي سؤاله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان
يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع
ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق على قصة
اربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به

من حيث لم يشعر ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه بقوله
اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى
الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله فيهم ان دعا عليهم والذين
يدعون والالهة التي يدعونهم الكفار من دونه من دون الله لا
يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه الاستثناء من المصدر اي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون
لان الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة
على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل وصار التقدير لا
يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة
الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر
ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاه ويبلغ
فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا
يقدر على نفعهم واللام في ليبلغ متعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه
وما الماء ببالغ فاه وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا
منفعة فيه لانهم اذا دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع
اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض سجود تعبد وانقياد
طوعا حال يعني الملائكة والمؤمنين وكرها يعني المنافقين والكافرين
في حال الشدة والضيق وظلالهم معطوف على من جمع ظل بالغدو
جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصل جمع اصيل قيل ظل كل
شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد طوعا وهو طائع
قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم لانه اذا قال
لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله
قراءة ابن مسعود وابي قالوا الله او هو تلقين اي فان لم يجيبوا
فلقنهم فانه لا جواب الا هذا قل افاتخذتم من دونه اولياء بعد
ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا
ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق
الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم قل هل يستوي الاعمى
والبصير اي الكافر والمؤمن او من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء ام
هل تستوي الظلمات والنور ملل الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص
ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه
خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين
قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه الخلق عليهم فاشتبه عليهم
مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله

عليه

عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا
له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على
ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء اي لا خالق للاجسام والاعراض
غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق
افعال العباد وهم خلقوها فتشابه الخلق عليهم وهو الواحد المتوحد
بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل اي الواحد
القهار وهو الله سبحانه من السماء من السحاب ماء مطرا فسالت
اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر
لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون
بعض بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار
فاحتمل السيل اي رفع زبدا هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى
علاه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل ومما توقدون عليه
وبالياء كوفي غير ابي بكر ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل
زبد الماء او للتبعيض اي وبعضه زبد في النار حال من الضمير في عليه
اي ومما توقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية مبتغين حلية
فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون او متاع من الحديد
والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يتمتع به في الحضر والسفر وهو
معطوف على حلية اي زينة من الذهب والفضة زبد خبث وهو مبتدأ
مثله نعت له ومما توقدون خبر له اي لهذه الفلزات اذا اغليت زبد
مثل زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق والباطل
فاما الزبد فيذهب جفاء حال اي متلاشيا وهو ما تقذفه القدر
عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفو الرمي وجفأت الرجل صرعته
واما ما ينفع الناس من الماء والحلي والاواني فيمكث في الارض فيثبت
الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض
مدة طويلة كذلك يضرب الله الامثال ليظهر الحق من الباطل
وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للحق واهله والباطل فمثل الحق واهله
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم
انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ
الاواني والآلات المختلفة وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا
يثبت الماء في منافعه وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به
وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب وقال الجمهور هذا مثل ضربه
الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة
الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة
القلوب وضيقها والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان

والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو
الماء كذلك يذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو
وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية
وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة
للخلاص فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر
بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء
والخلل والملل والكسل واللام في **للذين استجابوا** أي أجابوا متعلقة
بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا **لربهم**
الحسنى وهي صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا
الفريقين وقوله **لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به**
كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا
معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد
تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين
استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه **أولئك لهم سوء الحساب** المناقشة فيه
في الحديث من نوقش الحساب عذب **ومأواهم جهنم** ومرجعهم بعد
المحاسبة النار **وبئس المهاد** المكان الممهد والمذموم محذوف أي
جهنم دخلت همزة الإنكار على الفاء في **أفمن يعلم** لإنكار أن تقع شبهة
ما بعد ما ضرب من المثل في أنه حال من علم **أنما أنزل إليك من ربك**
الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
وهو المراد بقوله **كمن هو أعمى** كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والإبريز **إنما يتذكر أولوا الألباب** أي الذين عملوا على قضايا عقولهم
فنظروا واستبصروا **الذين يوفون بعهد الله** مبتدأ والخبر أولئك لهم
عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل
هو صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على
أنفسهم من الشهادة بالربوبية له وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى **ولا ينقضون الميثاق** ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من
الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم
بعد تخصيص **والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل** من الأرحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان
إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء
السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر **ويخشون ربهم** أي وعيده كله **ويخافون**

سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا **والذين صبروا**
مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف
ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل
ولا لئلا يعاب في الجزع **وأقاموا الصلاة** داوموا على إقامتها **وأنفقوا**
مما رزقناهم أي من الحلال وإن كان الحرام رزقا عندنا **سرا وعلانية** يتناول
النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيئ غيرهم أو إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا
وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره
فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة **أولئك لهم عقبى الدار**
عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا
ومرجع أهلها **جنات عدن** بدل من عقبى الدار **يدخلونها ومن صلح**
أي آمن **من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم** وقرئ صلح والفتح أفصح
ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وإن لم
يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم
بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها والمراد أبوا كل واحد منهم
فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**
في كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارة الرضا **سلام عليكم** في
موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين **بما صبرتم** متعلق
بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن
الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
والأول أوجه **فنعم عقبى الدار** الجنات **والذين ينقضون عهد الله من**
بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول **ويقطعون**
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم **أولئك**
لهم اللعنة الإبعاد من الرحمة **ولهم سوء الدار** يحتمل أن يراد سوء
عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار وأن يراد بالدار جهنم وسوءها
عذابها **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** أي ويضيق لمن يشاء والمعنى
الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره **وفرحوا بالحياة الدنيا**
بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم
ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة **وما الحياة الدنيا في الآخرة**
إلا متاع وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا
نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه أي الآية المقترحة **قل**
إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات **ويهدي إليه**
من أناب ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه **الذين آمنوا** هم الذين

او محله النصب بدل من من **وتطمئن قلوبهم** تسكن قلوبهم **بذكر الله** على الدوام
او بالقرآن او بوعده **الا بذكر الله تطمئن القلوب** بسبب ذكره تطمئن قلوب
المؤمنين **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** مبتدا **طوبى لهم** خبره وهو مصدر
من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او
الرفع لقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لك
للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها
كموقن والقراءة في **وحسن مآب** مرجع بالرفع والنصب يدلك على محليها
كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له
شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال **في امة قد خلت**
من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت
خاتم الانبياء **لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك** لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك **وهم يكفرون** وحال هؤلاء انهم يكفرون **بالرحمن** بالبليغ
الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء **قل هو ربي لا اله الا هو** اي هو ربي الواحد
المتعالي عن الشركاء **عليه توكلت** في نصرتي عليكم **واليه متاب** مرجعي فيثيبني
على مصابرتكم متابي وعقابي ومآبي في الحالين ليعقوب **ولو ان قرآنا سيرت**
به الجبال عن مقارها **او قطعت به الارض** حتى تتصدع وتتزايل قطعا
او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الانذار والتخويف فجواب لو محذوف او معناه ولو ان قرآنا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية **بل لله الامر جميعا**
بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها **افلم ييأس**
الذين آمنوا افلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس
بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل
النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك ودليله قراءة علي رضي الله عنه افلم يتبين
وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذه والله فرية
ما فيها مرية **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم**
بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم **قارعة** داهية تقرعهم بما يحل الله بهم
في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم **او تحل**
قريبا من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير اليهم شرارها
ويتعدى اليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** اي موتهم او القيامة او ولا يزال
كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب
قارعة لان جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير حول مكة وتختطف
منهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى
يأتي وعد الله اي فتح مكة **ان الله لا يخلف الميعاد** اي لا خلف في موعده
ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا الاملاء الامهال

وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب**
وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به
وتسلية له **افمن هو قائم** احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي
هو رقيب **على كل نفس** صالحة او طالحة **بما كسبت** يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استانف فقال **وجعلوا لله شركاء** اي الاصنام
قل سموهم اي سموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال **ام تنبئونه بما**
لا يعلم في الارض على ام المنقطعة اي بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض وهو العالم فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا
بشيء والمراد نفي ان يكون له شركاء **ام بظاهر من القول** بل اتسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير ان تكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم
بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها **بل زين للذين كفروا**
مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم **وصدوا عن السبيل** عن سبيل الله بضم
الصاد كوفي ويعقوب وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله
ومن يضلل الله فما له من هاد من احد يقدر على هدايته **لهم عذاب**
في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وانواع المحن **ولعذاب الآخرة اشق**
اشد لدوامه **وما لهم من الله من واق** من حافظ من عذابه
مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثل الجنة او الخبر **تجري من**
تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر **اكلها دائم** ثمرها دائم الوجود
لا ينقطع **وظلها** دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس **تلك عقبى الذين**
اتقوا اي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى امرهم **وعقبى**
الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود
كابن سلام ونحوه ومن النصارى بارض الحبشة **يفرحون بما انزل اليك**
ومن الاحزاب اي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما **من ينكر بعضه** لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص
وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة
محمد عليه السلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوا من الشرائع **قل انما**
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به هو جواب للمنكرين اي قل انما
امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكارهم له انكار
لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وان لا يشرك به **اليه ادعو** خصوصا لا ادعو الى غيره **واليه**
لا الى غيره **مآب** مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله
وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء **حكما عربيا**

حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى امور يشاركهم فيها فقيل ولئن اتبعت اهواءهم
بعد ما جاءك من العلم اي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين
الساطعة ما لك من الله من ولي ولا واق اي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه
واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين
وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج
ويقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فنزل ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا وما كان لرسول ان
ياتي باية الا باذن الله اي ليس في وسعهم اتيان الايات على ما يقترحه
قومه انما ذلك الى الله لكل اجل كتاب لكل وقت حكم يكتب على العباد
اي يفرض عليهم ما تقتضيه حكمته يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يشاء نسخه
ويثبت بدله ما يشاء او يتركه غير منسوخ او يمحو من ديوان الحفظة ما
يشاء ويثبت غيره او يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم او يميت من حان
اجله وعكسه ويثبت مدني وشامي وحمزة وعلي وعنده ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وإما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فانما
عليك البلاغ فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب
وعلينا حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا
تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها
بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد دار الاسلام
وذلك من ايات النصرة والغلبة والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته
ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء
فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى
انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس
ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه
كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية بانبيائهم والمكر ارادة
المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر الله
فلله المكر جميعا فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل

نفس واعدّ لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة
مما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي وابو عمرو ويقول الذين كفروا
لست مرسلا والمراد كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا
ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الاية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
بما اظهر من الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز
ومن عنده علم الكتاب قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله
قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم
من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وذلك ابن سلام فيه نزلت هذه الاية وقيل
هو جبريل ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله او في موضع الرفع
بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع
بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي
والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة
يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي
استقر في الدار اخوه وفي القراءة بكسر الميم من يرتفع العلم بالابتداء والله اعلم

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي اثنان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هو خبر مبتدا محذوف
اي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي انزلناه اليك في موضع الرفع
صفة للنكرة لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات الى النور
من الضلالة الى الهدى باذن ربهم بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق الى صراط بدل من
النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام الحميد المحمود على الانعام
الله بالرفع مدني وشامي اي هو الله وبالجر غيرهما على انه عطف بيان
للعزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ولما
ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل
وهو نقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال وويل
للكافرين من عذاب شديد وهو مبتدا وخبر وصفة الذين يستحبون
يختارون ويؤثرون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله
دينه ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والاصل
ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الذين مبتدا خبره اولئك في ضلال
بعيد عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازي والبعد في
الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما
تقول جدّ جده او مجرور صفة للكافرين او منصوب على الذم او مرفوع
على اعني الذين او هم الذين وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث به وله فلا تكون لهم حجة

على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا عليه السلام بعث الى الناس جميعا بقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف والتبديل فيضل الله من يشاء من اثر سبب الضلال ويهدي من يشاء من اثر سبب الاهتدا وهو العزيز فلا يغالب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع ان اخرج بان اخرج او اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها او بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على البلايا شكور على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت او بدل اشتمال من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم ويذبحون ابناءكم ذكر في البقرة يذبحون ابناءكم وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس اخر ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الاشارة الى العذاب والمحنة البلاء او الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة واذ تاذن ربكم اي اذن ونظير تاذن واذن توعد واوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجا وغيرها لازيدنكم نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نغمة الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعات لازيدنكم بالجد في المثوبة ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي اما في الدنيا فسلب النعم واما في العقبى فتوالي النقم وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا والناس كلهم فان الله لغني

عن شكركم

عن شكركم حميد وان لم يحمده الحامدون وانتم ضررتم انفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى لقومه او ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وروي انه عليه السلام قال عند نزول هذه الاية كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فردوا ايديهم في افواههم الضميرات يعودان الى الكفرة اي اخذوا انامله باسنانهم تعجبا او عضوا عليها تغيظا او الثاني يعود الى الانبيا اي رد القوم ايديهم في افواه الرسل كيلا يتكلموا بما ارسلوا به وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله تعالى والتوحيد مريب موقع في الريبة قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفي شك فاطر السموات والارض يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم اذا امنتم ولم يجي مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا برسوله يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقرا ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا اي القوم ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني الاصنام فاتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالايمان والنبوة كما من علينا وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله جواب لقولهم فاتونا بسلطان مبين والمعنى ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وانما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال ابو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية

والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء **ولنصبرن على ما آذيتمونا** جواب قسم
مضمر اي حلفوا على الصبر على اذاهم وان لا يمسكوا عن دعائهم **وعلى الله**
فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا تكون
تكرارا **وقال الذين كفروا لرسلهم** رسلنا لرسلهم ابو عمرو **لنخرجنكم**
من ارضنا من ديارنا **او لتعودن في ملتنا** اي ليكونن احد الامرين
اخراجكم او عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في
كلام العرب او خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب
الجماعة على الواحد **فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين** القول مضمرا او
اجري الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه **ولنسكننكم الارض من بعدهم**
اي ارض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره
ذلك الاهلاك والاسكان اي ذلك الامر حق **لمن خاف مقامي** موقفي
وهو موقف الحساب او المقام مقحم او خاف قيامي عليه بالعلم كقوله افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين **وخاف وعيد**
عذابي وبالياء يعقوب **واستفتحوا** واستنصروا الله على اعدائهم وهو
معطوف على اوحى اليهم **وخاب كل جبار** وخسر كل متكبر بطر **عنيد** مجانب
للحق معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل
الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق
والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه **من ورائه**
من بين يديه **جهنم** وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها
بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف **ويسقى**
معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى **من**
ماء صديد ما يسيل من جلود اهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم فبين
بقوله صديد **يتجرعه** يشربه جرعة جرعة **ولا يكاد يسيغه** ولا يقارب ان يسيغه
فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف
يراها **وياتيه الموت من كل مكان** اي اسباب الموت من كل جهة او من
كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام اي لو كان ثمة موت
لكان كل واحد منها مهلكا **وما هو بميت** لانه لو مات لاستراح **ومن ورائه**
ومن بين يديه **عذاب غليظ** اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما
قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد **مثل الذين**
مبتدا محذوف الخبر اي فيما يتلى عليكم مثل الذين **كفروا بربهم** والمثل مستعار
للصفة التي فيها غرابة وقوله **اعمالهم كرماد** جملة مستانفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد **اشتدت به الريح** الرياح
مدني **في يوم عاصف** جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم
ماطر واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب
وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها

على غير اساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصفة **لا يقدرون**
يوم القيامة **مما كسبوا** من اعمالهم **على شيء** اي لا يرون له اثرا من ثواب
كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء **ذلك هو الضلال البعيد**
اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب **الم تر** الم تعلم الخطاب
لكل احد **ان الله خلق السموات والارض** خالق مضاف حمزة وعلي **بالحق**
بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا **ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد**
اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على
خلاف شكلهم اعلاما بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم **وما ذلك**
على الله بعزيز بمتعذر **وبرزوا لله جميعا** ويبرزون يوم القيامة وانما
جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد
ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار وغير ذلك ومعنى
بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون
من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله واذا
كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية
او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه **فقال الضعفاء** في الراي
وهم السفلة والاتباع وكتب بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل
الهمزة فيميلها الى الواو **للذين استكبروا** وهم السادة والرؤسا الذين استغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم **انا كنا لكم تبعا** تابعين جمع
تابع كخادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه
تبعا **فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء** فهل تقدرون على دفع شيء
مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل فهل انتم مغنون
عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله ولما كان
قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لانهم علموا انهم لا يقدرون
على الاغناء عنهم **قالوا** لهم مجيبين معتذرين **لو هدانا الله لهديناكم**
اي لو هدانا الله الى الايمان في الدنيا لهديناكم اليه او لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة
كما سلكنا بكم سبيل الهلكة **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا** مستويان علينا الجزع
والصبر والهمزة وام للتسوية وروي انهم يقولون في النار تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه
فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم
في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ
ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر **ما لنا من محيص** منجى ومهرب
جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا

وقال الشيطان لما قضي الامر حكم بالجنة والنار لاهلهما وفرغ من الحساب
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم ما وعدكم ووعدتكم بان لا بعث ولا حساب
ولا جزاء فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط واقتدار الا ان
دعوتكم لكن دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع
لان الدعاء ليس من جنس السلطان فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني
لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم حيث اتبعتموني
بلا حجة وبرهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار
الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من
الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله اي الى الايمان لهديناكم كما مر
ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه
والاصراخ الاغاثة بمصرخيِّ حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة
والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم
اني كفرت بما اشركتمون وبالياء بصري وما مصدرية من قبل متعلق باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله
ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه
واستنكاره له كقوله انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود
لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول اشركني فلان اي جعلني
شريكا له ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من
عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله ان الظالمين لهم عذاب
اليم قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل
ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها عطف
على برزوا باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله
وامره تحيتهم فيها سلام هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة او تسليم الملائكة
عليهم الم تر كيف ضرب الله مثلا اي وضعه وبينه كلمة طيبة نصب بمضمر
اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
نحو شرّف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس وانتصب مثلا وكلمة
بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة طيبة اصلها ثابت اي في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء والكلمة الطيبة
كلمة التوحيد اصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان واكلها
عمل بالاركان وكما ان الشجر شجر وان لم يكن حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن

عاملا

عاملا ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما اقوات النار الا من الاشجار اذا
اعتادت الاخفار في عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب
مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت
صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اقولها وانا اصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة
فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم تؤتي اكلها كل حين
تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها
وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضرب
الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة هي
كلمة الكفر كشجرة خبيثة هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها
شجرة الحنظل اجتثت من فوق الارض استؤصلت جثته وحقيقة
الاجتثاث اخذ الجثة كلها وهي في مقابلة اصلها ثابت ما لها من قرار
اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول
الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت يثبت الله الذين آمنوا اي يديمهم
عليه بالقول الثابت هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله في الحياة
الدنيا حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود
وغيرهم وفي الآخرة الجمهور على ان المراد به في القبر بتلقين الجواب
وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق
عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول
الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس ويضل الله
الظالمين فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل اقدامهم
اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء فلا اعتراض
عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا
فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم اهل مكة اكرمهم
بنبيه محمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر واحلوا
قومهم الذين تابعوهم على الكفر دار البوار دار الهلاك جهنم عطف
بيان يصلونها يدخلونها وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله
اندادا امثالا في العبادة او في التسمية ليضلوا عن سبيله وبفتح الياء
مكي وابو عمرو قل تمتعوا في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال

ذو النون التمتع ان يقضي العبد ما استطاع من شهوته فان مصيركم الى
النار مرجعكم اليها قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تشريفا
يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان قل تقتضيه
مقولا وهو اقيموا وتقديره قل لهم اقيموا الصلاة يقيموا وينفقوا فحذف اللام
لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز
سرا وعلانية انتصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق
علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب من قبل ان ياتي يوم لا
بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال
المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهما مكي وبصري الباقون
بالرفع والتنوين الله مبتدا الذي خلق السموات والارض خبره وانزل
من السماء ماء من السحاب مطرا فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من
الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات او من الثمرات مفعول
اخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يجريان وهو حال من الشمس
والقمر اي يدابان في سيرهما وانارتهما ودفعهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة
لمعاشكم وسباتكم واتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض
جميع ما سالتموه او واتاكم من كل شيء سالتموه ولم تسالوه فما موصوفة والجملة
صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل
تقيكم الحر من كل عن ابي عمرو وما سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اي
اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او ما موصولة اي واتاكم من كل ذلك ما احتجتم
اليه فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها لا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها او ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان
منه واذ قال ابراهيم واذكر اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد اي البلد
الحرام امنا ذا امن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة انه قد سال فيها ان يجعله
من جملة البلاد التي يامن اهلها وفي الثاني ان يخرجه من صفة الخوف الى الامن
كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبعدني اي ثبتني وادمني على
اجتنابه عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اي ثبتنا على الاسلام وبني
اراد بنيه من صلبه ان نعبد الاصنام من ان نعبد رب انهن اضللن كثيرا من
الناس جعلن مضلات نسبة على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي

لفرط

لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم او
ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وامن ربنا اني اسكنت
من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة
غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط عند بيتك المحرم هو بيت الله
سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه او لانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار او لانه محترم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا
لانه اعتق منه ربنا ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس
ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم والترك والهنود او للابتداء كقولك القلب مني سقيم
تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس ونكر المضاف اليه في التمثيل لتنكير افئدة
لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع اليهم
وتطير نحوهم شوقا وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه
شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد الشاسعة لعلهم يشكرون النعمة
في ان يرزقوا انواع الثمرات في واد ليس فيه شيء من الشجر ولا ما ربنا
النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن
تعلم السر كما تعلم العلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام او من كلام ابراهيم
ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر على بمعنى مع وهو في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير اسمعيل
واسحاق روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له
اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروي انه ولد له اسمعيل لاربع
وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها
اعظم لانها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس
من اجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابراهيم ان ربي
لسميع الدعا لمجيب الدعا من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة
والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وساله الولد فقال
رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته واضافة السميع
الى الدعا اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه
فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم اباه
رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب
في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن
ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى ان

تقوم الساعة ربنا وتقبل دعاء بالياء في الوصل والوقف مكي ووافقه
ابو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء اي استجب دعائي او عبادتي
واعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي اي ادم وحوا
او قاله قبل النهي والياس عن ايمان ابويه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
اي يثبت او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا مثل واسال القرية
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته
عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر وكما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون
لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد
كقوله والله بما تعملون عليم انما يؤخرهم اي عقوبتهم ليوم تشخص فيه
الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء صفر من الخير لا تعي شيئا من الخوف
والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء
اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة وقيل جوف لا عقول لهم وانذر
الناس يوم ياتيهم العذاب اي يوم القيامة وهو مفعول ثان لانذر لا ظرف
اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم فيقول الذين ظلموا اي الكفار ربنا
اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اي ردنا الى الدنيا
وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة
دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال اي حلفتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا
تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب
كقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال او اريد باليوم
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسالون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل
قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديه بفي نحو
قر في الدار واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن
الدار كما قيل تبواها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها
واطمانوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا
يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة وفاعله مضمر دل عليه

الكلام

الكلام اي تبين لكم حالهم وكيف ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله
وانما نصب كيف بقوله فعلنا بهم اي اهلكناهم وانتقمنا منهم وضربنا لكم
الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة
لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
وهو ما فعلوا من تاييد الكفر وبطلان الاسلام وعند الله مكرهم
هو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم الذي
يمكرهم به وهو عذابهم الذي ياتيهم من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان
وقع مكرهم لزوال امر النبي عليه السلام فعبر عن امر النبي بالجبال لعظم
شانه وكان ناهية اي ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله
وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود
وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية علي اي وان كان مكرهم
من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها فان مخففة من
ان واللام مؤكدة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي مخلف مفعول ثان لتحسب واضاف مخلف
الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده
وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا
فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وانتصاب يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات على الظرف للانتقام او على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه
الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات
غير السموات وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون
في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف
في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها
وتفجر بحارها وتستوي فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق
بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود يحشر الناس على ارض بيضاء لم
يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات
من ذهب وبرزوا وخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار هو كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة وترى المجرمين

الكافرين **يومئذ** يوم القيامة **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين
او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين **في الاصفاد** متعلق بمقرنين اي
يقرنون في الاصفاد او غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد
القيود او الاغلال **سرابيلهم** قمصهم **من قطران** هو ما يتحلب من شجر
يسمى الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
ومن شانه انه يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح
فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم
لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكلما وعده
الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره
وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه
وعذابه من قطر آن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه **وتغشى**
وجوههم النار تعلوها باشتعالها وخص الوجه لانه اعز موضع في الجسد
في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة **ليجزي الله كل**
نفس ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه
يثيب المؤمنين بطاعتهم **ان الله سريع الحساب** يحاسب جميع العباد
في اسرع من لمح البصر **هذا** اي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب
بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة **ولينذروا به** بهذا البلاغ وهو
معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا **وليعلموا انما هو اله واحد**
لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله **وليذكر اولوا الالباب** ذووا العقول والله اعلم

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة
من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم
والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل
الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان **ربما** بالتخفيف مدني وعاصم
وبالتشديد غيرهما وما هي الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم
النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي وانما جاز **يود الذين كفروا**
لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه وكانه
قيل ربما ود وودادتهم تكون عند النزع او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم
وحال المسلمين او اذا راوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان
مسلما كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما **لو كانوا مسلمين** حكاية ودادتهم
وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو
قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قلل برب لان

اهوال

اهوال القيامة تشغلهم عن التمني فاذا افاقوا من سكرات العذاب ودوا
لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعني بها الكثير سهو لانه ضد
ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل **ذرهم** امر اهانة اي اقطع
طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة وخلهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم **ويلههم الامل** ويشغلهم املهم وامانيهم عن
الايمان **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ
والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين **وما اهلكنا**
من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية
والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة
بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تاكيدا لذلك والوجه ان تكون هذه الجملة
حالا لقرية لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل وما اهلكنا قرية من القرى
الا وصفا وقوله كتاب معلوم اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في
اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله **ما تسبق من امة اجلها** في موضع كتابها
وما يستاخرون عنه وحذف لانه معلوم وانث الامة اولا ثم ذكرها
اخرا حملا على اللفظ والمعنى **وقالوا** اي الكفار **يا ايها الذي نزل عليه الذكر**
اي القرآن **انك لمجنون** يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم
على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم
للاستهزاء والتهكم شايع ومنه فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر
لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لامتناع
الشيء لوجود غيره او للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى
هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب
على تكذيبنا ان كنت صادقا **ما تنزل الملائكة** كوفي غير ابي بكر تتنزل الملائكة
ابو بكر تنزل الملائكة اي تتنزل غيرهم **الا بالحق** الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة
وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا
الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم **انا نحن نزلنا الذكر** القرآن **وانا له**
اي للقرآن **لحافظون** وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع
وانه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من
الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول
حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا
فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون
دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق

عليه الزيادة والنقصان كما تتطرق على كل كلام سواء او الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون يعزي نبيه عليه السلام كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي كما سلكنا الكفر والاستهزاء في شيع الاولين نسلكه اي الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين من امتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال لا يؤمنون به بالله او بالذكر وهو حال وقد خلت سنة الاولين مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ولو اظهرنا لهم اوضح اية وهو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا حيرت او حبست من الابصار من السكر او من السكر سكرت مكي اي حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك او الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا خلقنا فيها بروجا نجوما او قصورا فيها الحرس او منازل للنجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها السماء من كل شيطان رجيم ملعون او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء فاتبعه شهاب نجم ينقض فيعود مبين ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها والارض مددناها بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء والقينا فيها رواسي في الارض جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة والنعمة او ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها في الارض معايش ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح اليا فيها خطا ومن لستم له برازقين من في محل النصب بالعطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين

واراد

واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة اي وارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حمزة فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه من قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على قدرته وعجزهم وانا لنحن نحيي بالايجاد ونميت بالافناء او نميت عند انقضاء الاجال ونحيي لجزاء الاعمال على التقديم والتاخير اذ الواو للجمع المطلق ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من تقدم ولادة وموتا ومن تاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام او في الطاعة او في صف الجماعة او في صف الحرب ومن تاخر وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم ولقد خلقنا الانسان اي ادم من صلصال طين يابس غير مطبوخ من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما اي طين اسود متغير مسنون مصور وفي الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حما فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض والجان ابا الجن كادم للناس او هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره خلقناه من قبل من قبل ادم من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك للملائكة واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته اتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي وجعلت فيه الروح واحييته وليس ثمة نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع اي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل فسجد الملائكة كلهم اجمعون فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص كلهم وذكر الكل

احتمل تاويل التفرق فقطعه بقوله اجمعون الا ابليس ظاهر الاستثنا يدل على
انه كان من الملايكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن
ان الاستثنا منقطع ولم يكن هو من الملايكة قلنا غير المامور لا يصير بالترك
ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملايكه
ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا ابى ان يكون مع الساجدين
امتنع ان يكون معهم وابى استيناف على تقدير قول قايل يقول هلا سجد
فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس
ما لك الا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان
لا تكون مع الساجدين اي اي غرض لك في ابايك السجود قال لم اكن لاسجد
اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من
حما مسنون قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او من جملة الملايكة
فانك رجيم مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة لان الطرد من
الرحمة والابعاد منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين ضرب يوم الدين
حد اللعنة لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم او المراد به انك مذموم
مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب
فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه قال رب فانظرني فاخرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين
ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات
سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه
يبعثون ليلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر
الى اخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب
القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم المعاصي ونحو
قوله بما اغويتني لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان
احدهما اقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقها
بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة
يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان
مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والاية
حجة على المعتزلة في خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر
في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور واراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين
له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين في الارض اقدر
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبكسر اللام مكي وبصري
وشامي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه
قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون
لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى

على الى علي يقرب من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم اجمعين
الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس جزء مقسوم
نصيب معلوم مفرز قيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاه للموحدين
يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابيين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
ان المتقين في جنات وعيون وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي
على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاوه مما نهي عنه وقال في الشرح ان
دخل اهل الكباير في قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكباير والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك
ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها بسلام حال اي سالمين او مسلما عليكم
تسلم عليكم الملايكه امنين من الخروج منها والافات فيها هو حال اخرى
ونزعنا ما في صدورهم من غل وهو الحقد الكامن في القلب اي ان كان
لاحدهم غل في الدنيا على اخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب
نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات
في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا حال
على سرر متقابلين لذلك قيل تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون
في جميع احوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا لا يمسهم فيها نصب في الجنة
تعب وما هم منها بمخرجين فتمام النعمة بالخلود ولما اتم ذكر الوعد
والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو
العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس قال عليه السلام
لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه
لبخع نفسه في العبادة ولما اقدم على ذنب وعطف ونبيهم واخبرهم
على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون
بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو
العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم اي اضيافه وهو جبريل مع احد عشر
ملكا والضيف يجي واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال اي ابراهيم
انا منكم وجلون خايفون لامتناعهم من الاكل ولدخولهم بغير اذن
وبغير وقت قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل
للنهي عن الوجل اي انك مبشر امن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون
حمزة بغلام عليم هو اسحاق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحاق
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي ابشرتموني مع مس الكبر بان
يولد لي اي ان الولادة امر مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون
هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فباي اعجوبة

تبشرون وبكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشرونني فادغم نون
الجمع في نون العماد ثم حذفت اليا وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون
بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت اليا اجتزاء بالكسرة وحذف
نون الجمع لاجتماع النونين الباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون
نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه فلا تكن من
القانطين من الايسين من ذلك قال ابراهيم ومن يقنط وبكسر النون
بصري وعلي من رحمة ربه الا الضالون الا المخطئون طريق الصواب او
الا الكافرون لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي لم
استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
قال فما خطبكم فما شانكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
اي قوم لوط الا آل لوط يريد اهله المؤمنين والاستثنا منقطع لان القوم
موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك او متصل فيكون استثنا
من الضمير في مجرمين كانه قيل الا قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط
وحدهم والمعنى تختلف باختلاف الاستثنايين لان آل لوط مخرجون
في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم ارسلوا الى القوم المجرمين
خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين
كارسال السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل
انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم
داخلون في حكم الارسال يعني ان الملايكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا
هولاء وينجوا هولاء واذا انقطع الاستثنا جرى انا لمنجوهم اجمعين
مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا
اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل
لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم
وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما
اتحد الحكم فيه بان تقول اهلكناهم الا آل لوط الا امراته وهنا قد
اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته تعلق
بمنجوهم فكيف يكون استثنا من استثنا لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي
قدرنا وبالتخفيف ابوبكر انها لمن الغابرين الباقين في العذاب قيل لو لم
تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا
ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند الملايكة فعل
التقدير الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك
امرنا بكذا والامر هو الملك فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم
منكرون اي لا اعرفكم اي ليس عليكم زي السفر ولا انتم من اهل الحضر فاخاف
ان تطرقوني بشر قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جيناك بما
تنكرنا لاجله بل جيناك بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك وهو

العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه اي يشكون ويكذبونك
واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم
فاسر باهلك بقطع من الليل في آخر الليل او بعد ما يمضي شي صالح من الليل
واتبع ادبارهم وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم ولا يلتفت
منكم احد لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم او جعل
النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف
لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون
حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر وقضينا اليه ذلك الامر
عدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره
تفخيم للامر ودابرهم آخرهم اي يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم
احد مصبحين وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هولاء وجاء اهل
المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون بالملايكة
طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط ان هولاء ضيفي فلا تفضحون
بفضيحة ضيفي لان من اسي الى ضيفه فقد اسي اليه واتقوا الله ولا
تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وباليا فيهما
يعقوب قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع
عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي
عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين او عن ضيافة الغربا قال هولاء بناتي
فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جايزا ولا تتعرضوا لهم
ان كنتم فاعلين ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون
ما حرم فقالت الملايكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم
اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه
وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك او الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته واقسم بحياة احد
تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم
بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة دور الحلف على السنتهم ولذا حذفوا
الخبر وتقديره لعمرك قسمي فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها
رفعها جبريل عليه السلام الى السما ثم قلبها وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين كانهم يعرفون
باطن الشي بسمة ظاهره وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار و

وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لاية
للمؤمنين لانهم المنتفعون بذلك وان كان اصحاب الايكة وان الامر
والشان كان اصحاب الايكة اي الغيضة لظالمين لكافرين وهم قوم
شعيب عليه السلام فانتقمنا منهم فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا وانهما
يعني قري قوم لوط والايكة لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم
ما يوتم به فسمي به الطريق ومطمر البنا لانهما مما يوتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين
يعني بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا
فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين
كما قال الخبيبون في ابن الزبير واصحابه واتيناهم اياتنا فكانوا عنها
معرضين اي اعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
اي ينقبون في الجبال او يبنون من الحجارة امنين لوثاقة البيوت واستحكامها
من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء او امنين من عذاب الله يحسبون
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة العذاب مصبحين في اليوم الرابع
وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
واقتناء الاموال النفيسة وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة اي القيامة لتوقعها كل ساعة لاتية
وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسياتهم
فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل
فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ باية السيف وان
اريد به المخالفة لا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق اي خلقك وخلقهم
العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم ولقد
اتيناك سبعا اي سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول
واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم
التسمية بينهما وقيل سورة يونس او اسباع القران من المثاني هي من التثنية
وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر في الصلاة او من الثناء لاشتمالها
على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية واما السور والاسباع
فلما وقع فيها من تكرر القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء
كانها تثني على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت
القران مثاني فمن للتبعيض والقران العظيم هذا ليس بعطف الشيء على
نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم
القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما اوحينا اليك
هذا القران يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد
اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين

النعتين وهو التثنية او الثنا والعظم ثم قال لرسوله لا تمدن عينيك
لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اي
اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى
التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القران العظيم فعليك
ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا
من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا
اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ولا تحزن
عليهم اي لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام والمسلمون واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لمن معك
من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير
المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا متعلق
بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم
اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة
فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق
موافق للتوراة والانجيل وبعضه مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل
وعضوه وقيل كانوا يستهزؤون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي
ويقول الاخر سورة ال عمران لي او اريد بالقران ما يقرؤونه من
كتبهم وقد اقتسموه فاليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض
والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون جعلوا
القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤون القران
الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد في كل مدخل متفرقين
لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن
عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه كان ذلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدد لمعنى
التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن
الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا
يعملون اقسم بذاته وربوبيته ليسالن يوم القيامة واحدا واحدا من
هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القران
او في كتب الله فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر او فاصدع فافرق بين الحق
والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر به من الشرائع
فحذف الجار كقوله ❊ امرتك الخير فافعل ما امرت به ❊ واعرض عن
المشركين هو امر استهانة بهم انا كفيناك المستهزئين الجمهور على انها

نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فاهلكهم الله وهو الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه والعاص بن وايل دخل في اخمصه
شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمي والاسود بن
عبد يغوث جعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
والحارث بن قيس امتخط قيحا حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها**
اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم يوم القيامة **ولقد نعلم انك يضيق**
صدرك بما يقولون فيك او في القران او في الله **فسبح بحمد ربك وكن من**
الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدايم
وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم **واعبد ربك** ودم على عبادة
ربك **حتى ياتيك اليقين** اي الموت يعني ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة
وكان النبي عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة والله الموفق للصواب
سورة النحل مكية وهي مائة وثمانية وعشرون اية بصري وسبع مدني
بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا به من قيام
الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم
اتى امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه
فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك
او عن اشراكهم فما موصولة او مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من
حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك **تنزل الملايكة**
بالتخفيف مكي وابو عمرو **بالروح** بالوحي او بالقران لان كلا منهما يقوم في
الدين مقام الروح في الجسد او يحيي القلوب الميتة بالجهل **من امره على**
من يشاء من عباده ان انذروا ان مفسرة لان تنزيل الملايكة بالوحي فيه معنى
القول ومعنى انذروا **انه لا اله الا انا فاتقون** اعلموا بان الامر ذلك
من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون
فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر
مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله **خلق السموات**
والارض بالحق تعالى عما يشركون وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان
وما يكون منه وهو قوله **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين**
اي فاذا هو منطيق يجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعد ما كان
نطفة لا حس به ولا حركة او فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من
يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران
النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهايم لاكله وركوبه وجر اثقاله
وساير حاجاته وهو قوله **والانعام خلقها لكم** هي الازواج الثمانية
واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بفعل يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه
او بالعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم

اي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان **فيها دفء** هو اسم ما يدفا به من لباس
معمول من صوف او وبر او شعر **ومنافع** وهي نسلها ودرها **ومنها**
تاكلون قدم الظرف وهو يوذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها لان
الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل
من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه **ولكم فيها جمال حين تريحون** تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون** ترسلونها بالغداة الى مسارحها
من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب
المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت
باراحتها وتسريحها الافنية وفرحت اربابها وكسبتهم الجاه والحرمة
عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع **وتحمل اثقالكم** احمالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وبفتح الشين ابو جعفر وهما
لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا
وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد والمعنى وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا
على ظهوركم اثقالكم او معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس
وقيل اثقالكم ابدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه اخرجت
الارض اثقالها اي بني ادم **ان ربكم لرءوف رحيم** حيث رحمكم بخلق
هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح **والخيل والبغال والحمير لتركبوها**
وزينة عطف على الانعام اي وخلق هولاء للركوب والزينة وقد
احتج ابو حنيفة رحمه الله على حرمة اكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب
والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل اقوى
والاية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر في موضع المنة
ادنى النعمتين ويترك اعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا
على محل لتركبوها **ويخلق ما لا تعلمون** من اصناف خلايقه وهو قوله
ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه يتعالى عن ان يشرك به غيره
وعلى الله قصد السبيل المراد به الجنس ولذا قال **ومنها جاير** والقصد
مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
كانه يقصد الوجه الذي هو يومه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان
هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك
للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه
والى الله قصد السبيل وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق
المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جاير ومن السبيل مايل عن الاستقامة

ولو شاء لهداكم اجمعين اراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى
العام **هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب** لكم متعلق بانزل
او خبر لشراب وهو ما يشرب **ومنه شجر** يعني الشجر الذي ترعاه المواشي **فيه**
تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهي
من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض **ينبت لكم به الزرع**
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات
لان كلها لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته
والاية الدالة الواضحة **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره**
بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات رفعا حفص
والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي على الابتداء والخبر **ان في ذلك لايات**
لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة
على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ لكم في الارض**
معطوف على الليل والنهار اي ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك
مختلفا الوانه حال **ان في ذلك لاية لقوم يذكرون** يتعظون **وهو الذي**
سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وهو السمك ووصفه بالطراوة
لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث
باكله اذا حلف لا ياكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه
اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار **وتستخرجوا**
منه حلية هي اللؤلؤ والمرجان **تلبسونها** المراد بلبسهم لبس نسائهم
ولكنهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم **وترى الفلك مواخر**
جواري تجري جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها
فيه في البحر **ولتبتغوا من فضله** هو معطوف على محذوف اي لتعتبروا
ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة **ولعلكم تشكرون** الله على ما انعم به
عليكم **والقى في الارض رواسي** جبالا ثوابت **ان تميد بكم** كراهة ان تميد
بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف اكثر قيل خلق الارض
فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت **وانهارا** وجعل فيها انهارا
لان القى فيه معنى جعل **وسبلا** طرقا **لعلكم تهتدون** الى مقاصدكم
او الى توحيد ربكم **وعلامات** هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة
من جبل وغير ذلك **وبالنجم هم يهتدون** المراد بالنجم الجنس او هو الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا فلهم
اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان

الشكر

الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا **افمن يخلق** اي الله تعالى
كمن لا يخلق اي الاصنام وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها
الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم ولان المعنى ان من يخلق ليس
كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده وانما لم يقل افمن لا يخلق
كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان
وسموها الهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته
باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر
عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ما انتم عليه **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من
اداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر
ولا يعد **ان الله لغفور رحيم** يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة
ولا يقطعها عنكم لتفريطكم **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من اقوالكم
وافعالكم وهو وعيد **والذين يدعون** والالهة التي يدعوها الكفار **من دون**
الله وبالتاء غيرهم **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات** اي هم اموات
غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم
خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق
بانهم مخلوقون اموات جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو
كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليهم الموت
وامرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى
تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف
يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث
الهكم اله واحد اي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم
واحد **فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة** للوحدانية **وهم مستكبرون**
عنها وعن الاقرار بها **لا جرم** حقا **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** اي
سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد لهم **انه لا يحب المستكبرين** عن
التوحيد يعني المشركين **واذا قيل لهم** لهؤلاء الكفار **ماذا انزل ربكم قالوا**
اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء
اي اي شيء انزله ربكم واساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على
رسول الله قالوا اساطير الاولين اي احاديث الاولين واباطيلهم واحدتها
اسطورة واذا راوا اصحاب رسول الله يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين
قالوا خيرا **ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم**
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل **بغير علم**

حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال الا ساء ما يزرون بئس شيئا
يزرونه قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد اي من جهة
القواعد وهي الاساطين وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها
رسل الله فجعل الله تعالى هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا
وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط
عليهم السقف وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمرود بن كنعان حين
بنى الصرح طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا فاتى الله اي امره بالاستئصال فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا
به في الدنيا ويقول اين شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المؤمنين في شانهم تشاقون نافع اي تشاقونني لان
مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء
والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون
اليهم ويستحقرونهم فيقولون ذلك شماتة بهم او هم الملائكة ان الخزي
اليوم الفضيحة والسوء العذاب على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة
وبالياء حمزة وكذا ما بعده ظالمي انفسهم بالكفر فالقوا السلم اي الصلح او
الاستسلام اي اخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق
وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعدوان
فرد عليهم اولوا العلم وقالوا بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا وانما نصب هذا ورفع اساطير لان التقدير هنا انزل خيرا فاطبقوا
الجواب على السؤال وثمة التقدير هو اساطير الاولين فعدلوا بالجواب
عن السؤال للذين احسنوا في هذه الدنيا اي امنوا وعملوا الصالحات او قالوا
لا اله الا الله حسنة بالرفع اي ثواب وامن وغنيمة وهو بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا
ثم حكاه او هو كلام مستانف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم
ولدار الاخرة خير اي لهم في الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص
بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف او هي المخصوص بالمدح
يدخلونها حال تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله
المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن

جاه

جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره
بالجنة ويقال لهم في الاخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم هل
ينظرون ما ينتظر هؤلاء الكفار الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وبالياء حمزة وعلي او ياتي امر ربك اي العذاب المستاصل او القيامة
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما
ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا
به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا هذا الكلام صدر منهم
استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا ولا حرمنا من دونه من شيء يعني
البحيرة والسائبة ونحوها كذلك فعل الذين من قبلهم اي كذبوا الرسل
وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء فهل على الرسول الا البلاغ المبين
الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله بان وحدوه واجتنبوا الطاغوت الشيطان يعني طاعته
فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت
لاختياره اياها فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين حيث
اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ايمانهم واعلمه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة
فقال ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل بفتح الياء وكسر الدال
كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتدا ولا يهدي
خبره وما لهم من ناصرين ينفعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون
عنهم عذابه الذي اعد لهم واقسموا بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال
الذين اشركوا لا يبعث الله من يموت بلى هو اثبات لما بعد النفي اي بلى
يبعثهم وعدا عليه حقا هو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله
وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان وعده حق او
انهم يبعثون ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم
والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين الذي يختلفون فيه
هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من
يموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي فهو يكون
وبالنصب شامي وعلي على جواب كن قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن
فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود
شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة
عن سرعة الايجاد يبين ان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته
غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور
المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى

بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات
والذين هاجروا في الله في حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا هم اصحاب
رسول الله ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى
الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة
لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اي تبوئة حسنة او لنبوئنهم
مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم ولاجر الاخرة اكبر
الوقف لازم عليه لان جواب لو كانوا يعلمون محذوف والضمير للكفار
اي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين او للمهاجرين لو كانوا يعلمون لزادوا في
اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا
وكلاهما مدح اي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب
في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل
الارواح في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون الامر الى ربهم
ويرضون بما اصابهم في دين الله ولما قالت قريش الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا نزل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
على السنة الملائكة يوحي حفص فاسالوا اهل الذكر اي اهل الكتاب
ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر
لانه موعظة وتنبيه للغافلين ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر
اي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له اي رجالا متلبسين
بالبينات او بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات او بيوحي
اي يوحي اليهم بالبينات او بلا تعلمون وقوله فاسالوا اهل الذكر اعتراض
على الوجوه المتقدمة وانزلنا اليك الذكر القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا به واوعدوا ولعلهم يتفكرون
في تنبيهاته فينتبهوا افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات
وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله ان يخسف الله بهم الارض
كما فعل بمن تقدمهم او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي بغتة او
ياخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين
او ياخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فياخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله
من حيث لا يشعرون فان ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا
يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم ياخذكم مع ما فيكم فانما
رافته تقيكم ورحمته تحميكم اولم يروا وبالتاء حمزة وعلي وابو بكر
الى ما خلق الله ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه يتفيؤ ظلاله
اي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري عن اليمين اي الايمان
والشمائل جمع شمال سجدا لله حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت
الشمس سجد كل شيء وهم داخرون صاغرون وهو حال من الضمير

في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله في كل شيء له ظل وجمع بالواو
والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل
فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال
متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي ترجع الظلال من جانب الى جانب
منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام
في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة من بيان لما في السموات
وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب
الاناسي في الارض او بيان لما في الارض وحده والمراد بما في
السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم
انقياده لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز ان
يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما لانه هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء
بمن لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم هو حال
من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين من فوقهم
ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون
وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي وانهم
بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد
فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندي رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد
الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة
الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى
الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما هو العدد شفع بما يؤكده
فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو
اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية
فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة
الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه فارهبوني
بيعقوب وله ما في السموات وما في الارض وله الدين اي الطاعة
واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم
عليه وهو حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دائما يعني الثواب
والعقاب افغير الله تتقون وما بكم من نعمة واي شيء اتصل بكم من
نعمة عافية وغنى وخصب فمن الله فهو من الله ثم اذا مسكم الضر
المرض والفقر والجدب فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار

رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون الخطاب في وما بكم من نعمة ان كان عاماً
فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم
للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان
يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة ثم اوعدهم فقال فتمتعوا فسوف تعلمون هو عدول
من الخطاب على التهديد ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم
اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها
انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لا تنفع ولا
تضر والضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم
ولا تشعر اجعلوا لها نصيباً في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون
لهم ذلك تقرباً اليهم تالله لتسألن وعيد عما كنتم تفترون انها آلهة
وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه
او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما الرفع
على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً اي صار فظل وامسى واصبح
وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره
مغتماً مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقاً
على المرأة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يستخفي منهم من اجل سوء
المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه على هون اي ايمسك
ما بشر به على هون وذل ام يدسه في التراب اي يئده الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم
من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة
السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن
صفات المخلوقين وهو العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم في امهال
العباد ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما من دابة من مشرك يدب ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
اي اجل كل احد او وقت تقتضيه الحكمة او القيامة فاذا جاء اجلهم

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون ما يكرهونه
لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم
ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك اي ويقولون الكذب ان لهم الحسنى عند الله وهي الجنة ان
كان البعث حقاً كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وان
لهم الحسنى بدل من الكذب لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون
مفرطون نافع مفرطون ابو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار
معجلون اليها من افرطت فلاناً وفرطته في طلب الماء اذا قدمته او
منسيون متروكون من افرطت فلاناً خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور
المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
اي التقصير فيها تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي ارسلنا رسلاً
الى من تقدمك من الامم فزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والتكذيب
بالرسل فهو وليهم اليوم اي قرينهم في الدنيا تولى اضلالهم بالغرور والضمير
لمشركي قريش اي زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم او
هو على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم
في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين لهم للناس
الذي اختلفوا فيه هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به وهدى ورحمة
معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا
الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل
لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه
فكانه لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وبفتح النون
نافع وشامي وابو بكر قال الزجاج سقيته واسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه
الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال ولذا رجع الضمير اليه مفرداً
واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف
كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً
خالصاً اي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من
ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته
فكان اسفله فرثاً واوسطه لبناً واعلاه دماً والكبد مسلطة على هذه
الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى
الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن
الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغاً للشاربين سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط ومن
الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية

وتتعلق ومن ثمرات النخيل والاعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من
ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه
وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او بتتخذون
ومنه من تكرير للظرف للتوكيد والضمير في منه يرجع الى المضاف المحذوف
الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو
رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان احدهما ان تكون الاية سابقة على
تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة وابي يوسف
رحمهما الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر
حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ورزقا حسنا هو الخل
والرب والزبيب وغير ذلك ان في ذلك لاية لقوم يعقلون واوحى ربك
الى النحل والهم ان اتخذي من الجبال بيوتا هي اذ المفسرة لان الايحا
فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتانيث
باعتبار هذا ومن في من الجبال ومن الشجر ومما يعرشون يرفعون
من سقوف البيت اوما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن
التي تتعسل فيها للتبعيض لانها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش
والضمير في يعرشون للناس وبضم الراء شامي وابوبكر ثم كلي من كل الثمرات
اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك
فادخلي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او واذا اكلت الثمار في المواضع
البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ذللا
جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها او من الضمير
فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب
يريد العسل لانه مما يشرب ثم فيه مختلف الوانه من ابيض واصفر
واحمر من الشباب والكهول والشيب او على الوان اغذيتها فيه شفا للناس
لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا
فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره
لتعظيم الشفاء الذي فيه اولان فيه بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات
تخص وشكى رجل استطلاق بطن اخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا
فجاه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك
اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء
والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفائين القران والعسل ومن بدع
الروافض ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي
انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك
وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه

اضحوكه من اضاحيكهم ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون في عجيب امرها
فيعلم ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقول
عقولهم والله خلقكم ثم يتوفاكم بقبض ارواحكم من ابدانكم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة او ثمانون او تسعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا لينسى
ما يعلم او لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بحكم التحويل
الى الارذل من الاكمل والى الافنا من الاحيا قدير على تبديل
ما يشاء كما يشاء من الاشياء والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم
وهم بشر مثلكم فما الذين فضلوا في الرزق يعني الملاك برادي
يعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فكان ينبغي ان تردوا فضل
ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم فهم فيه سوا جملة
اسمية وقعت في جملة فعلية لانه جواب النفي بالفاء وتقديره
فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا مع
عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء ولا ترضون
ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء افبنعمة
الله يجحدون وبالتاء ابوبكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في
الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل هم اولاد
الاولاد او المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم
ويعينونكم ورزقكم من الطيبات اي بعضها لان كل الطيبات
في الجنة وطيبات الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وشفاعتها وبنعمة الله
اي الاسلام هم يكفرون او الباطل الشيطان والنعمة محمد
عليه السلام او الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة
والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي الصنم
جماد لا يملك ان يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى
ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا اي لا يملك ان يرزق
شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه اي قليلا ومن السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا اي لا يرزق من السموات مطرا
ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في قوله ولا
يستطيعون للالهة لانه في معنى الالهة بعدما قال لا يملك على اللفظ

والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم **فلا تضربوا لله الامثال** فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له اي فلا تجعلوا له شركا **ان الله يعلم** انه لا مثل له من الخلق **وانتم لا تعلمون** ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك والوجه الاول ثم ضرب المثل فقال **ضرب الله مثلا عبدا** هو بدل من مثلا **مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا** مصدران في موضع الحال اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد بالمملوك ليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليميز من المكاتب والماذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اي وحرا رزقناه ليطابق عبدا او موصولة **هل يستوون** جمع الضمير لارادة الجمع اي لا يستوي القبيلان **الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون** ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء** الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم **وهو كل على مولاه** اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله **اينما يوجهه لا يات بخير** حيث ما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح **هل يستوي هو ومن يامر بالعدل** اي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير **وهو** في نفسه **على صراط مستقيم** على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من اثار رحمته ونعمه وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع **ولله غيب السموات والارض** اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب من اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم **وما امر الساعة** في قرب كونها وسرعة قيامها **الا كلمح البصر** كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان اقل منه **او هو** اي الامر **اقرب** وليس هذا الشك للمخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتقاد وقيل بل هو اقرب **ان الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال **والله اخرجكم من بطون امهاتكم** وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في امات للتوكيد كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة **لا تعلمون شيئا** حال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون** اي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا لا ان لازالة الجهل الذي ولدتم عليه

واجتلاب

واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها **الم يروا** وبالتاء شامي وحمزة **الى الطير مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك **في جو السماء** هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو **ما يمسكهن** في قبضهن وبسطهن ووقوفهن **الا الله** بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية **ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** بان الخلق لا غنى به عن الخالق **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** هو فعل بمعنى مفعول اي يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** هي قباب الادم **تستخفونها** ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل **يوم ظعنكم** بسكون العين كوفي وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال **ويوم اقامتكم** قراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت **ومن اصوافها** اي اصواف الضان **واوبارها** واوبار الابل **واشعارها** واشعار المعز **اثاثا** متاع البيت **ومتاعا** وشيئا ينتفع به **الى حين** مدة من الزمان **والله جعل لكم مما خلق ظلالا** كالاشجار والسقوف **وجعل لكم من الجبال اكنانا** جمع كن وهو ما يستر من كهف وغار **وجعل لكم سرابيل** هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن **تقيكم الحر** وهي تقي البرد ايضا الا انه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر اهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا **وسرابيل تقيكم باسكم** ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والباس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد او غيره **كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له **فان تولوا** اعرضوا عن الاسلام **فانما عليك البلاغ المبين** اي فلا تبعة عليك في ذلك لان الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت **يعرفون نعمة الله** التي عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله **ثم ينكرونها** بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم او في الشدة ثم في الرخاء **واكثرهم الكافرون** اي الجاحدون غير المعترفين او نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم تدل على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر **ويوم** انتصابه باذكر **نبعث** نحشر **من كل امة شهيدا** نبيها يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا** في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم

ون

فلا يتركون الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى
ثم انهم يمنون اي يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم
منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء
بحجة واذا راى الذين ظلموا كفروا العذاب فلا يخفف عنهم اي العذاب
بعد الدخول ولا هم ينظرون يمهلون قبله واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم اوثانهم التي عبدوها قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا اي الهتنا التي
جعلناها شركاء الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبد فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا لا تعرف
من عبدها ويحتمل انهم كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله من
الشرك والقوا يعني الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم القاء السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم
وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا عن
سبيل الله وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اي عذابا
بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
الناس بالصد ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم
لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين
اما في الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة او بالاجماع
او بقول الصحابي او بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث امرنا
فيه باتباع رسوله وطاعته بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحثنا
على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه بقوله اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد
والقياس مع انه امرنا به بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار فكانت السنة
والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين
انه كان تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ودلالة الى الحق
ورحمة لهم وبشارة بالجنة لهم ان الله يامر بالعدل بالتسوية في الحقوق
فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه والاحسان الى من
اساء اليكم او هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط
فيجبره الندب وايتاء ذي القربى واعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم
وينهى عن الفحشاء عن الذنوب المفرطة في القبح والمنكر ما تنكره العقول
والبغي طلب التطاول بالظلم والكبر يعظكم حال او مستانف لعلكم
تذكرون تتعظون بمواعظ الله وهذه الاية سبب اسلام عثمان

بن مظعون فانه قال ما كنت اسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة
ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الاسلام في قلبي حتى نزلت
هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد
بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه
لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال ابو جهل ان الهه
ليامر بمكارم الاخلاق وهي اجمع اية في القران للخير والشر ولذا
يقراها كل خطيب على المنبر في اخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل
مامور ومنهي واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هي البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة بعد توكيدها بعد توثيقها باسم
الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال
المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون من البر والحنث
فيجازيكم به ولا تكونوا في نقض الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته
انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة وكانت حمقاء
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما
غزلن تتخذون ايمانكم حال كانكاثا دخلا احد مفعولي اتخذ اي
ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة وخيانة ان تكون امة
بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة من المؤمنين هي اربى مبتدا وخبر في موضع الرفع
صفة لامة وامة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل لوقوعها
بين نكرتين انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اي انما يختبركم بكونهم
اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش
وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم
فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه
تحذير على مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة
مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار الضلال ويهدي من
يشاء من علم منه اختيار الهداية ولتسالن عما كنتم تعملون يوم القيامة
فتجزون به ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظمه فتزل قدم بعد ثبوتها
فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها وانما وحدت القدم
ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت
عليه فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم

يصدّدكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين او بصدكم غيركم لانهم
لو نقضوا الايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون
بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله
وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا كان قوما ممن اسلم
بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم
المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما
بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله انما عند الله ان ما عند الله من
ثواب الاخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وليجزين وبالنون مكي
وعاصم الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى من مبهم تبيين ول
النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر او انثى ليعم الموعد
النوعين جميعا وهو مؤمن شرط الايمان لان اعمال الكفار غير معتد بها
وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان فلنحيينه حياة طيبة اي في
الدنيا لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعده الله
ثواب الدنيا والاخرة لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب
عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره
بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان
يتهنا بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة او حلاوة الطاعة
او المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على امر الله
والاعراض عما سوى الله فاذا قرأت القران فاذا اردت قراءة القران
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء
للتعقيب ان القراءة المجزية بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور من
الشيطان يعني ابليس الرجيم المطرود الملعون قال ابن مسعود
رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام انه ليس له لابليس
سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فالمؤمن
المتوكل لا يقبل منه وساوسه انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه
وليا ويتبعون وساوسه والذين هم به مشركون الضمير يعود الى
ربهم او الى الشيطان اي بسببه واذا بدلنا اية مكان اية تبديل
الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة
راها وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل وبالتخفيف مكي وابو عمرو

قالوا

قالوا انما انت مفتر هو جواب اذا وقوله والله اعلم بما ينزل اعتراض
كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم
عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق
بالاهون والاهون بالاشق بل اكثرهم لا يعلمون الحكمة في ذلك
قل نزله روح القدس اي جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو
الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد
والمقدس المطهر من الماثم من ربك من عنده وامره بالحق حال
اي انزله ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى
اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة انه حكيم لا يفعل الا ما هو
حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة
القلوب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة للمسلمين وفيه تعريض بحصول
اضداد هذه الخصال لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
ارادوا به غلاما كان لحويطب قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش
او يعيش وكان صاحب كتب او هو جبر غلام رومي لعامر الحضرمي او
عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن او سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
اليه وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي اعجمي وهذا لسان عربي مبين
اي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي
غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم
وابطالا لطعنهم وهذه الجملة اعني قوله لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم واللسان اللغة
ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن
الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا
الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن
الاديان كلها ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي القران لا يهديهم الله
لما علموا اختيارهم الكفر ولهم عذاب اليم في الاخرة على كفرهم انما
يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون بايات الله اي انما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما انت
مفتر واولئك اشارة الى الذين لا يؤمنون اي واولئك هم الكاذبون
على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب
او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر جوزوا ان يكون
من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتدا وحذف جوابه لان جواب من
شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ساكن به ولكن من شرح بالكفر اي طاب به نفسا

واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وان يكون بدلا من
الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون
اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من
كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترا
ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون
بدلا من المبتداء الذي هو اولئك اي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم
الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون اي واولئك هم من كفر بالله
من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا
فارتدوا وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما اول قتيلين
في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد
لهم بما قلت وما فعل ابو عمار افضل لان الصبر على القتل اعزاز
للاسلام ذلك اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم
بانهم استحبوا اثروا الحياة الدنيا على الاخرة اي بسبب ايثارهم
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مختارين
للكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فلا يتدبرون
ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك ثم يدل
على تباعد حال هولاء من حال اولئك للذين هاجروا من مكة اي انه لهم
لا عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل
لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب
والاكراه على الكفر فتنوا شامي اي بعد ما عذبوا المؤمنين ثم اسلموا ثم
جاهدوا المشركين بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك من بعدها
من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم ما كان
منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية رحيم لا يعذبهم على ما قالوا في حالة
الاكراه يوم تاتي منصوب برحيم او باذكر كل نفس تجادل عن نفسها
وانما اضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه
وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة
والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن
ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها
الاعتذار عنها كقولهم هولاء اضلونا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

الاية

الاية واسه ربنا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها
وافيا وهم لا يظلمون في ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية
التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
وتولوا فانزل الله بهم نقمة فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة
وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا
لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت امنة من القتل والسبي مطمئنة
لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف
ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل بلد فكفرت اهلها
بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم
كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون
الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس
المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان
البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك
من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي
الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس
الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منها ويلابس فكانه قيل
فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولقد جاءهم رسول منهم اي محمد
عليه السلام فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي في حال التباسهم
بالظلم وقالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجه الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال
الله لهم بعد ان اذاقهم الجوع فكلوا مما رزقكم الله على يد محمد
عليه السلام حلالا طيبا بدلا عما كنتم تاكلونه حراما خبيثا من الاموال
الماخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب واشكروا نعمة الله
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة
الالهة لانها شفعاوكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم
وتحليلهم باهوائهم فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
انما للحصر اي المحرم هذا دون البحيرة واخواتها وباقي الاية قد مر تفسيره
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هو منصوب بلا تقولوا اي ولا
تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولكم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير
استناد ذلك الوصف الى الوحي او الى القياس المستنبط منه واللام
مثلها في قولك لا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا
حرام بدل من الكذب وذلك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية

وتقولون هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحرموا ولا
تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة
وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف السنتكم
الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به
السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها
يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في لتفتروا على الله الكذب
من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم هو خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم
مما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل في سورة الانعام يعني وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم بالتحريم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا
عصيان المولى ثم تابوا من بعدها واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم من بعد التوبة ان ابراهيم كان امة انه كان وحده امة من الامم
لكماله في جمع صفات الخير كقوله

• وليس على الله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد •

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا وكان امة بمعنى
مأموم يؤمه الناس لياخذوا منه الخير قانتا لله هو القائم بما امره
الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان امة قانتا لله
فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير
والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله
عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت
لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون حنيفا مائلا
عن الاديان الى ملة الاسلام ولم يك من المشركين نفى عنه الشرك
تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم وحذف النون
للتشبيه بحروف اللين شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا
مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة
في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال
الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه
واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه
في الدنيا حسنة نبوة واموالا واولادا او تنويه الله بذكره فكل اهل دين
يتولونه او قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وانه في الاخرة لمن

الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله
والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا
ملته انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون روي ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما
للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ
الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد
رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم
اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم
الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم
لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة
فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو اهله ادع الى سبيل ربك اي
الاسلام بالحكمة بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق
المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم
بها وتقصد ما ينفعهم فيها او بالقران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة
وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة
ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم بالتي هي احسن
بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة
او بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من
يابى المناظرة في الدين ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ ومن لا خير فيه عجزت عنه
الحيل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول عقوبة
والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم
احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فراى النبي صلى الله عليه
وسلم حمزة مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم
المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين
موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال
لرسوله عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا
بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكفار ان لم يؤمنوا

او على المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى حظوظهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ضيق مكي والضيق تخفيف الضيّق اي في امر ضيق ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيق صدرك عن مكرهم فانه لا ينفذ عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات وقيل من اتقى في افعاله واحسن في اعماله كان الله معه في احواله ومعينه بنصرته في المامور وعصمته عن المحظور والله اعلم بالصواب

سورة بني اسرايل مكية وهي مائة وعشر ايات كوفي واحدى عشر بصري

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره سبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ الذي اسرى بعبده محمد عليه السلام وسرى واسرى لغتان ليلا نصب على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتاكيد او ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة من المسجد الحرام قيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد اخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها واحوالها واخبرهم ايضا بما راى في السما من العجايب وانه لقي الانبيا وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنايم الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس لانه لم يكن حينيذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبيا ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه اي محمدا عليه السلام من اياتنا الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برويته السموات وما بينها من الايات انه هو السميع البصير للاقوال والافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة واتينا موسى الكتاب وجعلناه اي الكتاب وهو التوراة هدى لبني اسرايل ان لا تتخذوا اي لا تتخذوا وبالياء ابو عمرو اي لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب

على الاختصاص او على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروي انه كان لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباكم اسوتهم واية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الاباء وقد عرفتم حال الاباء فكذلك فكونوا ايها الابناء كذلك وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن في الارض واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف او جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن في الارض مرتين اولاهما قتل زكريا وحبس ارميا عليه السلام حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى ابن زكريا وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين فاذا جاء وعد اولاهما اي وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد اشداء في القتال يعني سنحاريب وجنوده او بخت نصر او جالوت فقتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فجاسوا خلال الديار ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل اعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم وهو تمييز جمع نفير او هو من ينفر مع الرجل من قومه ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح انها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت او سيئة يعني ان الاحسان والاساءة مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الاخرة المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا اي هولاء وجوهكم وحذف لدلالة ذكره اولا عليه اي ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وابو بكر والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث لنسوء علي وليدخلوا المسجد بيت المقدس كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم

عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم
عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا
فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المومنون الى يوم القيامة
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات
واسدها وهي توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته او للملة
او للطريقة ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ويبشرهم
وعلى ان لهم بان لهم اجرا كبيرا اي الجنة وان الذين وبان الذين
لا يومنون بالاخرة اعتدنا اي اعددنا قلبت تاء لهم عذابا اليما
يعني النار والاية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر
المومنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة ويدع
الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير او يطلب لهم النفع العاجل
وان قل بالضرر الاجل وان جل وكان الانسان عجولا يتسرع الى
طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتاني فيه تاني المتبصر او اريد
بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به
كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان
العذاب اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو النضر ابن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط
على موافقة اللفظ وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة اي الليل والنهار ايتان في انفسهما
فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية
التي هي النهار مبصرة او وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد
الشمس والقمر فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا
كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات
شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض
النهار الى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين والحساب يعني حساب الاجال ومواسم الاعمال ولو
كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين
والتجار وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه
تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة
علينا وكل انسان الزمناه طائره عمله في عنقه يعني ان عمله لازم

له لزوم القلادة او الغل للعنق لا يفك عنه ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه هو صفة لكتابا يلقاه شامي منشورا حال من
يلقاه يعني غير مطوي ليمكنه قراءته او هو صفتان للكتاب ونقول
له اقرا كتابك اي كتاب اعمالك وكل يبعث قارئا كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به
من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي
بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة
الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب ان يتولى الامور الرجال
فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا او تاول النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي فله
ثواب الاهتداء وعليه وبال الضلال ولا تزر وازرة وزر اخرى
اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا ان نعذب قوما
عذاب استيصال في الدنيا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم
الحجة واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهل قرية امرنا مترفيها
متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن ابي عمرو والزجاج ففسقوا فيها
اي خرجوا عن الامر كقولك امرته فعصى او امرنا كثرنا دليله
قراءة يعقوب امرنا ومنه الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة مامورة اي كثيرة النسل فحق عليها القول فوجب عليها
الوعيد فدمرناها تدميرا فاهلكناها اهلاكا وكم مفعول اهلكنا
من القرون بيان لكم من بعد نوح يعني عادا وثمود وغيرهم
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا وان اخفوها في الصدور بصيرا
وان ارخوا عليها الستور من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لا ما يشاء لمن نريد بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض
من الكل اذ الضمير يرجع الى من اي من كانت العاجلة همه ولم
يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد
فقيد المعجل بمشيته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا
من هولاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم
يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليه فقر الدنيا وفقر
الاخرة واما المومن التقي فقد اختار غناء الاخرة فان اوتي حظا
من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له ثم جعلنا له جهنم في الاخرة
يصلاها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها هو مفعول به اي حقها من
السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة وهو مومن مصدق لله في
وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله مثابا

عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت
ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الاية فانه شرط فيها ثلاث شرايط
في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة والسعي فيما كلف والايمان
الثابت كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه
وهو منصوب بقوله نمد هؤلاء بدل من كلا اي نمد هؤلاء وهؤلاء اي
من اراد العاجلة ومن اراد الاخرة من عطاء ربك من رزقه ومن متعلق
بنمد والعطاء اسم للمعطى اي نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منهم
مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه
التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده وان عصوا انظر
بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في المال والجاه والسعة
والكمال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا روي ان قوما من
الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال
وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من
قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا
باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر
فلما اعد الله لهم في الجنة اكثر لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للنبي
عليه السلام والمراد به امته فتقعد مذموما مخذولا فتصير جامعا
على نفسك الذم والخذلان وقيل مشئوما بالاهانة محروما عن
الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله
فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر
الخذلان بمقابلة النصر وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا
الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا اما يبلغن
عندك الكبر اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذا دخلت
النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقولن وان
يكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن وهو في
قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين او كلاهما
عطف على احدهما فاعلا وبدلا فلا تقل لهما اف مدني وحفص اف
مكي وشامي اف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على اصل التقاء
الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير اي اتضجر تضجرا
وتركه لقصد التعريف اي اتضجر التضجر المعلوم ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان وقل لهما بدل من
التافيف والنهر قولا كريما جميلا لينا كما تقتضيه حسن الادب
او هو ان يقول يا ابتاه يا اماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفا
ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر

كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما
عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين
الخلق حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما اف فضلا عما يزيد
عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان
اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة
تنفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومع احوال لا يكاد يصبر الانسان
معها واخفض لهما جناح الذل اي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فاضافته الى الذل كاضافة حاتم الى الجود والمعنى واخفض
جناحك الذليل من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما
وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج
والن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان
يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك
وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص
بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان
وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله
في رضاء الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل
فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وعنه
عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من
مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا
جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين ربكم اعلم بما في نفوسكم
بما في ضمايركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكراهة في خدمتهما
ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال
الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى اذاهما ثم اتبتم الى الله واستغفرتم
منها فانه كان للاوابين غفورا الاواب الذي اذا اذنب ذنبا بادر
الى التوبة وجاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب
منها ويندرج تحتها الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره
وآت ذا القربى منك حقه اي النفقة اذا كانوا محارم فقراء والمسكين
وابن السبيل اي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة ولا تبذر تبذيرا ولا تسرف
اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحق والمحل وعن مجاهد لو انفق
مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له
صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا اشر من
الشياطين او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف وكان الشيطان لربه كفورا فيما ينبغي ان يطاع لانه

لا يرجو الا الى مثل فعله واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا اي فان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك
ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع
الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب
الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال
يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه
فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله كان معناه قولا ذا ميسور
وهو اليسر اي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له او مصدر في موضع الحال
وترجوها حال ايضا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح
واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند
الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير
امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا
منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا اثر فيه اثرا بليغا او عاريا
من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة يهودية في انه اجود من
موسى عليهما السلام فبعثت ابنها يساله قميصه الذي عليه ودفعه فقعد
عريانا فاقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسوله عليه
السلام بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان
بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء فليس البسط اليك ويقدر اي هو يضيق فلا لوم عليك انه
كان بعباده خبيرا بمصالحهم فيمضيها بصيرا بحوائجهم فيقضيها ولا
تقتلوا اولادكم قتلهم اولادهم وادهم بناتهم خشية املاق
فقر نحن نرزقهم واياكم نهاهم عن ذلك وضمن ارزاقهم ان قتلهم
كان خطأ كبيرا اثما عظيما يقال خطئ خطأ كاثم اثما خطاء يزيد
وهو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء
بالمد والكسر مكي ولا تقربوا الزنا القصر فيه اظهر والمد لغة وقد قرئ
به وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو اريد النهي عن
نفس الزنا لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة معصية مجاوزة حد
الشرع والعقل وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق اي بارتكاب ما يبيح الدم ومن قتل مظلوما
غير مرتكب ما يبيح الدم فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا على القاتل
في الاقتصاص منه فلا يسرف في القتل الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل
ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او الاسراف المثلة او الضمير

للقاتل

للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلي على خطاب الولي او قاتل المظلوم
انه كان منصورا الضمير للولي اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب
له القصاص فلا يستزد على ذلك او للمظلوم اي ان الله ناصره حيث اوجب
القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب او للذي يقتله الولي
بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف
وظاهر الاية يدل على ان القصاص يجري بين الحر والعبد وبين
المسلم والذمي لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في الاية
لكونها محرمة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالخصلة
او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده
اي ثماني عشرة سنة واوفوا بالعهد باوامر الله تعالى ونواهيه ان
العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به
او ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس
وبكسر القاف حمزة وعلي وحفص وهو كل ميزان صغيرا وكبيرا من موازين
الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون اي القبان المستقيم المعتدل
ذلك خير في الدنيا واحسن تاويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا
رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لا
تعلم اي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية
لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم احدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت
به لمبطل الاجتهاد لان ذا نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات
اقام الشارع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به كما في الشهادات
ولنا في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤولا اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان اولئك
كما تكون اشارة الى العقلاء تكون اشارة الى غيرهم كقول جرير

• ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام •

وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد كان منها مسؤولا عنه فمسؤول
مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم يقال للانسان
لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم
عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم
لان الجار والمجرور لا يقوم مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا
تقدم فلا ولا تمش في الارض مرحا هو حال اي ذا مرح انك لن
تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال او ولن تحاذيها
قوة وهو حال من الفاعل او المفعول كل ذلك كان سيئه كوفي
وشامي على اضافة سيء الى ضمير كل سيئة غيرهم عند ربك مكروها
ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال

عنه حكم الصفات فلا اعتبار لتانيثه الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول
السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها
حسن ولذلك من قرا سيئة بالاضافة اي ما كان من المذكور سيئا كان
عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة
بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم
من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية مما اوحي اليك ربك
من الحكمة مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته ولا تجعل
مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا مطرودا من الرحمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى
عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر واخرها مدحورا وقد
جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة
وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه
السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل
من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملايكة بنات الله بقوله افاصفاكم
ربكم بالبنين الهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا
بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملايكة اناثا واتخذ ادونهم
وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يوثرون
باجود الاشيا واصفاها اردوها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا
عظيما حيث اضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه
انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا في هذا القران اي
التنزيل والمراد ولقد صرفنا اي هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لانه معلوم ليذكروا وبالتخفيف حمزة وعلي اي كررناه
ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وكان الثوري اذا قراها يقول
زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا قل لو كان معه الهة كما تقولون
وبالياء مكي وحفص اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك
والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او ليتقربوا اليه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على
ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو سبحانه
وتعالى عما يقولون وبالتاء حمزة وعلي علوا اي تعاليا والمراد البراة
من ذلك والنزاهة كبيرا وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراة
والبعد مما وصفوه به يسبح وبالتاء عراقي غير ابي بكر له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده اي يقول سبحان الله
وبحمده عن السدي قال عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طير
يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم
لاختلاف اللغات او لتعسر الادراك او بسبب لتسبيح الناظر اليه

والدال

والدال على الخبز لفاعله والوجه الاول انه كان حليما عن جهل العباد
غفورا لذنوب المؤمنين واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا ذا ستر او حجابا لا يرى فهو مستور
وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا يمنع عن الاستماع واذا
ذكرت ربك في القران وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد
يعد وعدا وعدة فهو مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى
واحدا ولوا على ادبارهم رجعوا على اعقابهم نفورا مصدر بمعنى
التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان يذكر معه الهتهم لانهم
مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اي نحن
اعلم بالحال او الطريقة التي يستمعون القران بها فالقران هو المستمع
وهو محذوف وبه حال وبيان لما اي يستمعون القران هازئين لا
جادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين اذ يستمعون اليك
نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى
وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم
ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن انظر كيف ضربوا لك الامثال
مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
اي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر
عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع وقالوا اي منكروا البعث
ااذا كنا عظاما ورفاتا اانا لمبعوثون خلقا جديدا اي مجددا
وخلقا حال اي مخلوقين قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما
يكبر في صدوركم اي السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول
الحياة فسيقولون من يعيدنا قل يعيدكم الذي فطركم اول مرة
والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة
بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود
خلقه الذي يبنى عليه سايره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته
الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة وهو ان تكونوا
حجارة او حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة فسينغضون
اليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو
اي البعث استبعادا له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب
وعسى للوجوب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة فتستجيبون
بحمده اي تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون
التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
ان لبثتم الا قليلا اي لبثا قليلا او زمانا قليلا في الدنيا او في القبر
وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن

والين ولا تخاشنوهم وهو ان تقولوا يهديكم الله ان الشيطان ينزغ بينهم
يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والنزغ
ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة او فسر التي هي
احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالهداية والتوفيق او
ان يشأ يعذبكم بالخذلان اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا
لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم
ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وما ارسلناك
عليهم وكيلا حافظا لاعمالهم وموكولا اليك امرهم وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالمداراة وربك اعلم بمن في
السموات والارض وباحوالهم وبما يستأهل كل واحد منهم ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله
وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور
داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته ولم يعرف الزبور
هنا وعرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس
والفضل وفضل قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهتكم من دونه
من دون الله من الملائكة او عيسى وعزير او نفر من الجن عبدهم ناس
من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من
مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر اولئك الذين
يدعون صفة اي يدعونهم آلهة او يعبدونهم والخبر يبتغون الى ربهم
الوسيلة يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى
الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من
هو اقرب منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون
الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله
وذلك بالطاعة وازدياد الخير ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان
محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة كان ذلك في الكتاب
مسطورا في اللوح المحفوظ مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما

خراسان فعذابها ضروب واما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك اهلها واما بذخشان
فتخربها اقوام واما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون واما صغانيان
الى واسجرد فيقتلون بقتل ذريع واما سمرقند فيغلب عليها بنو
قنطورا فيقتلون اهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب
وخوارزم واما بخارى فهي ارض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا
واما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد واما هراة
فيمطرون بالحيات فتأكلهم اكلا واما نيسابور فيصيب اهلها رعد
وبرق وظلمة فيهلك اكثرهم واما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم
فيقتلونهم واما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول
والجيوش والصواعق والرواجف واما همدان فالديلم تدخلها
وتخربها واما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح
اهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهل
مصر وويل لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة
ولا يدخل بيت المقدس واما سجستان فيصيبهم ريح عاصف اياما
ثم هدة تأتيهم فيموت فيها العلماء واما كردان واصبهان وفارس
فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تخلع القلوب وتموت الابدان
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون استعير
المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب
لانه مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانه
فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين
والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب
اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن
ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم
من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان نؤخر امر من بعثت
اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار
هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم وآتينا ثمود
الناقة باقتراحهم مبصرة آية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع
عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات
القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له واذ
قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك

الا فتنة للناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته فلا تبالهم وامض الى امرك وبلغ ما ارسلت به او بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على سنته في اخباره ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اوري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة الملعونة في القران اي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رايتها استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى الهتهم اين شركاي او هي رؤياه انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس في القران ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعونة اكلوها وهم الكفرة لانه قال فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد عن الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا هو تمييز او حال من الموصول والعامل فيه اسجد على ءاسجد له وهو طين اي

اصله

اصله طين قال ارايتك الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تاكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمت علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدا فقال لئن اخرتني وبلا ياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم باغوائهم الا قليلا وهم المخلصون قيل من كل الف واحدا وانما علم الملعون ذلك بالاعلام او لانه راى انه خلق شهواني قال اذهب ليس من الذهاب الذي ضد المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب جزاء موفورا موفرا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون واستفزز استنزل او استخف استفزه اي استخفه والفز الخفيف من استطعت منهم بصوتك بالوسوسة او بالغناء او بالمزمار واجلب عليهم اجمع او صح بهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك بكل راكب وماش من اهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل لانه اقصى ما يستطاع في طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجل وشاركهم في الاموال والاولاد قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شريكهم فيه كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الاجل ونحو ذلك وما يعدهم الشيطان الا غرورا هو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي الصالحين ليس لك عليهم سلطان يد بتغيير الايمان ولكن بتسويل العصيان وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك او حافظا لهم عنك والكلام يتعلق بما قبله اوله انه اي لا يخل ذلك عنهم ربكم الذي يزجي يجري ويسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله يعني الربح في التجارة انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر اي خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم كل من تدعونه من حوائجكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه او ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص بعد الخلاص وكان الانسان اي الكافر كفورا

للنعم **أفأمنتم** الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره أنجوتم
فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض **أن يخسف بكم جانب البر** انتصب
جانب بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض
وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه والحاصل
أن الجوانب كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سببا
من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان
الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغييب تحت الثراء
والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله
في جميع الجوانب وحيث كان **أو يرسل عليكم حاصبا** هي الريح التي
تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم
بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم **أم أمنتم أن يعيدكم فيه
تارة أخرى فيرسل عليكم** أي أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر
حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم
فينتقم منكم بأن يرسل عليكم **قاصفا من الريح** وهي الريح التي لها
قصيف وهو الصوت الشديد أو الكاسر للفلك **فيغرقكم بما كفرتم**
بكفرانكم النعمة وهو إعراضكم حين نجاكم **ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا** مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة والمعنى
إنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا
منا ودركا للثار من جهتنا أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل
فنغرقكم بالنون مكي وأبو عمرو **ولقد كرمنا بني آدم** بالعقل والنطق
والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش
والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشيا وتناول الطعام بالايدي
وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف
رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها
فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه **وحملناهم في البر**
على الدواب **والبحر** على السفن **ورزقناهم من الطيبات** باللذيذات
أو بما كسبت أيديهم **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** أي
على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أي كلهم وقوله وما
يتبع أكثرهم إلا ظنا وذكر في الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع وعنه
عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لأنهم مجبولون
على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي
الآدمي كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن
غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم

لنفسه

لنفسه **يوم ندعو** منصوب باذكر **كل أناس بإمامهم** الباء للحال والتقدير
مختلطين بإمامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو
دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب
أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر **فمن أوتي**
من هؤلاء المدعوين **كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم** وإنما قيل
أولئك لأن من في معنى الجمع **ولا يظلمون فتيلا** ولا ينقصون من ثوابهم
أدنى شيء **ومن كان في هذه** الدنيا **أعمى فهو في الآخرة أعمى** كذلك
وأضل سبيلا من الأعمى أي أضل طريقا والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات
لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر
وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني
بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل سبيلا ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول
ممالا والثاني مفخما ولأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم
الواقعة في وسط الكلمة فلم تقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء
فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة وأمالهما حمزة وعلي
وفخمهما الباقون ولما قالت ثقيف اجعل آية رحمة آية عذاب وآية
عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل **وإن كادوا ليفتنونك** إن مخففة
من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى إن الشأن قاربوا
أن يفتنونك أي يخدعوك فاتنين **عن الذي أوحينا إليك** من أوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتتقول علينا ما لم نقل يعني
ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا **وإذا لاتخذوك خليلا**
أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من
ولايتي **ولولا أن ثبتناك** ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا **لقد كدت تركن إليهم**
لقاربت أن تميل إلى مكرهم **شيئا قليلا** ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له
وفضل تثبيت **إذا** لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة **لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات** لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم
ذنبك لشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة الآية وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات
لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في
حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم
عذابا ضعفا في النار أي مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا
ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة
مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي
ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف

في الوارث وقيل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت
كان عليه السلام يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك
علينا نصيرا معينا لك يمنع عذابنا عنك وان كادوا اي اهل مكة
ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون خلفك بعدك اي بعد اخراجك
خلافك كوفي غير ابي بكر وشامي بمعناه الا قليلا زمانا قليلا فان الله
يهلكهم وكان كما قال فلقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل او معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه
وقيل من ارض العرب او من ارض المدينة سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة
الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة
ولا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها
وعلى هذا الاية جامعة للصلوات الخمس او لغروبها وعلى هذا يخرج
الظهر والعصر الى غسق الليل هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء
وقران الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت
ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن
او سميت قرانا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة ان قران الفجر
كان مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء
فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من
المصلين في العادة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد والتهجد
ترك الهجود للصلاة ويقال في النوم ايضا تهجد به بالقران
نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع
تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى
واحدا والمعنى ان التهجد بزيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة
لك او فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك
يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو
مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار او هو مقام يعطى
فيه لواء الحمد وقل رب ادخلني مدخل صدق هو مصدر اي ادخلني
القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات واخرجني مخرج صدق
اي اخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من
الملامة دليله ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة
يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة او هو عام في كل ما يدخل فيه
ويلابسه من امر او مكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا

ه

له عليه وقل جاء الحق الاسلام وزهق ذهب وهلك الباطل الشرك او
جاء القران وهلك الشيطان ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا في
كل اوان وننزل وبالتخفيف ابو عمرو من القران من للتبيين ما هو
شفاء من امراض القلوب ورحمة وتفريج للكروب وتطهير للعيوب
وتكفير للذنوب للمؤمنين في الحديث من لم يستشف بالقران فلا شفاه
الله ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله او انعمنا
بالقران اعرض ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء
ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين ناء بالامالة
حمزة وبكسرها علي واذا مسه الشر الفقر والمرض او نازلة من النوازل
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته
على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي اي من امر يعلمه ربي الجمهور على انه الروح الذي في الحيوان
سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه
وعن ابي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم الروح
وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة
على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق
مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه اعجز ولذا رد ما قيل
في حده اي انه جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل هو
خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو جبريل عليه السلام دليله نزل به الروح الامين على قلبك وعن
الحسن القران دليله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ولانه
به حياة القلوب ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام
البشر وروي ان اليهود بعثت الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فاذا اجاب عن الكل او سكت عن الكل
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم
وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني اهو مخلوق ام لا وقوله
من امر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا وما اوتيتم من العلم
الا قليلا الخطاب عام فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا
فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا وقيل هو خطاب
لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي عليه السلام قد اوتينا التوراة وفيها

الحكمة وتدرسونها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان
التوراة علم قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية
فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم
الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالقسم على اذى الجهال
في السؤال بقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب
قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة
للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف
فلم نترك له اثرا ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ثم لا تجد لك بعد الذهاب
به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة
من ربك ان فضله كان عليك كبيرا اي الا ان يرحمك ربك فيرده
عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع اي
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله
تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة من تنزيله وتحفيظه
ونزل جوابا لقول النضر لو شئنا لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا معينا ولا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله • يقول لا غائب مالي ولا حرم •
لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في
بلاغته وحسن نظمه وتاليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله ولقد صرفنا
رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
في غرابته وحسنه فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا وانما جاز فابى
اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان ابى متاول بالنفي
كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه
المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الايات فعل المبهوت
المحجوج المتحير وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا وبالتخفيف كوفي
من الارض اي مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا
تنقطع يفعول من نبع الماء او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
والتشديد هنا مجمع عليه لقوله الانهار خلالها وسطها تفجيرا او تسقط
السماء علينا كسفا بفتح السين مدني وعاصم اي قطعا يقال اعطني
كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة
وسدر يعنون قوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء كما زعمت او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا
بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه
ووالدي بريا او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت

من

من زخرف ذهب او ترقى في السماء فتصعد اليها ولن نؤمن لرقيك لاجل
رقيك حتى تنزل علينا وبالتخفيف ابو عمرو كتابا اي كتابا من السماء
فيه تصديقك نقرؤه صفة كتاب قل قال شامي ومكي اي قال الرسول
سبحان ربي تعجب من اقتراحهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا اي انا
رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما
يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله
فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس يعني اهل مكة ومحل ان يؤمنوا
نصب بانه مفعول ثان لمنع اذ جاءهم الهدى النبي والقرآن الا ان
قالوا فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد عليه
السلام الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا اي الا شبهة تمكنت في
صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار
وما انكروه فقضية حكمته منكر ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو
كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون
باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين
حال اي ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم
للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من
رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به
اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز انه كان بعباده المنذرين والمنذرين
خبيرا عالما باحوالهم بصيرا بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة ومن يهد الله فهو المهتدي
وبالياء يعقوب وسهل وافقهما ابو عمرو ومدني في الوصل اي من وفقه
الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ومن يضلل اي
ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان فلن تجد لهم
اولياء من دونه اي انصارا ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم اي
يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن
استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ماواهم جهنم كلما خبت
طفئ لهبها زدناهم سعيرا توقدا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اي
ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم
ان سلط النار على اجزائهم تاكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك

ليزيدوا في تحسيرهم على تكذيبهم البعث اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم من الانس وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابى الظالمون الا كفورا
جحودا مع وضوح الدليل قل لو انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون
لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر
تملك على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير
منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل
المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب
واما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على
الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ خزاين رحمة
ربي رحمة ربي رزقه وساير نعمه على خلقه اذا لامسكتم خشية
الانفاق اي لبخلتم خشية ان يفنيه الانفاق وكان الانسان
قتورا بخيلا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات عن ابن عباس رضي
الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر
والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرايل وعن الحسن الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور فاسال بني
اسرايل فقلنا له سل بني اسرايل اي سلهم عن فرعون وقل له ارسل
معي بني اسرايل وقوله اذ جاءهم متعلق بالقول المحذوف اي فقلنا
له سلهم حين جاءهم موسى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فخولط عقلك قال اي موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هولا
الايات الا رب السموات والارض خالقهما بصاير حال اي بينات
مكشوفات ولكنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا علمت بالضم علي اي اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم
بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه بقوله واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال
ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا وظني اصح من ظنك لان له
امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات الله
بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة
امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفرا مثبورا مصروفا
عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك فاراد فرعون
ان يستفزهم يخرجهم اي موسى وقومه من الارض ارض مصر او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا
فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده من
بعد فرعون لبني اسرايل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الاخرة اي القيامة جينا بكم لفيفا جمعا مختلطين

اباكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدايكم واشقيايكم واللفيف
الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا
القران الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السما الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط
الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه
وذهبنا به الى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب
الرايحة نقي الثوب فقال لنا الى اين فقلنا الى فلان الطبيب
نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعدو
الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك
على موضع الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم
نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع
الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر
عليه السلام وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار
وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه اي فصلناه او فرقنا فيه
الحق من الباطل لتقراه على الناس على مكث على تودة وتثبت ونزلناه
تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا اي اختاروا لانفسكم
النعيم المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله ان الذين اوتوا العلم من
قبله اي التوراة من قبل القران اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا حال ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا لقوله امنوا
به او لا تومنوا اي اعرض عنهم فانهم ان لم يومنوا به ولم يصدقوا بالقران
فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قراوا الكتب قد امنوا به وصدقوه
فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما ولانجازه ما وعد
في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد عليه السلام وانزال
القران عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهي توكيد
الفعل كما ان ان توكيد الاسم وكما اكدت ان باللام في انهم لمحضرون
اكدت ان باللام في لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ومعنى الخرور
للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان اقرب الاشيا من
وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه
فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم
ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ويزيدهم اي القران
خشوعا لين قلب ورطوبة عين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
لما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها اخر فنزلت وقيل ان اهل الكتاب قالوا

انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت
والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء واو للتخيير اي سموا بهذا
الاسم او بهذا او اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا ما تدعوا
عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وايا نصب بتدعوا وهو
مجزوم باي اي اي هذين الاسمين ذكرتم وسميتم فله الاسماء الحسنى
والضمير في فله يرجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط
اي ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى
كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ
الجهر والمخافتة نعتان يعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها
المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى
تسمع المشركين ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا ومعناه ولا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت
بصلاة النهار او بصلاتك بدعائك وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح ولم يكن له شريك في الملك
كما زعم المشركون ولم يكن له ولي من الذل اي لم يذل فيحتاج الى ناصر او لم
يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا وعظمه
وصفه بانه اكبر من ان يكون له ولد او شريك وسمى النبي عليه السلام
الاية اية العز وكان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه الاية
سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية بصري وعشر كوفي
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
محمد عليه السلام الكتاب القران لقن الله تعالى عباده وفقههم
كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام
وما انزل على محمد عليه السلام من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم
ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج في
الاعيان يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف
والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة قيما مستقيما
وانتصابه بمضمر وتقديره جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت
له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة
وفي احدهما غنى عن الاخر للتاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
ولا يخلو من ادنى عوج عند التصفح او قيما على سائر الكتب مصدقا
لها شاهدا بصحتها لينذر انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم

عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا عذابا
عذابا شديدا وانما اقتصر على احد مفعولي انذر لان المنذر به هو المسوق
اليه فاقتصر عليه من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا اي الجنة ويبشر
حمزة وعلي ماكثين حال من هم في لهم فيه في الاجر وهو الجنة
ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ذكر المنذرين دون المنذر به
بعكس الاول استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه
يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت
اتخاذ الله الولد في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم
بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه او لانه في نفسه محال ولا لآبائهم
المقلدين كبرت كلمة نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل
ما اكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت
كلمة كما يسمون القصيدة بها تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا
مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون ان
يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر ان يقولون الا كذبا
ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف اي قولا كذبا فلعلك
باخع نفسك قاتل نفسك على آثارهم اي اثار الكفار شبهه واياهم
حين تولوا تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم
برجل فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقران
اسفا مفعول له اي لفرط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب
انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها
من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن
العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا
لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا ارضا ملساء جرزا يابسا
لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها
خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما
ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي
لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن قال ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم
او قريتهم او اسم كتاب كتب فيه شانهم او اسم الجبل الذي فيه الكهف
كانوا من اياتنا عجبا اي كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على

ذات يمين اذ اي اذكر اذ اوي الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا
من لدنك رحمة اي رحمة من خزاين رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعدا وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله
كقولك رايت منك اسدا او يسر لنا طريق رضاك فضربنا على اذانهم
في الكهف اي ضربنا عليهم حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة
لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب سنين
عددا ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج اي تعد عددا لكثرتها
لان القليل يعلم مقداره من غير عد فاذا كثر عد فاما دراهم معدودة
فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم
ايقظناهم من نومهم لنعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم
لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قايل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين
المختلفين من غيرهم احصى لما لبثوا امدا غاية واحصى فعل ماض وامدا
ظرف لاحصى او مفعوله والفعل الماضي خبر المبتدا وهو اي والمبتدا مع
خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم
او احاط علما بامد لبثهم ومن قال احصى افعل من الاحصاء وهو العد
فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم
مع انه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور
الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا او ليكون لطفا لمومني زمانهم
واية بينة لكفاره او المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده
نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى والفتوة
بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال
المكارم وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل
امنوا بربهم وزدناهم هدى يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد
قذف في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان
منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان مع الفرار بالدين
الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام
اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة حين عاتبهم
على ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السموات والارض مفتخرين
لن ندعوا من دونه الها ولين سمينا هم الهة لقد قلنا اذا شططا قولا
ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا
بعد هولاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبر وهو

اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف
بسلطان بين بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على
عبادة الاوثان محال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على
الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطفا على الضمير اي واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله استثنا متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه غيره كاهل مكة او منقطع واذ اعتزلتم الكفار والاصنام
التي يعبدونها من دون الله او كلام معترض اخبار من الله تعالى عن
الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فاووا الى الكهف صيروا اليه او اجعلوا
الكهف ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم من
امركم مرفقا مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق به اي ينتفع وانما
قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع
يقينهم او اخبرهم به نبي في عصرهم او كان بعضهم نبيا وترى الشمس
اذا طلعت تزاور بتخفيف الزاي كوفي تزور شامي تزاور غيرهم واصله
تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها والكل من الزور وهو
الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق عن كهفهم اي
تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم اي تتركهم وتعدل
عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعنى
انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم
في مكان منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم
وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا
يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله بهم من
ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من ايات الله يعني ان
ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم
بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة
ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله
من يهد الله فهو المهتدي مثل ما مر في سبحان وهو ثناء عليهم بانهم
جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اي من اضله فلا هادي له
وتحسبهم بفتح السين شامي وحمزه وعاصم غير الاعشى وهبيرة وهو
خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام قيل عيونهم منفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال قيل لهم تقليبتان في السنة وقيل تقليبة واحدة
في يوم عاشورا وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم

الفاعل لا يعمل اذا كان معنى المضى **بالوصيد** بالفنا او العتبة **لو اطلعت**
عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت اليهم **لوليت منهم** لاعرضت عنهم وهربت
منهم **فرارا** منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم
ولملئت منهم وبتشديد اللام حجازي للمبالغة **رعبا** تمييز وبضم
العين شامي وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وذلك
لما البسهم الله من الهيبة او لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم
وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال اريد ان ادخل فقال
بن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا
فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح **وكذلك بعثناهم** وكما انمناهم
تلك النومة ايقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا
ليتسالوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا
ما انعم الله به عليهم **قال قايل منهم** رئيسهم **كم لبثتم** كم مدة لبثكم **قالوا**
لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز
الاجتهاد والقول بالظن الغالب **قالوا ربكم اعلم بما لبثتم** بمدة لبثكم
انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا بالادلة او بالالهام ان المدة
متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا
الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس
رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الاية
قال قايل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما او بعض
يوم وهو جمع واقله ثلاثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول
جمع اخرين فصاروا سبعة **فابعثوا احدكم** كانهم قالوا ربكم اعلم
بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء اخر مما يهمكم فابعثوا احدكم
اي تمليخا **بورقكم** هو الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة وبسكون
الراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر **هذه الى المدينة** هي طرسوس وحملهم
الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو
راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية
القوم من النفقات وعن بعض العلما انه كان شديد الحنين الى بيت
الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على
الرحمن **فلينظر ايها** اي اي اهلها فحذف كما في واسال القرية واي
مبتدا وخبره **ازكى** احل واطيب او اكثر وارخص **طعاما فلياتكم**
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة
حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف **ولا يشعرن بكم احدا** ولا يفعلن
ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه

بهم لانه سبب فيه والضمير في **انهم** راجع الى الاهل المقدر في ايها **ان**
يظهروا عليكم يطلعوا عليكم **يرجموكم** يقتلوكم اخبث قتلة **او يعيدوكم**
في ملتهم بالاكراه **ولن تفلحوا اذا ابدا** اذن يدل على الشرط اي ولن
تفلحوا ان دخلتم في دينهم ابدا **وكذلك اعثرنا عليهم** وكما انمناهم
وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم **ليعلموا** اي الذين
اطلعناهم على حالهم **ان وعد الله** وهو البعث **حق** كاين لان حالهم
في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث **وان الساعة**
لا ريب فيها فانهم يستدلون بامرهم على صحة البعث **اذ يتنازعون**
متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازع اهل ذلك الزمان
بينهم امرهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم
يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد
مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة
فيها ارواحها كما كانت قبل الموت **فقالوا** حين توفى الله اصحاب
الكهف **ابنوا عليهم بنيانا** اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحظيرة **ربهم اعلم بهم** من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم
يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز
وجل رد لقول الخايضين في حديثهم **قال الذين غلبوا على امرهم** من
المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم **لنتخذن عليهم** على
باب الكهف **مسجدا** يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روي ان
اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس
فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا
الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا
بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني
اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه
كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على اذانهم وقبل
ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف اهل
مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق
بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يريهم الحق فالقى
الله في نفس رجل معهم من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف
ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه انه وجد كنزا فذهبوا
به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة

معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا
الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل
لكل واحد منهم تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم**
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة
وثامنهم كلبهم ويروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران
كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان
نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة
وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي
الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي
الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم
افسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في
الاول دون الاخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك قد
اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا او اريد بيفعل
معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف
اي هم ثلاثة وكذا خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا
وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم
رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب
اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم
اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق
بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على
الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في
قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها
تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم
قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كغيرهم دليله ان الله تعالى اتبع
القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله **قل**

ربي

ربي اعلم بعدتهم اي قل ربي اعلم بعدتهم وقد اخبرك بها بقوله سبعة
وثامنهم كلبهم **ما يعلمهم الا قليل** قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من
ذلك القليل وقيل قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على
هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا
ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم**
فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف **الا مراء ظاهرا** الا جدالا
ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا
تزيد من غير تجهيل لهم او يتشهد من الناس ليظهر صدقك **ولا تستفت
فيهم منهم احدا** ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى
يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى
قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم **ولا تقولن لشيء** لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعل ذلك الشيء **غدا** اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه او ولا تقولنه الا بان يشاء الله
اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا
ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني افعل ذلك الا بمشيئة الله
لان قول القائل انا افعل ذلك ان شاء الله معناه لا افعله الا بمشيئة الله
تعالى وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسالوه فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه **واذكر ربك**
اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله **اذا نسيت** اذا فرط منك نسيان لذلك
والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن
الحسن ما دام في مجلس الذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة
وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما
فلا يصح الا متصلا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة رحمه الله خالف
ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال
له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان
يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وامر
الطاعن فيه باخراجه من عنده او معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها او صلاة
نسيتها اذا ذكرتها او اذا نسيت شيئا فاذكره وذكر ربك عند
نسيانه ان يقول عسى ربي ان يهدين لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه
رشدا او ادنى خيرا ومنفعة ان يهدين ان يؤتين ان تعلمن مكي
وافقه ابو عمرو ومدني في الوصل **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين**
يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في
قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لـ

لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا **وازدادوا تسعا** اي تسع سنين
لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لان زاد يقتضي مفعولين فازداد
يقتضي مفعولا واحدا **قل الله اعلم بما لبثوا** اي هو اعلم من الذين اختلفوا
فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به او هو حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه انهم
لبثوا في كهفهم كذا مدة **له غيب السموات والارض** ذكر اختصاصه بعلم
ما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها
اسمع به وابصر اي واسمع به والمعنى ما ابصره لكل موجود وما اسمعه لكل
مسموع **ما لهم** لاهل السموات والارض **من دونه من ولي** من متول
لامورهم **ولا يشرك في حكمه احدا** في قضائه منهم ولا تشرك على النهي شامي
كانوا يقولون ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له **واتل ما اوحي اليك**
من كتاب ربك اي من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل
فانه **لا مبدل لكلماته** اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على
ذلك هو وحده **ولن تجد من دونه ملتحدا** ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك
اي بالتبديل ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من
فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل **واصبر نفسك مع الذين يدعون**
ربهم واحبسها معهم وثبتها **بالغداة والعشي** دائبين على الدعاء في كل
وقت او اريد بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير
او هما صلاة الفجر والعصر بالغدوة شامي **يريدون وجهه** رضى الله **ولا**
تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم عداه اذا جاوزه وعدي بعن لتضمين عدا
معنى نبا في قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين
وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ **تريد زينة الحياة الدنيا** في موضع الحال
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر
وهو دليل لنا على انه تعالى خالق افعال العباد **واتبع هواه وكان امره**
فرطا مجاوزا عن الحق **وقل الحق من ربكم** اي الاسلام او القرآن والحق
خبر مبتدا محذوف اي هو **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** اي جاء الحق
وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق
النجاة او في طريق الهلاك بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار
ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء
من اختار الكفر فقال **انا اعتدنا** هيأنا **للظالمين نارا احاط بهم سرادقها**
شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط
او هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار او حائط من نار يطيف بهم
وان يستغيثوا من العطش **يغاثوا بماء كالمهل** هو دردي الزيت او ما اذيب

من

من جواهر الارض وقيل الصفر **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه
من حرارته **بئس الشراب** ذلك **وساءت النار مرتفقا** متكأ من المرفق
وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وجزاء
من اختار الايمان فقال **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر**
من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن كلام مستأنف بيان للاجر المبهم
ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا والمراد من احسن منهم
عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا والذين امنوا
وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد اقام من احسن مقام الضمير **تجري**
من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من للابتداء وتنكير اساور وهي جمع
اسورة جمع سوار لابهام امرها في الحسن **من ذهب** من للتبيين **ويلبسون**
ثيابا خضرا من سندس ما رق من الديباج **واستبرق** ما غلظ منه اي يجمعون
بين النوعين **متكئين فيها على الارائك** خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين
والملوك على اسرتهم **نعم الثواب** الجنة **وحسنت** اي الجنة والارائك
مرتفقا متكأ **واضرب لهم مثلا رجلين** ومثل حال المؤمنين وحال الكافرين
بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر
مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في الصافات في قوله قال قائل منهم
اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى
الكافر ارضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار
وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق بها ثم بنى اخوه دارا بالف
فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه
امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما
ومتاعا بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين
بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه
فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله **جعلنا لاحدهما جنتين من**
اعناب بساتين من كروم **وحففناهما بنخل** وجعلنا النخل محيطا بالجنتين
وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة
يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله هو متعد
الى مفعول فتزيده الباء مفعولا ثانيا **وجعلنا بينهما زرعا** جعلنا ارضا
جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق **كلتا الجنتين**
اتت اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل اتتا على المعنى
لجاز **اكلها** ثمرها **ولم تظلم منه** ولم تنقص من اكلها **شيئا وفجرنا خلالهما**
نهرا نعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته
من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها **وكان له ثمر**
انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين

الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر واحيط بثمره بفتح الميم
والثاء عاصم وبفتح الثاء وسكون الميم ابو عمرو وبضمهما غيرهما **فقال**
لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس
اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من
المال دونه **انا اكثر منك مالا واعز نفرا** انصارا وحشما او اولادا ذكورا لانهم
ينفرون معه دون الاناث **ودخل جنته** احدى جنتيه او سماها جنة لاتحاد
الحائط وجنتين للنهر الجاري **وهو ظالم لنفسه** ضار لها بالكفر **قال ما اظن ان**
تبيد هذه ابدا اي ان تهلك هذه الجنة شك في بيدودة جنته لطول امله
وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى اكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة
احوالهم بذلك **وما اظن الساعة قائمة** كائنة **ولئن رددت الى ربي لاجدن**
خيرا منها اقسم منه على انه ان رد على ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه
ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده
منقلبا تمييز اي مرجعا وعاقبة **قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت**
بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقته
وكان خلقه خلقا له **ثم من نطفة** اي خلقك من نطفة **ثم سواك رجلا**
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه
في البعث **لكنا** بالالف في الوصل شامي والباقون بغير الالف وبالالف في الوقف
اتفاق واصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت
النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد ان سكنت **هو الله ربي** هو ضمير
الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير
وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد
كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف اي اقول هو الله بدليل عطف
ولا اشرك بربي احدا ولولا وهلا **اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله**
ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله
او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني اي شيء شاء الله كان والمعنى
هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله
اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وان امرها بيده ان
شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت **لا قوة الا بالله** اقرارا بان ما قويت
به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده من قرا **ان ترن انا اقل**
منك مالا بنصب اقل فقد جعل انا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله
مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله **وولدا** تفسير من فسر
النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا **فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك**
في الدنيا او في العقبى **ويرسل عليها حسبانا** عذابا **من السماء فتصبح صعيدا**
زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها **او يصبح ماؤها غورا** غائرا اي ذاهبا
في الارض **فلن تستطيع له طلبا** فلا يتاتى منك طلبه فضلا عن الوجود

والمعنى

والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من
الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب بستانك **واحيط بثمره** هو عبارة عن اهلاكه واصله من
احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في
كل اهلاك **فاصبح** اي الكافر **يقلب كفيه** يضرب احداهما على الاخرى ندما
وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم
يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه
في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم **على ما انفق فيها**
اي في عمارتها **وهي خاوية على عروشها** يعني ان كرومها المعروشة سقطت
عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم **ويقول يا ليتني لم اشرك**
بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لا ينفعه التمني ويجوز
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان
ولم يكن له فئة ينصرونه يقدرون على نصرته **من دون الله** اي هو وحده
القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لحكمة **وما كان**
منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله **هنالك الولاية لله الحق**
يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزه وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي
وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال
النصرة لله وحده ولا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن
له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب
او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان
قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه
ولولا ذلك لم يقلها او هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى
ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله
هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه او هنالك اشارة الى الاخرة اي في
تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع ابو عمرو وعلي صفة
للولاية او خبر مبتدا محذوف اي هي الحق او هو الحق غيرهما بالجر صفة لله
عقبا بسكون القاف عاصم وحمزه وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقبى على
وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه**
من السماء اي هو كماء انزلناه **فاختلط به نبات الارض** فالتف بسببه
وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا او اثر في النبات الماء فاختلط به حتى
روي **فاصبح هشيما** يابسا متكسرا الواحدة هشيمة **تذروه الرياح** تنسفه
وتطيره الريح حمزة وعلي **وكان الله على كل شيء** من الانشاء والافناء **مقتدرا**
قادرا شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والافناء

بجال النبات يكون اخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون
زينة الحياة الدنيا لا زاد القبر وعدة العقبى والباقيات الصالحات
اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان او الصلوات الخمس او سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء وخير املا
لانه وعد صادق واكثر الامال الكاذبة يعني ان صاحبها يامل في الدنيا
ثواب الله ونصيبه في الاخرة ويوم واذكر يوم نسير الجبال تسير الجبال
مكي وشامي وابو عمرو اي نسيرها في الجو او نذهب بها بان نجعلها هباء منبثا
وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال
والاشجار وحشرناهم اي الموتى فلم نغادر منهم احدا اي فلم نترك
غادره اي تركه ومنه الغدر ترك الوفا والغدير ما غادره السيل
وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد
لا يحجب احد احدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل
النصب في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة اي لقد بعثناكم كما انشاناكم
اول مرة او جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا وانما قال وحشرناهم
ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز
ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان لن
نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث
والنشور او مكان وعد للمحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال فترى
المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها
حصرها وضبطها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا
ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه او يعذبه
بغير جرم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم سجود تحية او سجود انقياد
فسجدوا الا ابليس كان من الجن هو مستانف كان قائلا قال ما له لم
يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه
من السجود وهو دليل على انه كان مامورا بالسجود مع الملائكة
افتتخذونه وذريته الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد
منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي ومن ذريته
لاقيس موسوس الطهارة وولهان موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا
وتبر صاحب المصائب ومسوط صاحب الاراجيف وداسم يدخل ويأكل
مع من لم يسم الله تعالى وهم لكم عدو اعداء بئس للظالمين بدلا بئس
البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله ما اشهدتهم
اي ابليس وذريته خلق السموات والارض يعني انكم اتخذتموهم
شركاء لي في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية

فنفي

مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم
في خلقها او اشاورهم فيه اي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة
ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم
وما كنت متخذ المضلين اي وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم
تتخذونهم شركاء لي في العبادة ويوم يقول الله للكفار وبالنون حمزة
نادوا ادعوا بصوت عال شركاي الذين زعمتم انهم شركاي ليشفعوا لكم
من عذابي واراد الجن واضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق
وبوقا اذا هلك او مصدر كالموعد اي وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم
وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا او الملائكة
وعزير وعيسى والموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا لانهم
في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا
انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها عن النار مصرفا
معدلا ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء جدلا تمييز اي اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل
ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان
اكثر من جدل كل شيء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي سببه
وهو الكتاب والرسول ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او
ياتيهم العذاب ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف
تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك وانتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة
قبلا كوفي اي انواعا جمع قبيل الباقون قبلا اي عيانا وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين نوقف عليه ونستانف بقوله ويجادل
الذين كفروا بالباطل هو قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل
ملائكة ونحو ذلك ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة
واتخذوا اياتي القران وما انذروا ما موصولة والراجع من الصلة محذوف
اي وما انذروه من العقاب او مصدرية اي وانذارهم هزوا موضع استهزاء
بسكون الزاي والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاي والهمزة
غيرهما ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتذكر
حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر
فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا عن
استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعوهم

الهدى الى الايمان فلن يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتداء البتة اذا جزاء وجواب ابدا مدة التكليف كلها وربك الغفور والرحمة البليغ المغفرة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي ومن رحمته ترك مؤاخذته اهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسوله عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجى ووال اليه اذا لجا وتلك مبتدا القرى صفة لان اسما الاشارة توصف باسماء الاجناس والخبر اهلكناهم او تلك القرى نصب باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اي لوقت هلاكهم او لهلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ واذكر اذ قال موسى لفتاه هو يوشع بن نون وانما قيل لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه اما الاول فلانها كانت حال سفر واما الثاني فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم وسمي خضرا لانه اينما يصلي يخضر ما حوله او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا قيل هو ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر وانزل بها بعد هلاك القبط سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه بنفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما بلغا مجمع بينهما مجمع البحرين نسيا حوتهما اي نسي احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى

فلما اصاب

اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء فاتخذ سبيله في البحر اي اتخذ طريقا له من البر الى البحر سربا نصب على المصدر اي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به فلما جاوزا مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة هي موضع الموعد فاني نسيت الحوت ثم اعتذر فقال وما انسانيه وبضم الهاء حفص الا الشيطان بالقاء الخواطر في القلب ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان واتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا وهو ان اثره بقي الى حيث سار قال ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالياء مكي ووافقه ابو عمرو ومدني في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهم اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر فوجدا عبدا من عبادنا اي الخضر راقدا تحت ثوب او جالسا في البحر آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة او العلم او طول الحياة وعلمناه من لدنا علما يعني الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني رشدا ابو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد ان يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وان يتواضع لمن هو اعلم منه قال انك لن تستطيع معي صبرا وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك ان لا يجزع اذا راى ذلك فكيف اذا كان نبيا قال ستجدني ان شاء الله صابرا عن الانكار والاعتراض ولا اعصي لك امرا في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او هو عطف على ستجدني ولا محل قال فان اتبعتني فلا تسالني بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فانكرته في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء فحملوهما بغير نول

فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي
الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم قال اخرقتها لتغرق اهلها ليغرق
اهلها حمزة وعلى من غرق لقد جئت شيا امرا اتيت شيا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فلما راي موسى
ان الخرق لا يدخله الماء ولم يضر من في السفينة قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته او بشي نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة
على الناسي او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا
تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه اي ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي
بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل ضرب
براسه الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بسكين وانما قيل فقتله بالفاء وقال
خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط
معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت نفسا زكية زاكية حجازي وابو عمرو
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت
او لانها صغيرة ولم تبلغ الحنث بغير نفس اي لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من
حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيا نكرا وبضم
الكاف حيث كان مدني وابو بكر وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل
نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة او معناه جئت شيا انكر من
الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد لك هنا لان النكر فيه اكثر قال ان
سالتك عن شي بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني قد بلغت
من لدني عذرا اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق وبتخفيف النون مدني
وابو بكر فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية او الابلة وهي
ابعد ارض الله من السما استطعما اهلها استضافا فابوا ان يضيفوهما
ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا اهل قرية لياما وقيل
شر القرى التي تبخل بالقرى فوجدا فيها في القرية جدارا طوله مائة ذراع
يريد ان ينقض يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما
استعير الهم والعزم لذلك فاقامه بيده او مسحه بيده فقام واستوى
او نقضه وبناه وكانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد
لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما اقام
الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال
لو شئت لتخذت عليه اجرا اي لو طلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به
الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصري وباظهارها

مكي

مكي وابن كثير بتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح
الخاء وادغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ
افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شي قال هذا فراق بيني
وبينك هذا اشارة الى السوال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق
والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف
كما يضاف الى المفعول به سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب
وكان وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما
كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندي ياخذ كل سفينة غصبا
اي ياخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها
وهو مصدر او مفعول له فان قلت قوله اردت ان اعيبها مسبب عن
خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب قلت المراد به
التاخير وانما قدم للعناية واما الغلام وكان اسمه الحيسور فكان ابواه
مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين
المومنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما
شرا وبلاء او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من
كلام الخضر وانما خشي الخضر من ذلك لانه تعالى اعلمه بحاله واطلعه
على سر امره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا فعلمنا انه عاش
ان يصير سببا لكفر والديه فاردنا ان يبدلهما ربهما يبدلهما مدني
وابو عمرو خيرا منه زكاة طهارة ونقاء من الذنوب واقرب رحما
رحمة وعطفا زكاة ورحما تمييز روي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي
فولدت نبيا او سبعين نبيا او ابدلهما ابنا مومنا مثلهما رحما شامي
واما الجدار فكان لغلامين اصرم وصريم يتيمين في المدينة هي
القرية المذكورة وكان تحته كنز لهما اي لوح من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف
يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله او مال مدفون من ذهب وفضة او صحف فيها علم
والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا وكان ابوهما قيل جدهما السابع صالحا ممن يصحبني وعن
الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج من كلام جرى بينهما
بم حفظ الله كنز الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي

وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الي الكل او الي الجدار ذلك اي الاجوبة
الثلاثة تاويل ما لم تسطع عليه صبرا حذف التا تخفيفا وقد زل اقدام
اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا امر
موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر كان نبيا وان لم
يكن كما زعم البعض فهذا ابتلا في حق موسى عليه السلام على ان اهل
الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان
ومن المحال ان يكون الولي وليا الا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي
ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر
اولا فاردت لانه افساد في الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه
انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فاردنا لانه افساد من حيث القتل
وانعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فاردنا فاراد الله عز
وجل ومثله في القران كثير ويسالونك اي اليهود على جهة الامتحان
او ابو جهل واشياعه عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا
قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر
وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم
والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه
وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي
رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب
على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر
فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله اراد نفسه قيل كان
يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام
سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان او انقرض في وقته قرنان من الناس
او لانه ملك الروم وفارس او الروم والترك او كان لتاجه قرنان
او على راسه ما يشبه القرنين او كان كريم الطرفين ابا واما وكان من
الروم قل سأتلوا عليكم منه من ذي القرنين ذكرا انا مكنا له في
الارض جعلنا له فيها مكانة واستيلاء واتيناه من كل شيء اراده من اغراضه
ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه فاتبع سببا والسبب ما يتوصل
به الى المقصود من علم او قدرة او الة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع
سببا فاتبع ثم اتبع كوفي وشامي الباقون بوصل الالف وتشديد التاء
عن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق حتى اذا بلغ مغرب
الشمس اي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال عليه السلام بدء
امره انه وجد في الكتب ان احدا من ولد سام يشرب من عين الحياة فيخلد
فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يشرب

ذو القرنين وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة من حمئت البئر اذا
صارت فيها الحماة حامية شامي وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن ابي ذر
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غربت
فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال
فانها تغرب في عين حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرا
معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف
تقرا فقال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول
ابن عباس رضي الله عنهما ولا تنافي فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين
جميعا ووجد عندها عند تلك العين قوما عراة من الثياب لباسهم
جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفارا قلنا يا ذا القرنين اما
ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ان كان نبيا فقد اوحى الله اليه
والا فقد اوحي الى نبي فامره النبي به او كان الهاما خير بين ان يعذبهم
بالقتل ان اصروا على امرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم
الشرائع ان امنوا او التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر
الى القتل احسان قال ذو القرنين اما من ظلم فسوف نعذبه بالقتل
ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا في القيامة يعني اما من دعوته
الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب
في الدارين واما من امن وعمل صالحا اي عمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء
الحسنى فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي
غير ابي بكر اي فله الفعلة الحسنى جزاء وسنقول له من امرنا يسرا اي ذا يسر
اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج
وغير ذلك ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم هم الزنج لم نجعل لهم من دونها من دون الشمس سترا اي
ابنية عن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس
دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم او الستر اللباس عن مجاهد
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل
الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره
وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا نصب
على المصدر لان في احطنا معنى خبرنا او بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما
بلغ مغربها او تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني
انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر
واحسانه الى من امن منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا مكي
وابو عمرو وحفص والسدين وسدا حمزة وعلي وبضمهما غيرهم قيل ما كان

مسدود الخلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب
بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر بالاضافة في هذا فراق بيني وبينك
وكما ارتفع في لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء
وظروفا وهذا المكان من منقطع ارض الترك مما يلي المشرق **وجد من**
دونهما من ورائهما **قوما** هم الترك **لا يكادون يفقهون قولا** لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها لا يُفقِّهون حمزة وعلي اي لا
يفهّمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة **قالوا يا**
ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وهمزهما عاصم فقط وهما من ولد يافث او ياجوج من الترك وماجوج من
الجيل والديلم **مفسدون في الارض** قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
ولا يموت احدهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم
على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر **فهل نجعل لك خرجا**
خراجا حمزة وعلي اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني بالادغام وبفكه مكي **فيه ربي**
خير اي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي
من الخراج فلا حاجة لي اليه **فاعينوني بقوة** بفعلة وصناع يحسنون
البنا والعمل وبالالات **اجعل بينكم وبينهم ردما** جدارا وحاجزا
حصينا موثقا والردم اكبر من السد **اتوني زبر الحديد** قطع الحديد
والزبرة القطعة الكبيرة وقيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس
من الصخرة والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا
صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق
بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ
حتى اذا ساوى بين الصدفين بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان
اي يتقابلان الصُّدُفين مكي وبصري وشامي الصُّدْفين ابو بكر **قال**
انفخوا اي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد **حتى اذا جعله** اي
المنفوخ فيه وهو الحديد **نارا** كالنار **قال اتوني** اعطوني **افرغ** اصب
عليه قطرا نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره اتوني
قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال ائتوني بوصل
الالف حمزة واذا ابتدا كسر الالف اي جيئوني **فما اسطاعوا** بحذف التاء
للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء **ان يظهروه** ان يعلوا السد
وما استطاعوا له نقبا اي لا حيلة فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب
لصلابته **قال هذا رحمة من ربي** اي هذا السد نعمة من الله ورحمة
على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته **فاذا جاء وعد ربي**

فاذا دنى مجيء يوم القيامة وشارف ان ياتي **جعله** اي السد **دكا** اي
مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد
اندك دكاء كوفي اي ارضا مستوية **وكان وعد ربي حقا** اخر قول
ذي القرنين وابتداء **وتركنا** وجعلنا **بعضهم** بعض الخلق **يومئذ يموج**
يختلط **في بعض** اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما
وراء السد مزدحمين في البلاد وروي ياتون البحر فيشربون ماءه
وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون
ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم
فيدخل اذانهم فيموتون **ونفخ في الصور** لقيام الساعة **فجمعناهم** اي
جميع الخلائق للثواب والعقاب **جمعا** تاكيد **وعرضنا جهنم يومئذ**
للكافرين عرضا واظهرناها لهم فراوها وشاهدوها **الذين كانت**
اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم
او عن القران وتامل معانيه **وكانوا لا يستطيعون سمعا** اي وكانوا
صما عنه الا انه ابلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم
اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع **افحسب الذين كفروا ان**
يتخذوا عبادي من دوني اولياء اي افظن الكفار اتخاذهم عبادي
يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام اولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل
ان بفعلها سد مسد مفعولي الحسب وعبادي واولياء مفعولا ان يتخذوا
وهذا اوجه يعني انهم لا يكونون لهم اولياء **انا اعتدنا جهنم للكافرين**
نزلا هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم **قل هل**
ننبئكم بالاخسرين اعمالا تمييز وانما جمع والقياس ان يكون مفردا
لتنوع الاهواء وهم اهل الكتاب او الرهبان **الذين ضل سعيهم** ضاع
وبطل وهو في محل الرفع اي هم الذين **في الحياة الدنيا وهم يحسبون**
انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فلا يكون لهم عندنا وزن
ومقدار **ذلك جزاؤهم جهنم** هي عطف بيان لجزاؤهم **بما كفروا**
واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم
بايات الله ورسله **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم**
جنات الفردوس نزلا خالدين فيها حال **لا يبغون عنها حولا** تحولا الى
غيرها رضى بما اعطوا يقال حال من مكانه حولا اي لا مزيد عليها
حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف
لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه
او المراد نفي التحول وتاكيد الخلود **قل لو كان البحر** اي ماء البحر **مدادا**
لكلمات ربي قال ابو عبيدة المداد ما يكتب به اي لو كتبت كلمات الله

وحكمة وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير
نافدة ومددا تمييز كقولي مثله رجلا والمراد مثل المداد وهو ما يمد به
ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرأون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني
ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فمن كان يؤمل حسن لقاء
ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد
باللقاء اللزوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا يجري على
حقيقته فليعمل عملا صالحا خالصا لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به
غيره وعن يحيى ابن معاذ هو ما لا يستحيى منه ولا يشرك بعبادة ربه احدا
هو نهي عن الشرك او عن الرياء قال عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال عليه السلام من قرأ
سورة الكهف فهو معصوم ثمانية ايام من كل فتنة تكون فان يخرج
الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي الى اخرها عند مضجعه كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى
مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان
كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ
والله اعلم بالصواب واليه المآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه المستعان

وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم تسليما
والحمد لله
رب
العالمين
م

تم الجزء الاول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في ليلة الجمعة المباركة
بعد صلاة العشاء لاربع ليال خلون من شهر رجب الفرد الحرام سنة الف
ومائة وخمسة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
وكاتبه العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الفقير حجازي بن محمد الطولوني
غفر الله له ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم